

ديوان الوقف الشيعي

المركز الوطني لعلوم القرآن والتراث الإقرائي ۞ سلسلة الإصدارات العلمية (١٦)

الخوف

ألفاظه وسياقاته في القرآن الكريم

(دراسة لغوية)

تأليف

أ.د. أحمد جواد العتابي

ديوان الوقف الشيعي
المركز الوطني لعلوم القرآن
والتراث الإقرائي

الخوف
ألفاظه وسياقاته في القرآن الكريم
(دراسة لغوية)

تأليف

أ.د. أحمد جواد العتابي

بغداد
١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م



الخوف

ألفاظه وسياقاته في القرآن الكريم

(دراسة لغوية)

تأليف

أ.د. أحمد جواد العتابي

الطبعة الأولى ـ بغداد
١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م

ديوان الوقف الشيعي
المركز الوطني لعلوم القرآن
بغداد ـ العراق

اسم الكتاب .... الخوف ألفاظه وسياقاته في القرآن الكريم

المؤلف .... أ.د. أحمد جواد العتابي

الناشر .... المركز الوطني لعلوم القرآن

الطبعة .... الأولى

المطبعة .... مطبعة النماء

تاريخ الطبع .... ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م

التصميم والإخراج الفني .... خضر عباس زغير

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢٩٦ لسنة ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى اله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر المنتجبين وسلم تسليما كثيرا.

وبعد...

إن معجزة الدين الاسلامي الخالدة المتمثلة بالكتاب المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الناطق بالحق والداعي لكل فضيلة والنابذ لكل ما يتعارض مع الفطرة السليمة ،هذه المعجزة الكريمة ما زالت على سنم المعجزات التي أيد بها المرسلون الكرام ،فإن عظمة المعجزة تتناسب مع ديمومتها عبر العصور والدهور ،بل ان هذه المعجزة هي التي دلتنا على المعجزات العظيمة التي رافقت الانبياء العظام وكانت من وسائلهم المعجزة طالما بقوا يدعون الى عبادة وتوحيد الرب تبارك وتعالى وزالت مع ذهاب الانبياء الى لقاء ربهم وجرى عليهم ما جرى على الناس (إنّك ميت وإنّهم ميتون) ،لذا فإن القران الكريم الذي تحدى به الرب تبارك وتعالى جميع الخلق بأن يأتوا بسورة من مثله قد بقي وسيبقى ينير الاذهان بصنعته وبلاجة معانيه وجزالة الفاظه وبقى الدارسون والمفسرون ينهلون من لجاج بحره الزاخر كل حسب استعداده وما وفق اليه،ولقد انبثق عن ديوان الوقف الشيعي عمل قراني جاد ومثمر يمكن ان يوصف بالقفزة العريضة في الواقع القراني العراقي مستثمرا ما ينطوي عليه العراق من عقليات قرانية فذة واتمام منقطع النظير من لدن اهل القران مستشفين هدي المرجعية الرشيدة المباركة في النجف الاشرف ،وبالفعل كان منهج الديوان المعتمد هو نهج القران الكريم بكل ما أوتي من قوة وبكل وسيلة تمكنه من ذلك ،وما حققه الديوان للعراق من انجازات قرانية على مستوى العراق والعالم سواء في الحفظ او التفسير او البحث والتلاوة والمشاريع القرانية الاخرى لا سيما خط المصحف الشريف بأيد عراقية خالصة ،لهو مفخرة للعراق ودلالة واضحة لما يمتلكه العراق من طاقات ومواهب وامكانات واتجاهات ملائمة لخدمة الكتاب العزيز ،وهذا الاصدار الجديد للديوان المتمثل بكتاب(الخوف ألفاظه وسياقاته في القران الكريم)لمؤلفه الأستاذ الدكتور احمد جواد العتابي ،وهو الاصدار السادس عشر جاء من ضمن الكتب الفائزة الثلاثة الاولى في مسابقة الكتاب القراني السنوي الثاني احدى الفعاليات العديدة ضمن الاسبوع القراني السنوي الذي يقيمه الديوان عبر مركز علوم القران ،وان العناية بالقران الكريم وان كانت اساس اهتمامنا ومنهجنا الوحيد في عملنا في الديوان الا ان الديوان ينهض بمسؤوليات عظيمة في خدمة البلاد والعباد عبر بناء مئات المساجد والمؤسسات ورعاية الايتام وبناء المدارس والكليات والجامعات والعناية بمختلف شرائح المجتمع وبلسمة جروحه بكل ما اوتينا من قوة، تحية حب واعتزاز لجميع العاملين الاوفياء وهم يخطون باحرف من نور تاريخ العراق الجديد والشكر موصول لمنتسبي ديوان الوقف الشيعي وشكر عرفان وتقدير لهم وهم يسهمون في اعلاء صرح الدين والوطن واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين..

صالح محمد الحيدري

رئيس ديوان الوقف الشيعي

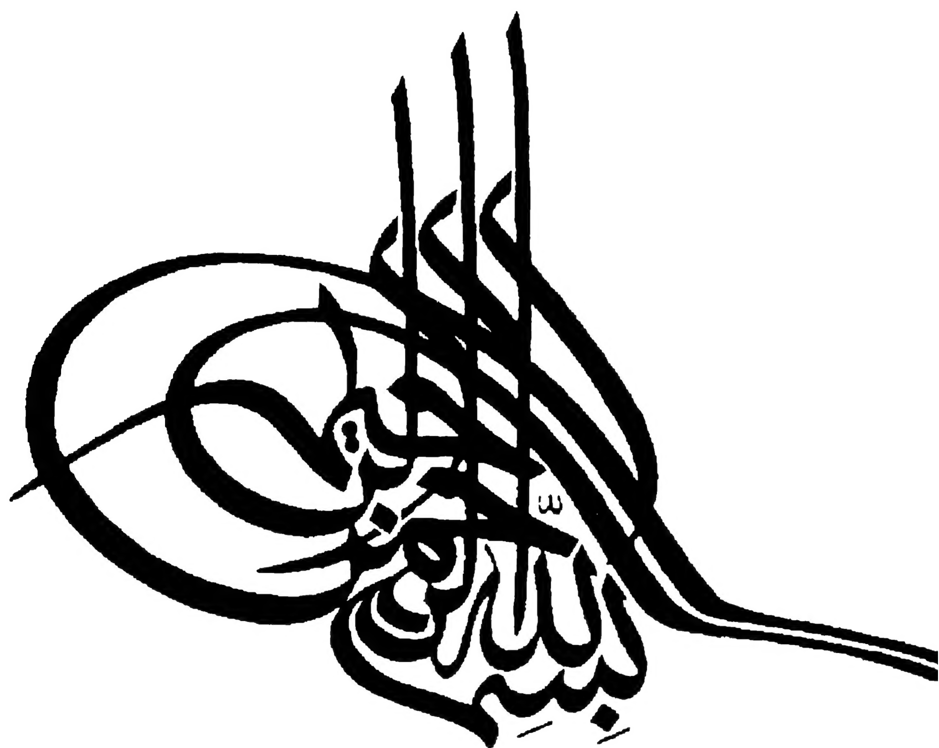


المؤلف في سطور

أ.د. أحمد جواد العتابي
تخرج في كلية التربية / جامعة بغداد
عمل مدرسا للغة العربية في المدارس الثانوية
حصل على شهادة الماجستير ١٩٩٦
حصل على شهادة الدكتوراه ٢٠٠١
نشر الكثير من البحوث والدراسات في الصحف والمجلات
صدرت له مجموعة شعرية بعنوان (حب وخوف واحتلال)
صدر له كتاب (المعجم الوصفي لما ورد في القرآن الكريم مرة واحدة)
صدر له كتاب (أسماء الاشارة في التعبير القرآني) عن ديوان الوقف الشيعي
شارك في الكثير من المؤتمرات العلمية
حصل على الجائزة الثانية في مسابقة الكتاب القرآني الثانية التي يرعاها ديوان الوقف الشيعي للعام ٢٠١٠
يعمل أستاذا في قسم اللغة العربية/ كلية التربية/ الجامعة المستنصرية

له تحت الطبع:
الضرورة الشعرية معالجة دلالية
المجموعة الشعرية الثانية (القمر الوردي)





بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

يسر مركز علوم القرآن الكريم أن يضع بين يدي القارئ الكريم أفضل البحوث والدراسات القرآنية وأحدثها وهي تتناول موضوعًا من موضوعات علوم القرآن الكريم، من أجل نشر الثقافة القرآنية لمؤلفين وباحثين مرموقين في مجال الدراسات القرآنية.

وبناءً على توجيهات سماحة السيد صالح الحيدري - رئيس ديوان الوقف الشيعي - العلمية السديدة للعمل على استيعاب الدراسات القرآنية الجادة التي تخدم الحركة القرآنية، ونشر الثقافة الإيمانية ذات الطابع العلمي في طرح الأفكار والمسائل التي تدفع بالفكر الإنساني نحو الرقي، فكانت هذه التوجيهات والإرشادات دليل عمل للجنة العلمية في المركز، لتأخذ على عاتقها مسؤولية تبني نشر مثل هذه الكتب والدراسات في مجال البحث القرآني، لتكون أساسًا في بناء صرح علمي شامخ يتعهده ويرعاه ديوان الوقف الشيعي متمثلا بسماحته.

وضمن سلسلة إصدارات المركز الوطني لعلوم القرآن للعام ٢٠١١م، كتاب (الخوف ألفاظه وسياقاته في القرآن الكريم) للأستاذ الدكتور أحمد جواد العتابي، إذ حصل هذا الكتاب على المرتبة الثانية في مسابقة الكتاب القرآني الثانية في عام ٢٠١٠م. والكتاب صدر عن مركز علوم القرآن الكريم التابع لديوان الوقف الشيعي تحت تسلسل (١٦) ضمن سلسلة إصداراته العلمية.

الكتاب يحاول الكشف عن الدقة المحكمة في التعبير عن معنى الخوف ألفاظًا وتراكيب وسياقات، ففي القرآن مخاوف، والتعبير عن هذه المخاوف جاء متنوعًا في الاستعمال القرآني، فجاء البحث لينهض بدراسة هذه الألفاظ فيحصي الصيغ التي وردت عليها ما كثر تردده وما قل أو انعدم ودراسة أحوالها عندما تدخل في تركيب معين وعلاقات وظيفية يقتضيها السياق والموقف، إذ إن المفردة القرآنية والجملة القرآنية لا يمكن دراستها بعيدة عن النص القرآني كله في جميع سوره وآياته.

والله ولي التوفيق.

أ.د. فاخر جبر مطر
رئيس اللجنة العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وصلى الله على النبي المصطفى وعلى آله الطيبين، وصحبه الغر المنتجبين الميامين، وعلى من اهتدى بهديه واستن بسنته وسار على نهجه، لقيام يوم الدين.

وبعد...

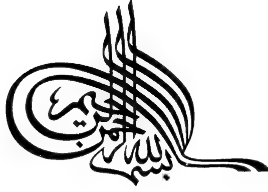
فهذا الإصدار (١٦) من الإصدارات العلمية القرآنية المرشحة من مسابقة النخبة القرآنية الوطنية التي هي إحدى فعاليات الأسبوع القرآني السنوي الثاني فضلاً عن عدة مسابقات وفعاليات قرآنية سنوية مباركة، وهذا الكتاب الموسوم (الخوف ألفاظه وسياقاته في القرآن الكريم) لمؤلفه الأستاذ الدكتور أحمد جواد العتابي، قد أحرز المرتبة الثانية بعد أن عرضت العشرات من الكتب العلمية القرآنية والبحوث والأطاريح والرسائل الجامعية المتسابقة في هذا الاختصاص على الخبراء، وفي هذا السياق فقد دأب المركز الوطني لعلوم القرآن على احتضان الكفاءات العلمية القرآنية والاستمرار بنشر نتاجاتها العلمية والثقافية عبر الوسائل المتاحة في المركز الوطني لعلوم القرآن سواء في صحيفة قطوف القرآنية الصادرة عن المركز أو مجلة والقلم القرآنية الفصلية، وإمعانا من المركز في نشر هذه البحوث لما لها من أهمية بالغة وإسهامًا في سد الفراغات البحثية في المكتبة القرآنية حيث يقوم المركز وعلى نفقة الديوان بطباعة الكتب الفائزة وتوزيعها على كل الجامعات العراقية والمؤسسات الثقافية والقرآنية والحوزات العلمية الشريفة، بل وصل التوزيع المجاني إلى أكثر من ثمانين جامعة ومؤسسة وكلية عربية وعالمية لأكثر من ثلاثين دولة عربية وأجنبية، وأن الديوان عبر مركز علوم القرآن مستمر في طباعة هذه الكتب وتوزيعها مجانًا على وفق السياقات الإدارية والأصولية.

شكري وامتناني لسماحة السيد رئيس الديوان المحترم السيد صالح الحيدري الذي غمرنا بعظيم جوده وكرمه وإحساسه العالي بمسؤولية النهوض بالواقع القرآني، والشكر موصول للأستاذ الدكتور فاخر جبر مطر رئيس اللجنة العلمية في مركز علوم القران واللجنة الكفوءة المخلصة وجميع إخوتي وأخواتي في الديوان والمركز، والله أسأل أن يوفقهم لكل خير وسداد، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

عادل الكناني

مدير المركز





قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا

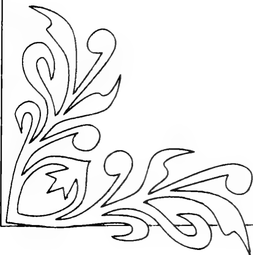
صدق الله العلي العظيم

الكهف ١٨ / ١٠٩

الإهــداء

إلى كل طفل عراقي
يتيما أو معوقا أو مهجرا
أو جائعا
أو...........
أو............

أ.د. أحمد جواد العتابي



شكر وعرفان

أود أن أتوجه بوافر الشكر والامتنان إلى رئاسة ديوان الوقف الشيعي متمثلة بسماحة السيد صالح محمد الحيدري وإلى مركز علوم القرآن متمثلة بشخصية الأستاذ عادل الكناني وإلى كل الأخوة العاملين فيهما إداريين وفنيين داعيا لهم جميعا بالنجاح والتوفيق لخدمة لغة التنزيل العزيز ٠

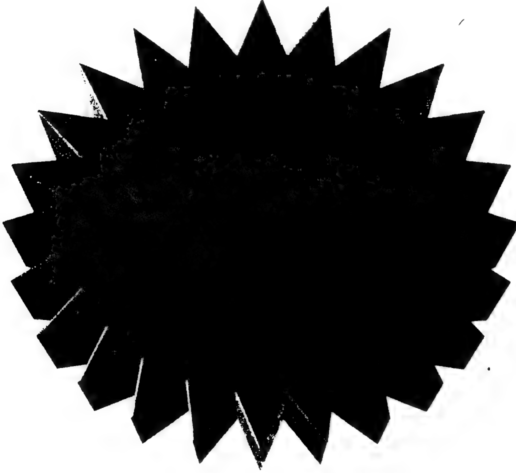
وإن لمن الفخر والاعتزاز أن يحظى كتابنا هذا الموسوم بـ (الخوف ألفاظه وسياقاته في القرآن الكريم دراسة لغوية) بإجازة طبعه من لدن ديوان الوقف الشيعي والمركز الوطني لعلوم القرآن ٠

وفقنا الله جميعا وتقبل منا
إنه هو السميع العليم.

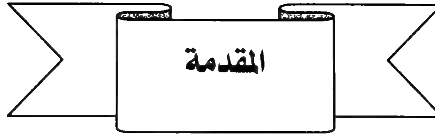


المؤلف

الخوف ألفاظه وسياقاته في القرآن الكريم



أ.د. أحمد جواد العتابي



تعد الدراسات القرآنية رافدا مهماً لإغناء مكتبة اللغة العربية، إذ شملت كل مستويات اللغة من صوت وصرف ونحو ودلالة فضلاً عن الدراسات البلاغية المتنوعة، وكان الهدف الذي يجمع بينها هو إظهار مسألة الإعجاز القرآني وتأكيدها وبيان الدقة المحكمة التي تميزت بها لغة التنزيل العزيز . وما تقدم هذه الرسالة إن هو إلا مشاركة متواضعة في الكشف عن تلك الدقة المحكمة في التعبير عن معنى الخوف ألفاظًا وتراكيب وسياقات، ففي القرآن مخاوف، والتعبير عن هذه المخاوف جاء متنوعًا في الاستعمال القرآني، فمرة يأتي بألفاظ صريحة للدلالة على معنى الخوف (خاف - خشي - فزع - رَعَب - وجل ..) فكان ذلك من نصيب الفصل الأول الذي خص بدراسة هذه الألفاظ دراسة وصفية، بحصر مواضعها ورسم حركتها في كثرة ورودها أو قلة ترددها، وبيان مصاحباتها* لبعض الألفاظ والتراكيب، وشيوعها في السور المكية أو المدنية، فقد أسست الرسالة على هذا الفصل .

ثم يأتي الفصل الثاني لينهض بدراسة هذه الألفاظ دراسة لغوية فيحصي الصيغ التي وردت عليها ما كثر تردده وما قل أو انعدم ودراسة أحوالها عندما تدخل في تركيب معين وفي سياق خاص في علاقات نحوية من رفع ونصب وجزم وجر، وعلاقات وظيفية يقتضيها السياق والموقف والمقام ودراسة كل هذه العلاقات دراسة لغوية

* - أن يكون بينها وبين جيرانها صلة ما ، فبعض الألفاظ تأتي متصاحبة دائما لا تكاد تفترق .. وهو ما سمي فيما بعد باسم (مراعاة النظير) . ينظر: التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري / د. وليد قصاب/ ٧٥ .

شاملة بلا فصل بين مستويات الدرس اللغوي إذ إن المفردة القرآنية والجملة القرآنية لا يمكن دراستها بعيدة عن النص القرآني كله في جميع سوره وآياته، وبسبب ذلك تميز الفصل الثاني بدراسته الشاملة إذ لم يقتصر على دراسة المفردة نفسها أو التركيب نفسه وإنما عرض لدراسة هذه المفردة فيها، وقد أعطت هذه الشمولية عمقا ورصانة لطبيعة البحث وهذا يفسر ضخامة هذا الفصل إذا ما قورن بسائر فصول الرسالة . ثم يأتي الفصل الثالث ليتمم البناء الذي نهض به الفصلان الأول والثاني. إذ جاء على قسمين، خص القسم الأول بالوقوف على القراءات التي وردت عليها هذه الألفاظ لما لذلك من الفائدة الكبيرة. فهذه الألفاظ جاءت فيها قراءات متنوعة تترتب عليها توجيهات تخص النحو والدلالة والسياق، فكان لا بد من الوقوف عليها وتوضيحها. أما القسم الثاني فقد خصّ بتناول دلالة هذه الألفاظ في الاستعمال القرآني ، فقد خص القرآن الكريم بعض هذه الألفاظ بدلالات معينة غير دلالاتها الوضعية والمعجمية، منها مثلا دلالة الخوف على معنى الظن والعلم واليقين . ودلالة الخشية على العلم والظن والكرامة والإجلال والتعظيم والاستحياء ، وقد افرد لكل لفظ مبحث خاص في دلالة الاستعمال القرآني .

أما الفصل الرابع فقد تناول سياقات الخوف التي وردت في القرآن الكريم ، ولما كان الخوف يعرض للإنسان في الحياة الدنيا مثلما يعرض له في الحياة الآخرة ، لذلك كان الفصل على قسمين : الأول ما يخص سياقات الخوف الدنيوي إذ يعرض لدراسة سياقات متنوعة، فمنها سياقات التشبيه ، وسياقات الصيحة والرجفة وغيرها ، وقد افرد كل سياق بمبحث خاص به . وكذلك الأمر بالنسبة للقسم الثاني من هذا الفصل الذي تناول سياقات الخوف الأخروي إذ قسم على مباحث خاصة بكل سياق ورد فيه الخوف في الحياة الآخرة .

أما المصادر التي اعتمدتها الدراسة فشملت كتب التفسير واللغة والنحو والبلاغة وما تيسر من كتب الدراسات القرآنية والبلاغية والرسائل الجامعية التي تناولت بعض هذه

هذه الألفاظ من الناحية الدلالية[١] ، منها الألفاظ النفسية في القرآن الكريم[٢]، دراسة دلالية ومنها ألفاظ العقاب الأخروي، دراسة دلالية . ومنها ألفاظ الحرب في القرآن الكريم دراسة دلالية[٣] . وآخر هذه الرسائل كانت رسالة الماجستير الموسومة بـ(ألفاظ الأمن والخوف دراسة لغوية ونحوية)[٤] إذ عرضت هذه الرسالة لبعض ألفاظ الخوف ، ولكني لم أفد منها الفائدة المرجوة لأن المنهج الذي قامت عليه الرسالة لا يتفق مع المنهج الذي اتبعته في رسالتي هذه ولا يلتقي معه إلا في بعض ألفاظ الخوف في القرآن الكريم .

إن البحث في لغة التنزيل يقتضي الحذر واليقظة ،ولاسيما في جانب الاستعمال اللغوي . إذ إن الاستعمال القرآني وضع كل لفظة في مكانها المناسب فلا تحل لفظة محل أخرى من غير أن يتغير المعنى زيادة أو نقصانا. كما أن النص القرآني لا يقبل التجزئة ولذلك تأتي الدراسات التي تعتمد على نص معين في موضعه الخاص دون النظر إلى موقعه في النص القرآني كله ، تأتي هذه الدراسات مقصرة في نتائجها تعوزها الدقة والشمول . ولذلك حرص البحث كل الحرص على النظرة الشمولية في معالجة المسائل اللغوية – موضوع البحث ـ إذ كانت النظرة الشاملة إلى النص القرآني هي النظرة الفاشية في كل فصول الرسالة وقد ترتب على ذلك عدم الفصل بين مستويات الدرس اللغوي إذ درست مجتمعة في ضوء النص في موضعه الخاص من النص القرآني عامة . وهذه النظرة أتاحت للبحثُ فرص الوقوف على كثير من دقائق الاستعمال القرآني المعجز . وقد تطلب ذلك جهدا كبيرا ومتابعة دقيقة ووقتا

---

(١) أيمن توفيق عبد الله / ماجستير / آداب موصل .
(٢) أحمد عاشور جعاز / ماجستير / تربية / المستنصرية / ١٩٩٨ .
(٣) سهام عبود وهيب / ماجستير / تربية البنات / بغداد / ١٩٩٨ .
(٤) عذراء عبد الوهاب / آداب / بغداد / نيسان / ٢٠٠٠ .

يتجاوز أحيانا أياما في بحث مسألة لغوية .

إن الباحث في لغة التنزيل ليقف مبهوراً أمام دقة العبارة وروعة التصـــوير واتســـاق النظم وهذا يؤكده كلّ من بحث في لغة القرآن قديماً وحديثاً حتـــى يـــرث الله الأرض ومن عليها .

ولا يفوتني وأنا أكتب هذه المقدمة المتواضعة أن أسجل عظيم شكري وتقديري إلـــى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور نعمة رحيم العزاوي فقد كان أستاذاً وأخاً وصديقاً مدّ الله في عمره وجزاه الله عني خير الجزاء . والحمد لله ربّ العالمين .

التمهيد

لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم من إشارة إلى معنى الخوف ، إذ قد تكون هـذه الإشارة صريحة فتأتي على شكل لفظ من الألفاظ إلى تدل على معنى الخوف ، وقـد تكون الإشارة غير صريحة فتأتي ضمنا في مركب معـين وفـي سـياق خـاص . والخوف الذي ورد في القران الكريم على أنواع متباينة ، فهناك خوف يسـكن قلـب المؤمنين الصالحين ، الأنبياء والأولياء، والمتقين ، وهذا النوع من الخوف يحبـه الله ورسوله ، قال تعالى: ﴿إِنَّ إبراهيم لأواه حليم﴾ التوبة ٩/ ١١٤ . قال أبـو عبيـدة (الأواه المتأوه شَفَقَا وفرقاً) . وجاء فئ معترك الأقران (وما نزلت على النبي صـلى الله عليه وسلم آية كانت أشد عليه من قوله تعالى ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديـه﴾ الأحزاب ٣٣ / ٣٧) . وجاء في الكشاف (وجيء يومَئِذٍ بجهـنم) روي أنهـا لمـا نزلت تغيّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه. حتى اشتدّ علـى أصحابه فأخبروا علياً رضي انه عنه فاحتضنه من خلفه وقبله بين عاتقيه ثم قال : يـا نبي الله بأبي أنت وأمي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك ؟ ، فتلا عليـه الآيـة . ولذلك قال (ص) (أنا أخوفكم الله) . والخوف في بعض أحواله يكون نعمة من نعـم الله فقد (جمع الله للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهى مجـامع مقامـات أهل الجنان . قال تعالى " ﴿وهدًى ورحمة للذين هم لـربهم يرهبـون﴾ " الأعـراف ١٥٤/٧. وقال تعالى " ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾ " البينـة ٩٨/ ٨ . وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف (لأن الخـوف ثمـرة العلم) . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان متواصـل الأحـزان دائـم

الفكرة) [١]. ومن هذا الخوف خوف المتقين والصالحين وقد ذكرهم الله سبحانه في أكثر من موضع . قال تعالى "﴿ إنا نخافُ من ربنا يومًا عبوسًا قمطريرًا﴾ " الإنسان ٦ ٧ / ١ . وقد فرض الله سبحانه على العباد أن يخافوه ويخشوه ويتقوه ، قال تعالى " وخافونِ إن كنتم مؤمنين " آل عمران ٣/١٧٥. وقال تعالى " ﴿وإياي فارهبون﴾ " البقرة ٢/ ٤٠ وقال تعالى " يا عبادِ فاتقونِ " الزمر ٣٩/ ١٦ وقال تعالى "﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ " الحج ١/٢٢ . وقال تعالى " ﴿فلا تخشوهم واخشونِ﴾ " المائدة ٥ / ٣. وصفة الأنبياء والصديقين والصالحين هي الخوف والخشوع والتواضع. قال الحسن البصري (الخشوع الخوف الدائم اللازم للقلب) [٢].

وقد خص القرآن الكريم المؤمنين والمتقين بألفاظ معينة من ألفاظ الخوف منها الوجل والإخبات والخَشية المشوبة بالإشفاق ووصفهم بالخشوع والتقوى . كما خص الكافرين والمنافقين بألفاظ معينة منها الإهطاع والرعب والجأر والفَرَق والنكوص والتثبيط والقعود والتثاقل . وسيذكر كل ذلك في موضعه إن شاء الله . وهناك خوف الإنسان من أخيه الإنسان قال تعالى " لأنتم أشدّ رهبة في صدورهم من الله " الحشر ٥٩/١٣ (أي أن خوفهم منكم أشد من خوفهم من الله) [٣] . وقال تعالى " ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا﴾ " القصص ٢٨/ ٥٧ أي ﴿ إنا نعلم أن قولك حق ولكن يمنعنا أن نتبع الهدى معك ونؤمن بك مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا﴾ [٤] . وقال تعالى " وإنا لن ندخلَها حتى يخرجوا منها " المائدة ٥/٢٣ (قالوا ذلك خوفًا من الجبارين) [٥] .وفي موسى (ع) " فأصبح في المدينة خائفًا يترقب " القصص ٨/ ١٨ . وقال تعالى " ﴿فلما كُتِبَ عليهم القتالُ إذا فريقٌ منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية﴾ " النساء ٤/٧٧. وهناك خوف الطبيعة ، هال تعالى " وإنّ من الحجارةِ لمَا يتفجّر منه الأنهار وإنّ منها لمَا يشّقّقُ فيخرجُ منه الماءُ وإنَّ منها لمَا يهبِطُ من خشية

---

(١) الرسالة القشيرية / أبو القاسم بن طلحة القشيري / ٧١ ط١ / ١٩٤٠ / مصر .
(٢) نفسه / ٧٤ .
(٣) مجمع البيان / الطبرسي ٢٨/٣٣ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ١٣/١٩٨ .
(٥) نفسه ٦/٨٤ .

الله " البقرة ٢/ ٧٤ . وقال تعالى " لو أنزلنا هذا القرآنَ على جبلٍ لرأيتَهُ خاشعًا متصدِّعًا من خشيةِ الله " الحشر ١/٥٩. وقال تعالى " تكاد السماوات يتفطَّرْنَ منْهُ وتنشقّ الأرضُ وتخرُّ الجبالُ هدًا " مريم ١٩/ ٩٠ وقال تعالى "﴿ إنّا عرَضْنا الأمانةَ على السمَاواتِ والأرض والجبالَ فأبيْنَ أن يحملْنَها وأشفقْنَ منها﴾ " الأحزاب ٣٣/ ٧٢. ويكثر خوف الطبيعة في الآيات التي تصف أهوال يوم القيامة والتغيرات التي تسبقه في الحياة الدنيا .

وفي القرآن الكريم يكون التعبير عن معنى الخوف إما صراحة وذلك بالألفاظ الخاصة بهذا المعنى . وإما ضمنًا وذلك بتراكيب معينة ترد في سياقات خاصة ، وأغلب ما مرّ في هذا التمهيد كان التعبير فيه عن معنى الخوف بالألفاظ . أما التعبير ضمنًا فقد ورد في مواضع كثيرة قال تعالى " ﴿حتى إذا ضاقتْ عليهم الأرضُ بما رحُبَت وضاقتْ عليهم أنفسُهم﴾ " التوبة ٩/ ١١٨ . وقوله تعالى " ﴿وبلَغَتِ القلوبُ الحناجر﴾ " الأحزاب ٣٣/ ١٠ . وقوله تعالى " ﴿إذِ القلوبُ لدى الحناجر " غافر ٤/ ١٨ . وقوله تعالى " وضاقَ بهم ذرعًا " هود ١١/ ٧٧ وقال تعالى وأفئدتُهم هواء﴾ " إبراهيم ٤٣/١٤ وقال تعالى " ﴿وإذْ زاغتِ الأبصار﴾ " الأحزاب ٣٣/ ١٠. وقال تعالى " ﴿ويخرّون للأذقان يبكون﴾ " الإسراء ١٧/ ١٠٩. وقال تعالى " ﴿تتجافى جنوبُهُم عن المضاجع﴾ " السجدة ٣٢ / ١٦ ، قال الفراء (تتجافى : تقلق (عن المضاجع) عن النوم في الليل كله خوفًا وطمعًا)[1] وقال تعالى " ﴿فخرّ عليهم السقفُ من فوقهم﴾ " النحل ١٦/ ٢٦ . ذكر ابن الأثير " وهذا مقام ترهيبٍ وتخويف. ولذكر لفظة (فوقهم) فائدة لا توجد مع إسقاطها من هذا الكلام وأنت تحس هذا من نفسك . فانك إذا تلوت هذه الآية يخيل إليك أن سقفًا خرّ على أولئك من فوقهم وحصل في نفسك من الرعب

(١) معاني القرآن / ٣٣١/٢ .

ما لا يحصل مع إسقاط تلك اللفظة"[١] . ومنه قوله تعالى " وإذ نتقْنَا الجبلَ فوقهم " الأعراف ٧/ ١٧١. ولم يستعمل (رفَعْنا) لما في (النتق) من التهديد الشديد والتخويف[٢] . وقال تعالى " والأرضُ جميعًا قبضتُهُ يومَ القيامةِ والسماواتُ مطوياتٌ بيمينهِ " الزمر ٣٩/ ٩٧. قال الزركشي (فمن يقرع سمعه هذا الكلام المعجز استشعر من روعة النفس واقشعرار الجلد ما يمكن خشية الله وعظمتهِ من قلبه)[٣] . وقد يأتي التعبير عن معنى الخوف عن طريق تكرار التركيب نفسه . وقد تردد في أكثر من موضع ولاسيما في الأخبار عن يوم القيامة . قال تعالى " ﴿الحاقّةُ ما الحاقّةُ ، وما أدراك ما الحاقّة﴾ ، الحاقة ٦٩/ ١ـ٢ . وقال تعالى " القارعةُ ما القارعةُ " القارعة ١٠١ /١ ـ ٢ ، وقال تعالى " ﴿وما أدراك ما يوم الدين﴾ ؟ ثم ما أدراك ما يوم الدين " الانفطار ٨٢ /١٧ . جاء في ظلال القرآن (والسؤال الأخير للتجهيل مألوف في التعبير القرآني . وهو يوقع في الحس أن الأمر أعظم جدا وأهول جدا من أن يحيط به إدراك البشر المحدود ... وتكرار السؤال يزيد في الاستهوال)[٤] ولا ينتهي الخوف في الحياة الدنيا بانتهاء حياة الإنسان عند الموت بل يستمر مع الإنسان في الحياة الآخرة ، ولكنه خوف لا يشبه خوف الدنيا . إذ يكون خوفًا شاملاً للكون كله ، الأرض ، والسماوات ، والبحار ، والجبال ، والنجوم . إذ تبدل الأرض غير الأرض وكذلك السماوات تمور مورًا » والجبال تمرّ مرّ السحاب . والنجوم تطمس والبحار تفجر وتسجر وتخشع الأصوات للرحمن وتعنو الوجوه للحي القيوم . فالخوف هنا غير الخوف الذي عهده الإنسان في حياته ، قال تعالى " يا أيها الناسُ اتقوا ربكم إنَّ زلزلةَ الساعةِ شيءٌ عظيمُ " الحج ٣٠ / ١- ٢ . وقال تعالى " ﴿فإذا برق البَصرُ ،

---

(١) المثل السائر / ٣٩٨/٢ .
(٢) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني / د. فاضل السامرائي / ٩٩ .
(٣) البرهان ٣١٣/١ .
(٤) في ظلال القرآن / السيد قطب ٣٨٥/٣٠ .

وخسَفَ القَمَرُ ، وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ ، يقولُ الإنسانُ يومئذٍ أين المفرُّ﴾ " القيامة ٧٥ /٧ـ١٠ . وقال تعالى " ليومٍ تشخص فيه الأبصارُ " إبراهيم ٤٢/١٤ . وهو اليوم الذي تكون فيه الأبصار شاخصة عن مواضعها لا تغمض لهول ما ترى في ذلك اليوم ولا تطرف.وقيل تبقى أبصارهم مفتوحة لا تنطبق للتحير والرعب)[١]. وشخوص الأبصار وصف يرد في أكثر من موضع للتعبير عن هول ذلك اليوم . فهذا الهول يجعل الإنسان وحيدا . يتخلى عن أهله ويتخلون عنه ، قال تعالى " فإذا جاءت الصاخة ، يوم يفرُّ المرءُ مِنْ أخيهِ وأمّهِ وأبيهِ وصاحبتِهِ وبنيهِ " عبس ٨٠/ ٣٣ ـ ٣٦ . وقال تعالى " ﴿وتراهم يُعْرَضُون عليها خاشعينَ من الذلّ ينظرون من طرْفٍ خفيٍّ﴾ " أي (يسارقون النظر إلى النار خوفًا منها وذلة في نفوسهم)[٢] . وقيل يسارقون النظر من شده الخوف .. وهل يفزعون أن ينظروا إليها بجميع أبصارهم لما يرون من أصناف العذاب[٣] .

ويغلب ورود ذكر الخوف ألفاظا وتراكيب وسياقات في السور المكية ولا سيما القصار منها فهناك سور خصت بهذا المعنى منها على سبل المثال القمر والحاقّة ، والقيامة والانفطار ، والانشقاق ، والتكاثر والقارعة ، وعبس ، وغرها . والسبب في ذلك يرجع إلى طبيعة السور المكية نفسها . إن ألفاظا مثل (الهول والجبن والذعر والقلق) لم ترد في الاستعمال القرآني على الرغم من أن لفظه (هول) قد وردت في الاستعمال اللغوي عند الشاعر الجاهلي ، وقد وردت لفظة (قَلَق) أيضًا ، إذ وردت اللفظتان في الجداول الإحصائية الخاصة بأبنية المصدرٍ في الشعر الجاهلي ، أما اللفظتان (الجُبن والذُعرِ) فلم تردا في هذه الجداول الإحصائية[٤] .

---

(١) مجمع البيان / الطبرسي ٢٣٢/١٣ .
(٢) مجمع البيان / ٦١/٢٤ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي ٣١/١٦ .
(٤) للمزيد يراجع كتاب (أبنية المصدر في الشعر الجاهلي) ، وسيمة عبد المحسن منصور / ٤٤٤ و ٤٦٤ ، ١٩٨٤ .

إن لغة التنزيل العزيز لا يمكن النظر إليها على أنها ألفاظ وتراكيب دخلت في علاقات معينة أو سياقات خاصة ، فتكونت العبارة القرآنية من هذه الألفاظ وتلك العلاقات بل لا بد من النظر إليه . من حيث الأثر النفسي الذي تحدثه تلك العبارة في القلوب والنفوس معا . وفى هذا الأمر يقول الخطابي (في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس ، فلا يكاد يعرفه إلا من أجاد منهم ، وذلك صنيعه بالقلوب ، وتأثيره في النفوس فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوماً ولا منثورًا إذا قرع السمع يخلص له القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه ، وتستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق وتغشاها الخوف والفرق)[1] .

---

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم / ٢٤ / تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام ط١ / القاهرة ، ١٩٦٨ .

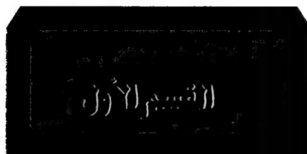
الفصل الأول

يسعى الكتاب إلى دراسة معنى الخوف في التعبير القرآني ، إذ تبين من خلال البحث أن القرآن الكريم عبر عن هذا المعنى بألفاظ كثيرة ، منها ما وضع أصلا للتعبير عن معنى الخوف ، ومنها ما اكتسب هذه الدلالة بسبب دخوله في تركيب معين أو مجيئه في سياق خاص ، فما وضع أصلاً يضم كل الألفاظ التي يمكن أن يشملها حقل الخوف (الخوف - الخشية - الحذر - الرعب - الرهب - الوجل - الفزع - الروع . . . الخ) ، أما ما اكتسب دلالة الخوف بسبب التركيب والسياق فيشمل (الإذعان ـ الوهن ـ الضعف ـ التثاقل ـ التثبيط ـ القعود ـ الفشل) وغيرها . ويمكن أن نسمي هذه الألفاظ بذيل الحقل . وطبقاً لهذا التصور فقد نهض الفصل الأول بدراسة وصفية لأحوال هذه الألفاظ في الاستعمال القرآني بعد إحصائها وحصر مواضعها التي وردت فيها ، فكان لكل لفظ مبحث خاص به يتضمن عدد المواطن التي ورد فيها وبيان مكيها ومدنيها ورصد مصاحباتها مع اللفظ . ومع التركيب أو مع السياق ، وبيان الشائع والغالب من هذه المصاحبات ، وما كثر وما شاع وروده ، وما قلَّ ، وما لم يرد أصلا ، ومحاولة الربط بين الاستعمال القرآني والاستعمال الجاهلي بالاعتماد على بعض الدراسات التي اختصت بدراسة هذا اللفظ . و ذاك في الشعر الجاهلي ، وبذلك يكون هذا الفصل قد نهض بمهمة دراسة هذه الألفاظ دراسة وصفية كما وردت في الاستعمال القرآني . وقد تبين من خلال هذا الفصل أن لكل لفظ خصوصية في الاستعمال القرآني إذ إن

هناك ألفاظا خصها القرآن بمواطن معينة ، وهناك ألفاظ خصها بأحوال معينة ، وهناك ألفاظ خصها بمصاحبات معينة ، أما من حيث كثرة ورودها فقد تبين أن هناك ألفاظا وردت أكثر من مئة مرة وهناك ألفاظ وردت مرة واحدة فقط وهناك ألفاظ لم ترد قط كألفاظ (الهول والذعر والجبن والقلق والهيبة) فهذه لم ترد في الاستعمال القرآني ، ومن اللافت للنظر أن هذه الألفاظ تتردد كثيرًا في كتب التفسير واللغة ، وهذا الأمر يحملنا على القول إن الألفاظ التي يمكن أن يضمها حقل الخوف لم ترد جميعها في الاستعمال القرآني . على الرغم من أنها تعد من الألفاظ الأساسية في الحقل . ويمكننا القول أيضا أن هناك ألفاظا من خارج الحقل صارت من ضمنه بسبب دخولها في تركيب وسياق معينين تلك التي أطلقنا عليها اسم (ذيل الحقل) . إن عدد الألفاظ التي ضمها هذا الفصل بلغ أربعة وثلاثين لفظا . تفاوت ورودها في الاستعمال القرآني بين الكثرة والقلة وبين المكي والمدني ـ فبعضها شاع في مواطن القتال والمنازلة وبعضها في مواطن الإيمان والعبادة أو في مواطن الكفر والنفاق وبعضها خاص بخطاب المشركين وبعضها خاص بخطاب أهل الكتاب ولا سيما اليهود . فهذا التنوع والتفاوت من خصائص التعبير القرآني ، كما أنها تفاوتت في صيغها وتصريفاتها ، فبعضها يشيع فيها صيغ المجرد ، وبعضها تشيع فيها صيغة المضارع أو الوصف أو المصدر وبعضها لا يأتي منها إلا الوصف ، وهناك أحوال يتفرد بها لفظ دون لفظ ، فهناك ألفاظ لا ترد إلا منصوبة وبعضها لا يرد إلا مرفوعا ، وغير ذلك من التفاوت والتنوع . إن هذا الفصل يعرض لهذه الألفاظ كما وردت في الاستعمال القرآني أما الدراسة والبحث فيها فيختص بها الفصل الثاني . فالفصل الأول يعد الأساس الذي تقوم عليه الرسالة إذ لا تتم الفائدة إلا بجمع فصولها الأربعة فهي متصلة مترابطة يكمل بعضها بعضا . كما أن ترتيب هذه الألفاظ قام على أساس كثرة ورودها في الاستعمال القرآني فاقتضى ذلك تقسيم الفصل إلى:

قسمين : الأول يضم الألفاظ التي كثر ترددها في الاستعمال القرآني إذ اقتصر البحث فيها على وصف أحوالها فقط وهذه الألفاظ هي :
خاف
١ - أنذر
٢ - خشي
٣ - حزن
٤ - راب ـ يريب
٥ - رجا
٦ - حذر
٨ـ خشع
٩ـ ضعف
١٠ـ أشفق
١١ـ وهن
١٢ـ رهب
١٣ـ ضرع
١٤ـ حصر
١٥ـ فزع
١٦ـ وجل
١٧ـ رعب
١٨ـ فشل
١٩ـ أخبت
٢٠ـ جأر
والقسم الثاني يضم الألفاظ التي ترددت مرة أو مرتين أو ثلاث مرات فقد خصتا لدراسة والبحث والتحليل . أي أن دراستها لم تقتصر على الوصف . وهذه الألفاظ تضم ما يأتي:
١ - أهطع
٢ - أوجس
٣ - قعد

٤- جزع
٥- نكص
٦- أوجف
٧- خضع
٨- راع
٩- ثبط
١٠- آثاقل
١١- فرق
١٢- أذعن
١٣- هلع
١٤- أهم



يضم الألفاظ التي كثر ترددها في الاستعمال القرآني وهي مرتبة بحسب هذه الكثرة .

(خاف)

ورد في مئة وخمسة وعشرين موضعاً ، منها سبعة وأربعون موضعًا مدنياً وخمسة وسبعون موضعا مكيا . وبذلك يكون نصيب السور المكية أكثر من نصيب السور المدنية وذلك يعود إلى طبيعة السور المكية وأحوالها وموضوعاتها، وكانت أحوالـه على الوجه الآتي :

١ ــ ورد مصدرا على صيغ متنوعة هي :

أ ــ على صيغة (فَعْل) ورد في ستة وعشرين موضعًا أهمها :في قوله تعالى﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ وقد تردد إحدى عشرة مرة في سورة البقرة ٢/ الآيات ٣٨ ، ٦٢ ، ١١٢ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، وفي سورة آل عمران ٣/١٧٠ ، وفي سورة الأعراف ٧/ ٣٥ ، ٤٩ ، وفي سورة يونس ١٠/٦٢ ، وفي سورة الزخرف ٤٣/٦٨ .

ب ــ على صيغة (فِعْلة) (خِيْفة) في خمسة مواضع ، في قوله تعالى " واذكُر ربَّك في نفسِك تضرُّعًا وخيفة " الأعراف ٧/٢٠٥ . وفي قوله تعالى "﴿ وأوجسَ في نفسه خيْفة﴾ " هود ١١/٧٠ ، وفي قوله تعالى " يسبِّحُ الرعدُ بحمدهِ والملائكةُ من خيفة " الرعد ١٣/٣ . وفي قوله تعالى " فأوجسَ في نفسهِ خِيْفةً موسى " طه ٢٠/٦٧ ، وفي قوله تعالى "﴿ فأوجسَ منهم خيفة " الذاريات﴾ ٥١/٢٨ .

د ــ على صيغة (تفعيل) في موضع واحد في قوله تعالى " وما نُرسلُ بالآيــات إلاّ تخويفًا " النحل ١٦/ ٤٧.

٢ ــ يأتي فعلاً ماضيًا في ثمانية عشر موضعًا وكانت أحواله ما يأتي:

أ- مسندًا إلى ضمير مستتر يعود على (مَنْ) الشرطية أو الموصولة فــي قولــه تعالى " ﴿فمن خاف من موصٍ جنفًا أو إثمًا﴾ " البقرة ٢/١٨٢ ، وفي قوله تعــالى " ﴿لمنْ خاف عذابَ الآخرة﴾ " هود ١١/٣ ، وفي قوله تعالى " لمنْ خــافَ مقــامي وخاف وعيدِ " إبراهيم ١٤/١٤ ، وفي قوله تعالى " ﴿لمن خاف مقام ربه جنتــان﴾ " الرحمن ٥٥/٤٦ ، وفي قوله تعالى " ﴿وأمّا من خاف مقامَ ربِّه﴾ " النازعات٧١/٤٠

ب ــ يقع فعل شرط بعد (إن) الشرطية في ثمانية مواضع في قوله تعالى " فــإنْ خفتم ألاّ يقيما حدودَ اللهِ " البقرة ٢/٢٢٩ ، وفي الآية /٢٣٩ من السورة نفسها " فإن خفتُم فرجالاً أو رُكبانا " وفى سورة النساء ٤/٣ " ﴿وإنْ خفــتُم ألاّ تقســطوا فــي اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثُلاثَ ورُباعَ ، فإن خفتم ألاّ تعــدلوا فواحدة﴾ " وفي الآية /٣٥ من السورة نفسها "﴿ وإن خفتم شقاق بينهمــا﴾ " والآيــة/ ١٠١ " إن خفتم أن يفتتكمُ الذين كفروا " وفي قوله تعالى " ﴿وان خفتُم عيلة فســوف يغنيكم الله من فضله﴾ " التوبة ٩/٢٨ .

ج ــ ورد في موضع واحد مكسوعاً بتاء التأنيث في قوله تعالى " وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضا " النساء ٤/١٢٨ .

د ــ ورد في ثلاثة مواضع مسندا إلى (تاء) الفاعل في قوله تعالى " ﴿وانّي خفــتُ الموالي من ورائي﴾ " مريم ١٩/٥ ، وفي قوله تعالى " ففرَرْتُ منكم لمّــا خفــتُكم " الشعراء ٢٦/٢١ ، وفي قوله تعالى " فإذا خفتِ عليهِ فألقيهِ فــي الــيم " القصــص ٢٨/٧ .

هــ ــ ورد مسندا إلى واو الجماعة في موضع واحد في قوله تعالى " وليخْشَ الذين لو تَركوا من خلفهم ذريةً ضعافاً خافوا عليهم " النساء ٤/ ٩ .

٣ ــ وَرد على صيغة المضارع على الأحوال الآتية :

أ ــ يقع في جملة (إن) المؤكدة مسندا إلى ضمير المتكلم المستتر وجوبــاً فيكــون التركيب " إنّ + اسمها + أخاف "

المائدة ٢٨/٥ " إنِّي أخافُ الله ربَّ العالمينَ "

الأنعام ١٥/٦ " قل إنّي أخافُ إنْ عَصَيْتُ ربي "

الأعراف ٥٩/٧ " قُل إنّي أخافُ عليكُم عذابَ يومٍ عظيم "

الأنفال ٤٨/٨ " على لسان إبليس " إنّي أخافُ اللهَ "

يونس ١٥/١٠ " إنّي أخافُ إنْ عصيتُ ربي عذابَ يومٍ عظيم "

هود ٣/١١ " وإنْ تولّوا فإنّي أخافُ عليكم عذابَ يومٍ كبير "

هود ٢٦/١١ " إنّي أخافُ عليكم عذابَ يومٍ أليم "

هود ٨٤/١١ " إنّي أخافُ عليكم عذابَ يومٍ محيط "

مريم ٤٥/١٩ " يا أبتِ إنّي أخافُ أنْ يمَسّكَ عذابٌ من الرحمن "

الشعراء ١٢/٢٦ " قالَ ربِّ إنّي أخافُ أن يكذبونِ "

الشعراء ٢٦ ١٣٥ " إنّي أخاف عليكم عذابَ يومٍ عظيم "

القصص ٣٤/٢٨ " إنّي أخافُ أن يكذبونِ "

الزمر ١٣/٣٩ " قُلْ إنّي أخافُ إنْ عَصَيْتُ ربي عذابَ يومٍ عظيم "

غافر ٢٦/٤٠ على لسان فرعون " وقال فرعونُ ذرني أقتلْ موسى وليدعُ ربَّه إنّــي أخافُ أن يبدّلَ دينكم ... "

غافر ٣٠/٤٠ " وقال الذي آمنَ يا قومِ إنّي أخافُ عليكم مثلَ يومِ الأحزاب "

غافر ٣٤/٤٠ " ويا قومِ إنّي أخافُ عليكم يومَ التنادِ ".

الأحقاف ٢١/٤٦ " ألاّ تعبدوا إلاّ الله إني أخافُ عليكم عذابَ يومٍ عظيم "

الحشر ١٦/٩ " على لسان الشيطان " كمثَلِ الشّيطانِ إذْ قالَ للإنسانِ اكفُرْ فلمّا كفَــرَ قال إنّي بريءٌ منكَ إنّي أخافُ اللهَ ربَّ العالمين "

ب ــ يقع في جملة (إنّ) المؤكدة + اسمها ضمير المتكلمين + الفعل المضارع + الضمير المستتر .

طه ٤٥/٢٠ " قالا ربَّنا إنّنا نخافُ أنْ يفْرطَ علينا ..."

الإنسان ١٠/٧٦ " إنّا نخافُ من ربِّنا يومًا عبوسًا قمطريراً "

١ ــ المضارع المرفوع المثبت: ويأتي غالبا مسندا إلى واو الجماعة :

المائدة ٥/ ٣ " قال رجلانِ من الذينَ يخافونَ أنعمَ الله عليهما "

النساء ١٣٤/٤ " واللائي تخافون نشوزَهُنَّ فعظوهن ... "

المائدة ٥٥/ ٩٤ " وليعلمَ الله منْ يخافه بالغيب "

الأنعام ٥١/٦ " وأنذِرْ به الذينَ يخافونَ أنْ يُحشَروا إلى ربِّهم "

الأنعام ٨١/٦ " وكيفَ أخافُ ما أشركتم ... "

الأنفال ٢٦/٨ " واذكروا إذ أنتم قليلٌ مستضعَفون في الأرضِ تخافون أن يَتَخَطَّفَكم الناسُ "

يوسف ١٣/١٢ " قالَ إنّي ليحزُنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكلَهُ الذئبُ "

الإسراء ٥٧/١٧ " ويرجون رحمتَهُ ويخافونَ عذابَه ... "

الرعد ٢١/١٣ " ويخشون ربَّهم ويخافونَ سوءَ الحسابِ "

النور ٢٤/ ٣٧ " يخافوَن يومًا تَتَقلَّبُ فيهِ القلوبُ والأبصار "

النور ٥٠/٢٤ " أفي قلوبِهم مرضٌ أمِ ارتابوا أمْ يخافونَ أن يَحيْفَ اللهُ عليهم ورسولُهُ "

الشعراء ١٤/٢٦ " ولهمْ علَيَّ ذنبٌ وأخافُ أن يقتُلونِ "

القصص ٣٣/٢٨ " قالَ ربِّ إنّي قتلْتُ منهم نفسًا فأخافُ أنْ يقتُلونِ "

ق ٤٥/٥٠ " فذكِّر بالقرانِ من يخافُ وعيدِ "

الذاريات ٣٧/٥١ " وتركْنا فيها أمةً للذينَ يخافُونَ العذابَ الأليمَ "

الإنسان ٧٦/ ٧ " يُوفوْنَ بالنَذْرِ ويخافونَ يومًا كان شرُّهُ مستطيرًا "

د ــ المضارع المنفى : بــ(لا) النافية .

المائدة ٥/ ٥٤ " يُجاهِدونَ في سبيلِ الله ولا يخافونَ لومةَ لائمٍ "

الأنعام ٥٤/٥ " قالَ أتحَاجُّونِّي في اللهِ وقد هدانِ ٠ولا أخافُ ما تشر كونَ به "

الأنعام ٨١/٦ " وكيفَ أخافُ ما أشركتُم ولا تخافونَ أنكم أشركتم بالله "

طه ٧٧/٢٠ " فأضربْ لهُم طريقًا في البحر يبسًا لا تخافُ دركًا ولا تخشى "

طه ١١٢/٢٠ " ومنْ يعملْ من الصالحاتِ وهو مؤمنٌ فلا يخافُ ظلمًا ولا هضمًا "

النمل ١٠/٢٧ "إنّي لا يخافُ لديَّ المرسلونَ "

الفتح ٢٧/٤٨ " لتدخلُنَّ المسجدَ الحرامَ إنْ شاءَ اللهُ آمنينَ محلِّقين رؤوسَكم ومقصِّرينَ لا تخافونَ "

الجن ١٣/٧٢ " فمن يؤمنْ بربِّهِ فلا يخافُ بَخْسًا ولا رَهَقًا "

الشمس ١٥/٩١ " ولا يخافُ عقباها "

هـ ـ المضارع المجزوم بـ(لا) الناهية:

آل عمران ١٧٥/٣ " إنما ذلكُم الشيطانُ يخوِّفُ أولياءه فلا تخافوهم وخافونِ "

هود ٧٠/١١ " وأوجسَ منهم خيفةً قالوا لا تخَفْ إنّا أُرسِلْنا إلى قوم لوط "

طه ٢١/٢٠ " قال خُذْها ولا تخَفْ سنُعيدُها سيرتَها الأولى "

طه ٤٦/٢٠ " قالَ لا تخافَا إنّني معكُما أسمَعُ وأرى "

النمل ١٠/٢٧ " يا موسى لا تَخَفْ "

القصص ٧/٢٨ " ولا تخافي ولا تحزني "

القصص ٢٥/٢٨ " فلمّا جاءَهُ وقصَّ عليهِ القصَصَ قالَ لا تخَفْ نَجَوْتَ مِن القومِ الظالمين "

القصص ٢٨/ ٣١ " فلمَّا رآها تهتزُّ كأنَّها جانٌّ ولَّى مُدبرًا ولمْ يُعقِّب يا موسى أقبلْ ولا تخَفْ "

العنكبوت ٣٣/٢٩ " ولمَّا أن جاءَتْ رُسُلُنا لوطاً سِيْءَ بهِمْ وضاقَ بهمْ ذرعًا وقالوا لا تخَفْ ولا تحزَنَ "

ص ٢٢/٣٨ " إذْ دخلوا على داودَ ففزِعَ منهم قالوا لا تخَفْ خصمانِ بغَى بعضُنا على بعضٍ "

فصلت ٣٠/٤١ " إنّ الذين قالوا ربُّنا اللهُ ثمّ استقاموا تتنزّلُ عليهم الملائكةُ ألاّ تخافوا ولا تحزنوا " . .

الذاريات ٥١/ ٢٨ " فأوجسَ منهم خِيفةً قالوا لا تخَفْ وبشّروهُ بغلام عليم "

و ــ على صيغة (يُفَعِّلُ) مضارع (فَعَّلَ) المضعف:

آل عمران ١٧٥/٣ " إنّما ذلكُم الشيطانُ يخوِّفُ أولياءه ..."

الإسراء ٦٠/١٧ " ونُخوِّفهم فما يزيدهم إلاّ طغيانًا كبيرًا "

الزمر ١٦/٣٩ " لهم من فوقِهم ظُلَلٌ من النارِ ومن تحتِهم ظُلَلٌ ذلك يُخوِّفُ اللهُ بِهِ عبادَهُ يا عبادِ فاتّقُونِ "

الزمر ٣٦/٣٩ " أليسَ اللهُ بكافٍ عبدَهُ ويُخوِّفونَكَ بالذين من دونِه "

ز ــ المضارع المؤكد بنون التوكيد:

الأنفال ٨٥/٨ " وإمّا تخَافَنَّ من قومٍ خيانةً فانبذْ إليهم على سواء ... "

ح ــ المضارع المنصوب:

البقرة ٢٢٩/٢ " إلاّ أن يخافَا ألاَّ يُقيمَا حدودَ اللهِ "

المائدة ١٠٨/٥ " ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادةِ على وجهِها أو يخافوا أن تُردَّ أيمانٌ بعد أيمانهم "

ط ــ ورد على صيغة .فعل الأمر في موضع واحد:

آل عمران ٣/ ١٧٥ " فلا تخافوهم وخافونِ "

ك ــ على صيغة اسم الفاعل"

البقرة ٢/ ١١٤ " ما كان لهم أنْ يدخلوها إلاّ خائفين "

القصص ١٨/٢٨ " فأصبح في المدينة خائفًا يترقَّب "

القصص ٢١/٢٨ " فخرجَ منها خائفًا يترقَّب "

(أنذر)

ورد اللفظ (انْذَر) وتصريفاته في مئة وثلاثة عشر موضعًا، وكانت أحواله الآتي:

نذير

١ـ ورد على صيغة (فعيل) في ستة وثلاثين موضعًا ، ويكثر في السور المكية، إذ يتناسب مع طبيعتها بخلاف السور المدنية التي يغلب علها طابع التشريع وإرساء دعائم المجتمع الإسلامي ومستقبله . وقد ورد على الأحوال الآتية:

أ ـ مصاحبًا لفظة (بشير) : إذ ورد في سبعة مواضع منها أربعة مكية هي . في قوله تعالى " إنّي لكُم منه نذير وبشر " هود ٢/١١. وفي قوله تعالى " وما أرسلناكَ إلاّ كافّه للناس بشيرًا ونذيرًا " سبأ ٢٨/٣٤ ، وفي قوله تعالى " إنا أرسلناكَ بالحقّ بشيرا ونذيرا " فاطر ٢٤/٣٥ . وفي قوله تعالى " فُصّلتْ آياتُهُ قرآنًا عربيًّا لقومٍ يعلمون . بشيرا ونذيرًا فأعرض أكثرُهُم فهم لا يسمعون " فصلت ٣/٤١ ـ ٤ ، وثلاثة مدنية هي: في قوله تعالى " إنّا أرسلناك بالحقّ بشيرًا ونذيرًا " البقرة ١١٩/٢ ، وفي قوله تعالى " يا أهل الكتاب قدْ جاءكُم رسولُنَا يبيّن لكم على فترةٍ من الرُّسُلِ أنْ تقولوا ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذير فقدْ جاءَكُم بشيرٌ ونذيرٌ واللهُ على كلِّ شيءٍ قدير المائدة ١٩/٥ .

ب ـ ورد في سياق الحصر بالنفي وإلاّ في خمسة مواضع مكية فقط ، في قوله تعالى " إنْ هو إلاّ نذيرٌ مبين " الأعراف ١٨٤/٧ ، والآية ١٨٨ من السورة نفسها " إنْ أنا إلاّ نذيرٌ " وفي قوله تعالى " إنْ أنا إلاّ نذير مبين " الشعراء ١١٥/٢٦ ، وفي قوله تعالى " إنْ أنت إلاّ نذيرٌ " فاطر ٢٣/٣٥ . وفي قوله تعالى " وما أنا إلاّ نذيرٌ مبين " الأحقاف ٩/٤٦ .

ج ـ ورد في سياق الحصر بـ(إنّما) في أربعة مواضع منها ثلاثة مكية وموضع واحد مدني . فقد جاء في قوله تعالى " إنّما أنْت نذيْرٌ " هود ١٢/١١ .

وفى قوله تعالى " إنّما أنا نذيرٌ مبين " العنكبوت ٥٠/٢٩ ، وفي قوله تعالى " إنّما أنا نذير مبين " ص ٧٥/٣٨ ، وفي قوله تعالى " قل يا أيّها الناسُ إنّما أنا لكم نذيرٌ مبين " الحج ٤٩/٢٢ .

د- ورد في سياق (إنّي) مصاحبًا لفظة (مبين) : " إني لكم نذيرٌ مبينٌ " هود ٢٥/١١ ، وفي قوله تعالى " إنّي أنا النذيرُ المُبينُ " الحجر ٨٩/١٥ ، وفي قوله تعالى " إنّي لكُم منْهُ نَذيرٌ مُبينٌ " الذاريات ٥٠/٥١ ، والآية /٥١ من السورة نفسها " إنّي لكم منهُ نَذِيرٌ مبينٌ " ، وفي قوله تعالى " إني لكم نذيرٌ مبين " نوح ٢/٧١ . فهذه خمسة مواضع مكية فقط .

هـ -يأتي مجروراً بحرف الجر (من) الزائدة في خمسة مواضع مكية فقط . فقد ورد في قوله تعالى " لِتُنْذِر قومًا ما أتَاهُم من نذير من قبلك " القصص ٤٦/٢٨، وفى قوله تعالى " لِتُنْذِر قومًا ما أتَاهُم من نذيرٍ من قبلك " السجدة ٣/٣٢ ، وفى قوله تعالى " وما أرْسَلْنَا في قَرْيَة من نذيرٍ " سبأ ٣٤/٣٤ ، وفي الآية /٤٤ من السورة نفسها " وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير " وفي قوله تعالى وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير " الزخرف ٢٣/٤٣ .

و - يقع فاعلاً للفعل (جاء) في أربعة مواضع في قوله تعالى " وجاءكم النذيرُ فاطر ٣٧/٣٥ ، وفي الآية /٤٢ من السورة نفسها " لئنْ جاءهُم نذيرٌ ليكوننَ أهدى من إحدى الأممِ فلمَّا جاءَهُم نذيرٌ ما زادَهُم إلاّ نفورا " ، وفي قوله تعالى " قالوا بلى قد جاءَنا نذيرٌ فكذَّبنا " الملك ٩/٦٧ . وهذه المواضع كلها مكية .

ز- يقع فاعلاً للفعل (أتى) مجردًا من حرف الجر الزائد (مِنْ) في موضع مكي واحد في قوله تعالى " ألم يأتِكم نذيرٌ " الملك ٦٧/ ٨.

ح - يأتي بغير مصاحبة في خمسة مواضع مكية فقط في قوله تعالى هذا نذيرٌ من النُّذُر الأولى " النجم ٥٦/٥٣ ، وفي قوله تعالى " إنها لإحدى الكبر ، نذيرًا للبشر " المدثر ٣٥/٧٤ ــ ٣٦ ، وفى قوله تعالى " تباركَ الذي نزّل القرآنَ على عبدِهِ ليكونَ للعالمينَ نذيرًا " الفرقان ١/٢٥ ، وفي الآية /٧ من السورة نفسها " لو لا أُنزل

إليه ملك فيكونَ معه نذيرًا " ، وفي الآية /٥١ من السورة نفسها " ولو شـئْنا لبعثْنـا في كلِّ قريةٍ نذيرًا " ويلاحظ في هذه الأحوال ما يأتي:

١- عندما يصاحب لفظة (بشير) يأتي متأخرًا عنها فيكون التركيب (بشير ونذير) " إلاّ في موضع واحد جاء فيه متقدمًا وكان التركيب (نذير وبشير) .

٢- الغالب فيه النصب .

٣- الغالب فيه أن يأتي في سياق الفعل (أرسلنا)

٤- يأتي في سياق الحصر بـــ(إنْ) و(إلاّ) غالبًا وكذلك في سياق إنما .

٥- الغالب فيه أن يقع فاعلا للفعل (أتى) فيكون مجرورًا لفظًا بحرف الجر الزائد (من) بخلاف حاله مع الفعل (جاء) إذ لم يرد مجرورا لفظًا بـــ(من)

٦- يغلب وروده في السور المكية .

أنذرْ : فعل أمر على صيغة أفعل
ورد في تسعة مواضع كلها مكية وكانت أحواله ما يأتي :

١- ورد مسبوقًا بالأداة (أنْ) في ثلاثة مواضع في قوله تعالى " أنْ أنْذر الناس يونس ١٠/٢ ، وفي قوله تعالى " ينزّل الملائكةَ بالروحِ من أمره على منْ يشاءُ من عبادِهِ أنْ أَنْذِرُوا أنه لا إلهَ إلاَّ أنا فاتقونِ " النحل ١٦/٢ ، وفي قوله تعالى إنـا أرسلْنَا نوحًا إلى قومه أنْ أَنْذِرْ قومَكَ " نوح ٧١/١ ، وجاء مجردًا من (أنْ) في سائر المواضع .

٢- يتعدى إلى مفعولين يكون المفعول الثاني لفظة (يوم) في قوله تعالى وأنـذر الناسَ يومَ يأتيهم العذابُ " إبراهيم ١٤/٤٤ ، وفي قوله تعالى " وأنْذرْهُم يوم الحسرة إذْ قُضِيَ الأمرُ " مريم ١٩/٣٩ ، وفي قوله تعالى " وأنْذرْهُم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجرِ كاظمين غافر ٤٠/١٨ .

٣- يكتفي بمفعول واحد في قوله تعالى وأنذر به الذين يخافون أن يُحشروا إلى ربِّهم " الأنعام ٦/٥١ ، وفي قوله تعالى " وأنْذرْ عشيرتك الأقربين " الشعراء ٢٦/٢٤ ،وفي قوله تعالى " إنَّا أرسلنا نوحًا إلى قومه أنْ أنْذرْ قومكَ " نوح ٧١/١.

ويلاحظ في هذه الأحوال ما يأتي:

١- الغالب في الأمر انه موجه إلى الأنبياء (ع) ليقوموا بالإنذار .

٢- إذا تعدى إلى مفعولين فالغالب أن يكون المفعول الثاني هو كلمة (يوم)المقصود به (يوم القيامة) لذلك لا يصح أن يعرب ظرفا للفعل .

٣- إذا اكتفى بمفعول واحد فالغالب أن يقيد بحرف الجر الباء فيكون التركيب (أَنْذِرْ به) .

٤- ورد في السور المكية فقط .

٥- الغالب فيه إسناده إلى ضمير المخاطب المفرد المستتر .

(نذر)

حاله عندما يأتي على صيغة (فُعُل) (نُذُر) فقد ورد في ثلاثة عشر موضعًا كلها مكية . وكانت أحواله على ما يأتي .

١- ورد نكرة منصوبة في موضع واحد في سورة المرسلات ٥/٧٧ ـ ٦ " فالملقياتِ ذكرًا ، عذرًا أو نذرًا " .

٢- ورد معرفا بـ(أل) في ستة مواضع هي:

أ- في سورة يونس ١٠١/١٠ " وما تغني الآياتُ والنُّذُر عن قومٍ لا يؤمنون " .

ب- في سورة الأحقاف ٢١/٤٦ " واذكر أخا عادٍ إذ أَنْذَرَ قومَهُ بالأحقاف وقد خلت النُّذُرُ من بينِ يديهِ ومن خلفِه" .

ج- القمر ٥/٥٤ " حكمةٌ بالغةٌ فما تغنِ النُّذُر " والآية ٤١ " ولقد جاءَ آلَ فرعونَ النُّذُر " والآية ٢٣ " كذبتْ ثمودُ بالنُّذُر " والآية ٣٣ " كذّبتْ قومُ لوطٍ بالنُّذُر "

٣- ورد معطوفًا على كلمة (عذابي) في سياق الاستفهام وفعل الأمر (ذوقوا) في ستة مواضع كلها في سورة القمر :

أ- الآية ١٦ " فكيف كانَ عذابي ونُذُر " وقد تكرر في الآيات ١٨ ، ٢١ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٣٩ . " فذوقوا عذابي ونُذُر" .

وبمكن تسجيل الملاحظات الآتية :

١- إن حالة الرفع هي الشائعة إذ لم يرد . إلا في موضع واحد منصوبًا وفي ثلاثة مواضع مجرورًا بحرف الجر الباء .

٢- إنه ورد مصاحبا كلمة (عذابي) في سياق الاستفهام بـ(كيف) في أربعة مواضع كلها في سورة القمر وفي سياق فعل الأمر في موضعين في السورة نفسها وفي كل هذه المواضع حذفت (ياء الضمير) (المضاف إليه) واجتزئ عنها بالكسر .

٣- ورد فاعلا للفعل (تغني) المسبوق بـ(ما) في موضعين الأول في سورة يونس / ١٠١ والأخر في سورة القمر/٥ . وقد كانت ياء الفعل (تغني) قد ذكرت في سورة يونس وحذفت في سورة القمر .

٤- أسقطت الياء، واجتزئ عنها بالكسر في كل المواضع التي وردت فيها كلمة (نذر) المضافة إلى الياء، إذ وردت كلها في سورة القمر . وسنعرض إن شاء الله في فصل التركيب والوظيفة لدراسة كل حال من هذه الأحوال .

(أنذر)

ورد فعلاً ماضيًا في تسعة مواضع كلها مكيّة إلاّ موضعًا واحدا مدنيًا ورد في سورة البقرة . وكانت أحواله ما يأتي :

١- طوي الفاعل معه فر ثلاثة مواضع في سورة الكهف ٥٦/١٨ " واتخذوا آياتي وما أُنْذِروا هُزُوا " وفي سورة الأحقاف ٣/٤٦ " والذين كفروا عما أُنْذِروا مُعْرِضون " .

٢- ذكر الفاعل معَهُ في ستة مواضع في سورة البقرة ٦/٢ إنّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تُنْذِرهْم لا يُؤمِنونَ " وفي سورة يس ١٠/٣٦ وسواء عليهم أأَنْذَرْتَهُم أمْ لم تُنْذِرْهُم لا يُؤمنونَ " وفي سورة فصلت ١٣/٤١ " أفإنْ أعْرضُوا فقل أَنْذَرْتَكُم صاعقةً مثلَ صاعقةِ عادٍ وثمود " وفي الأحقاف ٢١/٤٦ " واذكر أخا عاد إذ أَنْذَرَ قومَهُ بالأحقاف " وفي النبأ ٤٠/٧٨ " إنّا أنْذَرْنَاكُم عذابًا قريبًا " ، وفي الليل ١٤/٩٢ " فأنذرتُكم نارًا تلظّى " ويمكن ملاحظة ما يأتي .

١- عندما يطوى ذكر الفاعل يكون نائب الفاعل ضميرا متصلاً في موضعين واسما ظاهرا في موضع واحد في الكهف /٦٥ ، والأحقاف /٣ ، أما الاسم الظاهر فقد جاء في سورة يس ٦/٣٦ .

٢- مفعوله يأتي ضميرًا متصلاً في خمسة مواضع هي :

أ- " سواءٌ عليهم أَأَنْذَرْتَهُم أمْ لمْ تُنْذِرْهُم " في البقرة ٦/٢ ويس ١٠/٣٦ .

ب- " فإنْ أعْرَضُوا فقُلْ أنْذَرْتُكُم صاعقةً مثل صاعقةِ عادٍ وثمودَ " **فصلت /١٣** .
ج- " إنَّا أنْذَرْناكم عذابًا قريبًا " **النبأ ٧٨/٤٠** .
د- " فأنذَرْتُكم نارًا تلظَّى " **الليل ٩٢/١٤** .
ويأتي مفعوله اسما ظاهرا في قوله تعالى " واذكر أخا عاد إذ أَنْذَرَ قومَهُ بالأحقاف " **الأحقاف ٤٦/٢١** .
٣- يقع في صلة (ما) إذا جاء على صيغة ما لم يسم فاعله (ما أُنْذِروا آباؤهم " عمَّا أُنْذروا " .

(ينذر)

حاله عندما يأتي على صيغة المضارع

وهو أكثر أحواله ورودًا بعد لفظه (نذير) إذ ورد فى ستة وعشرين موضعًا كلها مكية إلاّ في موضعين أحدهما في سورة البقرة والأخر في سورة التوبة . وهما سورتان مدنيتان . وكانت أحواله على ما يأتي :
١- ورد **منصوبًا بلام التعليل في ثمانية عشر موضعًا . ففي سورة الأنعام ١٩/٦** " وأوحي إليَّ هذا القرآنَ لأُنْذِرَكم بهِ " **والآية /٩٢** " وهذا كتابٌ أنزلناهُ مباركٌ مصدقٌ الذي بين بيديه ولتنذر أمَّ القُرَى " **وفي سورة الأعراف الآيات ٢، ٦٣ ، ٦٩ ، وفي سورة التوبة الآية /١٢٢ ، وفي سورة إبراهيم الآية /٥٣ ، والكهف الآية الثانية والرابعة ، وفي سورة مريم الآية /٩٧ ، وفي سورة القصص الآية /٦٤ ، وفي سورة السجدة الآية الثالثة ، وفي سورة يس الآيتين /٦ ، ٧٠ ، وفي سورة غافر /١٥ ، وفي سورة الشورى /٧ ، وفي سورة الأحقاف / ١٣ .**
٢- ورد **مرفوعا في ستة مواضع ففي سورة الأنعام ١٣٠/٦** ، ويُنْذِرُونَكم لقاءَ يومِكُم هذا " ، **وفي سورة الأنبياء ٤٥/٢١** " قلْ إنّما أنْذِرُكم بالوحي " **وفي سورة فاطر ١٨/٣٥** "إنّما تُنْذِرُ الذين يخشَونَ ربَّهم " ، **وفي سورة يس ١١/٣٦** " إنّما تُنْذِرُ

من اتَّبَع الذكر " ، وفي سورة الزمر ٧١/٣٩ " يتلونَ عليكم آياتِ ربِّكم ويُنْـذِرونَكم لقاءَ يومِكُم هذا " .

٣- ورد مجزومًا في موضعين في سورة البقرة " ٦/٢ " سواءٌ عليهم أأنذرتَهم أمْ لمْ تُنْذِرْهُم " وفي سورة يس ١١/٣٦ " سواءٌ عليهم أأنذرْتَهُم أم لم تُنْذِرْهُم " .

وفي ضوء هذه الأحوال ممكن تسجيل الملاحظات الآتية :

١- إن فاعله لم يرد اسما ظاهرا . إذ الغالب في وروده ضميرا مستترًا مشارًا به إلى الرسل أو الكتاب أو القرآن .

٢- الغالب في احد مفعوله أن يرد اسما ظاهرا . ويكثر طي المفعول الآخر .

٣- يكثر وروده في سياق (إنّما) إذا كان مرفوعا .

٤- الشائع في الاستعمال القرآني في هذه الأحوال أن يكـون مقترنـا بـــ(لام) التعليل فيكون النصب هو الغالب .

٥- طوي ذكر فاعله في موضعين في قوله تعالى " هذا بلاغٌ للناسِ ولِيُنـذَروا بـه وليعلَموا أنما هو الهٌ واحدٌ " إبراهيم ٥٢/١٤ ، وفي قوله تعالى " ولا يسْمَعُ الصمُّ الدعاءَ إذا ما يُنذرُون " الأنبياء ٤٥/٢١ .

(مُنذِر)

يأتي على صيغة (مُفْعِل) بفتح العين وكسرها اسم فاعل أو مفعول (مُنْـذَر) ورد في سبعة عشر موضعًا منها موضعان مدنيان والباقي كلها مكية وكانت أحواله مـا يأتي : ١- على صيغة اسم الفاعل جمعًا مصاحبًا (مبشرين) وفي حالـة النصـب فيكون التركيب (مبشرين ومنذرين) وقد ورد في أربعة مواضع في سورة البقـرة ٢١٣/٢ " كانَ النَّاسُ أمَّةً واحدةً فبَعَثَ الله النبيِّينَ مُبشِّرينَ ومُنذِرينَ " ، وفي سـورة النساء ١٦٥/٤ " رُسُلاً مبشِّرِينَ ومُنْذِرِيْنَ لئلا يكونَ للناسِ على الله حُجَّةٌ بعدَ الرُّسُلِ " ، وفي سورة الأنعام ٤٨/٦ " وما نُرسِلُ المُرْسَلينَ إلاَّ مُبشِّرِينَ ومُنْذِرِيْنَ " ، وفـي سورة الكهف ١٨/ ٥٦ " وما نُرسلُ المُرْسَلينَ إلاَّ مُبَشِّرِيْنَ ومُنْذرينَ "

٢- على صيغة اسم المفعول جمعًا مجرورًا بالإضافة والمضاف هو (عاقبة أو مطر أو صباح) فيكون حاله الآتي (عاقبة المنذرين) " فَسَاءَ مَطَرُ المُنْذِرِينَ " " فَساءَ صَبَاحُ المُنْذِرِينَ " يونس ٧٣/١٠ ، والشعراء ١٧٣/٢٦ ، والنمل ٥٨/٢٧ ، والصافات ١٧٧/٣٧ .

٣- ورد في سياق (إنَّما) مفردًا مرفوعًا في موضعين هما : في سورة الرعد ١٣ / ٧" إنَّمَا أنْت مُنْذِرٌ ولِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ " وفي سورة النازعات ٤٥/٧٩ " إنَّمَا أنت مُنْذِرٌ منْ يخشاها " وورد مفردًا مرفوعًا على الفاعلية في سورة ص ٤/٣٨ " أو عَجِبوا أن جاءَهُم مُنْذِرٌ مِنْهُم " .

٤- ورد من غير مصاحبة في خمسة مواضع هي : في الشعراء ١٩٤/٢٦ " لتكُونَ منَ المُنْذرِيْن " وفي سورة النمل ٩٢/٢٧ " فَمنِ اهتَدَى فإنَّما يهتَدي لِنَفْسِه ومنْ ضَلَّ فقلْ إنَّما أنا من المُنذِرِينَ " ، وفي سورة الصافات ٧٢/٣٧ " ولقدْ أرسلْنَا فيهم مُنْذرِينَ " ، وفي سورة الدخان ٤٤/ ٣ " إنّا أنزلناهُ في ليلة مباركةٍ إنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ " وفي سورة الأحقاف ٢٩/٤٦ " وإذْ صرفْنا إليكَ نفَرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضَرُوه قالوا أنْصتُوا فلمَّا قُضِي ولَّوا إلى قومِهِم مُنْذِرِيْنَ " .

وفي ضوء أحواله هذه يمكن ملاحظة ما يأتي :

١- إن مصاحبته (مبشرين) ورد في حالة النصب وكان في موضوعين في سياق (لنفي وإلا) وقد تكرر في سورة الأنعام والكهف .

٢- إن وروده على صيغة اسم المفعول يأتي مجرورا بالإضافة وقد ورد في سياق الذم بالفعل (ساء) .

٣- يغلب الرفع عند ما يأتي مفردًا في سياق (إنَّما) فيكون (التركيب).إنما أنت منذر ... "

٤- أما وروده بغير مصاحبه فلم يرد في حالة الرفع وإنما ورد في حالة النصب في الغالب إلا في موضع واحد ، الشعراء ١٩٤/٢٦ ورد مجرورًا معرفا بـ(أل).

٥- يلاحظ أيضًا وروده جمعًا في الغالب ولم يرد مفردًا إلاّ في ثلاثة مواضع .

(**خشي**)

ورد الفعل (خشِيَ) وتصريفاته في ستة وأربعين موضعا منها أربعة وعشرون موضعًا مدنيًّا ، واثنان عشرون موضعا مكيًّا وبذلك لا يوجد فرق كبر بين المدنيّ والمكيّ بل كلاهما متساويان. وكانت أحواله على الوجه الأتي :

١- ورد فعلاً ماضيًا (خَشِيَ) في خمسة مواضع منها أربعة مكية ، وموضع واحد مدنيّ . **ففي قوله تعالى** " ذلك لمنْ خشِي العنت منكم " **النساء ٤/٢٥ . وفي قوله تعالى** " وأما الغلامُ فكان أبواهُ مؤمنين فخشيْنا أنْ يرهقهُما طغيانا وكفرا " **الكهف ١٨/٨٠ ، وفي قوله تعالى** " إنّي خشيْتُ أنْ تقول فرّقْت بين بني إسرائيل ولَمْ ترقَبْ قَولِي " **طه ٢٠/٩٤ ، وقوله تعالى** " إنَما تنذرُ من اتبع الذِّكْر وخشي الرحمنَ بالغَيْبِ " **يس ٣٦/١١ ، وفي قوله تعالى** هذا ما تُوعدون لكُلّ أوّاب حفيظ مَنْ خَشِيَ الرَّحمنَ بالغيبِ وجاء بقلب مُنيب " **ق ٥٠/٣٣ ، وفي قوله تعالى** " **رَضِيَ اللهُ عَنهم وَرَضُوا عَنهُ ذلكَ لمنْ خَشِيَ ربَّهُ " البينة ٩٨/٨ .**

٢- ورد فعلاً مضارعًا مثبتًا مرفوعًا (يخشَى ــ يَخْشونَ) في تسعة عشر موضعًا منها سبعة مواضع مدنية ، واثنا عشر موضعًا مكيًّا ، منها في سورة النساء ٤/٧٧ " فلمَّا كُتِبَ عليهم القتالُ إذا فريقٌ منهم يخشَونَ الناس " **وفي سورة المائدة ٥/٥٢** " يقولون نخشَى أنْ تُصيبْنا دائرةٌ " ، **وفي سورة التوبة ٩/٢٤** " وأموالٌ اقترفْتُموها وتجارةٌ تَخْشَوْنَ كَسادها " ، **وفي سورة الرعد ١٣/٢ ، وفي سورة طه ٢٠/٤٤ ، والأنبياء ٢١/٤٩ ، والأحزاب ٣٣/٣٧ ــ ٣٩ ، وفاطر ٣٥/١٨ ، والزمر ٣٩/٢٣ ، والملك ٦٧/١٢ ، والنازعات ٧٩/١٩ ــ ٢٦ ــ ٤٥ ، وعبس ٨٠/٩ ، والأعلى ٨٧/١٠ .**

٣- ورد مصدرًا (خَشْيَة) في ثمانية مواضع . أربعة مدنية وأربعة مكية ، ففي سورة البقرة ٢/٧٤ " وإنَّ منها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيةِ الله " **وفي سورة النساء ٤/٧٤** "

فلمَّا كُتِبَ عليهم القتالُ إذا فريق منهُم يخشَونَ الناسَ كخَشْيَةِ اللهِ أو أشَــدَّ خشْــيَة " ، **وفي سورة الإسراء ٣١/١٧** " ولا تقتلوا أولادَكم خَشْيَةَ إملاقٍ " ، **والآية ١٠٠ مــن السورة نفسها** " قل لو انتم تَملِكُونَ خزائنَ رحمةِ ربِّي إذاً لأمسكتم خَشْيَةَ الإنفــاق " **وفي سورة الأنبياء ٢١/ ٢٨** " وهُمْ من خَشْيَتِه مُشْفِقُونَ " **في سورة المــؤمن ٢٣/ ٥٧** " إنّ الذينَ هم من خَشْيَةِ ربِّهِم مشفِقونَ " ، **وفي سورة الحشر ٢١/٥٩** " لــو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتَهُ خاشعًا متصدِّعًا من خشية اللهِ " .

٤- ورد فعلا مضارعًا مجزومًا في خمسةِ مواضعَ كلها مدنية ، في سورة البقــرة ١٥٠/٢ " إلاَّ الذينَ ظلمُوا منهُم فلا تخشَوهم واخشونِ " ، **وفي سورة النساء ٩/٤** " وليخْش الذينَ لو تركوا من خلفِهم ذرية ضِعَافًا خافُوا عليهم " ، **وفي سورة المائــدة ٣/٥** " اليوم يَئِس الذينَ كفَرُوا من دينِكُم فلا تَخشَوهم واخشَــونِ " ، **وفــي التوبــة ١٨/٩** " ولَمْ يخش إلاّ الله " ، **وفي سورة النور ٥٢/٢٤** " ومنْ يطِــعِ اللهَ ورســولَهُ ويخش الله ويتَّقه فأولئكَ همُ الفائزون " .

٥- ورد فعلاً مضارعًا منفيًا بــ(لا) في موضعين ، أحدهما مكي والآخر مدني ، في قوله تعالى " لا تَخافُ دَرَكًا ولا تخْشَى " **طه ٧٧/٢٠** ، **وفي قوله تعالى** " الذينَ يُبلِّغون رسالات الله ويخْشونَه ولا يَخْشَونَ أحدًا إلا الله " **الأحزاب ٣٩/٣٣** .

٦- ورد على صيغة الأمر في أربعة مواضع منها ثلاثة مدنية ، وموضــع واحــد مكي. في قوله تعالى " فلا تخشَوهُم واخشوني " **البقرة ١٥٠/٢** . **وفي قوله تعالى** " إنِ النّاس قدْ جمعوا لكُم فاخْشوهُم " **آل عمران ١٧٣/٣** ، **وفي قوله تعــالى** " فــلا تخشوهُم واخشَون " **المائدة ٣/٥** ، **وفي قوله تعالى** " واخشَوا يومًا لا يُجْــزَى والــدٌ عنْ ولده" **لقمان ٣١/ ٣٣** .

٧- ورد فعلاً مضارعا في موضعين في قوله تعالى " أتَخْشَــونَهُم فــاللهُ أحــقُّ أنْ تخشوهُ إنْ كنتُم مؤمنين " **التوبة ١٣/٩** ، **وفي قوله تعالى** " وتَخْشَى الناسَ واللهُ أحقُّ أنْ تخشوه " **الأحزاب ٣٣/ ٣٧**.

ويلاحظ في هذه الأحوال ما يأتي :

١- عندما يرد مصدرا (خَشية) يغلب أن يأتي مضافا إلى لفظ الجلالة في السور المدنية ، ومضافا إلى غير لفظ الجلالة في السور المكية .

٢- عندما يرد فعلاً ماضيًا (خَشِي) فالغالبُ فيه أن يقع صلة لاسم الموصول (مَنْ) .

٣- يعد وروده فعلاً مضارعا مثبتا مرفوعا أكثر أحواله شيوعا في الاستعمال القرآني .

٤- الغالب في الاستعمال القرآني أن يكون مفعوله اسما ظاهرا والشائع فيه أن يكون لفظة (ربهم) أو (الله) أو (الرحمن) .

٥- يكثر حذف مفعوله مع الفعل (يخشى) .

٦- لم يرد منه الوصف .

وسنعرض لهذه الأحوال بالدرس والتفصيل في مبحث خاص يفرد له في الفصل الثاني إن شاء الله .

(حزن)

ورد في أربعين موضعًا أكثرها مكية . إذ ورد في سبعة وعشرين موضعا . أما المدني قد ورد في ثلاثة عشر موضعًا . وكانت أحواله كالآتي :

١- فعلاً مضارعا مصاحبًا الجملة الاسمية " لا خوفٌ عليهِم " مسبوقًا بها في اثني عشر موضعا فيكون التركيب على الوجه الآتي(ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ففي سورة البقرة ٢/٣٨ " قلنا اهبطُوا منها جميعًا فإمّا يأتينَّكُم منّي هُدى فمَنْ تبِع هُداي فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزَنونَ " . وكذلك في الآية /٦٢ ، والآية /١٢ ، والآية /٢٦٢ من السورة نفسها كما ورد في سورة آل عمران الآية ١٧/١٣ وفي سورة المائدة الآية ٩٦/٥ ، وفي سورة الأنعام ٤٨/٦ ، والأعراف ٣٥/٧ ــ ٤٩ ، وفي سورة يونس ٦٢/١٠ ، وفي سورة الزخرف /٦٨ ، والأحقاف /١٣ ،

ومجموعهما اثنا عشر موضعا . منها ستة مدنية وستة مكية إلا موضعا واحدا ورد مسبوقا بجملة فعلية منفية بـــ(لا) في سورة الزمر ٣٩/ ٦١ " ولا يَمسُّم السوءُ ولا هم يحزَنون " .

٢- ورد فعلاً مضارعا مجزوما بلا الناهية (لا تحزنوا) في أربعة مواضع مكية وفي موضع واحد مدني مسبوقا بالفعل المجزوم بـــ(لا) الناهيـــة " ولا تهنــوا ولا تحزنوا " آل عمران ١٣٩/٣ ، وفي ثلاثة مواضع مسبوقا بالفعل المجزوم بـــ(لا) الناهية " لا تخافي ولا تحزني " القصص ٧/٢٨ " لا تخف ولا تحزن " العنكبوت ٣٣/٢٩ " ألاَّ تخافوا ولا تحزنوا " فصلت ٣٠/٤١ . ومجزوما بـــ(لا) الناهية مسندا إلى ضمير المخاطب (لا تحزن) في أربعة مواضع ، اثنان مكيان وموضعان مدنيان التوبة ٤٠/٩ ، والحجر ٨٨/١٥ ، والنحل ١٣٧/١٦ ، والنمل ٧٠/٢٧ ، وغالبا ما يصاحب الفعل المجزوم (ولا تكُ) .

٣- ورد فعلاً مضارعا مسبوقا بالفعل (تَقَرَّ) في سورة طه ٤٠/٢٠ " فرجعناك إلى أمك كي تقرّ عينها ولا تحزن " ، وفي سورة القصص ١٣/٢٨ " فرددناه إلى أمه كي تقَرَّ عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد اللهِ حقٌّ " وفي سورة الأحزاب ٥١/٣٣ " ذلك أدنى أن تقَرَّ أعينُهنّ ولا يحزنَّ " .

٤- فعلاً مضارعا متعديا مفعوله الضمير المتصل الذي يأتي إما على شكل (الكاف) (ولا يحزنك) أل عمران ١٧٦/٣ ، والمائدة ٤١/٥ ، والأنعام ٣٣/٦ ، ويونس ٦٥/١٠ ، ويس ٧٦/٣٦ ، أو يكون المفعول (ياء المتكلم) (ليحزنني) يوسف ١٣/١٢ ، أو يكون مفعوله الضمير الهاء والميم (لا يحزنهم) الأنبياء ١٠٣/٢١ .

٥- ورد مصدرا على صيغتين مثقلاً ومخففا فالمثقل يكون بفتح الحاء والزاي (حَزَن) . والمخفف يكون بضم الحاء وتسكين الزاي (حُزْن) فالتثقيل ورد في سورة التوبة ٩٣/٩ " تولّوا وأعيُنهم تفيضُ من الدمعِ حَزَنا ألاّ يَجدوا ما يُنفِقونَ " وفي سورة القصص ٢٨/ ٨ " فالتقطهُ آلُ فرعون ليكون لهم عدوًّا وحَزَنا " ، وفي

سورة فاطر ٣٥/ ٣٤ . أما بالتخفيف فقد ورد في سورة يوسف ١٢/٨٤ " وتولّى عنهُم وقالَ يَا أَسَفِى على يوسُفَ وابيضّت عيناهُ من الحُزْنِ فهْو كظيم ، وفي الآية /٨٦ من السورة نفسها " قالَ إنّما أشكو بثّي وحُزْني إلى الله " .

٢- لم يرد منه الماضي ولا الوصف (اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة) وفي ضوء هذه الأحوال يمكن ملاحظة ما يأتي :

١- الغالب فيه أن يأتي مصاحبا لفظة (يخاف) وتصريفاتها ولا سيما المصدر المرفوع المسبوق بـ(لا) النافية إذ يأتي التركيب أولا بنفي الخوف ويعقبه بنفي الحزن وكلها في صفة المؤمنين .

٢- يبرز معنى الخوف في الفعل (يحزن) عندما يسبق بالفعل (تَقَرَّ) المسند إلى العين (تقر عنها) وهذا التركيب هو كناية عن الأمن والاطمئنان فيعقبه بتأكيد الأمن والاطمئنان بنفي الحزن . إذ إن الفرح من مسببات الأمن . والحزن من مسببات الخوف .

٣- عندما يرد على بناء المضارع يأتي من بابين : الباب الأول ومضارعه مضموم العين (يحزُن) والباب الرابع ومضارعه مفتوح العين (يحزَن) .

٤- إذا ورد من الباب الأول تعدى إلى المفعول وغالبا ما يكون المفعول ضميرا متصلا (الكاف والهاء ، وياء المتكلم) أما إذا ورد من الباب الرابع فيكنون لازما (يحزنون) في الغالب .

٥- وروده مصدرا بالتثقيل يأتي في الغالب في مواضع النصب (حَزَنًا) " اذهب عنا الحَزَن " وهذا مطابق للاستعمال اللغوي آنذاك كما أثبتته معجعات اللغة ـ سنعرض له إن شاء الله ـ أما التخفيف فيرد في مواضع الجر (من الحُزْن) (حُزْني) لأنه مجرور لفظا بالكسر المناسب للياء وان كان معطوفا على منصوب . ويبدو أن العامل الصوتي يتدخل في هذا الاستعمال .

٦- مفعوله لا يأتي اسمًا ظاهرًا بل ضميراً فقط .

٧- لم ترد منه صيغة الماضي ولا أية صيغة للمشتقات (اسم فاعل ، اسم مفعول ، ولا الأمر) .

(راب ـ يريب)

أحواله

ورد في خمسة وثلاثين موضعا منها واحد وعشرون موضعا مكيًّا وأربعة عشر موضعا مدنيًّا. وكانت أحواله ما يأتي :

١- ورد مصدرًا (رَيْب) في تسعة عشر موضعاً. أحد عشر منها مكية وثمانية مدنية. وقد جاء على الأحوال الآتية :

أ ـ مقترناً بـ(لا) . النافية في أربعة عشر موضعاً منها تسعة مكية وخمسة مدنية، فقد ورد في سورة البقرة " ذلك الكتاب لا ريْبَ فيه " ٢/٢ . وآل عمران ٩/٣ ، " ربّنا إنّك جامعُ الناسِ ليومٍ لا ريْب فيهِ " ، وفي الآية /٢٥ من السورة نفسها ، وفي النساء ٤/٧ " ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه " كما ورد في سورة الأنعام ١٢/٦ ، وفي يونس ٣٧/١٠ وفي الإسراء ٩٩/١٧ ، وفي سورة الكهف ٢١/١٨ ، وفي سورة الحج ٧/٢٢ ، وفي سورة السجدة ٢/٣٢ ، وفي سورة الشورى ٤٢/ ٧ ، وفي سورة الجاثية ٤٥/ ٢٦ و ٣٢.

ب ـ مجروراً بحرف الجر (في) في موضعين : في سورة البقرة ٢٣/٢ ، " وإنْ كنتُم في ريْب ممّا نزّلْنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثلهِ " . وفي سورة الحج ٥/٢٢ " يا أيّها الناسُ إنْ كنتُم في ريْب من البعث " وهما مدنيتان.

ج ـ ورد على صيغة (فِعْلَة) (رِيْبَة) في موضع واحد في سورة التوبة ١١٠/٩ " لا يزالُ بُنيانُهم الذي بنوا ريْبَة في قُلوبهِم إلاَّ أنْ تَقَطَّعَ قلوبُهم ".

د ــ ورد مضافاً مرة إلى كلمة (المنون) ومرة إلى الضمير الهاء الملحق بميم الجمع . وذلك في موضعين احدهما في سورة التوبة ٤٥/٩ " فهم في رَيْبِهِم يتردَّدُون " ، وفي سورة الطور ٣٠/٥٢ " أم يقولونَ شاعرٌ نتربَّصُ به ريْبَ المنُون.

٢- ورد فعلاً ماضيا (ارْتَاب) في خمسة مواضع ، أربعة مدنية وموضع مكي واحد ء ففي سورة المائدة ١٠٦/٥ " فيُقسمانِ باللهِ إنِ ارْتَبْتُم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قُربى " . وفي سورة التوبة ٩/ ٤٥ " وارْتَابتْ قُلوبُهم " وفي سورة النور ٥٠/٢٤ " أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا " وفي سورة العنكبوت ٤٨/٢٩ وما كنت تتلو من قبلهِ من كتابٍ ولا تخطُّهُ بيمينك إذا لارتاب المبطلون " ، وفي سورة الحديد ١٤/٥٧ " ولكنكم فَتَنْتُم أنفسكم وتربَّصتُم وارتبتُم " ، وفي سورة الطلاق ٤/٦٥ " إنِ ارتبتُم "

٣- ورد مضارعا (يرتاب) مرتين: مرة مجزوما بـ(لم) والثانية منفيا بـ(لا) معطوفا على منصوب . ففي سورة الحجرات وهي مدنية ١٥/٤٩ " ثم لم يرتابوا " وفي سورة المدثر وهي مكية ٧٤/ ٣١ " ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب " .

٤- ورد على صيغة اسم الفاعل (مُرِيْب) في سبعة مواضع ستة منها مكية وموضع واحد مدني . إذ ورد في سورة هود ١١/ ٦٢ " وإننا لفي شكٍّ ممّا تدعونا إليه مُرِيب " ، وفي الآية /١١٠ من السورة نفسها " وإنّهُم لفي شكٍّ منه مُريب وفي سورة إبراهيم ٩/١٤ " وإنا لفي شك مما تدعوننا اله مُريب " ، وفي سورة سبأ ٣/ ٥٤ " إنَّهم كانوا في شكٍّ مُرِيب " ، وفي سورة فصلت ٤٥/٤١ " وإنهم لفي شكٌّ منهُ مُريب " وفي سورة الشورى ٤٢/ ١٤ " وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شكٍّ منه مريب " ، وفي سورة ق ٢٥/٥٠ " منّاعٌ للخيرِ مُعْتَد مُريب "

٥- ورد على صيغة (مُرتاب) التي تحتمل اسم المفعول واسم الفاعل في موضع واحد مكي فقط في سورة غافر ٣٤/٤٠ " كذلكَ يُضلُّ اللهُ منْ هوَ مُسْرِفٌ مُرتَاب "

وفي ضوء هذه الأحوال يمكن تسجيل الملاحظات الآتية :

١- عندما يجيء مصدرا منفيا بـ(لا) النافية ترد معه المصاحبات الآتية :

أ- مصاحبا لفظة (الكتاب) في ثلاثة مواضع في سورة البقرة ٢/٢ " ذلك الكتاب لا ريب فيه " وفي سورة يونس ٣٧/١٠ "وتفصيلُ الكتابِ لا ريبَ فيه " ، وفي سورة السجدة ٣٢/ ٢ " تنزيل الكتاب لا ريب فيه " . ويلاحظ أن جملة (لا ريب فيه) جاءت بعد الكتاب في هذه المواضع .

ب- مصاحبًا لفظه (يوم) النكرة المجرورة بحرف الجر (اللام) وقد ورد في موضعين في سورة آل عمران الآية /٩ " ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه " وفي الآية /٢٥ " فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه " فجملة (لا ريب فيه) صفة لـ(يوم) .

ج ـ مصاحبا لفظه يوم المضافة إلى لفظة (القيامة) واقعًا في سياق الفعل (يجمع) في ثلاثة مواضع :

في سورة النساء ٨٧/٤ " لجمعنَّكُم إلى يومِ القيامةِ لا ريبَ فيه " وفي الأنعام ١٢١/٦ " ولجمعنَّكُم إلى يومِ القيامة لا ريبَ فيه " ، وفي سورة الجاثية ٢٦/٤٥ " ثمّ يجمعكُم إلى يومِ القيامةِ لا ريبَ فيه " ، ويلاحظ أن التركيب في هذه المواضع متفق إذ يتألف من (يجمع + إلى يوم القيامة + لا ريب فيه) وسنعرض لذلك في موضعه إن شاء الله .

د- مصاحبًا لفظه (الساعة). وقد ورد في أربعه مواضع في سورة الكهف٢١/١٨ " وإنّ الساعة لا ريب فيها " وفي سورة الحج ٧/٢٢ " وأنّ الساعة لآتيةٌ لا ريبَ فيها " وفي سورة الجاثية ٣٢/٤٥ " وإنّ وعدَ الله حقٌّ والساعة لا ريبَ فيها "

هـ- مصاحبا لفظة (أجَل) في موضع واحد في سورة الإسراء ٩٩/١٧ " وجعل لهم أجلا لا ريب فيه " .

ح- مصاحبا (يوم الجمع) في موضع واحد في سورة الشورى ٧/٤٢ " وتُنْذرُ يوم الجمع لا ريب فيه " .

٢- أما وروده على صيغة الماضي فقد ورد مسندا إلى الاسم الظاهر ، لفظة قلوبهم في موضع واحد (وارتابت قلوبهم) التوبة ٤٥/٩ . ومسندا إلى لفظة (المبطلون) في موضع واحد أيضًا " إذًا لارتاب المبطلون " العنكبوت ٤٨/٢٩ ، وورد مسندًا إلى الضمير المتصل في قوله تعالى " فيُقسمانِ بالله إنِ ارتبْتم لا نشتري به ثمنا " ، وفي قوله تعالى " أفي قلوبهم مرضٌ أم ارتابوا " النور ٩/٢٤ ، وفي قوله تعالى " وتربَّصْتُم وارتبتُم " الحديد ١٤/٥٧ ، وفي قوله تعالى " إن ارتبْتم " الطلاق ٤/٦٥ ، ويلاحظ انه ورد في سياق (إن) الشرطية مرتين .

٣- أما وروده على صيغة المضارع فقد ورد مجزوما بـ(لم) في موضع واحد في قوله تعالى " ثم لم يرتابوا " الحجرات ٤٩/ ١٥ . ومنصوبا معطوفا على فعل منصوب مقترنا بـ(لا) النافية " ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب" المدثر ٧٤/ ٣١ .

٤- أما وروده على صيغة اسم الفاعل (مُريب) فقد ورد مقترنا بلفظة (الشك) في ستة مواضع من مجموع سبعة المواضع التي ورد فيها فقد ورد في سورة هود ٦٢/١١ " وإننا لفي شكّ مما تدعونا إليه مريب ". وهذا التركيب يتكرر في كل المواضع التي ورد فها فيكون التركب (إنّ + لام الابتداء + في لا شكّ + مريب) ويلاحظ أن لفظة مريب جاءت صفة (الشك) في جمع المواضع إلا في موضع واحد جاءت صفه للفظة (مناع) " مناع للخير معتدٍ مُريب " ق ٢٥/٥٠ صفة بعد صفة . ويلاحظ أن صيغة (مريب) جاءت من الفعل المزيد ولم يرد في الاستعمال القرآني اسم فاعل من الفعل الثلاثي المجرد (راب) .

٥- ورد على صيغة (مرتاب) التي تحتمل اسم الفاعل واسم المفعول في موضع مكي واحد في قوله تعالى " كذلك يضل الله من هو مسرف مُرتاب" غافر ٣٤/٤٠. ولم يرد في الاستعمال القرآني صيغة اسم المفعول من الثلاثي المجرد .

٦- يلاحظ في ضوء هذه الأحوال . أن الاستعمال القرآني اقتصر على مصدر الثلاثي المجرد فقط ولم يرد مصدر المزيد . كما يلاحظ أن الفعل الثلاثي لم يرد في الاستعمال القرآني ، وإنما ورد الفعل المزيد (ارتاب) ومضارعه (يرتاب) فقط

. ويلاحظ أيضا أن الوصف من الثلاثي المجرد لم يرد ، وإنما الذي ورد هو الوصف من غير الثلاثي (مريب) (مرتاب) . وستكون لنا وقفه تفصيلية أمام هذه الأحوال في ضوء التركب والوظيفة والسياقات التي وردت فيها .

(رجا ـ يرجو)

يرد الرجاء بمعنى الخوف في الاستعمال اللغوي القديم وقد جاء بمعنى الخوف في الاستعمال القرآني أيضا إذ حملت كثير من الآيات التي ورد فيها الرجاء على معنى الخوف وسيرد ذلك مفصلا في المبحث الخاص بالرجاء .

ورد في الاستعمال القرآني في واحد وعشرين موضعا منها خمسة مواضع مدنية وستة عشر موضعا مكيا وكانت أحواله على ما يأتي :

١- جاء فعلا مضارعا مثبتا مرفوعا في احد عشر موضعا ، أربعة منها مدنية وسبعة مكية. في قوله تعالى " أولئك يرجُون رحمةَ الله " **البقرة ٢/٢١٨ ، وفي قوله تعالى** " وترجْون من الله ما لا يرجْون " **النساء ٤/١٠٤ ، وفي قوله تعالى** " ابتغاءَ رحمة من ربِّك ترجُوها " **الإسراء ١٧/٢٨ ، وفي الآية /٥٧ من السورة نفسها** " أيُّهم أقربُ ويرجْون رحمتهُ " **، أوفي قوله تعالى** " فمن كان يرجُو لقاءَ ربِّه فليعملْ **عملاً صالحًا** " **الكهف ١٨/١١٠ ، وفي قوله** " وما كنتَ ترجُو أنْ يُلقَى إليك الكتابُ " **القصص ٢٨/٨٦ ، وفي سورة العنكبوت ٢٩/٥ ، والأحزاب ٣٣/٢١ ، وفاطر ٣٥/٢٩ ، والزمر ٣٩/٩ ، والممتحنة ٦٠/٦ .**

٢- جاء فعلاً مضارعا منفيا بـ(لا) في تسعة مواضع جميعها مكية إلا موضعا واحدا مدنيا . ففي قوله تعالى " إنَّ الذين لا يرجْون لقاءنا " **يونس ١٠/٧ ، والآية /١١ من السورة نفسها** " فنذرُ الذين لا يرجُون لقاءَنا " **، والآية /١٥ من السورة نفسها** " قال الذين لا يرجْون لقاءنا " **وفي سورة الفرقان ٢٥/٢١** " وقال الذين لا

يرجون لقاءنا " ، وفي سورة الجاثية ١٤/٤٩ ، وفي سورة نوح ١٣/٧١ ، وفي سورة النبأ ٢٧/٧٨ .

٣- جاء فعلا على صيغة الأمر في موضع مكي واحد في قوله تعالى [illegible] اعبدوا اللهَ وارجُوا اليوم الآخر " العنكبوت ٣٦/٢٩ .

ويلاحظ في هذه الأحوال ما يأتي :

١- الغالب في أحواله أن يرد فعلاً مضارعًا مثبتًا مرفوعا .

٢- يغلب وروده في السور المكية .

٣- عندما يرد فعلا مضارعا منفيا تكثر مصاحبته للفظ (لقاءنا) مفعولا به .

٤- المضارع (يرجو) يغلب وقوعه خبرا لـ(كان) .

٥- لم يرد منه الماضي ولا المصدر ولا الوصف.إلا في موضع واحد في سورة هود ١١/ ٦٢ " قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجُوًا قبل هذا " ولا يعد من ألفاظ الخوف في هذا الموضع .

٦- لم يرد في حالة جزم ولا نصب .

(حذِرَ)

ورد في واحد وعشرين موضعًا منها سبعة عشر موضعا مدنيا وأربعة مواضع مكية . وكانت أحواله على ما يأتي :

١- يأتي مصدرا على صيغتين إحداهما (فَعَل) بالتحريك (حَذَر) والأخرى (فِعْل) بالكسر فسكون (حِذْر) ، وقد ورد في خمسة مواضع كلها مدنية في قوله تعالى " يجعَلُونَ أصابِعَهُم في آذانِهِم من الصَّواعقِ حَذَرَ الموت " البقرة ١٩/٢ ، وفي الآية ٢٤٣/ ، من السورة نفها " ألم تر إلى الذين خرجُوا من ديارهِم وهم ألوف [illegible] المَوتِ " ، وفي قوله تعالى " يا أيُّها الذينَ آمنُوا خُذُوا حِذْرَكُم فانفِروا ثُبَاتٍ أو انفِروا جميعًا " النساء ٧١/٤ ، وفي الآية /١٠٢ " وليأخذوا حِذْرَهُم وأسلحتَهُم " و خذوا حِذْرَكُم إنَّ الله أعدَّ للكافرينَ عذابَ مهينًا " .

٢- يأتي على صيغة الأمر (افْعَلْ) (احْذَر) في ستة مواضع كلها مدنيــة ، فــي قوله تعالى " واعلموا أنَّ اللهَ يعلَمُ ما في أنفسِكم فاحْذَرُوهُ " البقــرة ٢/٢٣٥ ، وفــي قوله تعالى " يقولُونَ إنْ أُوتيتُم هذا فخُذُوهُ وإنْ لَم تُؤتَوهُ فاحْذَرُوا " المائــدة ٥/٤١ . وفى الآية / ٤٩ من السورة نفسها " ولا تتَّبعْ أهواءَهُم واحذَرْهُم أنْ يَفْتِنُوكَ " ، و في الآية / ٩٢ من السورة نفسها " وأَطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرسُولَ وَاحْذَرُوا " وفي قولــه تعالى " يَحْسَبُونَ كُلَّ صيحةٍ عليهِم هُم العدوُّ فاحْذَرْهُم " المنــافقون ٦٣/ ٤ . وفــي قوله تعالى " يا أيُّها الذينَ آمنُوا إنْ منْ أزواجِكُم وأولادِكُم عــدوًا لكــم فاحْــذَرُوهُم" التغابن٦٤/ ١٤.

٣- يأتي فعلا مضارعا مرفوعا مثبتا على صيغة (يُفَعِّل) مضعّف العــين وعلــى صيغة (يَفْعَل) المجرد في سبعة مواضع منها خمسة مدنية وموضعان مكيان ، فــي قوله تعالى " ويُحَذِّرُكُم اللهُ نفسهُ " آل عمران ٣/ ٢٨ ، ٣٠ ، وفي قولــه تعــالى " يَحْذَرُ المُنافقونَ أنْ تُنَزَّل عليهِم سورةٌ تُنبِئُهُم بمَا في قلــوبِهِم قــلِ اســتَهْزِئوا إنَّ اللهَ مُخرِجٌ ما تحذَرُون " التوبة ٩/٦٤ ، وفي الآية /١٢٢ من السورة نفسها " وَلِيُنْــذِرُوا قومَهُم إذا رجعوا إليهم لعلَّهم يَحْذَرُونَ " وفي قوله تعالى " ونُرِي فرعونَ وهامــانَ وجنودَهُما منهم ما كانوا يحذَرُون " القصص ٢٨/٦ ، وفي قوله تعالى "أمن هــو قانتٌ آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمه ربه " الزمر ٣٩/ ٩ .

٤- يأتي فعلا مضارعا مقترناً بلام الأمر (فلْيحْذرْ) في موضع مدني واحد . فــي قوله تعالى " فلْيَحْذَرِ الذينَ يخالفون عن أمرِهِ " النور ٢٤/ ٦٣.

٥- يأتي على صيغة اسم الفاعل (حاذر) في موضع مكي واحد ، في قوله تعالى " وإنَّا لجميعٌ حاذِرُون " الشعراء ٢٦/ ٥٦ .

٦- يأتي على صيغة اسم المفعول (محذور) في موضع مكي واحد في قوله تعالى " إنّ عذابَ ربِّكَ كانَ محذوراً " الإسراء ١٧/ ٥٧ .

ويلاحظ في هذه الأحوال ما يأتي :

١- المصدر على صغه (فَعَل) (حَذَر) يأتي مصاحبا لفظة (الموت) مضافا إليها .
٢- المصدر على صيغة (فِعْل) (حِذْر) يقع في جمع أحواله في سياق الفعل (خُذُوا) أو المضارع المقترن بلام الأمر (وليأخذوا) .
٣- صيغة المزيد المضعف (يُحذّر) يأتي مسندا إلى لفظ الجلالة (الله) .
٤- الغالب في صيغة الأمر أن تسبق بالفاء .
٥- لم يرد منه الماضي .

(خشع)

ورد في سبعة عشر موضعًا منها خمسه مدنية والباقي مكية ، وكانت أحواله على النحو الآتي :

١- ورد على صيغة اسم الفاعل . وفيه الأحوال الآتية :

أ- جمع مذكر سالم ورد في ستة مواضع ثلاثة مدنية وثلاثة مكية . ورد في قوله تعالى " واسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاة وإنَّها لَكَبِيْرَةٌ إلاَّ على الخاشِعِينَ " **البقرة ٢/٤٥** ، وفي قوله تعالى " وإنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنْ بالله وما أُنْزل إليكم وما أنزل إلَيْهِم خَاشِعِيْنَ لله " **آل عمران ٣/١٩٩** ، وقوله تعالى " إنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ في الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لنَا خاشِعين " **الأنبياء ٢١/٩٠** ، وورد في سورة المؤمنون ٢٣/٢ والأحزاب ٣٣/٣٥ والشورى ٤٢/٤٥ .

ب- فى حالة الإفراد في خمسة مواضع كلها مكية ، في قوله تعالى " ومِنْ آياته أنك تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فإذَا أَنْزَلْنَا عليهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ " **فصلت ٤١/٣٩** . وقوله تعالى " خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ " **القلم ٦٨/٣٤** وقوله تعالى " خاشعة أبصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذلكَ اليَوْمُ الذي كانُوا يُوْعَدونَ " **المعارج ٧٠/٤٤** ، والنازعات ٧٩/٩ ، والغاشية ٨٨/١٠٩ .

٢- ورد مصدرًا على صيغة فُعُول (خُشُوع) في موضع واحد مكي في قوله تعالى " وَيَخِرُّوْنَ للأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيْدُهُم خُشُوعًا " الإسراء ١٠٩/١٧ .

٣- ورد فعلا ماضيًا في موضع واحد مكي في قوله تعالى " وخَشَعَتِ الأَصْواتُ للرَّحْمنِ " طه ١٠٨/٢٠ .

٤- ورد جمع تكسير على صغه فُعَّل (خُشَّع) فى موضع واحد مكي في قوله تعالى " خُشَّعًا أبْصَارُهُمْ يَخْرجُونَ من الأَجْدَاثِ " القمر ٧/٥٤ .

٥- جمعَ مؤنث سالمًا في موضع واحد في قوله تعالى " والخَاشِعِينَ وَالخَاشِعَاتِ " الأحزاب ٣٥/٣٣ .

٦- فعلاً مضارعًا فى موضع واحد في قوله تعالى " أَلَمْ يَأْنِ للذينَ آمَنُوا أنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُم لذِكْرِ الله " الحديد ١٦/٥٧ .

ويلاحظ في هذه الأحوال ما يأتي :

١- عندما يرد جمع مذكر سالما تغلب عليه حالة النصب إذ ورد في أربعة مواضع منصوبًا وورد مرفوعًا في موضع واحد ومجرورًا في موضع واحد أيضًا.

٢- ويغلب عليه النصب عندما يرد في حالة الإفراد أيضًا .

٣- وقد ورد أيضًا مصدرًا منصوبًا . وجمع تكسير منصوبًا . وملاك الأمر أن الغالب في أحواله هو النصب . وسنعرض لهذا كله في الفصل الثاني إن شاء الله .

٤- تكثر مصاحبته لفظة (الأبصار) عندما يرد اسم فاعل على وزن (فاعلة) فيكون التركيب (خاشعة أبصارهم) " أبصارهم خاشعة "[١] .

٥- وكذلك ورد جمع تكسير مصاحبًا لفظة (أبصار) " خُشَّعًا أبصارُهم "[٢] .

٦- لم يرد منه الأمر .

---

(١) القلم ٤٣/٦٨ ، المعارج ٤٤/٧٠ ، والنازعات ٩/٧٩ .
(٢) القمر ٧/٥٤ .

٧- يلاحظ أن الاستعمال القرآني ينسب الخشوع غالبًا إلى الأبصار في مواطن الخوف سواء اعند الكافر أم المؤمن وفي مواطن الخوف الأخروي عند الحساب ينسبها إلي (الأصوات) أو إلى (الوجوه) وسنعرض لهذا الاستعمال في فصل التركيب والوظيفة إن شاء الله .

٨- ويتبين من هذه الأحوال أن وروده وصفًا ، اسم فاعل هو الغالب في الاستعمال القرآني إذ لم يرد فعلاً إلا في موضعين ومصدرا في موضع واحد .

٩- يلاحظ أن صيغة الماضي (خَشَعَتْ) وردت في سورة طه وهي مكية في سياق مشهد من مشاهد يوم القيامة في حين أن صيغة المضارع (تخشع) وردت في سياق مخاطبة المؤمنين في الحياة الدنيا ، في سورة الحديد وهي مدنية .

١٠- يلاحظ في الاستعمال القرآني . أن هناك خشوعين خشوع الإيمان وهو خشوع ممدوح ويختص به المؤمنون في الحياة الدنيا . والآخر يرد عند وصف الكافرين في الحياة الآخرة وهو خشوع الذل ، وهو خشوع مذموم .

(ضعف)

مادة (ضعف) وردت في مواضع كثيرة في القرآن الكريم إلا أن المواضع التي تدل فيها على معنى الخوف والفشل والجبن والعجز ممكن حصرها في خمسة عشر موضعًا منها أربعة مدنية والباقي مكية وكانت أحواله ما يأتي :

١- جاء فعلاً ماضيًا مجردًا في موضع واحد في قوله تعالى " فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُم فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا " آل عمران ٣/١٤٦ .

٢- جاء فعلاً ماضيًا مزيدًا على وزن (استفعل) في ستة مواضع في قوله تعالى " قَالَ المَلأُ الذين اسْتَكْبَرُوْا مِنْ قَوْمِهِ للذينَ اسْتُضْعِفُوا " الأعراف ٧/٧٥ وفي الآية /١٥٠ من السورة نفسها " إِنَّ القَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وكَادُوا يَقْتُلُونَنِي " وفي سورة القصص ٢٨/٥ " وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الذينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ " وفي سورة سبأ ٣٤/ الآيات ٣١ و ٣٢ و٣٣ " يَقُولُ الذينَ اسْتُضْعِفُوا للذينَ اسْتَكْبَرُوا " " وقَالَ

الذين استَكبَروا للذينَ استُضعِفُوا " " وقَالَ الذينَ استُضعِفُوا " كما ورد منه المضارع على صيغة (يستفعلون) في سورة الأعراف ١٣٧/٧ " وَأَورَثْنَا القَومَ الذينَ كـانُوا يَستَضعفُونَ مَشَارِقَ الأرضِ ومَغَارِبَها " وفي سورة القصص ٤/٢٨ " وَجَعَلَ أهْلَهَـا شِيَعًا يَستَضعِفُ طائفةً منهم " .

٣- جاء وصفًا على صيغة اسم المفعول من غير الثلاثي في موضعين في سـورة النساء ٩٧/٤ " قالوا فِيمَ كُنتُم قَالُوا كُنَّا مُستَضعَفِينَ فـي الأرضِ " . وفـي سـورة الأنفال ٢٦/٨ " واذكُروا إذْ كُنتُم قليلٌ مُستَضعَفُون في الأرضِ " .

٤- ورد جمعًا على وزن فعلاء في موضعين في سورة إبراهيم ٢١/١٤ " فَقَالَ الضعفاءُ للذين استَكبروا إنَّا كُنَّا لكم تَبعا " وفـي سـورة غـافر ٤٧/٤٠ " فيقـولُ الضعفاءُ للذين استكبروا " .

٥- ورد مصدرًا على صيغة (فَعْل) في موضع واحد في سورة الأنفـال ٦٦/٨ " ألآنَ خَفَّفَ اللهُ عنكم وعَلِمَ أنَّ فيكم ضعفًا " .

٦- على صيغة (فعيل) في موضع واحد في سورة هود ٩١/١١ " ما نَفْقَهُ كثيـرًا ممَّا تَقُولُ وإنَّا لنَراكَ فينا ضعيفًا " .

٧- لم يرد منه الأمر .

٨- ويلاحظ في هذه الأحوال :

١- عندما يأتي فعلا ماضيًا على صيغة (استفعل) تكون أحواله على النحو الأتي:

أ- يكون صلة لاسم الموصول (الذين) .

ب- يكون مصاحبًا الفعل (استكبر) الواقع صلة لإسم الموصول (الذين) .

جـ- الغالب فيه البناء للمفعول وطي ذكر الفاعل .

د- جاء ذكر مفعوله في موضع واحد (استضعفوني) .

٢- يأتي على صيغة اسم المفعول من غير الثلاثي مصاحبًا الجار والمجرور (فـي الأرض) .

٣- يأتي جمع تكسير عنى وزن (فُعلاء) مصاحبا (الذين استكبروا) .
٤- جاء المصدر منه على صيغة (فَعْل) من الفعل الثلاثي المجرد ولم يرد المصدر منه من الفعل المزيد إذ ورد منه الماضي على صيغة (استفعل) (استضعف) والمضارع (يستضعف) ولم يرد المصدر منه .
٥- ورد الوصف من الفعل الثلاثي المجرد على صيغة (فعيل) وبذلك يكون الفعل الثلاثي المجرد قد ورد منه الماضي والمصدر والوصف على صيغة فعيل فقط .

(أشفق)

ورد في عشر مواضع* منها موضعان مدنيان والباقي مكية والغالب في وروده وصفًا على صيغة اسم الفاعل من غير الثلاثي وكانت أحواله على ما يأتي :

١- ورد فعلاً ماضيًا في موضعين الأول في سورة الأحزاب في قوله تعالى إنَا عَرَضْنا الأَمَانَةَ على السَمَاوَاتِ والأَرْضِ والجبالِ فأبيْنَ أنْ يحْمِلْنها وأشْفقْن منْها وحَمَلَهَا الإنْسَانُ إنَّهُ كانَ ظَلُومًا جهُولاً " ٧٢/٣٣ وفي سورة المجادلة في قوله تعالى " أأَشْفَقْتُمْ أنْ تُقَدِّمُوا بينَ يَدَي نَجوَاكُمْ صَدقَات فإذْ لَمْ تفْعلُوا وتاب الله عليكُم فأقيمُوا الصَّلاةَ " ١٣/٥٨ والموضعان مدنيان.

٢- ورد على صيغة اسم الفاعل من غير الثلاثي مجموعًا جمعَ مذكر سالمًا في ثمانية مواضع . جاء مرفوعًا في خمسة منها منصوبًا في ثلاثة . أما الرفع فقد جاء في سورة الأنبياء " وَهُمْ مِنْ خشْيَةِ مُشْفِقُون " ٢٨/٢١ وكذلك الآية /٤٩ من السورة نفسها " الذينَ يَخْشَونَ رَبَّهُم بالغيْبِ وهُمْ من الساعةِ مُشْفِقُونَ " وفي سورة المؤمنون " إنَّ الذينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ ربِّهُم مُشْفِقُون " ٢٧/٢٣ وفي سورة الشورى " يَسْتَعْجِلُ بها الذينَ لا يُؤْمِنُونَ بها والذينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ منها ويَعلمونَ أنَّها الحقُّ " ١٨/٤٢ . وفي سورة المعارج " والذينَ هُمْ منْ عَذَابِ رَبِّهم مُشْفِقُونَ " ٢٧/٧٠ . أما النصبُ فقد

* – عدها بعض الباحثين أحد عشر والصواب ما أثبتناه / ألفاظ العقاب / أحمد عاشور رسالة ماجستير / المستنصرية / كلية التربية ٢٠ .

جاء في سورة الكهف ٤٩/١٨ " وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمّا فيه " وفي سورة الشورى ٢٢/٤٢ " تَرَى الظالمينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وهو واقِعٌ بهم " وفي سورة الطور ٢٦/٥٢ " قَالُوا إنَّا كُنَّا قَبْلُ في أهلِنَا مُشْفِقِين " . وهذه المواضع كلها مكية ويمكن أن يلاحظ ما يأتي :

١- يكون متعديًا بحرف الجر (من) في كل المواضع إلا موضعًا واحدًا جاء متعديًا بحرف الجر (في) في قوله تعالى " قالوا إنّا كُنّا قبلُ في أهلنا مشفقين " الطور ٢٦/٥٢ .

٢- إنّ المجرور بـ(مِنْ) يكون في الغالب لفظة (خشية أو الساعة) أو من (ما + الفعل) أو (ما) الموصولة .

٣- الجار والمجرور يأتي متقدمًا مع ألفاظ الخشية والساعة والعذاب " منْ خَشْيَتِهِ مشفقون " " من الساعة مشفقون " " من عذاب ربهم مشفقون " ويأتي متأخرًا مع غيرها " مشفقين مما فيه " " وأشفقن منها " " مشفقون منها " ...

٤- يغلب وروده في وصف المؤمنين . أما في وصف الكافرين فليزم تركيبًا معينًا يتألف من الفعل (ترى + المجرمين أو الظالمين + مشفقين + الجار والمجرور) .

٥- يرد في تركيب جملة الصلة ويغلب أن يكون (اسم الموصول) لفظة (الذين) وكل ذلك في وصف المؤمنين .

٦- لم يرد منه المضارع ولا الأمر ولا المصدر .

٧- لم يرد منه المجرد وإنما ورد المزيد فقط .

(وهـن)

ورد في تسعة مواضع إلا أن المواضع التي تدل على الخوف كانت أربعة فقد ورد في سورة آل عمران ١٤٦/٣ " فَما وهَنوا لما أصابَهُم في سبيلِ اللهِ وما ضَعُفُوا " وفي الآية / ١٣٩ من السورة نفسها " ولا تَهِنُوا ولا تحزَنُوا وأنتُم الأعْلَونَ إنْ كُنْتُمْ

مُؤمنينَ " وفي سورة النساء ١٠٤/٤ " وَلاَ تَهِنُوا في ابْتِغَاءِ القَومِ " وفي سورة محمد ٣٥/٤٧ " فلاَ تَهِنُوا وَتَدعُوا إلى السَّلْمِ وأنتُم الأعْلَون " وكانت أحواله على ما يأتي :

١- الغالب فيه وروده فعلاً مضارعًا مجزومًا بـ(لا) الناهية إذ ورد في ثلاثة مواضع .

٢- يأتي مصاحبًا الجملة الاسمية " وأنتم الأعلون " .

٣- ورد فعلا ماضيًا في موضع واحد .

٤- الغالب في أحواله أن يسند إلى الضمير (واو الجماعة) .

٥- يغلب وروده في خطاب المسلمين والمؤمنين في طلب ترك الوهن .

(رهب - يرْهب)

ورد في ثمانية مواضع ثلاثة مدنية ، والباقي مكية وكانت أحواله ما يأتي :

-١ ورد فعلاً على صيغة الأمر في موضعين في قوله تعالى " يا بني إسْرائيل اذْكُروا نِعْمَتِي التي أنْعَمْتُ عليكم وأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدكم وإيَّاي فارْهبُونِ البقرة ٤٠/٢ . وفي قوله تعالى " وقَالَ اللهُ لا تَتَّخِذُوا إلَهيْنِ اثْنَيْنِ إنما هُو إلهٌ وَاحدٌ فإيَّايَ فارْهَبُونِ " النحل ٥١/١٦ .

٢- ورد فعلاً مضارعًا من الأفعال الخمسة في موضعين في قوله تعالى " ولمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبَ أخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ للذين هُمْ لِربِّهِمْ يَرْهَبُونَ " الأعراف ١٥٤/٧ . وفي قوله تعالى " تُرْهِبونَ به عَدُوَّ اللهِ وعَدوَّكم " الأنفال ٦٠/٨ .

٣- ورد فعلاً ماضيًا مزيدًا على صيغة (استفعل) في سورة الأعراف ١١٦/٧ " وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وجَاؤُوا بسحرٍ عظيم " .

٤- ورد مصدرًا في ثلاثة مواضع في قوله تعالى " إنَّهُم كَانُوا يُسَارِعُونَ في الخَيْراتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا " الأنبياء ٩٠/٢١ ، وفي قوله تعالى " اسْلُكْ يَدَكَ في جَيْبِكَ تُخْرُجْ بَيْضَاءُ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ واضْمُمْ إليكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهَبِ " القصص

٣٢/٢٨ ، وفي قوله تعالى " لأَنْتُم أَشَدُّ رَهْبَةً فـي صُـدُورِهِمْ مِـنَ اللهِ " الحشـر ١٣/٥٩.

ويلاحظ في هذه الأحوال ما يأتي :

١- عندما يرد على صيغة الأمر في فإنه يصاحب ضمير النصب المنفصل (إيّـاي) فيكون التركيب (إيّاي + فارهبون) .

٢- ما جاء منه مضارعًا فإنه لا يرد إلا على صيغة الأفعال الخمسة (ترهبون) وقد ورد في موضعين أحدهما جاء من الثلاثي في قوله تعالى " للذين هم لربهم يَرهبون " الأعراف ١٥٤/٧. والآخر جاء من الرباعي في قوله تعالى " ترهبون به عدوّ الله وعدوكم " الأنفال ٦٠/٨ .

٣- عندما يرد مصدرًا يكون على وزن (فَعْل) و (فَعَل) و (فَعْلة) (رَهْب) و (رَهَب) و (رَهْبَة) وقد جاء نكرة منصوبة في موضعين ، وجاء معرفًا بـ(أل) في موضع واحد .

٤- ولم يرد منه الوصف .

٥- ورد منه الماضي المزيد على صيغة (استفعل) .

٦- حُذِفَ الضمير (ياء المتكلم) وعُوِّضَ عنه بالكسـر فـي التركيـب (فإيّـاي فارهبونِ) .

(ضـرع)

ورد في سبعة مواضع كلها مكية ، فقد ورد في سورة الأنعام في ثلاث آيـات فـي الآية ٤٢/٦ " ولقدْ أرسَلْنا إلى أُممٍ منْ قَبْلكَ فأَخَـذْناهُمْ بالبَأْسـاءِ والضَّـراءِ لعلَّهُـمْ يتضرّعون " . والآية ٤٣/ " فلوْلا إذْ جاءَهُمْ بأْسُنا تَضرّعُوا ولَكِـنْ قَسَـتْ قُلُـوبُهُم وزيّن لَهُمْ الشَّيْطَانْ ما كانوا يعملُون " . والآية ٦٣/ " قُلْ مَنْ يُنجيْكُمْ مِـنْ ظُلُمَـاتِ البرّ والبحر تدْعُونهُ تضرُّعا وخُفْيَةً " وفي سورة الأعراف ورد في ثلاث آيات فـي

الآية /٥٥ " ادْعُوا رَبَّكُم تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً " **والآية /٩٤** " ومَا أَرْسَلْنَا في قَرْيَةٍ مِنَ نَبيٍّ إلاّ أَخَذْنَا أَهلَهَا بِالبَأسَاءِ والضَّرَّاءِ لعلَّهُم يَتَضَرَّعونَ " **والآية /٢٠٥** " واذْكُرْ رَبَّكَ في نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وخِيْفَةً وَدُوْنَ الجَهْرِ مِنَ القَولِ " **وفي سورة المؤمنون ٧٦/٢٣** " ولَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ومَا يَتَضَرَّعُونَ " .

ويلاحظ في هذه الأحوال ما يأتي :

١- ورد فعلاً مضارعًا على صيغة (يَتَفَعَّل) المزيد المسند إلى واو الجماعة (يتضرَّعون) في موضعين و (يضرَّعون) بحذف التاء في موضع واحدا .

٢- يرد خبرًا لـ(لعلَّ) في موضعين .

٣- يرد منفيًا بـ(ما) في موضع واحد .

٤- يرد فعلاً ماضيًا مزيدًا في موضع واحد .

٥- يرد مصدرًا منصوبًا على صيغة (تفَعّلا) في ثلاثة مواضع .

٦- يرد مصدرًا مصاحبًا المصدر (خُفية) في موضعين يقع في سياق فعل الأمر (ادعوا) أو المضارع (يدعون) .

٧- يرد مصدرًا مصاحبًا المصدر (خِيفة) واقعًا في سياق فعل الأمر (اذكر) .

٨- لم يرد منه المجرد ولا الوصف .

٩- يرد غالبًا في مواطن وصف حال الكافرين والمعاندين . ولذلك ترد معه في التركيب ألفاظ (البأساء) و(الضراء) و (بأسنا) و (العذاب) .

(حصر)

ورد في ستة مواضع خمسة منها مدنية في سورة البقرة ١٩٦/٢ " وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ للهِ فَإنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيْضًا أوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِديَةٌ مِنْ صِيَامٍ أو صَدَقَةٍ أو نُسُكٍ فإذَا أَمِنْتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالعُمْرَةِ إلى الحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدْيِ " **وفي الآية /٢٧٣ من السورة نفسها** " لِلْفُقَرَاءِ الذينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا

في الأَرْضِ يَحْسَبُهُم الجَاهِلُ أغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ " وفى سورة آل عمران ٣٩/٣ " فَنَادتْهُ المَلائِكَةُ وهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فى المِحْرابِ أنّ اللهَ يُبَشّرُكَ بِيَحيَى مُصَدِّقًا بكلمةٍ منَ اللهِ وَسيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبيًّا من الصالحينَ " وفى سورة النساء ٩٠/٤ " أو جَاؤوكُم حَصِرتْ صُدُورُهُم أنْ يُقَاتِلُوكُم أو يُقَاتِلُوا قَومَهُم " والآخر فى سورة التوبة ٥/٩ " وَخُذُوْهُمْ واحْصُرُوهم واقْعُدوا لهم كلَّ مَرْصَد " وكلا الموضعين مدني . فقد جاء على صيغة الماضي فى آية النساء وجاء على صغه الأمر فى آية التوبة ، وفى سورة الإسراء ٨/١٧ " عَسَى رَبُّكُم أنْ يَرْحَمَكُم وإنْ عُدْتم عُدْنَا وَجَعلْنا جَهَنَّمَ للكافرينَ حَصِيرًا " وهو الموضع المكي الوحيد ويلاحظ ما يأتي :

١- ورد فعلاً فى الأحوال الآتية :

أ- ماضيًا مجردًا فى موضع واحد فى قوله تعالى " أو جاؤوكم حَصِرت صدورُهم " النساء ٩٠/٤ . وهو من باب طَرِب .

ب- ماضيًا مزيدًا مبنيًّا للمفعول فى موضعين فى قوله تعالى " فإنْ أُحصِرْتُم فما استَيْسر منَ الهدْي " البقرة ١٩٦/٢ ، وقوله تعالى " للفقراءِ الذين أحصِرُوا " البقرة ٢٧٣/٢ .

ج- فعل أمر من الثلاثي المجرد فى موضع واحد فى قوله تعالى " وخُذُوهُم واحصُروهُم واقعُدوا لهم كلَّ مرصدٍ " التوبة ٥/٩ . وهو من باب نصَر .

٢- على وزن فَعُول فى موضع واحد " وسَيِّدًا وَحَصُورًا " آل عمران ٣٩/٣ .

٣- على ورن فعيل فى موضع واحد " وجَعَلْنَا جهنَّمَ للكافرين حصيرًا " الإسراء ٨/١٧ .

٤- لم يرد منه المصدر ولا المضارع .

(فزع)

ورد في ستة مواضع مكية فقط في سورة الأنبياء ١٠٣/٢١ " لا يَحْزُنُهُم الفَزَعُ الأكبرُ وَتَتَلقَّاهُمُ الملائِكَةُ هذا يومُكم الذي كنتُم تُوعَدون " وفي سورة النمل ٨٧/٢٧ " وَيَوْمَ يُنْفَخُ في الصُّوْرِ فَفَزِعَ مَنْ في السَمَاواتِ ومنْ في الأرضِ " وفي الآية /٨٩ من السورة نفسها " مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ منها وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يومئذٍ آمِنونَ " وفي سورة سبأ ٢٣/٣٤ " حَتَّى إِذَا فَزِعَ عَنْ قُلُوبِهِم قَالوا ماذا قالَ رَبُّكم قالُوا الحقَّ وهُو العلِيُّ الكبيرُ " وفي الآية /٥١ من السورة نفسها " وَلَو تَرَى إِذْ فَزِعُوا فلاَ فَوْت وَأُخِذُوا منْ مكَانٍ قَرِيبٍ " . وفي سورة ص ٢٢/٣٨ " إِذْ دَخَلُوا علَى دَاوُدَ فَفَزِعَ منهُم قالُوا لاَ تَخَفْ " .

ويلاحظ في أحواله هذه ما يأتي :

١- ورد فعلاً ماضيًا مجردًا في ثلاثة مواضع .

٢- ورد فعلاً ماضيًا مزيدًا مبنياً للمفعول .

٣- ورد مصدرًا في موضعين أحدهما معرفًا بـ(أل) والآخر نكرة .

٤- يأتي مقيدًا بحرف الجر (عن) وبحرف الجر (من) في موضعين .

٥- يأتي مطلقًا غير مقيد في موضعين .

٦- لم يرد منه المضارع ولا الأمر ولا الوصف .

٧- الغالب فيه أنه يرد في وصف أحوال يوم القيامة .

(وجـل)

ورد في خمسة مواضع منها اثنان مدنيان وثلاثة مكية . وكانت أحواله على ما يأتي:

١- ورد فعلاً ماضيًا مجردًا في موضعين في قوله تعالى " إِنَّما المُؤمِنُونَ الذينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم " الأنفال ٣/٨ ، وفي قوله تعالى " الذينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم والصابرين على ما أصابَهم " الحج ٣٥/٢٢ .

٢- ورد وصفًا على صيغة (فَعِلٌ) في موضعين في قوله تعالى " والذينَ يؤتُونَ مَا آتَوا وقُلُوبُهم وَجِلَةٌ أنّهم إلى ربِّهم راجعُون " المؤمنون ٦٠/٢٣ . وفي قوله تعالى " إذْ دَخَلُوا عليهِ فقَالُوا سلامًا قالَ إنَّا منكم وَجِلُونَ " الحجر ٥٢/١٥ .

٣- ورد فعلاً مضارعًا مجزومًا بـــ(لا) الناهية في موضع واحد في قوله تعالى " قالُوا لا تَوْجَلْ إنَّا نُبَشِّرُكَ بغلامٍ عليمٍ " الحجر ٥٣/١٥ .

ويلاحظ في هذه الأحوال ما يأتي :

١- عندما يرد فعلاً ماضيًا يكون مصاحبًا لفظة (قلوبهم) التي يسند إليها الوجل .

٢- عدما يرد فعلاً ماضيًا يقع فى جواب (إنْ) الشرطية ويتألف فعل الشرط مـــن (إذَا ذُكِرَ الله) .

٣- عندما يرد وصفًا على صيغة (فَعِل) يقع خبرًا .

٤- في مواطن وصف المؤمنين يأتي مصاحبًا لفظ (قلوبهم). أما في غيـــر هـــذه المواطن فلا يكون مقيدًا بلفظة (قلوبهم) بل تتمخض دلالته لمعنى الفزع والخوف.

(رعب-يرْعب)

ورد في خمسة مواضع منها أربعة مدنية ، وموضع واحد مكي ، وكانـــت أحوالـــه على ما يأتي :

١- ورد منه المصدر فقط ، ولم يرد منه الفعل أو الوصف ، أما المصدر فقـــد ورد معرفًا بـــ(أل) فى أربعة مواضع . وجاء نكره في موضع واحد فى سورة الكهـــف، وهى مكية وكانت أحواله على ما يأتي :

أ- مصاحبًا الفعل (نُلقي) فى موضعين فى قوله تعالى " سَنُلْقِي في قُلُـــوبِ الـــذينَ كفرُوا الرُّعْب بمَا أشْركُوا باللهِ مَا لَمْ يُنزِّلْ به سُلْطَانًا " آل عمران ١٥١/٣ ، وفـــي قوله تعالى " إذْ يُوحِي ربُّك إلى المَلائكَة أنِّي معكُم فثَبِّتُوا الذينَ آمَنُـــوا ســـأُلْقي فـــي

قُلُوبِ الذينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فاضْرِبُوا فَوقَ الأعناقِ واضْرِبُوا منهُم كُلَّ بنانٍ " **الأنفال ١٢/٨ .**

ب- **مصاحبًا الفعل (قذف) فى قوله تعالى** " وأنْزَلَ الذينَ ظَاهَرُوهُمْ من أهلِ الكتابِ مِنْ صَيَاصِيْهِم وقَذَفَ فى قُلُوبِهُمُ الرُّعْبَ فريقًا تَقْتُلُونَ وتأسرون فريقًا " الأحزاب ٢٦/٣٣ . وفى قوله تعالى " وَظَنُّوا أَنَّهُم مَانِعَتُهُم حُصُونُهُم من اللهِ فأتاهُم اللهُ منْ حيثُ لمْ يَحتَسِبوا وَقَذَفَ فى قُلُوبِهُم الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بيُوتَهُم بأيديهم " **الحشر ٢/٥٩ .**

ج - **ورد نكرة منصوبة فى موضع واحد مكي فى قوله تعالى** " وَتَحْسَبُهُم أيقاظًا وهمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُم ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِّمَالِ وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعيهِ بالوصيد لو اطَّلَعْتَ عليهِم لوَلَّيْتَ منهم فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ منهم رُعْبًا " **الكهف ١٨/١٨ .**

ويلاحظ في أحواله هذه ما يأتي :

١- الغالب وروده منصوبًا إذ لم يرد مرفوعًا ولا مجرورًا .

٢- إنه يصاحب لفظة (القلوب) المتقدمة عليه . إذ يجيء مفعولاً به متأخرًا .

٣- إنه يرد غالبًا في مواطن القتال والمنازلة مع الأعداء من المشركين وأهل الكتاب ولا سيما اليهود .

٤- إن إلقاء الرعب وقذفه نسب في كل هذه الأحوال إلى الله سبحانه وتعالى (سنلقي) (سأُلقي) (وقذف في قلوبهم) وهذه إشارة إلى أن الرعب الملقى أو المقذوف ليس رعبًا مألوفًا ، إنما هو رعب خاص أتى به الله سبحانه ليلقى ويقذف في قلوب هؤلاء الأعداء .

(فشل)

ورد في أربعة مواضع كلها مدنية في سورة آل عمران ١٢٢/٣ في قوله تعالى " إذْ هُمَا طَائِفتَانِ مِنكُمْ أنْ تَفْشَلا واللهُ وَلِيُّهُمَا وعَلَى اللهِ فَلْيَتَوكَّلِ المُؤمِنُونَ " **والآية /١٥٢ من السورة نفسها في قوله تعالى** " وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإذْنِهِ حَتَّى إذَا

فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ في الأَمْرِ وعَصَيْتُم مِنْ بَعْدِ مَا أرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيْدُ الآخِرَةَ " وفي سورة الأنفال الآية ٤٣/٨ " ولَوْ أرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وتَنَازَعْتُمْ في الأمْرِ ولكِنّ اللهَ سَلّمَ إنَّهُ عليمٌ بذاتِ الصُّدُورِ " وفي الآية /٤٦ من السورة نفسها " وأَطِيْعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ولاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيْحُكُمْ واصْبِرُوا إنّ اللهَ مع الصابرينَ " .

ويلاحظ في هذه الأحوال ما يأتي .

١- إنه لم يرد إلاّ في مواطن المنازلة والنزاع .

٢- ورد فعلاً مضارعًا في موضعين وفعلاً ماضيًا في موضعين أيضًا .

٣- يصاحب الفعل (تنازعتم - تنازعوا) في ثلاثة مواضع .

٤- لم يرد منه المصدر ولا الأمر ولا الوصف .

٥- المضارع منه ورد منصوبًا في موضع بـ(أنْ) الظاهرة وجوابًا للنهي في موضع آخر بـ(أنْ المضمرة) .

٦- مع الماضي يتألف التركيب من (فشلتم + تنازعتم + في الأمر) وقد تكرر مرتين .

(أخبت)

ورد في ثلاثة مواضع أحدهما مكي والآخران مدنيان :

في سورة هود ٢٣/١١ " إنَّ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إلى ربِّهِمْ أولئكَ أصْحَابُ الجنَّةِ " وفي قوله تعالى " فلَهُ أَسْلِمُوا وبشّرِ المُخْبِتِينَ " الحج ٣٤/٢٢ . وقوله تعالى " وَلِيَعلمِ الذين أُوتُوا العِلْمَ أنّهُ الحقُّ مِنْ رَبِّكَ فيؤمنوا بهِ فَتُخْبِتَ لهُ قلوبُهم " الحج ٥٤/٢٢ .

ويلاحظ في أحواله الآتي :

١ - لم يرد منه إلا الماضي والوصف على صيغة اسم الفاعل من غير الثلاثي .

٢- اقتصر على مواطن وصف حال المؤمنين فقط .

(جأر)

ورد في ثلاثة مواضع كلها مكية . وكانت أحواله الآتية :

١- ورد فعلاً مضارعًا من الأفعال الخمسة مرفوعًا في موضعين في قوله تعالى " وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فمِنَ اللهِ ثُمّ إذَا مسَّكُمُ الضُّرُّ فإليهِ تَجأرون " النحل ١٦/٥٣ . وفي قوله تعالى " حتَّى إذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيْهِمْ بالعَذَابِ إذَا هُمْ يَجْأَرُون " المؤمنون ٢٣/٦٤ .

٢- ورد فعلاً مضارعًا مجزومًا بـ(لا) الناهية في موضع واحد في قوله تعالى: " لا تَجْأَرُوا اليوم إنَّكُمْ منا لا تُنْصَرونَ " المؤمنون ٢٣/٦٥ .

ويلاحظ في هذه الأحوال ما يأتي :

١- إنه يأتي في عقب وقوع العذاب والعتاب .

٢- يقع غالبًا في سياق إذا الظرفية الشرطية .

٣- لم يرد منه الماضي ولا المصدر ولا الوصف ولا الأمر .

القسم الثاني

هذه ألفاظ وردت في الاستعمال القرآني مرة أو مرتين أو ثلاث مرات فليس لها أحوال متعددة فاقتضى البحث دراستها بالتحليل والتفصيل بخلاف الألفاظ التي مرت في القسم الأول من هذا الفصل إذ اقتصر البحث فيها على وصف الأحوال التي وردت عليها في الاستعمال القرآني .

(أهطع)

ورد في ثلاثة مواضع كلها مكية ، في سورة إبراهيم ٤٣/١٤ " مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِم لا يرْتدُّ إليهِم طَرْفُهُم وأَفْئِدتُهُم هَوَاء " وفي سورة القمر ٩/٥٤ " مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعِ يقولُ الكافِرونَ هذا يَومٌ عَسِر " وفي سورة المعارج ٣٦/٧٠ " فَمَا لِلذينَ كَفَروا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ " ويلاحظ في أحواله ما يأتي :

١- لم يرد منه إلا الوصف على صيغة اسم الفاعل من غير الثلاثي .

٢- لم يرد منه الفعل ولا المصدر .

٣- اختص بالمواضع التي تصف المشركين والكفار ولا سيما يوم القيامة .

٤- جاءت مقيدة بحرف الجر (إلى) في موضع واحد .

٥- ورد منصوبًا في مواضعه الثلاثة .

فآية إبراهيم وردت في سياق وصف حال الظالمين الذين ورد ذكرهم في الآية التي قبلها " وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غافلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظالِمُونَ إنَّما يُؤَخِرُهُم ليومٍ تَشْخَصُ فيه الأبصارُ " ٤٢/١٤ واليوم الذي تشخص فيه الأبصار هو يوم القيامة فجاءت الحال (مهطعين) لتبرز حالة الخوف والهلع مما يرونه أمامهم من أهوال ذلك اليوم . وللحال وظيفة في التركيب لا يمكن إغفالها إذ تعد شكلا من إشكال الخبر ، إذ لها وظيفة تختلف عن وظيفة الخبر مع المبتدأ . جاء في دلائل الإعجاز (وذلك لأن الحال خبر في الحقيقة من حيث إنك تثبت بها المعنى لذي الحال كما تثبته بالخبر للمبتدأ ، بالفعل للفاعل ألا تراك قد اثبت الركوب في قولك (جاءني زيد راكبًا) لزيد إلا أن الفرق انك جئت به لتزيد معنًى في إخبارك عنه بالمجيء وهو أن تجعله بهذه الهيئة من مجيئه)[١] . أما من حيث الزمن في (مهطعين ومقنعي رؤوسهم) حالان مقدّران يدلان على المستقبل أي أن وقوعها يكون بعد زمن عاملهما الإهطاع يكون بعد تأخيرهم لذلك اليوم . جاء في معاني القرآن (مهطعين) منصوب على الحال ، المعنى إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه أبصارهم مهطعين أي مسرعين[٢] .

أما آية القمر فتركيبها. متصل مع تركيب الآيتين السابقتين لها في قوله تعالى " فَتَوَلَّ عَنْهُم يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إلى شَيْءٍ نُكُرٍ ، خُشَّعًا أَبْصارُهُم يخْرجُون مِن الأجْداث كَأَنَّهُم جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ . مُهْطِعِينَ إلى الدَّاعِ يقولُ الكافرونَ هذا يَومٌ عسِرٌ " الآيات ٦ ، ٧ ، ٨ . في (مهطعين) حال مقارنة وهي التي يقارن زمنها زمن عاملها وهي الغالبة[٣]. فالإهطاع مقارن للخروج من الأجداث . أي مسرعين ناظرين قِبَل الداع أو مسرعين مادّي أعناقهم إليه وقيل ناظرين إليه لا يقلعون بأبصارهم[٤]. ودلالة الإسراع في مهطعين تنسجم مع ما في سياق الآية من حركة سريعة تتسق مع دعوة الداعي إلى يوم نكر . بخلاف آية المعارج فدلالة الإسراع لا تنسجم مع سياق الآية

---

(١) عبد القاهر الجرجاني ٢٢٤ .
(٢) معاني القران وإعرابه ١٦٤/٣ ، ومشكل إعراب القرآن ٤٠٦ .
(٣) معاني النحو ١١٧/٢ .
(٤) مجاز القرآن ، أبو عبيدة ٢٤٠/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١٠٧/٣ ، وتفسير غريب القرآن ، ابن قتيبة ٤٣١ ، والكشاف ٣٧/٤ .

التي جاءت في وصف حال المشركين الذين كانوا يتحلقون حول الرسول (ص) حلقًا حَلقًا ويستهزئون بكلامه . فدلالة الإهطاع تكون على أنهم مقبلون بأبصارهم ووجوههم ولا يلتفتون عنك . جاء في معاني القرآن (والمهطع المقبل ببصره على شيء لا يزايله . لأنهم كانوا ينظرون إلى النبي (ص) نظر عداوة)[١]. وجاء في مجمع البيان (وقيل متطلعين إليك . وقيل مقبلين عليك بوجههم لا يلتفتون عنك . أي ناظرين إليك بالعداوة)[٢].

(أوْجس)

ورد في ثلاثة مواضع مكية في سورة هود ١١/٧٠ " فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُم لا تَصِلُ إليهِ نَكِرهُمْ وَأَوجس مِنْهُم خِيْفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ إنَّا أُرْسِلْنَا إلى قَوْمِ لُوْطٍ " وفي سورة طه ٢٠/٦٧ " فَأَوْجَس فِي نَفْسِهِ خِيْفَةً مُوْسى " وفي سورة الذاريات ٥١/٢٨ " فَأَوْجَسَ مِنْهُم خِيْفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ وبَشَّرُوْهُ بِغُلامٍ عليمٍ ". ويلاحظ ما يأتي :

١- ورد بصيغة الماضي فقط ولم يرد منه المضارع ولا الأمر ولا المصدر ولا الوصف .

٢- مصاحب لفظة (خِيفة) .

٣- يرد فى المواطن التي تصف حال الأنبياء (ع) فقط .

وتتفق آيتا هود والذاريات فى أنهما جاءتا فى سياق قصة سيدنا إبراهيم (ع) مع ضيفه من الرسل ، وبعد أن هام بواجبات الضيافة وقدم إليهم الطعام وجدهم لا يأكلون فانتابه شعور بالخوف . فجاء اللفظ (أوجس) ليجسّد هذا الشعور الذي بدا أثره واضحًا في ملامح وجهه (ع) بدليل قولهم (لا تخف) جاء فى تفسير الطبري (أحسّ فى نفسه منهم خيفة وأضمرها)[٣] . وجاء فى الكشاف (فأوجس

---

(١) معاني القران وإعرابه ٥/٢٢٣ .
(٢) الطبرسي ٢٩/٦١ .
(٣) جامع البيان ١٢/٧٠ .

فأضمر ، وإنما قالوا لا تخف لأنهم رأوا أمر الخوف والتغيير في وجهه)[١]. وفي مجمع البيان (والمعنى خاف منهم وظن أنهم يريدون به سوءا)[٢] . وفي تهذيب اللغة (معنى أَوْجَسَ : وقع في نفسه الخوف .. وقال الليث : الوَجْس : فزعةُ القلب . يقال أَوْجَسَ القلبُ فَزَعًا .. قال والوَجْسُ : الفزع يقع في القلب)[٣] ويصف الراغب الأصفهاني الوَجْس (هو حالة تحصل من النفس بعد الهاجس ، لأن الهاجس مبتدأ التفكير ثم يكون الواجسُ الخاطر)[٤] ويلاحظ أن المصدرين وَجْسًا وإيجاسًا لم يردا في الجدولين الإحصائيين لصيغتي (فَعْل) و(إفعال)[٥] في أبنية المصدر في الشعر الجاهلي .

(قَعَد)

ترد (قَعَد) في الاستعمال القرآني للدلالة على الخوف والجبن . ففي سورة آل عمران في قوله تعالى " الذينَ قَالُوا لإخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا ما قُتِلُوا " ٤/١٦٨ . وفي سورة النساء ٤/٩٥ " لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِين غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ والمُجَاهِدُونَ في سَبِيلِ اللهِ " وفي سورة التوبة " ولَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُم فَثَبَّطَهُمْ وقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ القَاعِدِينَ " ٩/٤٦ وفي قوله تعالى " إنَّكُم رَضِيتُمْ بِالقُعُودِ أوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مع الخَالِفِينَ " التوبة ٩/٨٣ " والقعود هنا هو القعود عن الجهاد والقتال في سبيل الله . ففي قوله تعالى " الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا " ذكر الزمخشري (وقد قعدوا عن القتال)[٦] وفي قوله تعالى " لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله " وفائدة نفي الاستواء (معناه الإذكار فيما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته

---

(١) الزمخشري ٢/٢٨٠ .
(٢) الطبرسي ١٦/٣٧ .
(٣) ١١/١٣٩ ، واللسان ٨/١٣٩ (وجس) .
(٤) مفردات ألفاظ القرآن ٨٥٥ .
(٥) أبنية المصدر في الشعر الجاهلي ٤٤٤ و ٥٤٨ .
(٦) الكشاف ١/٤٧٨ .

فيهتز للجهاد ويرغب فيه)[١] وجاء في مجمع البيان (المؤثرون الدِّعَة والرفاهية على مقاساة الحرب والمشقة بلقاء العدو)[٢] ولذلك جاء الأمر بالقعود مع القاعدين ومع الخالفين أي مع النساء والصبيان وقيل مع الخسّاس والأدنياء[٣]. ويلاحظ أن مادة (قَعَد) ورد منها الفعل الثلاثي المجرد والمصدر واسم الفاعل . ولم يرد مقيدًا بحرف الجر بل جاء مطلقًا في المواضع كلها .

(جزع)

ورد فى موضعين مكيين الأول فى سورة إبراهيم (ع) ٢١/١٤ " سَوَاءٌ عَلَيْنَا أجزعْنَا أمْ صَبَرْنا مَالَنَا مِنْ محِيْصٍ " والآخر فى سورة المعارج ٢٠/٧٠ " إذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جزُوْعًا " ولم يرد منه المضارع أو (الأمر) والمصدر . وآية إبراهيم جاءت على لسان الذين استكبروا في موقف الحوار بينهم وبين الضعفاء الذين كانوا تبعا لهم فى الحياة الدنيا ، فهم في موقف لا ينفعهم الجزع ولا ينفعهم فيه الصبر . جاء فى تفسير الطبري (ولكنا قد جَزِعنا من العذاب فلم ينفعنا جَزَعنا منه وصبرنا عليه)[٤] وجاء فى مجمع البيان (حثّ الله سبحانه في هذه الآية على النظر وحذَّر من التقليد)[٥]. ووقوع الفعل الماضي (جَزِعنا) بعد همزة التسوية يكون صالحًا لمعنى المضي والحال والاستقبال[٦]. أما فى آية المعارج فهي وصف الإنسان وما جُبل عليه من هلع وجزع و (جَزُوعًا) منصوبة على النعت لهلوع ويجوز أن يكون التقدير صار كذا[٧] . وقيل منصوب على الحال[٨]. ويبدو من خلال هذه التوجيهات أن جملة (إذا مسَّه الشرّ ـــ وإذا مسّه الخير) تكون معترضة بين النعت

---

(١) نفسه ٥٥٤/١ .
(٢) الطبرسي ٢٠٣/٥ .
(٣) نفسه ١١٢/١٠ .
(٤) جامع البيان ١٩٨/١٣ .
(٥) الطبرسي ٢١٠/١٣ .
(٦) الدلالة الزمنية في الجملة العربية / علي جابر منصوري ١٢٨ .
(٧) إعراب القرآن / النحاس ٥٠٨/٣ .
(٨) مجمع البيان ٥٨/٢٩ .

والمنعوت على التوجيه الأول . ويكون جواب إذا محذوفًا يدل عليه المذكور فيكون التفسير : خُلِقَ هلوعًا جزوعًا إذا مسَّهُ الشرُ ، مَنُوعًا إذا مسَّهُ الخيرُ[١] .

والذي عليه الاستعمال القرآني أن يكون جوابًا لكان المحذوفة إذ إنها أثبتت في آية أخرى في قوله " وإذَا مسَّهُ الشرُّ كان يؤوسًا " الإسراء ٨٣/١٧ ودخول (إذا) في تركيب الآية الكريمة جعلت الكلام (كالدأب فجرى الماضي والمستقبل ، ومن ذلك أن يقول الرجلُ للرجلِ كنتُ صابرًا إذا ضربتُك . لان المعنى كنتُ كلّمَا ضُربْتَ تصبر)[٢]، وهذا ما يتسق مع دلالة الآية الكريمة ومعناها : أن الإنسان يجزع كلما مسَّه الشرُ . ويمنع كلما مسّه الخير . والله أعلم . والجزع أبلغ من الحزن فإن الحزن عام والجَزَع : هو حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه[٣] جاء في اللسان (لمّا طُعِن عُمَر جعل ابن عباس (رضي الله عنهما) يجزعه قال ابن الأثير أي يقول له ما يسليه ويزيل جَزَعه وهو الحزن والخوف)[٤].

(نكص)

ورد في موضعين أحدهما مدني والآخر مكي بصيغة الفعل الماضي والمضارع في قوله تعالى " وإذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُم وقَال لاَ غالب لكم اليوْم من النَّاسِ وإنِي جَارٌ لَكُم فلمَّا تَرَاءتِ الفِئَتَانِ نَكَص على عَقِبَيْه وقَالَ إنِّي بريءٌ منْكُم إنِّي أرى مَا لا تَرَونَ إنِّي أخافُ اللهَ ، واللهُ شَدِيدُ العِقَابِ " الأنفال ٤٨/٨ وفي قوله تعالى " قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيكُم فكُنْتُم عَلَى أعْقَابِكُم تَنْكِصُون " المؤمنون ٦٦/٢٣ . يلاحظ أن الفعل نَكَص في كلا الموضعين جاء مصاحبًا لفظة (عَقِب) وسنعرض لهذه المصاحبة . ويلاحظ أن الاستعمال القرآني اقتصر على صيغة الماضي والمضارع ولم يستعمل منه المصدر أو الوصف أو الأمر .

---

(١) نفسه ٥٨/٢٩ .
(٢) معاني القران / الفراء ٢٤٤/١ ، وينظر معاني النحو ٦٣٤/٢ .
(٣) مفردات ألفاظ القرآن ١٩٤ .
(٤) اللسان ٣٩٧/٩ مادة (جَزِعَ)

ويقال نَكَص يَنْكُص من باب نَصَر ويقال نكَص ينكِص من باب ضـرَب . والـذي عليه الاستعمال القرآني من باب ضرَب . جاء في اللسان (ونكَصَ على عقبيه رَجَع عما كان عليه من الخير . ولا يقال ذلك إلا في الرجوع عـن الخيـر خاصـة)[١].
وبالرجوع إلى سياق كل آية من الآيتين الكريمتين يتبين أن آية الأنفال جاءت فـي سياق ملاقاة المسلمين للمشركين يوم بدر وأنهم كانوا قليلا إذْ وقف الشـيطان إلـى جانب المشركين (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكـم) فلمـا رأى إمداد الله سبحانه المسلمين بالملائكة تخلى عن موقفه هاربًـا خائفًـا إذ رأى مـا لا يرون . فجاءت لفظة (نكَصَ) متسقة مع تركيب الآية وسـياقها. فـالنكوص هـو الرجوع الذي فيه إحجام . جاء في معاني القرآن (رجع بخزي) [٢] .
وذكر الطبري (نكص على عقبيه) رجع القهقرى على قفاه هاربًا[٣]. فالنكوص هو الرجوع إلى الوراء ، وهو الفرار . جاء في مجمع البيـان (أي رجـع القهقـرى منهزمًا وراءه)[٤] أما آية (المؤمنون) فهي في وصف حال الكفار والمشركين بعد وقوع العذاب بهم فيستغيثون يوم لا تنفعهم الاستغاثة شيئًا لأنهم لم يُقبلوا على سماع آيات ربهم وما كان يُتلى عليهم بل كانوا يعرضون عنها " على أعقابكم تنكصـون " . وتقييد الفعل بالجار والمجرور المصاحب له (على عقابكم) يتسق مع سياق الآية إذ إن ذكر الأعقاب فيه شيء من الاحتقار والإهانة والازدراء وقد جاء تقديم الجـار والمجرور هنا لتأكيد معنى التحقير بخلف آية الأنفال إذ لم يقدم الجـار والمجـرور لأنه خص النكوص بالعناية والاهتمام .

---
(١) اللسان ٨/٣٧٠ مادة (نكص) .
(٢) معاني القران وإعرابه ٢/٤٢١ .
(٣) جامع البيان ١٠/٢٠ .
(٤) الطبرسي ٩/١٥٩ .

(وجف ـ أوجف)

ورد في موضعين الأول في سورة الحشر ٦/٥٩ " ومَا أَفَاء اللهُ عَلَى رَسُولِه مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ " . والثاني في سورة النازعات ٨/٧٩ " قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ " ودلالته على الخوف جاءت في آية النازعات .

ولذلك يقتصر البحث عليها فقط . ويلاحظ أن مادة (وَجَف) لم ترد في الاستعمال القرآني إلا على صيغة فاعلة ، فلم يرد الماضي ولا المضارع ولا الأمر ولا المصدر .

جاء في تهذيب اللغة في قوله تعالى " قلوبٌ يومئذ واجفةٌ أبصارُها خاشعةٌ النازعات ٨/٧٩ (قال الزجاج : واجفةٌ شديدةُ الاضطراب . وقال قتادة : وَجَفَت مما عاينت . وقال ابن الكلبي : واجفة خائفة)[1].

والآية في سياق وصف يوم القيامة وما ينتاب الإنسان من ردة فعل لما يراه من أهوال ذلك اليوم فالقلوب واجفة والأبصار خاشعة .

ويلاحظ في الاستعمال القرآني أن هناك خطًّا واضحًا في وصف القلوب بالرعب أو الإخبات أو الوجيف أو الارتياب أو الفزع مثلما توصف الأبصار بالخشوع والشخوص . ولكل وصف سياقه الخاص ، فقوله تعالى " قلوب يومئذ واجفة " للدلالة على الخوف الذي يصحبه اضطراب شديد في تتابع دقات القلوب . أي تَجِف وتخفق أي شديدة الاضطراب . جاء في الجامع لأحكام القرآن(أي خائفة وجِلة قاله ابن عباس وعليه عامة المفسرين . يقال :وَجَف القلبُ يَجِف وجيفًا إذا خفق)[2]. وصيغة فعيل في مصدر الثلاثي المجرد اللازم ترتبط بمعاني الحركة والسير والصوت واقتران الصوت بالحركة . ويلاحظ أن المصدر وجيف ورد استعماله في الجدول الإحصائي لصيغة فعيل في أبنية المصدر في الشعر الجاهلي وكذلك المصدر إيجاف[3] .

---

(1) الأزهري ٢١٣/١١ . مادة (وَجَف) .
(2) القرطبي ١٢٨/١٩ .
(3) أبنية المصدر في الشعر الجاهلي ٢٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥٤٧ .

(**خضع**)

ورد في موضعين احدهما مكي في سورة الشعراء " إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ " ٤/٢٦ والآخر مدني في سورة الأحزاب " فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الذي في قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً معروفًا " ٣٢/٣٣ . ومدار البحث يقتصر على آية الشعراء وحدها .

ولم يرد وصف الأعناق بالخضوع إلا في آية الشعراء ــ موضوع البحث ــ فقد وردت لفظة الأعناق في سبعة مواضع ، يغلب فيها مصاحبتها لفظة (الأغلال) وقد اختلف في توجيه هذا الوصف لمجيئه على صيغة جمع السلامة (خاضعين) وممن فصل فيه الطبري (فقال بعض نحويي البصرة : يزعمون أن قوله (أعناقهم) على الجماعات نحو : هذا عنق من الناس كثير . أو ذُكّر كما يذكر بعض المؤنث . أو يكون ذَكَّره لإضافته إلى المذكر .. وكان بعض نحويي الكوفة يقول : هذا بمنزلة قول الشاعر (ترى أرماحهم متقلديها) فمعناه عنده : فظلت أعناقهم خاضعيها هم ، ويحتمل أيضًا أن تكون الأعناق هم السادة والرجال والكبراء) ويرى الطبري أن أولى الأقوال في ذلك بالصواب (أن تكون الأعناق هي أعناق الرجال وأن يكون معنى الكلام : فظلت أعناقهم ذليلة لآية التي نزلها الله عليهم من السماء ، وان يكون قوله (خاضعين) مذكرًا لأنه خبر عن الهاء والميم في (الأعناق)[1]. والذي عليه الاستعمال القرآني أن جمع المذكر السالم هو الغالب في سورة الشعراء إذ ورد في أكثر من مئة مرة ، فناسب مجيء (خاضعين) سياق السورة كلها وتلك سمة من سمات التعبير القرآني وخط واضح فيه وجاء في معاني النحو (ولم يقل خاضعة) وذلك لأنه لا يريد خضوع الأعناق فقط بل خضوع أصحابها أيضًا ، فقدّم (الأعناق) للإسناد . ولكنه أخبر عن المضاف إليه فجمع المعنيين بذلك[2] .

---

(١) جامع البيان ٥٩/١٩ .
(٢) د. فاضل السامرائي ١٣١/٣ .

(راع)

ورد في موضع واحد في سورة هود ٧٤/١١ " فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيم الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ البُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ " . والآية جاءت في سياق قصة إبراهيم (ع) مع الرسل الذين جاؤوا بالبشرى . وما أصابه من خوف لما رأى أيديهم لا تصل إلى الطعام . فلما أحسوا منه أَثَر الخوف " قالوا لا تَخَفْ " وأعلموه أنهم أُرسلوا إلى قوم لوط بالعذاب ثم جاءت البشرى لامرأته بالولد . فالآية جاءت بالإخبار عن حال إبراهيم (ع) حين ذهب عنه الروع ، ويلاحظ في تركيب الآية أنها جاءت في سياق (لمَّا) الظرفية ، وقيل في جوابها " جَاءَتْه البشرى " على زيادة الواو أو محذوف . أي أقبل يجادلنا[1]. وهي تقتضي جملتين وجدت الأخرى عند وجود الأولى فسياق الآية يقتضي أن يكون الجواب (يجادلنا)* لأن الجدال من إبراهيم (ع) وجد بعد أن ذهبَ عنه الروعُ . أما البشرى فقد سبقت ذهاب الروع ، قد نُسِب الذهاب إلى الروع كما نسب السكوت إلى الغضب مع موسى (ع) وقد عُدي الفعل (ذهب) هنا بحرف الجر (عن) الذي معناه المجاوزة كما عُدي الفعل (سَكَت) بالحرف (عن) أيضًا . واستعمال لفظ (الروع) جاء متسقًا مع سياق الآية . جاء في مفردات ألفاظ القران (الرُّوْعُ الخَلَد .. والرَّوْع : أصابه الرَّوْع . واستُعمل فيما أُلقي منه من الفزع)[2] وفي الاستعمال اللغوي القديم (قولُهم في المثل أَفْرَخ روعُه أي ذَهَبَ فَزَعُهُ وانكشفَ وسكنَ)[3] ويلاحظ أن الاستعمال القرآني لم يستعمل (أَفْرَخ) وإنما استعمل (ذَهَب) مع حرف الجر (عن) . فلفظ (الرُّوْع) مشرك مع لفظ (الرَّوْع) جاء في تهذيب اللغة (فالرُّوْع موضع الرَّوْع وهو القلب)[4] .. وجاء في مجمع البيان (الرُّوع بضم الراء النفس يقال ألقي في رُوعي أي في نفسي .

---

(١) مغني اللبيب ٢٨١/١ .
* جواب (لما) محذوف تقديره اجترأ على الخطاب ودل على ذلك الجملة المستأنفة (يجادلنا)
(٢) الراغب الأصفهاني ٣٧٣ .
(٣) اللسان ٤٩٤/٩ مادة (روع) .
(٤) تهذيب اللغة ١٧٧/٣ مادة (روع) .

وسميت بذلك لأنها موضع الرَّوع)[١]. ويلاحظ في الاستعمال القرآني) أنّه خص الرعب بالقلب فقال " سأُلْقِي في قُلُوبِ الذينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ " وقال " وَقَذَفَ في قُلُوبِهُمُ الرُّعْبُ " كما مرّ في مبحث مادة (رَعَب) وخص الروع بالنفس لأنها موضعه فهو أعم وأشمل من الرعِب .

(ثبط)

ورد مرة واحدة في سورة التوبة ٤٦/٩ " وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوْجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهِ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ القَاعِدِين " . جاء على صيغة فعَّل المضعف . وفي تركيب الآية يلاحظ (أرادوا الخروج) ثم التنكير في لفظة (عُدّةً) . وقوله تعالى " كَرِهِ اللهُ انبعاثهم " ولم يقل (خروجهم) ثم طيّ ذكر الفاعل في (قيلَ) ثم دلالة (مع القاعدين) . ولقد جاء التركيب باستعمال لفظ (الخروج) ولم يأتِ بـ(أرادوا القتال) أي أنهم لم تكن في نفوسهم إرادة للخروج فكيف إذا كانت إرادة للقتال . وهذا يتسق تمامًا مع حالهم التي هم عليها من الخوف والجبن . وجاء التنكير في (عدةً) للدلالة على تحقيرها وقلة شانها ومع ذلك لم يعدُّوا لها ثم تأتي الجملة المستأنفة " ولكنْ كَرِهَ اللهُ انبعاثَهم " ويلاحظ فيها ما يأتي :

١- نسب الكره لله سبحانه ولم ينسب له سبحانه الكره إلا في موضعين هذا احدهما ، والآخر في سورة الحجرات ٧/٤٩ " وكَرَّهَ إليكم الكُفْرَ والفُسُوقَ والعِصْيانَ " مع الفارق بين المجرد (كَرِهَ) والمزيد (كَرَّهَ) .
٢- قال (انبعاثهم) ولم يقل (خروجهم) فيكون الكلام على نسق واحد . والذي عليه الاستعمال القرآني هو الفعل (بَعَث) وتصريفاته (أما انبعث – والانبعاث) فقد ورد في موضعين :-

---

(١) مجمع البيان ١٨٦/١٢ .

الأول في سورة الشعراء ١٢/٩١ " كَذَّبَتْ ثَمُوْدُ بِطغْوَاها إذِ انْبعَثَ أَشْقَاهَا " والآخر ـ موضوع البحث ـ " وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انبعاثَهُم " ثم يأتي الفعل (فثبَّطهم) المقترن بـ(الفاء) التي تبين العلة والسبب . بعد ذلك تأتي الجملة الأخيرة مصدرة بالفعل (قيل) المبني للمفعول وقد طوي ذكر الفاعل للدلالة على التنزيه والترفع إذ صبحت حالهم غير مشرفة لأنهم أُلحقوا (بالنساء والصبيان والمرضى الذين شأنهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون)[١] فتركيب الآية حرص على أن تكون كل لفظة في مكانها الذي يقتضيه المعنى والسياق إذ يلاحظ في تركيب الآية هذا التنوع والانتقال بين التعريف في (الخروج) والتنكير في (عدةً) وبين ذكر الفاعل (كره الله) وطيّه في (قيل) ثم تقييد أمر القعود بـ(مع القاعدين) ، ثم يأتي التفرد في الاستعمال في لفظتي (انبعاثهم) و (فثبّطهم) فلم يردا إلا في هذا الموضع . جاء في تفسير الطبري (فثبّطهم) يقول فثقُل عليهم الخروج حتى استخفوا القعود في منازلهم[٢].

وجاء في معاني القران (والتثبيط : ردّك الإنسان عن شيء يفعله . أي كَرِهَ اللهُ أنْ يخرجوا معكم فردّهم عن الخروج)[٣].

وجاء في مفردات ألفاظ القران " ولكن كَرِهَ اللهُ انبعاثَهم " أي توجّههم ومضيّهم[٤].

وجاء في مجمع البيان (فثبّطهم عن الخروج الذي عزموا عليه لا عن الخروج الذي أمرهم به لأن الأول كفرُ والثاني طاعة)[٥].

(ثقل-اثاقل)

ورد مرة واحدة فى سورة التوبة ٣٨/٩ " يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إذَا قِيْلَ لَكُمْ انْفِرُوا فى سَبِيْلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إلى الأَرْضِ أرَضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ " .

---

(١) الكشاف ١٩٢/٢ ـ ١٩٤ .
(٢) جامع البيان ١٤٤/١٠ .
(٣) معاني القران وإعرابه ٤٥٠/٢ .
(٤) الراغب الأصفهاني ١٣٣ .
(٥) الطبرسي ٧٠/١٠ .

الآية جاءت في سياق الاستعداد والتأهب إلى غزوة تبوك إذ أُمروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عُسرة وقيظٍ مع بُعد المشقة وكثرة العدو عليهم وأحبوا المقام . وقد نزلت الآية عتابًا لمن تخلَّف عن هذه الغزوة ، وكانت سنة تسع للهجـرة بعـد الفتح بعام . ولذلك نجد الآية تتضمن طرائق متنوعة من التعبير . فتبدأ بهذا النـداء الخاص بالمؤمنين ثم بطريقة الاستفهام (مالكم) ومعناه الإنكار والتقريـع[١]. ثـم جملة الشرط المصدرة بـ(إذا) وطيّ ذكر الفاعل في (قِيلَ) والقائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يُذكر ، إغلاظًا ومخاشنة لهم وصونًا لذكره[٢]. ثـم يـأتي جواب الشرط بالفعل الماضي (اثَّاقلتم) المعدَّى بحرف الجر (إلى) لأنـه ضـمن معنى (أَخْلَد) فعدى بحرف الجر (إلى) . جاء في مجاز القرآن (أي أخلدتم إليها فأقمتم وأبطأتم)[٣] وقيل ضُمِّن معنى (مِلتُم) (أي ملتم إلى الإقامة بأرضـكم)[٤]. والذي عليه الاستعمال القرآني أن الفعل (أَخلَد) ورد مرة واحدة معدًّى بحرف الجر (إلى) في قوله " وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إلى الأَرْضِ فاتَّبَعَ هَواهُ " الأعراف ١٧٦/٧ ، وهي فـي سياق (ذم) . أما الفعل (مالَ) وتصريفاته فقد ورد في ستة مواضـع كلهـا فـي سورة النساء* ولم يرد معدًّى بـ(إلى) قال تعالى " أنْ تميلُوا مَيْلاً عَظِيمًا " وقـال تعالى " فلا تَمِيلُوا كُلَّ المَيْلِ " /١٢٩ وقال تعالى " فيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً) وفي هذا الاستعمال يكون حمل (اثَّاقلتم إلى الأرض) على (أخلَدتُم) أو (ملتم) ضـعيفًا . فالذي يقتضيه السياق أن تحمل (اثَّاقلتم) على معنى (لم تنفروا) أي إذا قِيْلَ لكـم انفروا في سبيل الله فلم تنفروا . بدليل قوله تعالى في الآية التي بعدها " إلاَّ تَنْفِرُوا " معناه (إنْ تتثاقلوا) وعدم النَّفر معناه الخوف والجبن . وقد جُمعت كل هذه المعاني في لفظ (اثَّاقلتم) . جاء في معاني القرآن (وفي (اثَّاقلتم) عندي غيرُ وجه منها أنَّ

---

(١) تفسير النهر الماد ٩٦٩/١ .
(٢) نفسه ٩٦٩/١ .
(٣) أبو عبيدة ٢٦٠/١ .
(٤) تفسير النهر الماد ٩٦٩/١ .
* الآيات ٣٧ ، ١٠٣ ، ١٣٩ .

معناه اثَّاقلتم إلى الإقامة بأرضكم ، ومنها اثَّاقلتم إلى شهوات الدنيا)[١]، وجاء في تفسير غريب القرآن (قعدتُم ولم تخرجوا وركنتم إلى المقام)[٢] وجاء في الكشاف (والمعنى مِلتُم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر)[٣] وجاء في مجمع البيان (والتثاقل تعاطي إظهار ثقل النفس)[٤] فجاءت لفظة (اثَّاقلتم) لتجمع كل هذه المعاني المرادة في الآية الكريمة فضلاً عمًّا في اللفظة من جرس موسيقي ، والإيماء بالتثاقل وكراهية النفور في سبيل الله[٥]. ويذكر الطبري قول الشاعر[٦]:
فقابل بن الانطلاق إلى المعركة والتثاقل عنها بسبب الخوف والجبن .

تقولُ ابنةُ الكعبيِّ يَومْ لقيْتُها		أَمُنْطَلِقٌ في الجيشِ أمْ متثاقِلُ

(فـرق)

ورد مرة واحد في القرآن الكريم في سورة التوبة وهي مدنية ٥٦/٩ في قوله تعالى " وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ " وقد جاء على صيغة المضارع من الأفعال الخمسة .

والآية جاءت في سياق الإخبار عن حال المنافقين وموقفهم من الرسول (ص) والمسلمين في الحرب والسلم وما كانوا يبيّتون من غدر وخيانة ، ولذلك جاء وصفهم بقوله تعالى " ولكنهم قوم يفرقون " جاء في تفسير الطبري (ولكنهم قوم

(١) معاني القران وإعرابه ٤٤٧/٢ .
(٢) ابن قتيبة ١٨٦ .
(٣) الزمخشري ١٨٩/٢ .
(٤) الطبرسي ٦١/١٠ .
(٥) فكرة النظم / فتحي أحمد ١٣٣ .
(٦) جامع البيان ١٤٢/٢٣ .

يخافونهم . فهم خوفٌ منكم يقولون بألسنتهم : إنّا منكم)[١] والفَرَق : تفرُّق القلب من الخوف[٢].

إن استعمال لفظ (يفرَق) جاء متسقًا مع سياق الآية ومعبرًا عن حال المنافقين إذ إن الفَرَق من الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم للتعبير عن معنى الخوف وقد ورد في هذه الآية فقط . .إذ إن سياق الآية يقتضي هذا الاستعمال ، فالذي يسعى إليه المنافقون إشاعة الفرقة بين المسلمين وزرع الفتنة والخلاف بكل الوسائل ، لذلك جاء وصفهم بالفَرَق مطابقًا لما في نفوسهم من مرض . ومن اللافت للنظر أن المصدر (فَرَقًا) على وزن (فَعَلاً) لم يرد في الجداول الإحصائية الخاصة بصيغة (فَعَل) في كتاب أبنية المصدر في الشعر الجاهلي ، ومعنى ذلك أن هذا المصدر لم يرد مستعملا في الشعر الجاهلي فقد وردت ألفاظ (الفَزَع والفَشَل والقَلَق والهَلَع) وهذا يعني أن الاستعمال القرآني خص هذه اللفظة دون غيرها لأجل السياق . فالفَرَق : انزعاج النفس بتوقيع الضرر[٣] لأنهم يخافون القتل والأسر.

(أذعن)

لم يرد في الاستعمال القرآني إلا الوصف على صيغة اسم الفاعل من غير الثلاثي في قوله تعالى " وإنْ يكُنْ لَهُمْ الحَقُّ يَأْتوا إليهِ مُذْعِنِيْنَ " النور ٤٩/٢٤ والفعل هو أذْعَنَ . والإذعان في اللغة الإسراع مع الطاعة .. وقال الليث : الإذعان : الانقياد وأذعن إذا انقاد وسَلِسَ[٤].

أما معنى (مُذعنين) في قوله تعالى " يَأْتُوا إليهِ مُذْعِنِيْنَ " جاء في مجاز القران (أي مُقرّين مستخذين منقادين . يقال أذعَن لي : انقاد لي)[٥] وجاء في تفسير غريب

---

(١) جامع البيان ١٥٤/١٠ .
(٢) مفردات ألفاظ القرآن ٦٣٤ .
(٣) مجمع البيان ٨٠/١٠ .
(٤) تهذيب اللغة ٣٢٠/٢ مادة (ذعن) .
(٥) أبو عبيدة ٦٨/٢ .

القرآن (أي مقرّين خاضعين)[١] وجاء في الكشاف (مسرعين في الطاعة)[٢] وفي الجامع لأحكام القرآن (أي طائعين منقادين .. وقال النقاش مذعنين : خاضعين) [٣] وفي اللسان (أذْعَنَ له أي خَضَع وذَلَّ)[٤] والآية جاءت في المنافقين وموقفهم من حكم النبي (ص) في قبوله أو رفضه قال تعالى " وإذَا دُعُوا إلى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بينَهُمْ إذَا فَرِيقٌ منهُمْ مُعْرِضُون " /٤٨ " وإنْ يكُنْ لهُمْ الحقّ يأتُوا إلَيْهِ مُذْعِنينَ " /٤٩ . فلفظة (مذعنين) وقعت في علاقة تقابل مع (معرضون) في الآية التي سبقتها ، فإذا كان الحق عليهم أعرضوا (لعلمهم بأنك لا تحكم لهم)[٥] وإذا كان الحق لهم (يأتوا إليه مذعنين) منقادين . ويلاحظ أن آية الإعراض صدّرت بـ(إذا) الشرطية التي اقترن جوابها بـ(إذا) الفجائية . أما آية (الإذعان) فقد صُدِّرت بـ(إنْ) الشرطية فجاء جوابها مجزومًا (يأتوا)والفرق بين (إذا) و (إنْ) الشرطيتين - كما مر بنا - أن الأصل في (إذا) أن تكون للمقطوع بحصوله والكثير الوقوع .أما (إنْ) فالأصل أن تستعمل في المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها والموهومة والنادرة[٦] . واقتران جواب (إذا) بـ(إذا) الفجائية في قوله تعالى " إذا فريق منهم معرضون " يدل على معنى المفاجأة وسرعة التغيير في موقفهم من الحكم الذي يصدره النبي (ص) . بخلاف آية الإذعان عندما يكون الحق لهم فليس هناك مفاجأة ولا سرعة في تغير المواقف. والله أعلم .

---

(١) ابن قتيبة ٣٠٦ .
(٢) الزمخشري ٧٢/٣ .
(٣) القرطبي ١٩٣/١٢ .
(٤) اللسان ٣١/١٧ مادة (ذعن)
(٥) مواهب الجليل ٤٦٦ .
(٦) ينظر شرح ابن يعيش ٤/٩ ، والطراز ٢٩٨/٣ ، والإتقان ١٩٤/١ .

(هلع)

ورد مرة واحدة في الاستعمال القرآني في قوله تعالى " إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوْعًا " المعارج ٨/٧٠ وقد جاء على صيغة فَعُول . جاء في مجاز القرآن (والهُلاَعُ مصدره وهو أسوأ الجزع)[١] وفي معاني القرآن (الهَلُوع : الضجور)[٢] وفي الكامل في اللغة (والهَلَع من الجبن عند ملاقاة الأقران . ويقال رجلٌ أهَلُوع إذا كان لا يصبر على خير ولا شر يفعل في كل واحد منها غير الحق)[٣] وجاء في معاني القرآن (الهَلُوعُ على ما في الآية من التفسير يفزع ويجزع من الشر)[٤] وفي تفسير غريب القرآن (الهلوع : الشديد الجزع . والاسم الهُلاع ويقال الهلوع: الضجور)[٥] وجاء في الكشاف (والهَلَع : سرعة الجزع عند مسّ المكروه وسرعة المنع عند مسّ الخير من قولهم ناقة هُلوَاع سريعة السير)[٦] وفي مجمع البيان (ضجورًا شحيحًا جزوعًا من الهلع وهو شدة الحرص)[٧] . وقال أهل البيان تفسيره فيما بعد (إذا مسَّه الشرّ جزوعًا) وفي تحفة الأديب (هلوعًا : ضجورًا . الهُلاع: أسوأ الجزع) [٨] ويبدو أن كل هذه المعاني مرادة في الآية . لأن اللفظ لم يقيد بحالة معينة . إذ لو قيد لاختص بذلك القيد . والتعبير القرآني يعمد إلى هذا الإطلاق في كثير من استعمالاته.

(أهم)

ورد في موضع واحد في سورة آل عمران ١٥٤/٣ " وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يظُنُّون بالله غير الحقّ ظنَّ الجاهليَّةِ " . والآية في سياق الإخبار عن حال المنافقين

(١) أبو عبيدة ٢/٢٧٠ .
(٢) الفراء ٣/١٨٥ .
(٣) المبرد ٣/٩٠٤ .
(٤) الزجاج ٥/٢٢٢ .
(٥) ابن قتيبة ٤٨٦ .
(٦) الزمخشري ٤/١٥٨ .
(٧) الطبرسي ٢٩/٥٩ .
(٨) ابن حيان ٢٧٦ .

بعد ما أصاب المسلمين شيء من الانكسار في معركة أحد قال تعالى " ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى منكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهمَتْهُمْ أنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِالله غير الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إنَّ الأمر كُلَّهُ لله يُخْفُون في أنْفسِهِم ما لا يُبْدُونَ لَكَ يقولون لَوْ كَانَ لنَا مِنَ الأمْرِ شَيءٌ ما قُتِلْنَا هَهُنا قُلْ لو كُنْتُمْ في بيوتِكُم لَبَرَزَ الذينَ كُتِبَ عليهم القَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِم وَلِيَبْتَلِي الله ما في صُدُورِكُم ولِيُمَحِّصَ ما في قُلُوبِكُمْ واللهُ عَلِيمٌ بذاتِ الصُّدُورِ " . فأخبر سبحانه أن المسلمين كانوا طائفتين إحداهما مؤمنة تلك التي خصها الله بالنعاس . والأخرى منافقة تلك التي باتت على همّ نفسها وطلب خلاصها . جاء في تفسير الطبري (هم المنافقون لا همَّ لهم غير أنفسهم . فهم من حَذَرِ القتل على أنفسهم وخوف المنية عليها في شُغْل قد طار عن أعينهم الكرى)[١] وجاء في الكشاف (ما بهم إلا هم أنفسهم لا همّ الدين ولا همَّ الرسول (صلى الله عليه وسلم والمسلمين)[٢]. وجاء في الجامع لأحكام القرآن (حملتْهم على الهمِّ . والهمُّ ما هَمَمْتَ به يقال أَهَمَّني الشيءُ أي كان من همّي . وأمرٌ مُهِمٌّ : شديد . وأهمني الأمر أقلقني)[٣]. وجاء في تهذيب اللغة (ما أَهَمَّكَ أي ما أحزنك وقيل ما أقلقك)[٤] وجاء في اللسان (ولا يقع هذا الاسم إلا على المخوف من الأجناس)[٥] .

---

(١) جامع البيان ٤/١٤١ .
(٢) الزمخشري ١/٤٧٢ .
(٣) القرطبي ٤/١٥٦ .
(٤) الأزهري ٥/٣٨٢ . مادة (همّ)
(٥) اللسان ١٦/١٠٣ مادة (همّ) .

جدول يوضح توزيع هذه الألفاظ بين السور المكية والسور المدنية

وَجِل الألفاظ	السور[٣] المكية	السور[٢] المدنية	الألفاظ	السور المكية	السور المدنية
خاف وتصريفاته	٧٥	٤٧	فشل	–	٤
			أخبت	١	٢
نذير انذر (الأمر) نُذُر أُنْذَر يُنذِر منذر	٣٢	٤	رَعَب	١	٤
	٩	–	جأر	٣	–
	١٣	–	أهطع	٣	–
	٩	١	أوجس	٣	–
	٣٤	٣	قعد	–	٤
	١٥	٢	جزع	٢	–
خشِي	٢٠	٢٤	نكَص	١	١
حزن	٢٧	١٣	أوجف	١	١
ارتاب ونصريفاته	٢١	١٤	خضَع	١	١
			راع	١	–
يرجو	١٦	٥	ثبط	–	١
حذر	٤	١٧	اثّاقل	–	١
خشع	١٢	٥	فرِق	–	١
ضعُف	١١	٤	مذعنين	–	١
أشفق	٨	٢	هلِع	١	–
وهن	–	٤	أهمّ	–	١
رهب	٥	٣			
ضرع	٧	–			
حصر	١	٥			
فزع	٦	٣			

ويلاحظ أن السور المكية يكثر فيها تردد هذه الألفاظ إذا ما قيست بالسور المدنية .

الفصل الثاني

كان الفصل الأول قد نهض بدراسة وصفية للألفاظ التي عبر بها القران الكريم عن معنى الخوف، ويأتي الفصل الثاني لينهض بدراسة هذه الألفاظ دراسة لغوية من حيث انتظامها في التراكيب التي وردت فيها، ودخولها في علاقات مع غيرها لتكوّن نسيج العبارة القرآنية التي ترتبط بسياقات معينة تؤثر تأثيرا كبيرا في إبراز هذا المعنى أو ترجيحه، وأبعاد ذاك المعنى أو تضعيفه . تقوم دراسة هذه الألفاظ على الأحوال التي وردت عليها، تلك الأحوال التي تم رصدها والإشارة إليها في الفصل الأول، أو على المصاحبات التي ترد معها في الاستعمال القرآني، لذلك سيكون لكل لفظ مبحث خاص به ينقسم على مباحث صغيرة أخرى تختص بدراسة كل حال من أحواله وبسب ذلك إن هذه المباحث لا تكون متساوية في عدد صفحاتها إذ يعتمد ذلك على طبيعة ورود اللفظ نفسه في الاستعمال القرآني، إذ إن هناك ألفاظا وردت بكثرة ولها أحوال متنوعة ومصاحبات كثيرة، كما أن هناك ألفاظا تفاوت ورودها بين الكثرة والقلة، أو أنها اقتصرت على مصاحبات معينة في تراكيب معينة في سياقات معينة. إن هذا الفصل بسب طبيعته يُعد أطول فصل في الرسالة إذ فيه تتمثل خطوط الدراسة اللغوية كلها، أما الفصل الثالث فيعد مكمل له، إذ يتناول دراسة القراءات القرآنية التي جاء اللفظ عليها في قسمه الأول أما القسم الثاني فيتناول دلالة هذه الألفاظ في الاستعمال القرآني.أما الفصل الرابع فهو دراسة مستقلة عن الألفاظ، إذ يعنى بسياقات الخوف ودراستها دراسة لغوية من حيث تركيبها وطبيعة العلاقات الخاصة التي تربط بين ألفاظه ومفرداته تحت خيمة السياق الذي وردت فيه .

إن الدراسة اللغوية التي تجسدت بشكل واضح وبارز في هــذا الفصــل – الفصــل الثاني – اعتمدت على مبدأ أن النص القرآني نص واحد متماسك في كل القرآن، إذ إن دراسة لفظة معينة لا تقتصر على الآية التي وردت فيها فقط ، بل تتعداها إلــى سياق السورة كلها أو إلى سياق النص القرآني كله . وبسبب هــذا المبــدأ اتســمت الدراسة بالشمول والعموم والموازنة بين استعمال واستعمال وموضع وموضع وبين تركيب وتركيب وسياق وسياق ، فساعد ذلــك علــى الكشــف عــن كثيــر مــن الاستعمالات اللغوية التي خفيت عن أنظار بعض الدارسين والباحثين ، وقد أشــير إلى ذلك في مكانه وموضعه، كما حرص هذا الفصل على الموازنة بين الاســتعمال القرآني للفظة ما والاستعمال الجاهلي للفظة نفسها وقد تبين أن الاستعمال الجــاهلي المتمثل بشعر شعرائه يتفق كثيرا مع الاستعمال القرآني، إلا أن الاستعمال القرآنــي يتفرد باستعمالات معينة أحيانا . إن الجهد الذي بُذل في هذا الفصــل كــان شــاقاً وكبيرا إذا ما قيس بفصول الرسالة الأخرى إذ ينهض بثقل الرسالة كنها، فهو روح الرسالة .

والحمد لله ، عليه توكلت واليه أنيب .

مادة (خاف)

ترد مادة (خاف) في الاستعمال القرآني على أحوال متنوعة ، فهي تـــرد مصـــدراً على صيغ متنوعة منها على صيغة (فَعْل) (خوف) وعلى صيغة (فِعْلــة) (خيفــة) وعلى صيغة (تَفعّل) (تخوّف) وعلى صيغة (تفعيل) (تخويف) . كما ورد منها على صيغة المضارع بأحوال متنوعة وكذلك على صيغة الماضي والأمر وعلى صـــيغة اسم الفاعل وسنعرض لكل هذه الأحوال بالدراسة والبحث في موضعه إن شاء الله .

أولا: المصدر

١. على وزن (فَعْل) فيكون التركيب : (لا النافية + المصدر + جملة اسمية منفية بلا صدرها الضمير (هم، أو انتم) : " فك خوف عليهم ولا هم يحزنون" و" لا خـــوف عليكم ولا انتم تحزنون"

ورد في أربعة عشر موضعا منها ثمانية مدنية وستة مكية. جاء فـــي (الكتـــاب) ((فمما لا يتغير عن حاله قبل أن تدخل عليه (لا) قول الله عز وجــل ذكــره (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقال الشاعر الراعي

ومـا صـرمتك حتـى قلـت معلنـة		لا ناقــة لــي في هــذا ولا جمــل

وقد جُعلت، وليس ذلك بالأكثر بمنزلة ليس))[١]. ولكـــن الاســـتعمال القرآنـــي ورد بالرفع فقط والثابت عند النحويين الرفع والتنوين، لأن (لا) لا تعمــل فـــي معرفــة فاختاروا في الأول الرفع أيضا ليكون الكلام من وجه واحد . ويجوز أن تكون (لا) بمعنى ليس[٢]. وقرأ يعقوب* (فلا خوفَ) بنصب الفاء في جميع القــرآن . وقـــرأ

---

(١) الكتاب سيبويه /٢/٢٩٥ . الديوان، هجرتك .... /٣٣٣

(٢) الجامع لأحكام القران/ القرطبي ١/٢٢٥ .

* وقرأ الزهري والحسن وعيسى بن عمر وابن أبي إسحاق ويعقوب (لا خوفَ) بالفتح، القرطبي ١/٢٢٥ ، إتحاف فضلاء البشر /٢/٤٥٩ .

الباقون بالرفع والتنوين[١] وعن ابن محيصن بالرفع بلا تنوين تخفيفاً[٢] .

جاء في معاني القرآن وإعرابه، القراءة الجيدة الرفع وكذلك إذا كررت (لا) في الكلام قلت لا رجل عندي ولا زيد .. وإن قرأ (فلا خوفَ عليهم) فهو جيد بالغ الجودة وقرئ به[٣] .

وفي ضوء هذه الأقوال يبدو أن النصب والرفع جائزان . فالنصب على أن (لا) نافية للجنس تعمل عمل إن . والرفع فيه وجهان : أحدهما على الابتداء وعليه لا تعمل (لا) . والآخر : على أنها تعمل عمل ليس .

واللافت للنظر أننا لا نجد بين هذه الأقوال ما يدلنا على الفرق بين دلالة النصب ودلالة الرفع . والشاهد الذي ساقه سيبويه لا يشبه الآية الكريمة في التركيب إلا من جهة تكرار (لا) إذ إن (لا) الثانية دخلت في الآية الكريمة على جملة صدرها معرفة الضمير (هم) : أما في الشاهد فقد دخلت (لا) الثانية على نكرة وهي كلمة (جَمَلٌ) فالحكم مختلف والتوجيه الإعرابي يختلف .

وإذا عدنا إلى مسألة الفرق في المعنى والدلالة بين النصب والرفع وجدنا أن هناك فرقا دقيقا، يترتب عليه تنوع في المعنى والدلالة .

ويمكن إجمال ذلك فيما يأتي :

١- فالرفع على أن (لا) لنفي الوحدة فإذا قلت (هل رجل في الدار) أو (لا رجل في الدار) جاز أن يكون في الدار رجلان لأنك إنما أخبرت انه ليس فيها واحد فيجوز أن يكون فيها أكثر. وهذا يعني أن النفي في الآية الكريمة قد يكون لنوع من الخوف وليس لجنس الخوف ويحتمل أن يكون نفيا لجنس الخوف لأن (لا) التي لنفي الوحدة تحتمل الأمرين إذ إنها ليست نصا في نفي الجنس . جاء في (الجامع لأحكام القرآن) (فلا خوف عليهم فيما بين أيديهم من الآخرة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من

---

(١) مجمع البيان / الطبرسي ١/ ١٩٨ .
(٢) إتحاف فضلاء البشر ١/ ٣٨٩ .
(٣) معاني القران / الزجاج ١/١٤٧ .

الدنيا، وقيل ليس فيه دليل على

نفي أهوال يوم القيامة وخوفها على المطيعين .. إلا انه يخففه عن المطيعين وإذا صاروا إلى رحمته فكأنهم لم يخافوا والله اعلم[1] .

٢- أما النصب فعلى أن (لا) لنفي الجنس (من قبل أنها جواب ... هل من عبد أو جارية ! فصار الجواب نكرة) أي أن (لا) تكون نصا في نفي الجنس فالنفي يكون لجنس الخوف فلا يبقى شيء منه .

ويلاحظ في الأمثلة والشواهد التي تكررت فيها (لا) أنها لا تأتي مطابقة لتركيب الآية الكريمة " لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " فالأمثلة التي ورد فيها تكرر " لا " هي[2] :

أمثلة النحويين	الآية الكريمة
١ـ لا غلام لك ولا العباس	
٢ـ لا غلام لك ولا زيدٌ	
٣ـ لا رجلٌ ولا امرأة	
٤ـ (فلا لغوٌ ولا تأثيم فيها)	
٥ـ لا رجل ولا زيدٌ فيها	لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون
٦ـ لا ناقة لي في هذا ولا جمل	
٧ـ (لا نسب اليوم ولا خلة)	
٨ـ لا عدَّ عندها ولا كرع	
٩ـ لا رجلٌ عندي ولا زيدٌ[3]	

وغيرها مبثوثة في كتب النحو

فإذا وازنا بين المثال الأول والآية الكريمة من حيث التركيب وجدنا أنهما لا يتطابقان إذ إن " لا " في المثال جاءت لنفي الجنس وما بعدها مبني على الفتح

(1) الجامع لأحكام القران / القرطبي /١/٢٢٥ .

ومحله النصب أما الآية فان " لا " فيه تحتمل أمرين أحدهما أنها عاملة عمل ليس وما بعدها مرفوع اسما لها . والآخر أنها غير عاملة وما بعدها مرفوع على الابتداء . والشبه الوحيد بين الآية والمثال في (لا) الثانية إذ إنها دخلت على معرفه (العباس ، هم) وهذا الكلام ينطبق على المثال الثاني أيضا .. أما المثال الثاني فالشبه بينهما منحصر في أن اسم (لا) الأولى جاء نكره مرفوعة ومثله في الآية الكريمة .

وكذلك في الشاهد الرابع (فلا لغوٌ ولا تأثيم فيها) فالشبه يقتصر على اسم (لا) الأولى في كونه نكرة مرفوعة أما في (لا) الثانية فهما مختلفان . وفي المثال الخامس يكون الشبه مع الآية الكريمة في اسم (لا) الثانية في كونه معرفه (ولا زيدٌ . ولا هم يحزنون) . أما في الشاهد السادس فيلتقي مع الآية الكريمة في اسم (لا) الأولى في كونه نكرة مرفوعة . أما الشاهد الذي يحمل الرقم (سبعة) فليس هناك أي تشابه فيما دخلت عليه (لا) الأولى والمكررة في الشاهد ، أو في الآية الكريمة وكذلك الأمر في الشاهد الثامن .

وفذلكة القول أن الشواهد والأمثلة النحوية التي مر ذكرها آنفا لم يرد بينها تركيب يشبه الآية الكريمة " لا خوف علهم ولا هم يحزنون " إذ لم ينسج على منوالها مثال نحوي فيقال : (لا لغوٌ عندهم ولا هم يسخرون أو يستهزئون) ، إلا عند الزجاج إذ قال وكذلك إذا كررت (لا) في الكلام قلت لا رجل عندي ولا زيد .

فلو جاءت الآية الكريمة بالنصب* " لا خوفَ عليهم ولا هم يحزنون " لالتقت مع كثير من الأمثلة التي ساقوها . فالنحويون يستشهدون بالآية الكريمة عندما يتحدثون في مسألة تكرار (ألا) فضلا عن كون الاسم بعدها نكرة مرفوعة ومع (لا) الثانية معرفه . وهم يفرقون بين النصب والرفع على أن الأول جواب لقولك : هل من عبد أو جارية ؟ فتقول لا عبدَ ولا جاريةَ . أما الرفع فيكون جوابًا لقولك : أرجل

* – كما في قوله تعالى (فلا صريخَ لهم ولا هم يُنقذون) يس ٣٦/٤٣ .

في الدار أم امرأة ؟ فالجواب لا رجلٌ في الدار ولا امرأةٌ . جاء في المقتضب وعلى هذا قراءة بعضهم (لا خوفٌ عليهم) . ومن قرأ (لا خوفَ عليهم) فعلى ما ذكرت لك[١] . وأما قوله (ولا هم يحزنون) فلا يكون (هم) إلا رفعاً لأن (لا) لا تعمل في المعارف[٢] . وإذا عدنا إلى المواضع التي يجب تكرار (لا) فيها لم نجد موضعا تتدرج تحته الآية الكريمة وهذه المواضع هي :

١- إذا تقدم الخبر على المبتدأ نحو " لا فيها غولٌ ولا هم يُنْزَفون " الصافات ٠٤٧/٣٧ الآية الكريمة / موضوع البحث / لم يتقدم فيها الخبر على المبتدأ " لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون " .

٢- إذا دخلت على جملة اسمية صدرها معرفة كقوله تعالى " لا الشمسُ ينبغي لها أنْ تُدرِكَ القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهار "يس ٣٦/ ٤ . والآية الكريمة موضوع البحث لم تدخل فيها (لا) على جملة اسمية صدرها معرفة (لا خوفٌ عليهم..) .

٣- إذا دخلت على المفرد خبرًا. أو حالاً أو نعتاً " وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعةٍ " الواقعة ٣٣/٥٦ ، والآية الكريمة / موضوع البحث / لم تدخل فيها (لا) على واحد من الأشياء التي ذكرت أو مرت .

٤- إذا دخلت على ماضي اللفظ والمعنى (لا قرأ ولا كتبَ) [٣] . والآية الكريمة لم تدخل على فعل ٠

إلا أن الآية تتشابه من حيث التركيب مع ما ساقه الزجاج في تكرار (لا) والرفع (لا رجلٌ ، عندي ولا زيدٌ) على الرغم من أن المنال لا يتدرج تحت أي موضع من المواضع التي تكرر فيها (لا) فهي لم تدخل على معرفة . إذ إن التي تكررت هي الأولى وليست الثانية .ويبدو أن قراءة الرفع التي عليها خط المصحف الشريف تختلف في دلالتها ومعناها عن قراءة النصب التي قرئ بها . لان دلالة النصب

---

(١) أي أنها جعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد كخمسة عشر .

(٢) المقتضب / المبرد / ٣٥٩/٤ .

(٣) معاني النحو ٥٨٢/٤ .

تعني أن ما بعد (لا) لا يكون شيئا بعينه ، (فلا خوفَ) يعني ليس هناك خوف بعينه وإنما هو مطلق لا يتحدد بنوع معين ، وأما الرفع (لا خوفٌ) فمعناه أن ما بعد (لا) يكون شيئاً بعينه ، أي أن هناك خوفًا لا يمس قلوبهم . وحزنًا لا يأخذ طريقة إلى نفوسهم . جاء في الكتاب (لأنك لا تذكر بعد (لا) إذا كانت عاملة شيئاً بعينه كما لا تذكر ذلك بعد رُبّ)[١] .

فليس (لا) في الآية الكريمة مهملة وغير عاملة إذ (ليس الهدف من هذا التكرار إظهار إهمالها وعدم أعمالها ـ كما يربطه عادة النحاة ـ بل هو أسلوب مقصود في الكلام)[٢] . ويفهم من كلام النحويين أن النصب هو الغالب وان الرفع قليل . ولكن الرفع في الاستعمال القرآني هو الغالب والنصب قليل كما تبين من خلال البحث .

٢- المصدر (خوفاً) منصوب مصاحب المصدر (طمعاً) بالعطف :

(ادعوهُ خوفًا أو طمعًا) (يريكُم البرقَ خوفًا وطمعًا) (يدعون ربَّهم خوفًا وطمعًا)[٣] .

أربعة مواضعه ثلاثة منها مكية وموضع واحد مدني .

ويلاحظ أن الخوف جاء مصدرًا نكرة منصوبة مصاحباً كلمة (طمعاً) نكرة منصوبة أيضا . جاء في الكشاف (لا يصح أن مكونا مفعولاً لهما لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلّل إلا على تقدير حذف المضاف ، أي إرادةَ خوفٍ وطمعٍ أو على معنى إخافةً وإطماعًا . ويجوز أن مكونا منتصبين على الحال من البرق ، كأنه في نفسه خوف وطمع أو على (ذا خوف وذا طمع) ، أو من المخاطبين أي خائفين وطامعين)[٤] .

(١) الكتاب / سيبويه /٢/٤٧٤ .

(٢) دراسات في الأدوات النحوية / مصطفى النحاس / ٧٩ .

(٣) الأعراف ٥٦/٧ ، والرعد ١٢/١٣ ، والروم ٢٤/٣٠ ، والسجدة ١٦/٣٢ .

(٤) الزمخشري ٣٥٢/٢ .

وجاء في مجمع البيان (خوفاً وطمعًا لا ينتصبان على الغرض ؛ لأن ما ينتصب لذلك يجب أن يكون فاعله وفاعل الفعل الأول واحدا ، وهاهنا الخائفُ والطامعُ ليسا بالذي يرى البرق . وهما في قوله تعالى " يدعون ربَّهم خوفًا وطمعًا " ينتصبان على الغرض لأن الخائف والطامع هناك هو الداعي ... والمعنى ها هنا بخوفكم بما يريكم خوفاً ويطمعكم طمعًا فالمصدر ومع موقع الحال أي تخويفًا وإطماعًا فأقام الخوف والطمع مقام التخويف والإطماع)[١] .

وجاء في الكشاف (وهما منصوبان على المفعول له ، فإن قلت : من حق المفعول له أن يكون فعلا لفاعل الفعل المعلّل ، والخوف والطمع ليسا كذلك ، قلت فيه وجهان : أحدهما أن المفعولِينَ فاعلون في المعنى لأنهم راؤون ف ، فكأنه قيل يجعلكم رائين البرق خوفًا وطمعًا . والثاني : أن يكون على تقدير حذف مضاف : أي إرادة خوف وإرادة طمع فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، ويجوز أن يكونا حالين : أي خائفينَ وطامعينَ)[٢] .

وجاء في مجمع البيان (منصوبان على تقدير اللام والتقدير لتخافوا خوفًا ولتطمعوا طمعًا)[٣] . وإذا عدنا إلى السياق الذي وردت فيه الآية في سورة الرعد وجدنا أن الآية وردت في الإخبار عن كمال قدرة الله ومشيئته ولذلك بدأت بالضمير (هو) للتعظيم والتفخيم " هو الذي يريكُم البَرْقَ خوفًا وطَمَعًا ويُنْشِئ السحابَ الثِّقَال " ، وما جاء بعدها من آيات يظل متسقًا معها ويرتبط بها ارتباطا وثيقًا إذ (يسبح الرعد بحمده) ويلاحظ هنا اتساق (البرق) مع (الرعد). واتساق (طمعا) مع (بحمده) (والملائكة من خيفته) ، ويلاحظ (خوفًا) و(خيفة) (ويرسل الصواعق) وعلاقتهما بالخوف . ثم هذه العلاقة بين (البرق ــ خوفًا) و (طمعًا ــ السحاب الثقال) .

كما يلاحظ الترتيب صعودًا البرق ← الرعد ← الصواعق ، ويختم السياق بــ(طوعًا وكرهًا) فيكون الاتساق التام بعد إكمال عناصر التركيب ففي أول الكلام

---

(١) مجمع البيان ١٥٥/١٣ .
(٢) الزمخشري ٢١٩/٣ .
(٣) الطبرسي ١٨/٢١ .

(خوفًا) وفي آخره (كرهًا) وفى أول الكلام (طمعا) وفى آخره (طوعًا) فالجو العام هو (البرق والخوف والطمع ولذلك نجد هذه الحركة في الأفعال (يريكم - ينشئ - يسبح - يرسل) بعد هذه الحركة يكون السجود لله طوعا وكرها . وسنعرض لكل آية فيما يأتي :

١- آية الرعد " هو الذي يُرِيكُم البرقَ خوفًا وطمعًا وينشئُ السحابَ الثقالَ " خوفًا وطمعًا : يحتمل المصدرية والمفعول له والحال غير أن الزمخشري لا يصح عنده ـ في هذه الآية ـ (أن يكونا مفعولا لهما لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل إلا على تقدير حذف المضاف أي إرادة الخوف والطمع)(١) ، وتبعه في ذلك الطبرسي إذ لا ينتصبان عنده (على الفرض) (لأن ما ينتصب لذلك يجب أن يكون فاعله و فاعل الفعل الأول واحدا وها هنا الخائف والطامع ليسا بالذي يرى البرق)(٢) . كما إنهما يتفقان على أن (خوفًا وطمعا) يجوز أن يكونا منتصبين على الحال من البرق .. أو من المخاطبين(٣) . وعند الطبرسي (المصدر وقع موقع الحال) (٤)، ومنع نصبهما على المفعول له مقتصر على هذه الآية فقط التي وردت في سورة الرعد ولم يمنعا نصبهما على المفعول له في آية الروم مع أن تركيب الآيتين متشابه إلا أن السياق مختلف ففي سورة الرعد " هو الذي يُريكُم البرق خوفاً وطمعا " وفي سورة الروم " ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعاً وينزل من السماء " .

وسنعرض لدلالة اختلاف السياق، إذ إن (خوفا وطمعاً) في سورة الروم منصوبان - عند الزمخشري - على المفعول له . من وجهين : أحدهما أن المفعولِين فاعلون في المعنى لأنهم راؤون فكأنه قيل : يجعلكم رائيّن البرق خوفًا وطمعًا . والثاني أن

---

(١) الكشاف ٣٥٢/٢ .

(٢) مجمع البيان ١٥٥/١٣ .

(٣) الكشاف ٣٥٢/٢ .

(٤) مجمع البيان ١٥٥/١٣ .

الإثبات يكون نصا في تخليص المضارع إلى المستقبل ، وأن الإسقاط لا يكون نصا في تخليص المضارع إلى المستقبل ، فالفرق واضح بين (ومن آياته يُريكم البرق خوفاً وطمعاً) بإسقاط (أن) وبين إثباتها (ومن آياته أنْ يريَكم البرق خوفًا وطمعًا) فمع (أن) يكون تمهُّل ومدة ومع إسقاطها تكون سرعة ومفاجئه . والله أعلم .

٢- آية الأعراف والسجدة :

آية الأعراف " ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعًا وآية السجدة " تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون " .

فالآيتان تبدآن بفعل الدعاء (ادعوه) و (يدعون) ، لكن السياق يختلف في كل آية . فآية الأعراف وقعت في سياق ذكر دلائل توحيد الله وقدراته في الخلق والإنشاء . بعد ذلك جاء الأمر منه سبحانه بدعائه على وجه الخنوع والسر (ادعوا ربَّكم تضرعًا وخُفية) وهما مصدران وضعا موضع الحال أي ادعوه متضرعين ومُخفين ، ثم جاء الأمر منه سبحانه بدعائه (خوفًا وطمعًا) وهما مصدران نصبا على الحال . جاء في معاني القرآن وإعرابه (أي ادعوه خائفين عذابه وطامعين في رحمته)[١] ، وكذلك عند الزمخشري (نصب على الحال) [٢] ويحتمل انتصابهما على المصدرية والمفعول لأجله[٣] .

أما سياق آية السجدة فقد جاء بعد وصف حال المجرمين يوم القيامة الذين كفروا بآياته ونسوا لقاء ذلك اليوم . ثم يذكر السياق حال المؤمنين (الذين إذا ذكُّروا بها خرّوا سجَّدًا وسبّحوا بحمده) فيدعون الله (خوفا وطمعا) . فالآية في وصف حال المؤمنين المذكورين في السياق المتقدم (خوفا وطمعا) يحتمل المصدرية والحال والمفعول لأجله . جاء في الكشاف (داعين ربّهم عابدين له لأجل خوفهم من

---

(١) الزجاج ٢/٣٤٤ ومجمع البيان ٨/٧٦ .
(٢) الكشاف ٢/٨٣ .
(٣) ينظر مغني اللبيب ٥٦١ ، وينظر معاني النحو ٢/٦٦٠ .

سخطه وطمعهم في رحمته)[١] .

وجاء في مجمع البيان (مفعول له كما يقال فعلت ذلك مخافة الشر ، يخافون عذابه ويرجون رحمته فهو في تأويل يخافون خوفا ويطمعون طمعا)[٢] . واحتمال المصدرية والحالية والمفعول لأجله يعد اتساعا كبيرا، فبدل أن يقول ثلاثة تعبيرات مختلفة قال تعبيرا واحدا جمعها كلها[٣] .

٣- حاله عندما يجيء على صيغة (خِيْفة) مصاحبا المصدر (تضرُّعا) أو الفعل (أوجس) أو مضافا إلى ضمير : ورد في ستة مواضع كلها مكي إلا موضعا واحدا ورد في سورة (الرعد) وهي مدنية . أما مع الفعل (أوجسَ) فقد ورد في ثلاثة مواضع مسندا إلى إبراهيم (ع) في موضعين.،ومسندا إلى (موسى) (ع) في موضع واحد وكلها مكي . أما مع (تضرعا) فقد ورد في موضع واحد مكي . أما مع الضمير مسبوقا بحرف جر ، فقد ورد في موضعين أحدهما مدني والأخر مكي. جاء في (مفردات ألفاظ القرآن) : والخيفة الحالة التي عليها الإنسان من الخوف[٤]، ومصاحبة اللفظ (خيفة) للفعل (أوجس) فيه من الاتساق ما فيه ، لأن (الوَجْس الصوت الخفي والتوجُّس التسمع ، والإيجاس : وجود ذلك في النفس .. فالوَجْس : حالة يحصل من النفس بعد الهاجس لأن الهاجس مبتدأ التفكير ثم يكون الواجس الخاطر)[٥] . وإذا عدنا إلى المواضع التي ورد فيها الفعل(أوجس) مصاحبا للمصدر (خيفة) وجدنا أنها في سياقات تصور حالة النفس البشرية عندما تتعرض لمواقف لا تجد لها تفسيرا مباشرا لسبب من الأسباب ، فتبدأ الهواجس أولا ثم يكون التوجس . ففي سورة هود في سياق قصةّ إبراهيم ولوط (عليهما السلام) عندما جاءت الرسل الملائكة. إبراهيم وبعد استقبالهم وتقديم الطعام إليهم على عادته

---

(١) الزمخشري ٢٤٣/٣ .
(٢) مجمع البيان ٨٢/٢١ .
(٣) معاني النحو ٦٦٠/٢ .
(٤) الراغب الأصفهاني ٣٠٣ .
(٥) نفسه ٨٥٥ .

في إكرام الضيف (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه) أي إلى الطعام (نكرهم) ، وهنا بدأت الهواجس تعتمل في نفسر إبراهيم (ع) وبدأ التوجس يفعل فعله وظهر أثره على شخصية إبراهيم (ع) في نظراته وسكناته وحركاته فقال الرسل (لا تخف) وبذلك وضعوا حدا لهذه الحالة التي اعترت نفس إبراهيم (ع) . فاللفظا(أوجس) و (خيفة) متسقتان اتساقا تاما من حيث اللفظ والمعنى . وكذلك الأمر في قصة موسى (ع) في سورة طه . جاء في (الكشاف) (فأوجس في نفسه خيفة موسى) إيجاس الخوف إضمار شيء منه ، وكذلك توجس الصوت تسمع نبذة يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية[١]. ففي قصة إبراهيم (ع) قال (فأوجس منهم خيفة) وفي قصة موسى (ع) قال (فأوجس في نفسه خيفة موسى) فذكر مع إبراهيم (ع) (منهم) ، وذكر مع موسى (ع) (في نفسه) لان السياقين مختلفان ، إذ إن إبراهيم (ع) كان في بيته مع أهله وقومه فالشعور بالأمان والاطمئنان يأتيه من كل جانب . أما مع موسى (ع) فالأمر مختلف إذ انه لم يكن بين قومه ولم يكن في بيته وإنما كان وحيدا يواجه جبروت فرعون وملئه من السحرة يتحدونه مجتمعين ، فهو لا يدري كيف يكون أمر هذا التحدي الذي يعتمد على السحر الخارق للعادة ، لذلك جاءت كلمة (في نفسه) معبرة ومتسقة اتساقا عجيبا ، إذ ليس من مستلزمات الفوز والظفر أن يظهر أي اثر لهذا الخوف في نظراته وسكناته وحركاته ، لان هذا يجعل كفة خصمه هي الراجحة ، ولأن آثار الخوف تعد علامة لبداية الهزيمة والانكسار لذلك قال (في نفسه) ولم يظهره أمام الملأ لئلا (يخالج الناس شك فلا يتبعوه)[٢]. فانظر إلى الدقة في اختيار اللفظ المناسب في المكان المناسب وهذا من سمات التعبير القرآني المعجز . جاء في كتاب مفردات ألفاظ القرآن (وتخصيص لفظة الخيفة تنبيهًا أن الخوف منهم حالة لازمة لا تفارقهم)[٣] . وهذا الكلام في وصف الملائكة وليس في سياق الخوف مع إبراهيم وموسى (ع) .

---

(١) الزمخشري ٢/٥٤٤ .
(٢) الكشاف ٢/٥٤٤ .
(٣) الراغب الأصفهاني / ٣٠٣ .

٤- حاله عندما يجيء مصدرًا على وزن (فَعْل) معرفا بـ(أل) .

ورد في خمسة مواضع كلها مدنية إلا موضعا واحدا مكيًّا ، في سورة النحل ويلاحظ في هذه المواضع انه جاء مصاحبا لكلمة (الجوع) في مرضين أحدهما مكي والآخر مدني . وجاء في موضع واحد مصاحبا لكلمة (الأمن). وجاء بدون مصاحبة في موضعين في سورة الأحزاب .

وهنا تعرض لنا مسألتان إحداهما مسألة التعريف بـ(أل) في (الخوف) والأخرى مسالة التقديم والتأخير مرة (الخوف والجوع) ومرة (الجوع والخوف) . أما المسألة الأولى : فقوله تعالى في سورة البقرة ١٥٥/٢ " ولنبلونَّكُم بشيءٍ من الخوفِ والجوعِ ونقصٍ من الأموالِ والأنفسِ والثمراتِ وبشرِ الصابرين " . يسبق الآية سياق فيه دعوة من الله سبحانه إلى المؤمنين أن يستعينوا بالصبر والصلاة ، ثم بيان حال من يقتل في سبيل الله فلا يعد من الأموات بل من الأحياء . فالصبر على الشدائد والاستشهاد في سبيل الله قد مهدا لآية البلاء (بالخوف والجوع) . ونظم الآية وتركيبها يدلان على ذلك فقوله (لنبلونَّكم) أي (لنصيبنّكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه) . وقوله (بشيء) . إنما قلل في قوله (بشيء) أي تقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وليخفف عليهم .. وليوطنوا نفوسهم)[١] . وجاء في مجمع البيان (وقوله (من الخوف) على وجه التبعيض لأنه لم يكن مؤبدا)[٢].

واستعمال (الخوف والجوع) معرفين يكون لأمر مخصص بخلاف لو استعمل نكرتين فأنه يكون لما هو عام[٣] .

أما المسألة الأخرى في تقديم (الخوف) على (الجوع) إذ السياق يستدعي ذلك فقد سبقت بقوله تعالى " ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا

---

(١) الكشاف ٣٢٣/١ ، وينظر مواهب الجليل من تفسير البيضاوي/ ٣٠ .
(٢) الطبرسي ٣٨/٢ .
(٣) ينظر معاني النحو ١٢٢/١ .

تشعرون " /١٥٤ . كما أن آية الخوف نزلت في شهداء بدر ، فكان تقديم الخوف ينسجم تمامًا مع السياق اللفظي الذي انتظمت فيه الآيات الكريمات .

أما في سورة النساء فقد أخر (الخوف) وقدم (الأمن) قال تعالى " وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردُّوه إلى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليل"

وإذا عدنا إلى اتساق هذه الآية مع ما قبلها وجدنا أن هذا التقديم ينسجم مع ما سبقها من آيات . يتول الله تعالى " إنْ تصبْهم حسنةً يقولوا هذه من عند اللهِ وإنْ تصبْهم سيئةٌ يقولوا هذه من عندك " فقدم الحسنة على السيئة . ثم أردفها بقوله سبحانه " وما أصابك من حسنةٍ فمنَ اللهِ وما أصابَكَ من سيئةٍ فمن نفسِك " فقدم الحسنة على السيئة . وكما تطلق (الحسنة والسيئة) على الطاعة والمعصية تطلقان على النعمة والبلية[١] . فالحسنة يناسبها الأمن لأنه نعمة » والسيئة يناسبها الخوف لأنه بلية . فكان تقديم الأمن متسقًا مع تقديم الحسنة ، وتأخير السيئة متسقا مع تأخير الخوف . ويلاحظ أن تقديم الحسنة وقع في سياق (إن) الشرطية وأن تقديم (الأمن) وقع في سياق (إذا) الشرطية والنحاة يفرقون بين (إنْ) و (إذا) .. والأصل في (إن) أن تستعمل (في المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها والموهومة والنادرة)[٢] فهما يشتركان في الاستقبال لكنهما يفترقان في (أن الأصل في (إنْ) ألاّ يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه كما تقول لصاحبك (إن تكرمْني أكرمْك) وأنت لا تقطع بأنه يكرمك . والأصل في إذا أن يكون الشرط فيها مقطوعًا بوقوعه[٣] . فالإصابة بالحسنة أو السيئة فيما يحتمل الوقوع وعدمه ولذلك جاء في سياق (إنْ) . أما (الأمن الخوف) فمن الأمور المتيقنة التي يكثر وقوعها ولذلك جاء في سياق (إذا) .

---

(١) مواهب الجليل في تفسير البيضاوي / محمد أحمد كنفان /١١٤ .
(٢) ابن يعيش ٤/٩ .
(٣) ينظر الطراز ٢٧٧/٣ ، والإيضاح ٨٨/١ .

أما تقديم (الجوع) على (الخوف) فقد ورد في قوله تعالى في سورة النحل " وضرب الله مثلاً قريةً كانت آمنةً مطمئنَّةً يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعمِ الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون " /١١٢ . **فسياق الآية يربط الأمن والاطمئنان بالرزق والرغد الوفير الذي (يأتي من كل مكان) فإذا ذهب هذا الرزق ذهب معه الأمان والاطمئنان وحل محله الخوف . إذ الأمن يكون متى كان الرغيف في متناول اليد . جاء في كتاب (الطراز) (فكلما ذكر الأمن والرغد من الرزق أردفه بما يلائمه من الجوع والخوف)[١] . ولم يقل(فكساهم لباس الجوع والخوف) ، ولم يقل (فأذاقهم طعم الجوع والخوف) جاء في تفسير الطبري (وذلك جوع خالط آذاه أجسامهم فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها)[٢] . وأما الإذاقة (فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها) [٣]، جاء في كتاب (من أسرار التعبير القرآني) إذ يحصل من لفظ (لباس) في الآية المبالغة في عموم الجوع والخوف واشتمالها على كل جزء في الجسم وهذا المعنى يفوت لو جاء التعبير (طعم الجوع)[٤] .**

أما في سور الأحزاب فقد جاء اللفظ (الخوف) معرفًا دون مصاحبة في قوله تعالى " أشحّة عليكم فإذا جاءَ الخوفُ رأيتَهم ينظرون إليك تدورُ أعيُنَهم كالذي يُغشى عليه من الموتِ ، فإذا ذهبَ الخوفُ سلقوكم بألسنةٍ حدادٍ ، أشحة على الخيرِ " /١٩ . **فتعريف الخوف هنا لأنه مخصوص بمسألة معينة وهي صورة المعوقين عن الجهاد والفزعين من المضي إليه .**

---

(١) العلوي ٢١٢/١ .
(٢) جامع البيان ١٨٦/١٤ ، وتأويل مشكل لقرآن /ابن قتيبة ١٢٤ ، ومجمع البيان ١٣١/١٤ .
(٣) الكشاف ٤٣١/٢ .
(٤) من أسرار التعبير القرآني / عبد الفتاح لاشين ١٩١ .

أما من حيث التركيب فقد وقع في سياق (إذا) الشرطية التي يكون ورودها في الأمور المتيقنة أو التي يكثر وقوعها .. ولذلك يكثر معها الفعل الماضي[١] .

٥- حاله عندما يجيء مصدرًا نكرة : ورد في أربعة مواضع كلها مكي ، فقد جاء على صيغة (فَعْل) في موضعين مجرورًا بحرف جر ، وجاء على صيغة (تفعّل) في موضع واحد مجرورًا بحرف جر . وجاء على صيغة (تفعيل) منصوبًا بعد (إلاّ) .

أما ما جاء منه نكرة مجرورة . فقوله تعالى في سورة يونس " فما آمن لموسى إلاّ ذريةٌ من قومهِ على خوفٍ من فرعون وملئهم " /٨٣ .

وقوله تعالى في سورة قريش " الذي أطعمَهُم من جوعٍ وآمنهم من خوف " /٤ .

وهنا تعرض لنا مسألتان أحداهما التنكير .. والأخرى : الجر بحرف الجر . أما التنكير فأكثر ما يرد (للتفخيم والتعظيم في النكرات ، وكأنّ التنكير حينئذٍ علم عليه فقوله تعالى " أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف " أي من جوع شديد وخوف عظيم)[٢] .

أما الجر بحرف الجر (على) في سورة يونس " على خوفٍ من فرعونَ وملئهم " فعلى معناها الاستعلاء . جاء في كتاب سيبويه (أما على فاستعلاء الشيء ، نقول هذا على ظهر الجبل وهو على رأسه)[٣] . فقوله تعالى " على خوفٍ " فيه معنى الاستعلاء . جاء في تفسير الطبري (فإنه يعني على حال خوف ممن آمن من ذرية قوم موسى بموسى) . ويفهم فيها المصاحبة . جاء في الكشاف .

(وإجابتهم طائفة من أبنائهم مع الخوف) .

ويبدو أن معنى الاستعلاء هو الراجح لان السياق اللفظي الذي وردت فيه الآية يرجح ذلك فالخوف الذي أشاعه فرعون في نفوس بني إسرائيل قوم موسى (ع)

---

(١) ينظر معاني النحو ٤٥٦/٤ .
(٢) الكشاف ٢٨٨/٤ ، والبرهان ١٥٥/٣ .
(٣) ٢٣٠/٤ .

وغيرهم قد تمكن في قلوبهم الآباء والأبناء بدليل قوله تعالى على لسان موسى " وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا .."

فجاء الشرط بـ(إنْ) التي يكون ورودها في المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها والموهومة والنادرة . فإيمانهم جاء في وقت فيه من الخوف والرهبة ما فيه من بطش فرعون وملئه . لذلك كان هذا الإيمان قهرا واستعلاء على ذلك الخوف وكان إيمانا عميقا قويا بقدر عمق الخوف وقوته . فـ(على الخوف) حال من (ذرية) وجاز منها الحال لأنها موصوفة بـ(من قومه) جاء في مجمع البيان (يعني آمنوا وهم خائفون) .

أما في سورة قريش فقد جاء الجر بـ(مِنْ) في قوله تعالى " الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف " .

و(من) معناها الابتداء . جاء في كتاب سيبريه (وتقول رأيته من ذلك الموضع فجعلته غاية رؤيتك ، كما جعلته غاية حيث أردت الابتداء والمنتهى) فكان الإطعام جاءهم من موطن الجوع . وكأن الأمن جاءهم من موطن الخوف . جاء في كتاب معاني القرآن وإعرابه (آمنهم من أن يخافوا) .

أما حاله مصدرًا نكرة على وزن (تَفَعُّل) فد ورد في سورة النحل " أو يأخذَهم على تخوّف فأن ربكم لرؤوف رحيم " ١٦/٤٧ . والخطاب موجه إلى الذين مكروا السيئات بأسلوب الاستفهام في قوله تعالى " أفأمِنَ الذين مكروا السيئات أن ينسف الله بهم الأرض أو يأتيَهم العذابُ من حيثُ لا يشعرون أو يأخذَهم في تقلّبهم فما هم بمعجزين ۞ أو يأخذهم على تخوّفٍ فإنَّ ربَّكم لـرؤوفٌ رحيم " . فاللفظ لفظ الاستفهام والمراد به الإنكار ، من شعورهم بالأمان وهم يمكرون السيئات من أن يأخذهم العذاب في تقلبهم أو يأخذهم على تخوّف . ويلاحظ أن المصدرين (تقلّب وتخوّف) وردا على صيغة واحدة وهي التفعُّل التي تدل على وقوع الفعل بكثرة . جاء في كتاب سيبويه (تقول كَسَرتُها وقطعتُها فإذا أردتَ كثرة العمل قلت : كسَّرتُه

وقطَّعتُه ومزقّتُه)(١) . وجاء في المقتضب : (ويكون الفعل على (تفعُّل) فيكون على ضربين : على المطاوعة من (فعّل) فلا يتعدى نحو قولك : قطَّعته فتقطَّع ، وكسَّرته فتكسَّر ، فهذا للمطاوعة ، ويكون على الزيادة في فعل الفاعل نحو قحَّمه فتقحَّم . وقدَّمته فتقدَّم . والأصل إنما هو من قحَّمه فتقحَّم . وقدَّمه فتقدَّم . والمصدر (التفعّل)(٢) .

وفي دلاله (تخوّف) قال الفراء (على تخوُّفٍ : جاء التفسير بأنه التنقّص)(٣) ، وقال الزجاج : أي أو يأخذهم بعد أن يخيفهم بأن يهلك فرقة فتخاف التي تليها . وقيل (على تخوّف) على تنقّص ومعنى التنقص أن ينتقصهم في أموالهم وثمارهم حتى يهلكهم(٤) . وجاء في كاب مفردات ألفاظ القران (التخوّف : ظهور الخوف من الإنسان)(٥) ، فيلاحظ أن (التخوُّف) يدل على الخوف الذي يصاحبه النقصان فجمع معنى الخوف ومعنى النقصان في لفظة واحدة على سبيل الاختصار ، فضلا عن معنى الاستعلاء الذي يدل عليه حرف الجر (على) .

أما في سورة الإسراء فقد جاء مصدرًا منصوبا على صيغة (تفعيل) في قوله تعالى " وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذَّب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نُرسل بالآيات إلاَّ تخويفًا " ١٧/ ٥٩ ، فالتخويف مصدر الفعل خوَّف الدال على الكثرة . جاء في كتاب سيبويه (وقالوا ظل يغرِّسها السبعُ ويؤكِّلها

---

(١) ٤/٦٤ و٨٣ (فتلحقه الزوائد وتبنيه بناء آخر كما أنك قلت في (فَعَلت فعَّلت حين كثَّرت الفعل) .

(٢) المقتضب ٧٨/١ .

(٣) معاني القرآن ١٠١/٢ ، ومجاز القرآن ٣٦٠/١ ، وتفسير غريب القرآن / ابن قتيبة / ٣٤٣ ، وجامع البيان ١١٢/١٤ ، وأمالي الزجاجي ٣٧، والأمالي / أبو علي القالي ٣١٣/١.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٠١/٣ ، والكشاف ٤١٠/٢ ، ومجمع البيان ٧٩/١٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٧٣/١٠ .

(٥) مفردات ألفاظ القرآن ٣٠٣ .

إذا كثر ذلك فيها)[١] . وجاء فى الآية منصوبا مفعولا له . قال الطبري فى تفسير (وما نُرسل العِبَر والذكر إلا تخويفًا للعباد)[٢] ، وجاء فى الكشاف (وما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها إلا تخويفًا وإنذارًا بعذاب الآخرة)[٣]. أما الفعل (أرسل) فقد ورد فى الاستعمال القرآني متعديا بنفسه ومنه قوله تعالى " وأرسلنا السماءَ عليهم مدرارًا " الأنعام ٦/٦ . وقوله " ويُرسل عليكم حفظة " الأنعام ٦/ ٦١ . وفى مواضع أخرى . غير أنه ورد فى الآية الكريمة ــ موضوع البحث ــ متعديًا بالباء " ما نرسل بالآياتِ إلاّ تخويفًا " إذ إن معنى الباء الرئيس هو الإلصاق فجيء بها للدلالة على إلصاق الإرسال بالآيات لأن المراد (بالآيات التي اقترحتها قريش إحياء الموتى وغيرها)[٤] فجيء بالباء للدلالة على إرسال خاص يكون بعده حدث عظيم إن لم يؤمنوا بها . ويجوز عد الباء زائدة على قوله تعالى " ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة " البقرة ٢/١٩٥ ، أي (وما نرسل الآيات إلا تخويفًا) .

فالتخويف يحتمل معنى قد لا يؤديه المصدر (خوفا) أو (خيفة) إذ فيه معنى الإنذار والعذاب والعقاب[٥] .

ثانيا : الفعل الماضي :

١- حاله عندما يجيء فعلاً ماضيًا في سياق (إن) و (إذا) الشرطيتين : ورد في سبعة مواضع كلها مدنية إلا موضعا واحدا مكياً . ويلاحظ أن المواضع المدنية وقع

---

(١) ٤/٦٤ .

(٢) جامع البيان ١٥/١٠٥ .

(٣) الزمخشري ٢/٤٥٤ ، ومجمع البيان ١٥/٦٥ .

(٤) الكشاف ٢/٤٥٤ .

(٥) ينظر المصادر في القرآن الكريم / عامر عيدان اللامي ٢٦٥ /ماجستير / الآداب / المستنصرية /١٩٩٣ / دراسة وصفية .

فيها الفعل (خاف) في سياق (إنْ) الشرطية . أما الموضع المكي فقد وقع فيه الفعل في سياق (إذا) الشرطية . وقد مر بنا أن (إن) الشرطية يكون ورودها في الأمور المحتملة المشكوك في وقوعها وتختص بالأزمنة المستقبلية ، لأن الشرط لا يفعل إلا فيما كان مستقبلا ، أما (إذا) فتستعمل في الأمور المحققة[1] ، وإذا عدنا إلى الآيات التي وردت فيها (إن) مع الفعل (خاف) وجدنا أنها جاءت في الأمور المحتملة غير المقطوع بها ففي سورة البقرة ٢٢٨/٢ " إلاّ أنْ يخافا ألاّ يقيما حدودَ الله فإنْ خِفتُم ألاَّ يقيما حدود الله فلا جناح عليهما " .

فسياق الآية يعالج مسألة اجتماعية ذات طبيعة إنسانية شديدة الخصوصية وهي العلاقة بين المرء وزوجه إذا ما اعتراها ما يكدر صفوها فيصل الأمر إلى نقطة الافتراق ، فالسياق كله توقع وشك وظنون ولا يقدر أحد أن يقطع بها إلا ما يقرر الزوجان إما بالمراجعة وحسن المعاشرة أو التسريح بإحسان .

وفى الآية / ٢٣٩ من السورة نفسها كان السياق يدور حول إقامة الصلاة والحفاظ عليها في حالتي الخوف والأمن . فجاء مع الخوف (إن) " فإنْ خفتُم فرجالًا وركبانًا فإذا أمنتم فاذكروا الله .. " وجاء مع الأمن (إذا) (إذ إن الخوف حالة طارئة بخلاف حالة الأمن)[2] . ويجري هذا القول على سائر المواضع الأخرى التي وردت فيها (إنْ) .

أما في سورة القصص وهو الموضع المكي الذي وردت فيه (إذا) مع الفعل (خاف) في قوله تعالى " وأوحينا إلى أمّ موسى أنِ ارضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنَّا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين . ففي الآية خوفان الأول محقق وهو خوفها على (موسى من القتل الذي أشاعه فرعون في مواليد بني إسرائيل . ولذلك جاء النظم بـ(إذا) مع هذا الخوف المعلن المحقق ، والثاني خوف متوقع بعد (إلقائه) في اليم ولذلك نهى الله سبحانه عن الخوف

---

(١) الطراز / العلوي ٢٧٦/٣ ، والإتقان في علوم القرآن ١٤٩/١ .
(٢) معاني النحو ٤٥٤/٤ .

الثاني وما يتبعه من حزن بقوله تعالى " إنّا رادُّوه إليك " . جاء في الكشاف (فــان قلت ما المراد بالخوفين حتى أوجب احدهما ونهى عن الآخــر ؟ قلــت أمــا الأول فالخوف عليه من القتل .. وأما الثاني فالخوف عليه من الغرق ومن الضــياع)[١] ، ومفعول (خفت) محذوف تقديره (خفت عليه أحدا) [٢] .

٢- حاله عندما يجيء فعلا ماضيا مصاحبا (من) الموصولة أو الشرطية :

ورد في خمسة مواضع اثنان منها مدنية وثلاثة مكية . وجــاء مصــاحبا (مــن) الشرطية في موضع واحد في سورة البقرة ١٨٢/٢ في قوله تعالى " فمن خاف من موص جنفًا أو إثمًا فأصلحَ بينهم فلا إثمَ عليه إن الله غفور رحيم " والآية تتنــاول أحكام الوصية وحقوق الموصى لهم . فمن شرطية و (خاف) عند المفسرين في هذه الآية تحتمل معنى عَلِم أو توقع (وهذا كلثم شائع يقولــون : (أخــاف أن ترســل السماء) يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم[٣] . وســنعرض لهــذه الدلالة في موضع قابل إن شاء الله وقوله تعالى " فأصــلح بيــنهم " عطــف علــى (خاف) وجواب الشرط (فلا إثم عليه) . وقد جاء فعل الشرط ماضيا (على معنى المستقبلة لان الشرط لا يقع إلا على فعل لم يقع) [٤] . وفي الآية لطف في التركيب إذ إن نفي الإثم لا يترتب على حصول الخوف فلا يستقيم المعنى إذا كــان الكــلام فمن خاف من موص جنفًا أو إثما .. فلا إثم عليه . وإنمــا نفــي الإثــم مشــروط بالإصلاح الذي سببه الخوف من الموصي في الجنف والإثم .

---

(١) الزمخشري ١٦٥/٣ .

(٢) مجمع البيان ٢٦٦/٢٠ .

(٣) الكشاف ٣٣٤/١ ، ومجمع البيان ١٠٨/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨١/٢ .

(٤) المقتضب ٥٠/٢ .

أما مصاحبته (مَنْ) الموصولة فقد جاء في سائر المواضع الأربعة الأخرى و(من) الموصولة اسم مشترك تفيد العموم والتنكير جاء في كتاب سيبويه (ويقوي أيضا أن (من) نكرة قول عمرو بن قميئة :

يـــا ربَّ مـــن يـــبغض أذوادنـــا		رحـن علـى بغضـائه واغتـدين

ورب لا يكون بعدها إلا نكرة[١] . وقد جاء الفعل (خاف) مكسوعا بلفظة (مقـام) في ثلاثة مواضع . وهذه اللفظة تحتمل المصدرية والمكان والزمان . جاء في كتاب سيبويه (يقولون المَذْهب للمكان ، وتقول أردت مَذْهبا أي ذهابا فتفتح ... وذلك في قولك : (قتل يقتُل وهذا المقْتل ، وقالوا : يقوم وهذا المقَام) [٢] . وجاء في كتـاب (مفردات ألفاظ القرآن) . (والمقام يكون مصدرا واسم القيام وزمانه) [٣]، وهذا يعد اتساعا إذ جمع ثلاثة معان في لفظ واحد . وقد مر مثله في قوله تعـالى " ادعـوه خوفا وطمعا " .

٣- حاله عندما يجيء فعلا ماضيًا مكسوعا بتاء التأنيـث أو تـاء الفاعـل أو واو الجماعة وقد ورد في أربعة مواضع ثلاثة منها مكي وموضع واحد مدني .

ففي سورة النساء ورد في قوله تعالى " وانِ امرأة خافـت مـن بعلهـا نشـوزا أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يُصلحا بينهما صلحًا " ١٢٨/٤ . فدلالة (خافت) فـي سورة النساء ورد في قوله تعالى " وإن امرأة خافت من بعلها نشـوزًا أو إعراضـا فلا جناح عليهما أن يُصلحا بينهما صلحا " ١٢٨/٤ . فدلالة (خافت) عنـد معظـم

(١) ١٠٨/٢ .

(٢) ٨٩/٤ ، والمقتضب ٢/ ٨٩ ــ ٩٠ .

(٣) الراغب الأصفهاني ٦٩١ .

المفسرين بمعنى (علِمتْ) و (توقَّعت) أو (ظننت) [١] ، و(امرأة) رفع عند سيبويه بفعل مضمر تقدير (وان خافت امرأة خافت) . وهي رفع بالابتداء عند غيره[٢] . وفاعل متقدم عند الكوفيين ومبتدأ عند الأخفش[٣] . وذهب الفراء من الكوفيين إلى أن الاسم من نحو (وإنِ امرؤٌ هلكَ) و (إنْ احدٌ من المشركين استجارك) مرتفع بالضمير الذي يعود إليه من (هَلَك واستجارك كما يكون في قولك زيد استجارك)[٤] .

والراجح عند الدارسين المحدثين هو الرأي الكوفي ، جاء في كتاب الفعل زمانه وأبنيته (ورأي الكوفيين في هذه المسألة مقبول وذلك لقربه من المنهج الوصفي الواقعي)[٥] . ولا يميل الدكتور فاضل السامرائي إلى تقدير (فِعْل) يفسره الظاهر . ويرى (أن هذا التقدير بعيد عن المعنى مفسد لصحة الكلام)[٦] . ولذلك يرى أن على النحويين أن يقولوا : إنه قد يلي الفعل أداة الشرط في كلام العرب نحو " إذا جاءك المنافقون " المنافقون ٦٣/١ ، وقد يليها الاسم ثم فعل الشرط نحو " إذا السماء انفطرت " / الانفطار ٨٢/ ١ ، والفرق بين التعبيرين هو كذا وكذا . وهذا أمثل من التقدير الذي يفسد المعنى ويضيعه ويذهب بجمال الكلام وفصاحته[٧] . ولا

---

(١) جامع البيان ٣٠٥/٥ ، والكشاف ٥٦٨ ، ومجمع البيان ٢٥٠/٥ . والجامع لأحكام القرآن ٢٥٩/٥ .

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢٠٩ / القسم الأول .

(٣) شرح الرضي على الكافية ٢٥٤/٢ ، والإنصاف في مسائل الخلاف م ١٥ ، وينظر معاني النحو ٤/ ٤٨٠ .

(٤) شرح ابن يعيش ١٠/٩ .

(٥) إبراهيم السامرائي ٢٠٩ ، وينظر في النحو العربي نقد وتوجيه / المخزومي ٤١ .

(٦) معاني النحو ٤٨٠/٤ .

(٧) نفسه ٤٨٠/٤ .

يبدو من كلام الدكتور فاضل السامرائي انه يرجح الرأي الكوفي فى كـون تقـديم الاسم على فعل الشرط من باب تقديم الفاعل .

غير أننا نجده يميل إلى عدّ ذلك من تقديم الاسم على فعل الشرط ، جاء في كتـاب معاني النحو (إن تقديم الاسم على فعل الشرط إنما هو للعناية والاهتمام) .

الذي هو الغرض من التقديم عموما)[١] غير أنه لا يصرح برأي حول هذا الاسـم أهو فاعل متقدم أم فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل الظاهر أم مبتدأ ، وعلـى أيـة حال فإن الآية الكريمة جاءت بتقديم الاسم على فعل الشرط ولا بد من هذا التقـديم من غرض ينسجم مع سياق الآية الكريمة فقد قـدم الاسـم للعنايـة والتخصـيص ولإبراز أن الضرر الواقع على (المرأة) في حالة النشوز أو الإعراض أكثر ممـا يقع على الرجل . ولذلك قدم الاسم للدلالة على معنى العناية والتخصيص . جاء في كتاب معاني القرآن وإعرابه (ولم يقل وإن نشز رجل على المـرأة . لان الخـائف للشيء ليس بمتيقن له)[٢] .

أما قوله تعالى " واني خِفتُ المواليَ من وراني " مريم ٥/١٩ على لسـان زكريـا (ع) فالفعل (خفت) اسند إلى ضمير المتكلم (التاء) وقـد وقـع فـي سـياق (إنّ) المكسورة الهمزة التي تفيد التوكيد ، ويلاحظ الاتساق في تكـرار الضـمير العائـد للمتكلم في (إني) و(خفت) زيادة في توكيد خوفه من مواليه وهم لم عصبته وإخوته وبنو عمه شرار بني إسرائيل فخافهم على الدين أن يغيروه ويبدلوه)[٣] ، وقولـه (من ورائي) معناه (من بعدي) ينسجم مع هذا السياق إذ انه (لا يتعلق بـ(خفت) لفساد المعنى ولكن بمحذوف أو بمعنى الولاية فـي (المـوالي) : أي خفـت فعـل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي)[٤] .

---

(١) معاني النحو ٤٨١/٤ .
(٢) الزجاج ١١٧/٢ .
(٣) الكشاف ٥٠٢/٢ .
(٤) نفسه ٥٠٢/٢ .

ثالثا : الفعل المضارع :

حاله عندما يأتي مضارعا مسندا إلى ضمير المتكلم المستتر واقعا في سياق إن المشددة المكسورة مع اسمها ضمير المتكلم المتصل فيكون التركيب على الشكل الآتي (إنَّ + اسمها ياء المتكلم + الفعل المضارع (أخاف)) . وقد ورد في ثمانية عشر موضعا منها ثلاثة مواضع مدنية والباقي كلها مكية، وفي هذه المواضع جاء الفعل (أخاف) مع مفعوله على الأحوال الآتية :

أ- لم يفصل عن مفعوله الذي هو لفظ الجلالة (الله) وقد ورد في ثلاثة مواضع مدنية . ورد في سورة المائدة ٢٨/٥ " لئِنْ بسَطتَ إليَّ يدَكَ لتقتلَني ما أنا بباسط يديَّ إليك لأقتلَك إني أخاف الله ربَّ العالمين " . وفي سورة **الأنفال** ٤٨/٨ " وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله "وفي سورة **الحشر** ١٦/٥٩ " كمثل الشيطان إذ قال للشيطان اكفرْ فلمَّا كفَرَ قال إني بريء منك إني أخاف الله ربَّ العالمين " .

ب ـ لم يفصل عن مفعوله الذي هو مصدر صريح والغالب فيه لفظة (عذاب) إذ ورد في ستة مواضع كلها مكية من أصل ثمانية .

منها ما ورد في الأعراف ٥٩/٧ " لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم " .

ج ـ لم يفصل عن مفعوله الذي هو ليس مصدرًا صريحًا . والغالب فيه لفظة (يوم) أو ما أضيف إليها وهي كلمة (مثل) . ومثله ما ورد في سورة غافر ٣٢/٤ " ويا قومِ إنّي أخاف عليكم يوم التناد " .

د ـ لم يفصل عن مفعوله الذي هو مصدر مؤول مكون من (أنْ + الفعل المضارع) وقد ورد في أربعة مواضع كلها مكية .ومثله ما ورد في سورة مريم ٤٥/١٩ " يا أبتِ إنِّي أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن "

هـ انفصل عن مفعوله بجملة معترضة شرطية مصدرة بـ(أن) والمفعول مصدر صريح . ومثله ما ورد في سورة الأنعام ١٥/٦ " قلْ إنِّي أخاف إنْ عصيتُ ربي عذاب يوم عظيم ".

أما حاله مع لفظ الجلالة (الله) ففي سورة المائدة جاء في سياق الحوار الذي دار بين ابني آدم (ع) قابيل وهابيل . وجاءت الآية على لسان هابيل وهو في موقف يتعرض فيه إلى القتل ومع ذلك فهو لم يبسط يده ليقتل أخاه لأنه يخاف الله رب العالمين . والتركيب (إني أخاف) جاء في سياق القسم (لئِنْ) وهو سياق توكيد وجاء جوابا في سياق (ما) النافية المؤكد خبرها بالباء ولذلك يعد التركيب (إني أخاف) متسقا مع سياق التوكيد إذ جاء بـ(إنَّ + ضمير المتكلم + الفعل أخاف) وهو مسند إلى الضمير المستتر للمتكلم أيضا . وفي قوله (رب العالمين) بدل من لفظ الجلالة ، فيه زيادة إيضاح وتوكيد ينسجم مع سياق الآية . ويلاحظ أن هابيل أفرد نفسه بالخوف من الله تمييزا من أخيه ، وتشريفا لنفسه .

أما في سورتي الأنفال والحشر فالمفعول هو لفظ الجلالة أيضا . وكلتا الآيتين كانت على لسان الشيطان غير انه في الأنفال ورد " إنّي أخاف الله " من غير أن يذكر (رب العالمين) . وإذا عدنا إلى سياق الآية الكريمة في سورة الأنفال " وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالبَ لكم اليوم من الناس إني جار لكم ۞ فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب " فالسياق يبرز الحال المؤثر للشيطان في تزيينه قتال المسلمين ولذلك نجد التركيب (إنَّ المشددة + اسمها ضمير المتكلم العائد على الشيطان) قد تكرر في الآية أربع مرات فضك عن الفعلين المضارعين المسندين إلى الضمير المستتر العائد إلى الشيطان (إني أرى) (إني أخاف) ولذلك جاء الاستئناف (والله شديد العقاب) متسقا مع التركيب (إني أخاف الله) ، أي عقابه . فالسياق لا يحتاج إلى ذكر (رب العالمين) لان عمل الشيطان في تربين العدوان على المسلمِيْن كان كبيرا فلا بد أن يكون العقاب كبيرا .

أما في سياق سورة الحشر ٥٩ /١٦ فقد جاء قول الشيطان " قال إني بــريء منــك إني أخاف الله رب العالمين) . وإذا عدنا إلى سياق الآية الكريمة وجدنا أنهــا فــي سياق ذكر اليهود وأحوالهم وموقفهم من الإسلام والمسلمين فمثلهم " كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال .إني بريء منك إني أخاف الله رب العــالمين " . والسياق هنا موجز ومختصر بعكس آية (الأنفال) إذ فيها تفصيل للموقف ، لأنهــا نزلت في معركة بدر . أما هنا فعمل الشيطان اقتصر على (الإنسان) إذ دعاه إلى الكفر فكفر فلما كفر تبرأ منه ، وهذا يصدق على كل إنسان يلبي دعوة الشــيطان ، ولذلك يكون ذكر (رب العالمين) متسقًا ومنسجما مع كلمة (كفر) التــي تكــررت مرتين ، فالله رب العالمين ولا يجوز الكفر به أو الإشراك به. والله أعلم .

أما حاله مع مفعوله (المصدر الصريح) المتصل به من دون فصل ، فالغالــب أن يكون هذا المصدر لفظة (عذاب) المضافة إلى كلمة (يوم) النكرة الموصوفة بــ (عظيم أو كبير أو أليم أو محيط)[١] ، فيكون التركيب على الوجه الآتــي : (إنــي أخاف عليكم عذابَ يومٍ . .) ، وإذا عدنا إلى سياق كل آية وجدنا أن هذه الآيــات جاءت على لسان نوح (ع) في الأعراف وعلى لسان النبي محمد (ص) في ســورة هود ١١/٣ . وعلى لسان نوح (ع) في هود ١١/٢٦ ، وعلى لسان شعيب (ع) في هود ١١/٨٤ ، وعلى لسان هود (ع) فــي الشــعراء ٢٦/١٣٥ ، وفــي الأحقــاف ٤٦/٢١ أيضًا ، ففي سورة الأعراف كانت الآية الكريمة على لسان نوح (ع) فــي دعوة قومه إلى عبادة الله وعدم الإشراك به ولذلك جاء قوله تعالى " إنــي أخــاف عليكم عذاب يوم عظيم " منسجما مع هذه الدعوة لأن الله لا يغفر أن يشــرك بــه ، ولذلك قال " عذاب يوم عظيم " لان عظمة العقاب تنسجم مع عظمة الذنب . فضــلا عن التنكير الذي جاء في كلمتي (يوم) و (عظيم) الذي يقصد به التهويل وكأنــه

---

(١) الأعراف /٥٩ ، هود /٣ ، ٢٦ ، ٨٤ ، الشعراء /١٣٥ ، الأحقاف /٢١ .

تحذير شديد لمن يخالف أوامر الله تعالى[١] . ويمكن أن يصدق هذا القول على سائر الآيات ـــ موضوع البحث ـــ والله أعلم .

أما حاله مع مفعوله الذي هو ليس بمصدر صريح . وغالبا ما يكون كلمة (مثل) أو (يوم) المعرفة . بالإضافة . فقد ورد في سورة غافر الآيتين ٣٠/٣٢ مقترنا بكلمة الأحزاب والتناد . وإذا عدنا إلى سياق الآيتين الكريمتين وجدنا أن الآيتين كانتا على لسان (الرجل المؤمن من آل فرعون) وهو يحثهم على تصديق دعوة موسى (ع) ويقدم لهم الحجج والبراهين على صدق دعوته ، ولكن فرعون يأبى إلا تكذيبه ويصر على قتله ، ولذلك جاء قول هذا الرجل المؤمن " وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب " أي أيام الأمم الماضية " قوم نوح وعاد وثمود " وما حل بهم بسبب تكذيبهم للرسل . ثم أردف ذلك بتخويفهم بيوم القيامة يوم التناد " ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد " . فتحذيره لهم كان متدرجًا فبدأ أولا بالخوف من أن يحل بهم مثل ما حل بالأمم الماضية في الدنيا فإن أصروا على تكذيبهم موسى (ع) فالخوف من أن يحل بهم عذاب يوم القيامة .

أما حاله مع مفعوله الذي هو مصدر مؤول من (أنْ + الفعل المضارع) فالغالب فيه (أن يمسك) (أن يكذبون) (وأن يبدل دينكم)[٢] . وإذا عدنا إلى سياق الآيات وجدنا أنها جاءت على لسان إبراهيم (ع) في سورة مريم وعلى لسان موسى (ع) في سورتي الشعراء والقصص ، وعلى لسان فرعون في سورة غافر . ومجيء مفعول الفعل (أخاف) مصدرا مؤولاً للدلالة على الحدث المتجدد فضلا عن الدلالة على الزمن ، هذا من جهة ومن جهة أخرى لإظهار الفاعل بخلاف المصدر الصريح فلا يظهر الفاعل معه إلا بقرينة . ففي سورة مريم " يا أبتِ إني أخاف أن يمسك عذابٌ من الرحمن " فنسب المسّ إلى العذاب دون ذاته العلية ، وفي سورة الشعراء " قال ربي إني أخاف أن يكذبون " وفي سورة غافر على لسان

---

(١) ينظر لغة القرآن / محمود نحلة ٣٩٨ ، وفي البنية والدلالة ١٥٨ .

(٢) مريم ١٩/٤٥ ، الشعراء ٢٦/١٢ ، القصص ٢٨/ ٣٤ ، غافر ٤٠/٢٦ .

فرعون " إني أخاف أنْ يبدل دينكم " فنسب التبديل إلى موسى (ع) . وهـذا كلـه بسبب استعمال المصدر المؤول بخلاف المصدر الصريح الذي مر بنا آنفـا (إنـي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) فالفاعل هنا مطوي .

والاستعمال القرآني طريقة خاصة في ذكر الفاعل وطيه . جاء في كتـاب معـاني النحو (وهناك خط واضح وظاهرة فى بنية التعبير القرآني . وهى أن الله سـبحانه يذكر نفسه ويظهر ذاته فى الخير العام بخلاف الشر والسوء فانه لا يذكر فيه نفسـه تنزيها لها عن فعل الشر وإرادة السوء)[١] . ودخول (أن) المصدرية الناصية فـي التركيب يجعل زمن الفعل المضارع المنصوب بها (يقصد به الدلالة على المستقبل الزمني . ولذلك فهي تقع في كلام يدل على الشك أو على الرجاء والطمع)[٢] .

أما حاله مع مفعوله الذي فصل عنه بجملة إن الشرطية المعترضة :

فقد ورد في ثلاثة مواضع مكية . وكلها ورد فى ساق خطاب النبـي (ص) بدلالـة الفعل (قُل) في سورة الأنعام ١٥/٦ " قُلْ إني أخاف إنْ عَصَيتُ ربي عذاب يـوم عظيم " . وفي سورة يونس ١٥/١٠ " قال الذين لا يرجونَ لقاءَنا بقرآنٍ غيرِ هـذا أو بدلْه ، قُلْ ما يكون لي أن أبدِّله من تلقاءِ نفسي إنْ اتبعُ إلاّ ما أوحيَ إلـيّ إنّـي أخاف إنْ عصيتْ ربي عذاب يومٍ عظيم " . وفى سورة الزمر ١٣/٣٩ " قُل إنـي أخاف إنْ عصيتْ ربي عذاب يوم عظيم " . فالفعل (أخاف) قد فصل بينه وبـين مفعوله (عذاب) بالجملة الشرطية المعترضة ، جاء في مجمع البيان (إنْ عَصَيتُ ربى) فيها وجهان : أحدهما : انه اعترض بين الكـلام كمـا يكـون الاعتـراض بالأقسام فعلى هذا لا موضع له من الإعراب . والآخر أنه فى موضع نصب علـى الحال فكأنه قيل : إني أخافُ عاصيًا ربي عذاب يوم عظيم ويكون جواب الشـرط محذوفًا على الوجهين جميعا . وفائدة الجملة الشرطية المعترضة هنا تقـوم علـى

---

(١) معاني النحو ٤٩٤/٢ .
(٢) الدلالة الزمنية في الجملة العربية / د. علي جابر المنصوري ١١٦ .

التعريض للمشركين بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب جاء في كتاب (مغني اللبيب) (المعترضة بين شيئين لإفادة الكلام تقوية وتسديدا أو تحسينا) .

ويبدو أن الكلام في الآيات الكريمة ـ موضع البحث ـ لم يُبنَ على الشرط وإنما بني على اليقين ثم جاء الشرط معترضا . فلو كان الكلام مبنيا على الشرط لبدأ به فيكون التركيب (إن عصيت ربي فأني أخاف عذاب يوم عظيم) ، إذ لا يتطابق المعنى هنا مع التركيب الذي جاءت عليه الآيات الكريمة لأنها بدأت باليقين (إني أخاف) ثم جاء الاعتراض بالشرط للفائدة التي ذكرت آنفا ، جاء في كتاب (معاني النحو) . وأما إذا اكتنفه ما يدل عليه نحو قولنا (أنت إذا درست ناجح) فأنت بنيت كلامك على اليقين ثم اعترضك الشرط قبل أن تتم الكلام .

٢- أما حاله في سياق (إنّ) المشددة مع اسمها الضمير (نا) وصيغة الفعل المسند إلى ضمير المتكلمين المستتر . أي أن التركيب يكون على الوجه الآتي:

(إنّ + نا + نخاف) . وقد جاء المفعول متصلا بالفعل ففي سورة طه ٢٠/٤٥ جاء المفعول مصدرًا مؤولا " أن يفرط علينا " وفي سورة الإنسان ٧٦/١٠ " يومًا عبوسًا قمطريرا " . اسما صريحا . فالآيتان جاءتا في سياق (إنّ) التي وظيفتها التوكيد والربط وأنها يقصد بها الجواب ، جاء في كتاب دلائل الإعجاز (ولذلك تراها تزداد حسنا إذا كان الخبر بأمرٍ يبعد مثله في الظن وبشيء قد جرت عادة الناس بخلافه) وإذا عدنا إلى سياق الآيتين الكريمتين وجدنا أنّ دخولها من هذا الباب الذي ذكره . ففي سورة طه " اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليِّناً لعله يذكّر أو يخشى قالا ربنا إننا نخاف أن يفرُط علينا أو أن يطغى " فالعادة أن من يختاره الله سبحانه لأداء واجب لا يصيبه خوف ولا تردد فى تأديته لأن الله ناصره ومعينه على أداء ما وكّل إليه من عمل . ولذلك جاء خوف موسى وأخيه هارون (ع) فى سياق (إنَّ) . لأن خوفهما قد جرى على غير عادة الناس فكان الكلام بحاجة إلى التأكيد . ومثله فى سورة الإنسان ٧٦/١٠ ، إذ كانت فى سياق تعداد صفات الأبرار " ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا إنّما

نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورًا إنا نخاف من ربنا يومًا عبوسًا قمطريرا " . فالعادة عند الناس إذا قدموا مساعدة أو صدقة أو إحسانا يرجون من ورائه ثناء ومدحا . ولذلك جاء خوف (الإبرار) فى سياق (إنّ) لأنهم لا يريدون المكافأة ممن أطعموهم ولكن للخوف من شدة ذلك اليوم . جاء فى الكشاف (إنا نخاف:يحتمل أن : إحساننا إليكم للخوف من شده ذلك اليوم لا لإرادة مكافأتكم)[١] .

٣- أما حاله عندما يجيء ، فعلا مضارعا مثبتًا فقد ورد فى ثمانية عشر موضعا، عشرة مواضع منها مكية ، وثمانية مواضع مدنية. وقد كانت أحواله على ما يأتي:

أ- ما جاء منه فعلا مضارعا مثبتا مسندًا إلى واو الجماعة (يخافون) ورد في اثني عشر موضعا » سبعة مواضع مدنية وخمسة مكية ، وأغلب ما جاء منه صلة للموصول (الذين) أو (مَنْ) (واللاتي) . فقد ورد منه في سورة النساء ٣٤/٤ " واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن " . وفي سورة المائدة ٢٣/٥ " قال رجُلانِ منَ الذين يَخَافُونَ أنعمَ اللهُ عليهما أدخلُوا عليهم الباب " وفي سورة الأنعام ٥١/٦ " وأنذِر به الذين يخافون أنْ يُحشروا إلى ربهم " وفي سورة ق ٤٥/٥٠ " فذكِّر بالقرآنِ من يخافُ وعيدِ " وفي سورة الذاريات ٣٧/٥١ " وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم " . وإذا عدنا إلى تراكيب الآيات الكريمة وجدنا أن الفعل (يخافون) وقع صلة لاسم الموصول (الذين) في أغلبها ، ففي سورة النساء ورد اسم الموصول (اللاتي) وقد وقعت الفاء في سياقه (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن) . فيمكن أن تكون (اللاتي) في موضع نصب ويمكن أن تكون في موضع رفع على الابتداء . جاء في كتاب سيبويه (وتقول : اللذين يأتيانك فاضربهما) تنصبه .. وان شئت رفعته على أن يكون مبنيا على مظهر أو مضمر* ، وان شئت كان مبتدأ لأنه يستقيم أن تجعل خبره من غير

---

(١) الزمخشري ١٩٦/٤ .

* أي تقدر قبله اسم الموصول خبره : هذان اللذان .

الأفعال بالفاء . . ألا ترى انك لو قلت : الذي يأتيني فله درهم .. كـان حسنا[١] . أي أن الوعظ والهجر والضرب إنما وجب بالخوف من النشوز ولذلك فسر الخوف بالعلم عند جماعة من المفسرين ، جاء في تفسير الطبري (اختلف أهل التأويل فقال بعضهم معناه : واللاتي تعلمون نشوزهن . ووجه صرف الخوف في هذا الموضـع إلى العلم في قول هؤلاء نظير صرف الظن إلى العلم) [٢]. ودلالة اسم الموصول (اللاتي) في الآية الكريمة هي إرادة العموم . إن مجـيء الفعـل علـى صـيغة (يخافون) في هذه الآيات الكريمة يدل على وقوع الحدث كثيرا ، فهـو يتكـرر لا يحدث في وقت واحد بل يقع في أزمان مختلفة ومتكررة إذ الخوف مـن الله ومـن الحشر ومن الوعيد ومن العذاب يكون كثيرا ومتكررا .

ب ـ ورد في غير مجال صلة الموصول وغالبا ما يأتي في سياق وصف المؤمنين أو المشركين ، فقد ورد في سورة الأنفال في صف المهاجرين في معرض التـذكير بأحوالهم " واذكرُوا إذْ انتُم قَليلٌ مُستَضعَفُونَ في الأرْض تخافُون أنْ يتخطَفكُم النّاسْ " ٢٦/٨ . وفي سورة النحل ٥٠/١٦ وصف الملائكة " يخافُون ربَّهُم مـن فـوْقهم ويَفْعَلُونَ مَا يُؤمَرونَ ". وفي سورة النور ٧٣/٢٤ " في وصف المؤمنين " رجالٌ لا تُلْهِيْهِم تِجَارَةٌ ولاَ بَيعٌ عنْ ذكْرِ الله " " يَخَافُونَ يومًا تتقلّب فيه القُلُوبُ والأبصـارُ " وفي سورة الإنسان ٧/٧٦ ، في وصف الأبرار " يوفون بالنّذرِ ويخافون يوما كـان شرُهُ مستطيرًا " . ويلاحظ أن ورود الفعل (يخافون) في هذه الآيات الكريمة جـاء ليدل على أن المؤمنين والأبرار والملائكة يظلون في خوفٍ دائـم متكـرر يـلازم قلوبهم ونفوسهم . وتلك ابرز صافتهم التي وصفهم بها القرآن الكريم . جـاء فـي تفسير الطبري (يخافون يومًا تتقلَّب فيه القلوب من هوله بين طمع بالنجاة وحـذر

---

(١) ١٣٩/١ .
(٢) جامع البيان ٦١/٥ ، ومجمع البيان ٩٥/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١٢/٥ .

بالهلاك)[١]، وجاء في كتاب معاني القرآن وإعرابه (يخافون ربهم من فوقهم) أي يخافون ربهم خوف مُخْلَدين معظّمين[٢] .

ج ـ ورد على صيغة (أَفْعَل) في غير مجال صلة الموصول وغالبا ما يأتي في سياق كلام الأنبياء (ع) في جدالهم وردهم ودعوتهم إلى الإيمان بالله . ففي سورة الأنعام على لسان إبراهيم (ع) ٨١/٦ " وكيف أخاف ما أشركتم " وفي سورة يوسف ١٣/١٢ على لسان يعقوب (ع) " قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وانتم عنه غافلون " . وفي سورتي الشعراء والقصص على لسان موسى (ع) " ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون " الشعراء ١٤/٢٦ ، وفي القصص ٣٣/٢٨ " قال ربي إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون " فالخوف في كل هذه المواضع ينسب إلى الأنبياء (ع) لأنهم (ع) في معرض مواقف خاصة وليست في معرض العموم . فالخوف خاص بهم وحدهم . جاء في تفسير الطبري (وكيف أخاف ما أشركتم) . وهذا جواب إبراهيم لقومه حين خوفوه من آلهتهم أن تمسه لذكره إياها بسوء في نفسه بمكروه[٣] . وجاء في مجمع البيان (وأخاف أن يأكله الذئب .. أخاف عليه إذا ذهبتم به للصحراء (أن يأكله الذئب) . فهذه جملة في موضع الحال وتقديره : أخاف أن يأكله الذئب في حال كونكم ساهين عنه)[٤] . وجاء في الجامع لأحكام القرآن (ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون) الذنب هو قتل القبطي .. وخاف موسى أن يقتلوه به[٥] .

---

(١) جامع البيان ١٤٨/١٨ .

(٢) الزجاج ٢٠٣/٣ .

(٣) جامع البيان ٢٥٣/٧ .

(٤) مجمع البيان ٢٥/١٢ .

(٥) القرطبي ٦٣/١٣ .

٤- حاله عندما يجيء فعلا مضارعا منفيًا بــ(لا) : فقد ورد في تسعة مواضــع منها موضع واحد مدني وممكن حصر أحواله بالآتي :

أ- مسندا إلى الضمير الظاهر على صيغة (يفعلون - يخافون) للغائب و (تفعلون ــ تخافون) للمخاطب .

ب- مسندا إلى الضمير المستتر على صيغة (أفعَل ــ أخاف) للمــتكلم وصــيغة (تفعَل ــ يخاف) للمخاطب وصيغة (يفعل - يخاف) للغائب .

ج ــ جوابا للشرط الجازم مقترنًا بالفاء في حاله الرفع .

أما على صيغة (يفعلون) فقد ورد في سورة المائدة ٥/٥٤ في قوله تعــالى " يــا أيها الذين آمنوا من يرتدَّ منكم عن دينهِ فسوف يأتي الله بقوم يُحبُّهم ويُحبونه أذلــة على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومــة لائــم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاءُ واللهُ واسع عليم " . وعلى صيغة (تفعلون) ورد في سورة الأنعام ٦/٨٠ " وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنّكم أشركتم بالله ما لــم يُنزل به عليكم سلطانًا ". وكذلك في سورة الفتح الآية /٢٧ : وعلى صيغة (أفعل) ورد في سورة الأنعام ٦/٨١ على لسان إبراهيم (ع) " وحاجَّه قومه قال أتحــاجُّونّي في اللهِ وقد هداني ولا أخاف ما تُشركون به إلاّ أن يشاءَ ربّي شيئا وسِع ربّي كــلَّ شيء علمًا " وعلى صيغة (تفعل) ورد في سورة طه " فاضربْ لهم طريقًــا فــي البحر يبسًا لا تخاف دَرَكاً ولا تخشى " وعلى صيغة (يفعل) ورد في سورة طــه ٢٠/١١٢ " ومن يعملْ من الصالحاتِ وهو مؤمن فلا يخــاف ظلمــا ولا هضــمًا " وكذلك في النمل ٢٧/١٠ ، وفي سورة الجن ٧٢/١٣ ، وفي سورة الشمس ٩١/١٥ . فالفعل (أخاف ــ يخافون) فيما مرّ من الآيات الكريمة منفي بــ(لا) . و(لا) هذه عندما تدخل على الفعل المضارع تخلصه للاستقبال عند أكثر النحويين[1] . وما ورد منها في الآيات الكريمة آنفا يترجح فيها الاستقبال جاء في تفسير الطبري (لا

(1) للمزيد ينظر : (لا) في اللغة العربية / رسالة ماجستير/ رحيم جمعة علي / كلية الآداب / بغداد/ ١٩٨٨ .

تخاف دركًا ولا تخشى) (لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك ولا تخشى غرقا)[١] . ولكونه واقعا في جواب الشرط مقترنًا بالفاء ففي سورة طه ١١٢/٢٠ " ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما " . وكذلك في سورة الجن ٧٢/ ١٣ " فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسًا ولا رهقًا " ، فالفعل (لا يخاف) واقع في حيز الشرط الجازم ، فالشرط الجازم مهما كانت صيغة فعل الشرط أو الجواب فيه فإنَّ الزمن فيه للمستقبل المحض[٢] .

ويلاحظ أن الفعل المنفي (لا يخاف) الواقع جوابا للشرط جاء مرفوعا وحقه الجزم ، ولذلك يقدر بـ(فهو لا يخاف)[٣]، في سورتي طه والجن . جاء في كتاب سيبويه (وقال : إنْ تأتِني فأكرمُك ، أي فأنا أكرمُك فلا بد من رفع(فأكرمُك) إذا سكتَّ عليه لأنه جواب ، وإنما ارتفع لأنه مبني على مبتدأ)[٤] ، ويبدو أن هناك فرقًا بين إثباتها وحذفها . جاء في تفسير الكشاف (فإن قلت: أي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله.. وكان ذلك كله مستغنًى عنه بأن يقال (لا تخفْ) قلت : ما الفائدة فيه أنه إذا فعل ذلك فكأنه قيل (فهو لا يخاف) فكان دالاًّ على تحقيق أن المؤمن ناجٍ لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره[٥] . ويرى الدكتور فاضل السامرائي أنها تفيد التوكيد فقوله تعالى " فلا يخاف ظلما ولا هضما " آكد من قولنا (لا تخَفْ ظلمًا ولا هضما)[٦] . وقد جاءت القراءات بالجزم (فلا يخفْ) وسنعرض لها في مبحث القراءات . إن شاء الله .

([١]) جامع البيان ١٦/١٩٠ ، ومجمع البيان ١٦/١٢٨ .

([٢]) ينظر الدلالة الزمنية في الجملة العربية / علي جابر المنصوري /١٢٧ .

([٣]) الكشاف ٤/١٦٩ ، ومجمع البيان ١٦/١٤٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/١٥٦ و ١٩/ ١٢ .

([٤]) ٣/٦٩ .

([٥]) الكشاف ٤/١٦٩ .

([٦]) معاني النحو ٤/٤٨٧ .

٥- حاله عندما يجيء فعلا مضارعا مجزوما بـ(لا) الناهية (لا تخف) وقد ورد في ثلاثة عشر موضعًا كلها مكية إلا موضعا واحدا ورد في سورة آل عمران وهي مدنية . وفي هذه المواضع مكيها ومدنيها يكون طلب ترك الخوف موجها إلى الأنبياء في الغالب ولا سيما إبراهيم وموسى عليهما السلام . ففي سور هود والعنكبوت والذاريات كان الخطاب موجها إلى سيدنا إبراهيم (ع) . وفي سورة طه والنمل والقصص كان الخطاب موجها إلى سيدنا موسى (ع) . وفي سورة (ص) كان الخطاب موجها إلى سيدنا داود (ع) . أما في سورتي (آل عمران) و (فصلت) فقد كان الخطاب موجها إلى المؤمنين ولذلك جاء بدلاله الجمع (لا تخافوا) . ومثله في سورة القصص فقد كان الخطاب موجها إلى أم موسى (لا تخافي) . ويلاحظ أن هذا الطلب بعد (القول) . ففي سورة هود ١١/٧٠ ، على لسان الرسل " فلمّا رأى أيديَهم لا تصلِ إليه نكرَهُم وأوجسَ منهم خيفة قالوا لا تخَفْ إنَّا أُرسِلنا إلى قومِ لوط " . وفي سورة طه نسب القول إلى الله سبحانه وتعالى في خطاب موسى " قال القِها يا موسى ، فالقاها فإذا هي حية تسعى . قال خذْها ولا تخَفْ سنعيدُها سيرتها الأولى " ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ . وكذلك الآية /٤٦ من السورة نفسها مع موسى وهارون (ع) " قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى " ومثله في الآية ٦٧/٦٨ من السورة نفسها " فأوجسَ في نفسهِ خِيفةً موسى . قلْنا لا تَخَفْ إنك أنت الأعلى " وفي سورة القصص /٢٥ على لسان شعيب (ع) " قال لا تَخَفْ نجوتَ من القوم الظالمين " وفي سورة العنكبوت ٣٣/٢٩ على لسان الرسل " وقالوا لا تَخَفْ ولا تحزَنْ إنَّا منجوكَ واهلَك إلا امرأتَك كانت من الغابرين " وفي سورة ص /٢٢ على لسان الخصم " قالوا لا تخَفْ خصمانِ بَغَى بعضُنا على بعض " ، وفي سورة الذاريات /٢٨ على لسان ضيف إبراهيم من الرسل " قالوا لا تَخَف وبشَّروهُ بغلام عليم " ، ورد بعد النداء في موضعين أحدهما في سورة النمل ٢٦/١٠ " وألقِ عصاك فلمَّا رآها تهتزُّ كأنَّها جانٌّ ولى مدبرًا ولم يُعقِّبْ يا موسى لا تَخَفْ إنّي لا يَخَاف لديَّ المرسلون " .

والآخر في سورة القصص ٣١/٢٨ " وألقِ عصاكَ فلمَّا رآها تهتزٌّ كأنها جانٌّ ولَّى مدبرًا ولم يعقِّبْ يا موسى أقبلْ ولا تَخَفْ إنك من الآمنين " . فهذه المواضع تنتظم جميعها في سياق طلب ترك الخوف من الأنبياء (ع) والمؤمنين . وهذه المواضع تتوزع على المحاور الآتية :

١- محور المرسلين إلى سيدنا إبراهيم (ع) وقد وردت في هود ١١/ ٧٠ ، والذاريات ٢٨/٥١ . ففي سورة هود ٦٩/١١ ــ ٧٠ " ولقد جاءت رسلُنَا إبراهيمَ بالبشرى قالوا سلامًا قال سلامٌ فما لبثَ أن جاء بعجلٍ حنيذٍ فلمَّا رأى أيديَهم لا تصلِ إليه نكِرَهم وأوجسَ منهم خِيفةً قالوا لا تَخَفْ إنّا أُرسِلْنا إلى قوم لوط " .

وفي سورة الذاريات ٥١/ ٢٤ــ ٢٨ " هل أتاكَ حديثُ ضيفِ إبراهيم المكرمينَ إذْ دخلُوا عليهِ فقالوا سلامًا قال سلامٌ قومٌ منكرون فراغَ إلى أهلِه فجاء بعجلٍ سمين فقرَّبهُ إليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تَخَفْ وبشروهُ بغلامٍ عليم " .

ويلاحظ أن هناك اختلافا بين السياقين ، ففي سورة هود . ابتدأ بتأكيد الخبر باللام وقد (لقد) . وفي سورة الذاريات ابتدأ بـ(هل أتاك) (وهذا اللفظ يستعمل إذا أخبر الإنسان بخبر ماض فيقال هل أتاك خبر كذا وإن علم أنه لم يأته)[1] .

وفى سورة هود نسب الرسل إلى ذاته العلية تشريفا لهم . أما فى سورة الذاريات فوصفهم بـ(ضيف إبراهيم المكرمين) لإظهار معنى الضيافة وتقاليدها وذلك ما سنجده من حفاوة إبراهيم (ع) بهم وإكرامه إياهم (فرفع مجالسهم وخدمهم بنفسه .. لأن أضياف الكرام مكومون)[2] ، وفى سورة هود يميل السياق إلى الاختصار بينما فى سورة الذاريات يميل إلى التفصيل بدليل قوله تعالى " فراغ إلى أهلهِ فجاء بعجلٍ سمينٍ فقرَّبَهُ إليهم قال ألا تأكلون " ، أما فى سورة هود " فما لبِثَ أنْ جاءَ بعجلٍ حينئذ فلمَّا رأى أيديَهم لا تصل إليهِ نكِرهم " فى سورة هود استهل السياق بالبشرى ولذلك تكرّرت هذه اللفظة ثلاث مرات ومال السياق في تفصيل هذه

(١) مجمع البيان ١٥/٢٧ .
(٢) مجمع البيان ١٥/٣٧ .

البشرى التي كانت مقرونة بذهاب الروع عن إبراهيم . بعدها بدأ الحديث عن قوم لوط وما قدّر لهم من (عذاب غير مردود) .

أما في سورة الذاريات فالسياق عن (البشرى) جاء موجزا مختصرًا " قالوا كذلك قال ربُّك إنّه هو العليم الحكيم " . ولكن السياق يميل هنا إلى التفصيل في ذكر العذاب الذي أعد لقوم لوط " قالوا إنّا أُرسِلنا إلى قومٍ مجرمين ، لترسل عليهم حجارة من طين ، مسومة عند ربك للمسرفين ، فأخرجْنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فها غير بيت من المسلمين ، وتركنا فيها آيةً للذين يخافون العذاب " ٣٠ ــ ٣٧ . فيلاحظ أن السياق هنا قد فصّل وأطال بخلاف السياق في سورة هود .

وفي سياق طلب ترك الخوف نلاحظ انه جاء في سورة هود معللا بالجملة الاسمية (إنا أرسلنا إلى قوم لوط) . وفي سورة الذاريات لم يرد سياق طلب ترك الخوف معللا مباشرة ، وإنما جاء التعليل بعد ذكر مجموعة من الآيات (قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم) ثم يأتي التعليل بعد ثلاث آيات (قالوا إنَّا أُرسلنا إلى قوم مجرمين) . ففي سورة هود ذكرهم صراحة بالاسم (قوم لوط) وفي الذاريات ذكرهم بصفهم (إلى قوم مجرمين). واقتران المضارع (تخاف) في هذه المواضع بـ(لا) الناهية بجعل دلالته الزمنية مستقبلية قريبة من زمن الحال إذ إنها (موضوعة لطلب الترك وتختص بالدخول على المضارع وتقتضي جزمه واستقباله)[١] .

٢- أما المحور الثاني فهو محور عصا موسى (ع) إذ ورد في سورة طه الآيتين (٢١ ، ٦٨) وفي سورة النمل الآية (١٠) وفي سورة القصص الآية (٣١) . ففي سورة طه كان سياق القصة من الآية ١٧ ــ ٢١ " وما تلك بيمينك يا موسى ، قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهشّ بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ، قال القِها يا موسى ، فألقاها فإذا هي حيةٌ تسعى . قال خُذْها ولا تَخَفْ سنعيدُها سيرتها الأولى " ، وفي السورة نفسها ترد القصة بين الآية ٦٥ ــ ٦٨ " قالوا يا موسى إمّا

---

(١) مغني اللبيب ٢٤٦ ، وينظر الدلالة الزمنية في الجملة العربية ١٢٠ .

أن تلقي وإمّا أنْ نكونَ أوّلَ من ألقى ، قال بل ألقُوا فإذا حبالُهم وعِصيُّهم يُخيَّلُ إليه من سحرِهم أنّها تسعى ، فأوجسَ في نفسه خِيفةً موسى ، قلنا لا تَخَفْ إنكَ أنت الأعلى" . **وفي سورة النمل ترد القصة بين الآية ٨ والآية ١٠** " فلمَّا جاءَها نُودِيَ أن بوركَ من في النار ومن حولها وسبحانَ الله ربِّ العالمين يا موسى إنه أنَا الله العزيز الحكيم ، وألقِ عصاكَ فلمّا رآها تهتزُّ كأنَّها جانٌّ ولّى مدبرًا ولم يُعقِّب يا موسى لا تخَفْ إنِّي لا يخاف لديَّ المرسلون " **وفي سورة القصص ترد القصة بين ٣٠ ــ ٣١** " فلمَّا أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا ربّ العالمين وأنْ ألقِ عصاك فلما رآها تهتزُّ كأنَّها جانٌّ ولّى مدبرًا ولم يُعقِّب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين " ويلاحظ في هذه المواضع أن المقامات **في سورة طه / ٢١ ، والنمل /١٠ ، والقصص/ ٣١ هي** مقامات تشريف وتكريم لموسى **(ع) ففي سورة طه كان لقاؤه بالذات العلية** " وما تلك بيمينك يا موسى ". **وفي سورتي النمل والقصص كان اللقاء في البقعة المباركة** عندما (نودي) **موسى(ع) . أما في سورة طه الآية/ ٦٨ ، فقد كان لقاؤه (ع) مع سحرة فرعون الذين ألقوا العصي والحبال فسبب ذلك له الخوف . وإذا عدنا إلى طلب ترك الخوف في هذه المواضع وجدنا انه جاء عقب انقلاب العصا . وهذا الانقلاب جاء مره مصحوبًا بالمفاجأة في سياق (إذا) الفجائية ، ومرة مصحوبًا** بزمن الرؤية في سياق (لمَّا) التي **(هي للأمر الذي قد وقع لوقوع غيره)**[1]، **ويلاحظ أن السياق في الآية (٢١) من سورة طه ورد ذكر العصا مرة واحدة ثم طوي ذكرها بالمضمر فقد جاء ذكرها عندما أجاب عن السؤال " وما تلك بيمنك يا موسى " " قال هي عصاي " ثم طوي ذكر العصا ولم تذكر صراحة " قال القها .. فألقاها فإذا هي ... قال خذها .. سنعيدها سيرتها ..." ويلاحظ أيضا أن موسى (ع) نسب إلى نفسه العصا في جوابه . فقال (هي عصاي) لما فيها من منافع كثيرة**

---

(1) الكتاب ٢٣٤/٤ .

فلا يستطيع الاستغناء، عنها كأنها جزء منه . ولذلك سنلاحظ أن الله سبحانه وتعالى عندما يخاطب موسى (ع) في سورتي النمل والقصص فنسب العصا إلى (موسى) " وألقِ عصاك " "وأنْ ألقِ عصاك " ولذلك جاء التسكين من الله صراحة في سورتي النمل والقصص فقال سبحانه " لا تخف إنّي لا يخافُ لديَّ المرسلون " النمل /١٠ ، وقال سبحانه في سورة القصص ٣١ " إنّك من الآمنين . بخلاف آية طه لم يرد التسكين صراحة وإنما جاء بصوره غير مباشرة في قوله تعالى " سنعيدها سيرتها الأولى " . أما في سياق الآية /٦٨ من سورة طه فالقصة كانت مع سحرة فرعون إذ الموقف موقف مواجهة وتحدٍ ولذلك جاء التسكين من الله فى قوله تعالى " قلنا لا تَخَفْ إنّك أنت الأعلى " مؤكدا بأن والضمير المنفصل . جاء فى المثل السائر فتوكيده الضميرين ها هنا في قوله (انك أنت الأعلى) أنفى للخوف من قلب موسى وأثبت في نفسه للغلبة والقهر[١] . وجاء فى الإعجاز اللغوي للقصة القرآنية " أي المستعلي عليهم بالظفر والغلبة . والجملة التالية للنهي تعليل للنهى عن الخوف[٢] . ويبدو ــ والله اعلم ــ أن الخوف الذي انتاب قلب موسى (ع) لم يكن على درجة واحدة ففي مقامات التشريف كان خوفه أعظم لأن إلقاء العصا وانقلابها صحبتهما صورة مخفية مفزعة فبدت كأنها جان تهتزُّ ولذلك جاء التركيب " ولى مدبرًا ولم يعقِّب " تصويرا لعظم الخوف الذي انتابه ولهذا جاء النداء صريحا باسمه (ع) (يا موسى) لإشعاره بمكانته القريبة من الله سبحانه . جاء في تفسير مجمع البيان " يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون " وهذا تسكين من الله سبحانه لموسى ونهي له عن الخوف يقول له انك مرسل والمرسل لا يخاف لأنه لا يفعل قبيحا"[٣].

---

(١) ابن الأثير ٥٠٢/٢ .

(٢) الإعجاز اللغوي للقصة القرآنية / محمود السيد ٢٩٦ .

(٣) الطبرسي ٢٠٠/١٩ .

ويلاحظ أن نداء موسى (ع) قد تكرر في قصة إلقاء العصا وانقلابها ولهذا الذكر والتكرار أسباب يوجبها السياق . منها أن موسى (ع) كان في مقام ذعر وخوف (فهو محتاج إلى أن يطمئنه ربه بندائه باسمه الصريح الذي يشعره بأنه معه .. ولم يتركه نهبا للموقف العصيب)[١].. ومنها (أن الله جل وعلا كان يعدّ موسى للذهاب إلى فرعون ، وهو من هو في التسلط والجبروت والظلم ، وموسى لم يتمرس بعد بمعجزاته من العصا وضم يده إلى جناحه .. فكرر ذكر اسمه في ثلاثة الأرباع الأولى ، في سورة طه ست عشرة مرة فكان لا بد من الذكر حتى تزول آثار الخوف)[٢] ، ويلاحظ أن القصة في سورة النمل استهلت بقوله تعالى " فلما جاءها " أما في سورة القصص فقد استهلت بـ(لما آتاها) . يقول الدكتور فاضل السامرائي (والذي استبان لي أن القرآن الكريم يستعمل المجيء ، لما فيه صعوبة ومشقة أو لما هو أصعب واشق مما تستعمل له (أتى) [٣] ، ويبدو والله أعلم أن سياق القصة في سورة النمل أشق وأصعب بديل قوله تعالى " إني لا يخاف لدي المرسلون " فلفظة (لديّ) فيها ما فيها من معنى الرعاية والحماية ما يتناسب وصعوبة الأمر ومشقته .

٦- حالة عندما يجيء على صيغة (فَعّل ـ يُفعّل) المضعف . وقد ورد في أربعة مواضع كلها مكية إلا موضعا واحدا مدنيا . ففي سورة آل عمران ٣/١٧٥ أُسند إلى الشيطان " إنّما ذلكم الشيطانُ يُخَوِّف أولياءه ..." أما في سورة الإسراء ١٧/٦٠ ، وسورة الزمر ٣٩/١٦ فقد أُسند إلى الله سبحانه وتعالى وأسند إلى واو الجماعة العائد على كفار قريش في الآية /٢٦ من سورة الزمر . إن مجيء الفعل (خاف) في هذه المواضع على بناء (فعّل) للدلالة على التكثير والشدة والتكرار في الحدث[٤] . وفي بنائه يقول سيبويه (وتلحق العين الزيادة من موضعها فيكون الحرف على

---

(١) فكرة النظم بين وجوه الإعجاز / د. فتحي أحمد عامر /١٨٩ .
(٢) نفسه / ١٨٩ .
(٣) لمسات بيانية ٧٤ .
(٤) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي / د. رمضان عبد التواب /٢٣٢ .

فعّل)[١] . وجاء في المقتضب (ويكون الفعل على فعّل فيكون مستقبله على (يُفعِّل) ... والمصدر على التفعيل قطَّعتُ تقطيعًا وكسَّرتُ تكسيرًا)[٢] . وإذا عدنا إلى المواقع التي ورد فيها الفعل على بناء (فعّل) وجدنا انه لم يرد على بناء (فعَّل) الدالّ على الماضي وإنما ورد على بناء (يفعّل) الدال على الحال والاستقبال ففي سورة آل عمران ١٧٥/٣ " إنما ذلكم الشيطان يخوِّف أولياءه فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين " لاحظ أن الفعل ورد في سياق (إنما) التي تستعمل في كلام لا يكون معه المخاطب منكرا جاهلا به أو لما ينزل هذه المنزلة ، جاء في كتاب دلائل الإعجاز (اعلم أن موضوع (إنما) على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما ينزل هذه المنزلة)[٣] ، فقوله تعالى " إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياء " فهو خطاب إلى المسلمين الذين لا يجهلون هذه الصفة إلا أنه أريد التنبيه على هذه الصفة إذ السياق الذي وردت فيه الآية يستدعي ذلك ، فالآية نزلت في معركة (أحد) بعدما أصاب المسلمين ما أصابهم من جروح وقروح ثم أرجف في صفوف المسلمين أن أبا سفيان ومعه كفار قريش ندموا لأنهم تركوا المسلمين دون أن يستأصلوهم ، فجاءت أخبار التخويف إلى صفوف المسلمين بأن أبا سفيان ومن معه قرروا العودة لقتال المسلمين ولما تلتئم جروحهم إذ كان للمنافقين أثر كبير في إشاعة هذا التخويف بين صفوف المسلمين فجاءت الآية مصدرة بـ(إنما) لتناسب السياق . والأثر المهم في الآية الكريمة هو ليس التنبيه على تخويف الشيطان وإنما المهم هو طلب ترك التخوف من الشيطان وأولياءه والنهي عنه ، وأهم من ذلك كله هو مخافة الله فجاء النهي مصدرًا بالفاء (فلا تخافوهم) ثم ربط هذا النهي بمخافة الله سبحانه (وخافونِ إن كنتم مؤمنين) . وفي توجيه قوله تعالى " يخوّف أولياءه " ذكر اللغويون والمفسرون أكثر من توجيه ، جاء في معاني القرآن للفراء (يقول : يخوفكم بأوليائه) على تقدير (كم) مفعولا به . وجاء في تفسير الطبري (فإنْ

(١) الكتاب ٢٨١/٤ .
(٢) المقتضب ٧٤/١ .
(٣) الجرجاني ٣١٥ ، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز / فخر الدين الرازي ١٨٢ .

قال قائل : كيف قيل (يخوّف أولياءه) وهل يخوّف الشيطان أولياءه .. قيل إن كان معناه يخوّفكم بأوليائه يخوّف أولياءه قبل ذلك . نظير قوله تعالى " لينذر بأسا شديدا " بمعنى لينذركم بأسه الشديد .. وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : يخوّف الناس أولياءه ، كقولك هو يعطي الدراهم . فحذف ذلك للاستغناء عنه)[١] . وقال بعضهم (أي إنما يخاف المنافقون ومن لا حقيقة لإيمانه)[٢] . وذكر الطبرسي (وقيل معناه إن الشيطان يخوّف المنافقين الذين هم أولياؤه وأنهم هم الذين يخافون من ذلك التخويف ... فيقعدوا عن متابعة الرسول)[٣] . والفعل (يخوّف) يتعدى إلى مفعولين يقال خاف زيد القتال . وخوّفته القتال ، ولذلك يقدرونه بـ(يخوفكم) . وجملة (يخوّف أولياءه) أما مستأنفة . و(ذلكم الشيطان) مبتدأ وخبر . أو تكون خبرا . والشيطان صفة لاسم الإشارة[٤] . وجملة (يخوّف أولياءه) تقديره يخوّفكم بأوليائه فحذف المفعول الأول والباء من المفعول الثاني[٥] . أما في سورة الإسراء الآية (٦٠) فقد جاء الفعل منسوبًا إلى الله سبحانه فقال تعالى " ونخوّفهم فما يزيدهم إلاّ طغيانًا كبيرًا " والسمة العامة في الاستعمال القرآني أن الله سبحانه ينسب إليه أفعال الخير والفضل والنعمة فإذا كان الفعل من أفعال الشر والعقوبة والتعذيب بني الفعل للمفعول وطوي ذكر الفاعل . والأمثلة كثيرة في ذلك منها قوله تعالى " ولكن الله حبّبَ إليكم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان " الحجرات ٤٩/٧ ، أما في الآية ـ موضوع البحث ـ فقد نسب التخويف إليه سبحانه لان المقام يقتضي ذلك إذ إن في هذا التخويف

(١) معاني القرآن ١/٢٤٨ ، جامع البيان ٣/١٨٣ ، وتفسير غريب القرآن / ابن قتيبة ١٦ .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٩٠ .
(٣) مجمع البيان ٤/٢٧٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٤/١٨٠ .
(٤) الكشاف ١/٤٨١ .
(٥) البيان في غريب إعراب غريب القرآن / ابن الأنباري ١/٢٣١ .

صلاحًا لهم وهداية لعقولهم في ترك طريق الضلال المؤدي إلى النار وإتباع طريق الهدى المؤدي إلى الجنة وحسن العاقبة . فهذه النسبة لا تتنافى مع تلك السمة العامة التي تميز بها التعبير القرآني . ومثله ما جاء في سورة الزمر ١٦/٣٩ " لهم من فوقهم ظللٌ من النار ومن تحتِهم ظُلَلٌ ذلك يخوّف الله به عباده يا عباد فاتقونِ جاء في تفسير الطبري (تخويفٌ من ربكم لكم . يخوفكم به لتحذروه)[١] .

٧- حاله عندما يجيء من كدا في موضع واحد في سورة الأنفال ٥٨/٨ وهي سورة مدنية " وإما تخافَنَّ من قومٍ خيانةً فانبذ إليهم على سواء إنَّ الله لا يحبُّ الخائنين " . فالفعل (تخاف) في سياق التوكيد الواقع في مجال إن الشرطية ، جاء في كتاب معاني القرآن للفراء (ولا تكاد العرب تدخل النون الشديدة ولا الخفيفة في الجزاء حتى يصلوها بـ(ما) فإذا أوصلوها آثروا التنوين)[٢]. والسبب في ذلك (لأنهم شبهوا (ما) باللام التي في (لتفعلَنّ) لما وقع التوكيد قبل الفعل ألزموا النون آخره كما ألزموا هذه اللام وان شئت لم تقحم النون كما أنك إن شئت لم تجئ بها)[٣] . أي أن (ما) شبيه بلام القسم في التوكيد ووجه الشبه بينهما (أنها حرف للتأكيد)[٤] . جاء في تفسير مجمع البيان (ولو لم يدخل (ما) لما حسن دخول النون لأن دخول (ما) كدخول القسم في انه علامة تؤذن انه من مواضع تأكيد المطلوب من التصديق)[٥] ويلاحظ أن كلمتي (قوم وخيانة) جاءتا نكرتين إذ يدلان على العموم والمراد بهما التخصيص فـ(قومِ) يراد بهم الناقضون للعهد ، و(خيانة) مراد بها خيانة العهد . والله أعلم .

---

(١) جامع البيان ٢٠٥/٢٣ .

(٢) ١/ ٤١٤ .

(٣) الكتاب ١٥٣/٣ .

(٤) شرح ابن يعيش ١٤/٩ .

(٥) الطبْرَسي ١٦٧/٩ .

٨- حاله عندما يجيء منصوبًا وقد ورد في موضعين في سورة البقرة وفي سورة المائدة وهما من السور المدنية . ففي سورة البقرة الآية (٢٢) جاء الفعل (يخاف) منصوبا بأداة النصب (أن) في قوله تعالى " الطلاق مرتان فإمساك معروف أو تسريح بإحسان ولا يحِلُّ لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أنْ يخافا ألا يقيما حدود الله فلا جُناحَ عليهما فيما افتدت به تلك حدودُ اللهِ فلا تعتدوا ومن يعتدَّ حدودَ اللهِ فأولئك هم الظالمون " . ودخول (أن) على الفعل للدلالة (على إمكان الفعل دون الوجوب والاستحالة .. وأنها تدلّ على مجرد معنى الحدث دون احتمال معنى زائد عليه ففيها تحصين من الإشكال)[١] ، والمصدر المؤول من (أن والفعل) (أن يخافا) في موضع نصب على الاستثناء ، من غير الجنس[٢]. وقيل (أن يخافا) موصول وصلة موضعها نصب بأنه مفعول له تقديره لمخالفتها[٣] . أما من ناحية الزمن فأنها تصرف الفعل المضارع لزمن الاستقبال غالبا .

رابعا : اسم الفاعل :

حاله عندما يجيء على بناء اسم الفاعل منصوبا إذ ورد في ثلاثة مواضع احدها مدني والآخران مكيان ، أما المدني فقد ورد في سورة البقرة الآية /١١٤ " ومن أظلمُ ممن منع مساجدَ الله أن يُذكَرَ فيها اسمُه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلاّ خائفين لهم في الدنيا خزيٌ ولهم في الآخرة عذابٌ عظيمٌ " فقوله تعالى (إلا خائفين) منصوب على الحال وقد وقع في سياق الاستثناء المفرغ . ونوع الحال هنا (مقدرة) وهي المستقبلة التي يكون وقوعها بعد زمن عاملها بدلالة (أن يدخلوها) . أما الاستثناء المفرغ فأنه يفيد القصر والاختصاص (وإذا قلت ما جاءني زيدٌ إلاّ راكبًا) فقد اختصصت هذه الحال دون غيرها من المشي

---

(١) بدائع الفوائد ٩٢/١ .
(٢) البيان في غريب إعراب القرآن ١٥٧/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٩١/٣ .
(٣) مجمع البيان ٢٣٠/٢ .

والعدو ونحوه(١) . جاء في الكشاف (ما ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلاّ خائفين " على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم)(٢) وقيل هو خبر ومقصوده الأمر أي جاهدوهم واستأصلوهم حتى لا يدخل احدهم المسجد الحرام إلا خائفاً(٣) . أما الموضعان المكيان فقد وردا في سورة القصص في الآيتين (١٨) و (٢١) وكلاهما في سياق قصة سيدنا موسى (ع) . قال تعالى " فأصبح في المدينة خائفًا يترقَّبُ فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغويٌّ مبينٌ " /١٨ . وفي الآية " وجاءَ رجلٌ من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرونَ بك ليقتلوكَ فاخرُجْ إني لك من الناصحين " " فخرج منها خائفا يترقَّب قال ربِّ نجّني من القوم الظالمين " . فالآية جاءت في سياق حادثة قتل القبطي " فوكزه موسى فقضى عليه " /١٥ . ثم طلب موسى (ع) المغفرة من ربه فغفر له إنه هو الغفور الرحيم " /١٦ . فالآية الكريمة تصور مدى الفزع الذي استبد بموسى (ع) . فلفظة (يترقّب) ترسم هيئة الحَذِر المتلفت الذي يبدو في قلق شريد .. ولفظة (في المدينة) موضع الأمان والاطمئنان لإبراز درجة الفزع التي انتابت نفسه واجتاحت قلبه (ع). وتقديم كلمة (خائفا) على (يترقب) فيها إشارة موحية بمبلغ ذلك الفزع(٤) . جاء في تفسير الطبري (فأصبح موسى في مدينة فرعون خائفا من جنايته التي جناها وقتله النفس التي قتلها أن يؤخذ ويقتل بها (يترقّب) الأخبار أي ينتظر ما الذي يتحدث به الناس)(٥). أما في الآية /٢١ فإنه (ع) خرج خائفا بعد أن أخبره الرجل الذي (جاء من أقصى المدينة) بأن الملأ (يأتمرون بك ليقتلوك) فنصحه بالخروج (فخرج منها خائفا يترقب) . فقد كان (ترقبه) في محله إذ كان في ترقب أن يدركه عدوه وهو خارج المدينة تلقاء مدين ولذلك جاء دعاؤه بطلب النجاة " قالَ ربِّ نجِّني من القوم الظالمين " . فالحال هنا

(١) البرهان ٢٤١/٤ .
(٢) الزمخشري ٣٠٦/١ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٥٤/٢ .
(٤) ينظر الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ٧١ ، وصفاء الكلمة /عبد الفتاح لاشين /١٢ .
(٥) جامع البيان ٤٧/٢٠ ، ومجمع البيان ٢٧٤/٢٠ .

مؤسسة وهي التي تبين هيئة صاحبها عند وقوع الحدث غالبًا[١] . وترقبه هنا غير ترقبه في الآية /١٨ . فهناك كان ترقبه وهو في داخل المدينة بين ظهراني فرعون وملئه ولكن المدينة وزحامها يجعلانه قادرًا على الاختباء والاستتار فلا يناله عدوه بسهولة . أما ترقبه هنا فقد صار خارج المدينة منفردًا يمكن اللحاق به لو قدر لعدوه أن يلحق به ولذلك جاء دعاؤه بطلب النجاة " قَالَ ربِّ نجِّني من القوم الظالمين" . جاء في تفسير الطبري (فخرج موسى من مدينة فرعون خائفا من قتله النفس أن يقتل به (يترقب) ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذوه)[٢] .

٨ - أما وروده على صيغة الأمر فقد ورد في موضع واحد في سورة آل عمران " إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين " ويلاحظ أن فعل الأمر (خافونِ) قد جاء بحذف (الياء)، ولهذا دلالته إذ إن حذفها وذكرها لا يستويان ، جاء في كتاب التعبير القرآني (إن الاجتزاء بالكسرة عن الياء ، يختلف عن ذكر الياء، في كل ما ورد في القرآن الكريم عدا خواتيم الآي والنداء .. ففي كل موطن ذكر الياء، فيه يكون المقام مقام إطالة وتفصيل في الكلام بخلاف الاجتزاء بالكسرة فان فيه اجتزاء في الكلام)[٣] . وإذا عدنا إلى سياق الآية الكريمة وجدنا أن المقام ليس مقام إطالة وتفصيل إذ السياق اللفظي يؤكد ذلك فالآية مسبوقة بقوله تعالى " فانقلبوا بنعمةٍ من اللهِ وفضلٍ لم يمسسْهم سوءٌ وابتغوا رضوانَ اللهِ واللهُ ذو فضلٍ عظيمٍ " ، فلفظة (فانقلبوا) فيها من الإيحاء ما يدل على الاجتزاء والاختصار ، فقد تم الأمر بسرعة دون إطالة وبذلك يكون حذف الياء من (خافونِ) متسقًا مع المعنى والسياق والله اعلم .

---

(١) معاني النحو ٢/٧٠٨ .
(٢) جامع البيان ٢٠/٥٢ .
(٣) التعبير القرآني ٧٦ .

مادة (أنذر وتصريفاته)

ورد اللفظ (أَنْذَر) وتصريفاته في أكثر من مئة وثلاثة عشر موضعًا ، ولهذا جاءت درسته على شكل مباحث يختص كل مبحث بلفظ خاص من مادة (أنذر) وتصريفاته إذ إن كثرة وروده في الاستعمال القرآني اقتضت ذلك .

المبحث الأول : على صيغة (فعيل) (نذير)

أولاً : اقترانه بكلمة (بشير ومبشر) ويلاحظ في الاستعمال القرآني انه يأتي في الغالب في حالة النصب فتتقدم كلمة (بشيرًا) على (نذيرًا) فيكون التركيب (بشيرًا ونذيرًا) ويأتي في حالة رفع فتتقدم كلمة (نذير) على (بشير) فيكون التركيب (نذير وبشير) ويأتي في موضع واحد مجرورا بـ(مِنْ) الزائدة فتتقدم كلمة (بشير) على (نذير) . ويلاحظ أيضًا أن التركيب (بشيرًا ونذيرًا) يقع في مجال الفعل (أرسلناك) في الغالب ففي سورة البقرة ١١٩/٢ " إنَّا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرًا ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم " . وفي سورة الإسراء ١٠٥/١٧ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا بشيرًا ونذيرًا " وفي سورة سبأ ٢٨/٣٤ " وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيرًا ونذيرًا ولكن أكثر الناس لا يعلمون " وفي سورة فاطر ٣٤/٣٥ " إنّا أرسلناكَ بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا " وفي سورة الفتح ٨/٤٨ " إنَّا أرسلناك شاهدًا ومبشّرًا ونذيرًا " وفي سورة الأحزاب ٤٥/٣٣ " يا أيّها النبيّ إنَّا أرسلناك شاهدًا ومبشّرًا ونذيرًا " وفي الآية /٥٦ من سورة الفرقان " وما أرسلناك إلاّ مبشّرًا ونذيرًا " ويلاحظ في كل هذه المواضع أولا النصب وثانيا تقدم كلمة (بشيرًا) على (نذيرًا) فالتبشير إخبار فيه سرور والإنذار إخبار فيه تخويف ، والبشير : المبشر. والنذير : المنذر ويقع على شيء فيه إنذار ، إنسانًا كان أو غيره. والإرسال يقال في الإنسان وفي الأشياء المحبوبة والمكروهة[1] . ويلاحظ أحيانا أن (بشيرا) و(مبشّرًا) يتعاقبان مرة يكون التركيب (بشيرًا ونذيرًا) ومرة (مبشّر ونذيرًا) كما يلاحظ في هذه المواضع إظهار الفاعل في (أرسلناك) وهو

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ٣٥٣ و٧٩٧ .

ضمير العظمة (نا) الدال على الذات العلية ومد أردف بكافٍ النبوة . فـــ(نـــا) تشير إلى الله سبحانه والكاف تشير إلى نبيه (ص) فاجتمعا معًا للدلالة علـــى علـــوّ منزلة النبي (ص) عند الله والى عنايته سبحانه بنبيه الكريم ولذلك جاء التبشير أولاً لقربه من كاف النبوة . جاء فى الكشاف (وهذه تسلية لرسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم وتسرية عنه)[١] وفى ترك ذكر المبشر به والمنذر به وعدم تقييده دلالة على كل ما فيه مسرة للإنسان وعلى كل ما فيه تخويف وإنذار . جاء فى الكشاف (إنـــا أرسلناك : لأنْ تبشر وتنذر)[٢] . فبشيرًا ونذيرًا نصبا على الحال . والنذير المحذر وقيل فعل بمعنى مُفعِل[٣] .

أما عندما يتقدم (نذير) فيكون الموضع موضع رفع ففي سورة الأعـــراف ١٨٨/٧ " إنْ أنا إلاّ نذيرٌ وبشيرٌ لقوم يؤمنون " فقرب (بشير) من (لقومٍ يُؤمنـــون) لأنـــه فيه سرور وابعد الإنذار عنهم لما فيه من تخويف ولأنه يعم المؤمنين وغيرهم . أما البشير فقد خصهم به . جاء فى مجمع البيان وخصهم بالـــذكر لأنهـــم المنتفعـــون بذلك[٤] . وفي سورة هود ٢/١١ " ألاّ تعبدوا إلاّ الله إنني لكم منه نـــذيرٌ وبشـــيرٌ " وتقديم (نذير) جاء متسقًا مع السياق اللفظي للآية التـــي قبلهـــا إذ جـــاء وصـــف (الكتاب) (أحكمت آياته ثمّ فصلت) والإحكام منع الفعل من الفساد . ثم إنـــه (مـــن لدن حكيم خبير) فالحكيم يحتمل فعيل بمعنى مُفعِل أي مُحكِم أفعاله ويحتمل بمعنـــى عليم[٥] . ثم جاء الأمر بقوله تعالى " ألاّ تعبدوا إلاّ اللهَ " ولذلك جـــاء الإنـــذار أولاً بتقديم كلمه (نذير) جاء فى الكشاف (والضمير فى (منه) لله عز وجل . أي إنني

---

(١) الزمخشري ٣٠٨/١ .

(٢) نفسه ٣٠٨/١ .

(٣) اللسان ٥٥/٧ (تنذر) .

(٤) الطبرسي ٧٩/٩ .

(٥) الزمخشري ٢٥٧/٢ .

لكم نذير وبشير من جهته) ويلاحظ تقديم الجار والمجرور (لكـم) للتخصـيص. أي تخصيصهم بالإنذار والتبشير ، أي انه (ص) مخوف من مخافة الله وعصيانه بـألیم العقاب[١] . وتقديم كلمه (نذير) متسق مع سياق السورة كلها فكلمـة (بشـير) لـم تتردد فى السورة كلها إلا مرة واحدة . أما كلمة (نذير) فقد ترددت ثلاث مـرات كما أن الجو العام للسورة مبنى على الإنذار والتخويف والوعيد إذ ورد الإنذار مـع كل قصة من قصص الأنبياء ابتداء بـالنبي (ص) " إنمـا أنـت نـذير " /١٢ ثـم تستعرض سور قصص الأنبياء مع قومهم بدءًا بنوح (ع) " ولقد أرسلنا نوحـا إلـى قومه إنِّي لكم نذيرٌ مبينٌ " /٢٥ ، وقصته مع قومـه وصـنعه السـفينة . وقصـة الطوفان واستواؤها على الجودي . ثم قصة هود مع قومه ثم قصـة صـالح (ع) " وأخذَ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين " /٦٧ وهكذا سائر قصص الأنبياء التي وردت في السورة ثم تأتي خاتمة السورة بهذا الوعيد " وقُـل للـذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنّا عاملون " الجو العام للسـورة مشـحون بـالخوف والوعيد والإنذار لذلك كان تقديم (نذير) فى أول السورة يتسق مع السياق العام له

ثانيا : حاله عندما يأتي محصورا بـ(إلا) فى أسلوب القصر بـ(مـا) . و(إلا) وقد ورد في خمسة مواضع كلها مكية منها أربعة فها القصر بـ(إن و إلا) وموضع واحد فيه القصر بـ(ما) و(إلا). ففي سورة الأعراف ١٨٤/٧ " أولم يفكِّروا ما بصاحبهم من جِنّة إن هو إلاّ نذيرٌ مبينٌ " والآية /١٨٨ من السورة نفسها " هـل لا املك لنفسي نفعًا ولا ضُرًّا إلاّ ما شاء الله ولو كنتُ أعلمُ الغيب لاستكثرتُ من الخير وما مسّني السوء إنْ أنا إلاَّ نذيرٌ وبشيرٌ " وفي سورة فـاطر ٢٢/٣٥ " ومـا أنـت بمسمعٍ من في القبورِ " " إنْ أنتَ إلاّ نذيرٌ " ٢٣/٣٥ . ويلاحظ أن القصر في هـذه الآيات الكريمة جاء بـ(إنْ) و (إلا) . أما في سورة الأحقاف ٩/٤٦ " قُـل مـا كنتُ بدعًا من الرسل وما أدرى ما يُفعل بي ولا بكم إنْ اتّبعُ إلاّ ما يُوحى إليّ ومـا أنا إلاّ نذيرٌ مبينٌ " فقد جاء القصر بـ(ما) و (إلا) . وقد مـر بنـا أن القصـر

---

(١) مجمع البيان ١١٣/١٢ .

بالنفي والاستثناء يكون لما ينكره المخاطب أو ما ينزّل هذه المنزلة[١] . جاء في دلائل الإعجاز في قوله تعالى " وما أنت بمسمع من في القبور إنْ أنت إلا نذير " فاطر ٣٥/٢٢ ـ ٢٣ .

(إنما جاء والله أعلم بالنفي والإثبات لأنه لما قال تعالى " وما أنت بمسمعٍ من في القبور " وكان المعنى في ذلك أن يقال للنبي صلى الله عليه وسلم : إنك لن تستطيع أن تحول قلوبهم عما هي عليه من الإباء ... مع إصرارهم على كفرهم . . كان اللائق بهذا أن يجعل حال النبي (ص) حال من قد ظن انه يملك ذلك ومن لا يعلم يقينا انه ليس في وسعه شيء أكثر من أن ينذر ويحذر ، فأخرج الخطاب مخرجه إذا كان الخطاب مع من يشك فقيل : " إن أنت إلا نذير ")[٢] ، ومثله قوله تعالى في سورة الأعراف ٧/١٨٨ " إنْ أنا إلاّ نذيرٌ وبشيرٌ لقوم يؤمنون " والفرق بين (إنْ) و (ما) أنها آكد من (ما) يدل على ذلك اقترانها الكثير بـ(إلا) وهذا يعطيها قوة وتأكيدًا . وفد وردت في القرآن الكريم في عشرة ومئة موضع كلها مقترنة بـ(إلا) أو (لمّا) عدا سبع آيات[٣] . ويلاحظ أنها جاءت مع كلمة (نذير) في أربعة مواضع وأن (ما) جاءت معه في موضع واحد وإذا أجرينا موازنة بين الحصر بـ(إنْ) والحصر بـ(ما) مع (إلاّ) وجدنا أنّ (إنْ) تأتي في المواضع التي يحتاج السياق إلى مزيد من التوكيد ففي سورة الأحقاف جاء القصر بـ(ما) و(إلا) " قل ما كنتُ بدعًا من الرسل وما ادري ما يُفعلُ بي ولا بكم إنْ اتبعُ إلاّ ما يوحى إليّ وما أنا إلاّ نذيرٌ مبينٌ" فسياق الآية هو الدعوة الهادئة. جاء في مجمع البيان (معناه لست أدعي غير الرسالة ولا إدعي علم الغيب ولا معرفة ما

---

(١) دلائل الإعجاز ٣١٧ .

(٢) دلائل الإعجاز ٣١٩ .

(٣) ينظر معاني النحو ٤/٥٧٦ .

يفعله الله بي ولا بكم في الإحياء والإماتة والمنافع والمضار إلا أن يوحى إليّ)[1] .
فيلاحظ الهدوء في مناقشتهم فيما يعرضون من قضايا البعث والوحي والإيمان فلذلك جاء القصر بـ(ما) و(إلاّ) بخلاف ما جاء قي سورة الأعراف " أولم يَتَفكَّروا ما بصاحبِهم من جِنّة إنْ هو إلاّ نذيرٌ مبينٌ " فهذا موضع جاء قيه القصر بـ(إنْ) و(إلاّ) إذ يلاحظ أن المقام هنا فيه هذا الإنكار والدعوة إلى أن يتفكروا ليعلموا الحق من الباطل يدل على ذلك :

١- الاستفهام بالهمزة الذي فيه معنى التوبيخ .

٢- وصفه (ص) بالجِنَّة في حين وصف بـ(بِدْعًا) في الآية الأولى والوصف بالجِنّة اشد إيلامًا وإيذاء .

٣- من الزائدة التي تفيد الاستغراق وتأكيد النفي .

فالمقام هنا يختلف عنه في الآية الأولى فجاء القصر بـ(إنْ) و (إلاّ) فدل ذلك على أنها آكد من (ما)[2] .

أما دلالة القصر بالنفي والاستثناء فلمعنى الاختصاص جاء في دلائل الإعجاز(واعلم أن قولنا في الخبر إذا أخّر نحو (ما زيدٌ إلاّ قائمٌ) أنك اختصصت القيام من بين الأوصاف التي يتوهم كون زيد عليها) . أي (أنك نفيت عنه الأوصاف التي تنافي القيام نحو أن يكون جالسًا أو مضطجعًا أو متكئًا أو ما شاكل ذلك)[3] . فقوله تعالى " إنْ هو إلا نذيرٌ كأنما نفي عنه (ص) الأوصاف التي تنافي الإنذار كأن يكون مطمئنًا أو مؤمنًا والله أعلم . وهذا خاص بسياق الآية فقط .

أما القصر (إنّما) فقد ورد في أربعة مواضع منها ثلاثة مكية وموضع واحد مدني. إذ يتألف التركيب من (إنما) + ضمير (أنا) أو (أنت) + نذير) فيكون التركيب على الوجه الآتي (إنما أنا نذير) أو (إنما أنت نذير) وهذا التركيب

---

(1) الطبرسي ٧/٢٦ .

(2) ينظر معاني النحو ٤/٥٧٩ .

(3) دلائل الإعجاز ٣٢٧ .

يتردد في السور المكية . أما في السورة المدنية فيكون التركيب على مـا يـأتي . (إنما + الضمير + جار ومجرور (لكم) + نذير) فزاد في هذا الموضـع (لكـم) الجار والمجرور . (إنما) تجيء في المواضـع التـي لا يجهلهـا المخاطـب ولا ينكرها جاء في دلائل الإعجاز (اعلم أن موضوع (إنما) على أن تجيء لخبـر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما ينزل هذه المنزلة)[١] ، وهي تفيد القصـر والاختصاص ويكون ذلك في المؤخر . فقوله تعالى " إنما أنا نذير " و " إنما أنـت نذيرٌ " فالاختصاص يكون في الخبر (نذير) . جاء في الكشاف (أي لأنما أنا نذيرٌ) ومعناه ما يوحى إلي إلاّ للإنذار فحذف اللام وانتصب بإفضاء الفعل إليه ، ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى إليّ إلا هذا وهو أن أنذر وابلغ ولا أفرط في ذلـك . أي ما أُمِر إلا بهذا الأمر وحده وليس إلى غير ذلك)[٢] . والحصر أو القصر يكون بتخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص أو هو إثبات الحكم للمذكور ونفيـه عمـا عداه[٣] .

ثالثا : حاله عندما باتي في سياق (إنّ) مصاحبا كلمة (مبين) فيكـون التركيـب كالآتي : أ – (إنّي لكم نذيرٌ مبينٌ) . ب- (قل إنّي إنا النذير المبـين) جـــ (إنّي لكم منه نذير مبين " . ففي سورة هود ٢٥/١١ " ولقد أُرسِلْنَا نوحًا إلى قومه إنّي لكم نذيرٌ مبينٌ " . وفي سورة الحجر ٨٩/١٥ " وقُلْ إنّي أنا النذيرُ المبين " وفي سورة الذاريات ٥٠/٥١ " ففرُّوا إلى اللهِ إنّي لكم منه نذيرٌ مبينٌ " والآيـة /٥١ " ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إنّي لكم منه نذيرٌ مبينٌ " وفي سورة نوح ٢/٧١ " قـالَ يـا قومِ إنّي لكم نذير مبين " ويلاحظ أنها وردت في سِـياق (إنّ) المقترنـة بضـمير النصب المتصل بـــ(ياء المتكلم) . ومعناها في الكلام هو التوكيد لمضمون الجملة

---

(١) نفسه ٣١٥ .

(٢) الزمخشري ٣٨١/٣ .

(٣) ينظر الإتقان في علوم القرآن ٦٤/٣٠ .

. ففي قوله تعالى " إني لكم نذير مبين " هود ٢٥/١١ ، وسورة نوح ٢/٧١ فقد جاءت في الكلام لتوكيد نفي إنكارهم وشكهم وتقديم الجار والمجرور (لكم) يفيد معنى الاهتمام والاختصاص لغرض التخويف والتحذير . وجاءت (نذير) نكرة للدلالة على العموم ، جاء في مجمع البيان (أي مُخوِّف مُبيّن وجوه الأدلة)[١] . أما في سورة الحجر ٨٥/١٥ " وقل إني أنا النذير المبين " فيلاحظ أن التركيب يتألف من :

١- إن + اسمها ٢ - أنا ضمير الفصل -٣ النذير المبين تعريفهما بـ(أل)

٤- والجملة واقعة بعد القول . فكأن الكلام جاء ردًّا .و جوابًا ، ولذلك يرى عبد القاهر الجرجاني (أنه يقصد بها إلى الجواب .. ومنه قوله " وقُل إنّي أنا النذير المبين " وأشباه ذلك مما يعلم به انه كلام أمر للنبي صلى انه عليه وسلم بأن يجيب به الكفار في بعض ما جادلوا وناظروا فيه)[٢] . وتأتي دلاله القصر في ضمير الفصل (أنا) الذي يفيد أيضًا التوكيد لهذا المعنى . ثم التعريف بـ(أل) مع(لنذير) الذي يفيد تخصيصًا . جاء في مجمع البيان (معناه وقُل إني أنا المُعلِم بموضع المخافة ليتّقى . المبيَّن لكم ما تحتاجون إليه)[٣] . أما في سورة الذاريات فقد تكرّر التركيب (إنّي لكم منه نذيرٌ مبينٌ) في الآيتين (٥٠ و ٥١) " ففرُّوا إلى اللهِ إنّي لكم منه نذيرٌ مبين " أو قوله تعالى " ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إنّي لكم منه نذيرٌ مبين" ويلاحظ أن التركب جاء بزيادة الجار والمجرور (منه) إذ يعود الضمير فيه إلى الله سبحانه في قوله (ففرُّوا إلى الله " ، وقوله (ولا تجعلوا مع الله إلهًا آخر) فجاء الجار والمجرور (منه) ملائما السياق إذ الغرض منه التعظيم . ويلاحظ أن التركيب تكرّر مرتين . والسبب في ذلك (أن الثاني منعقد بغير ما انعقد به الأول إذ تقديره : أني لكم منه نذير في الامتناع من جعل إلهٍ آخر

---

(١) الطبرسي ٦٦/٢٩ .
(٢) دلائل الإعجاز ٢٤٩ وما بعدها .
(٣) الطبرسي ٤٢/١٤ .

معه . وتقدير الأول أني لكم منه نذير في ترك الفـرار إليـه بطاعتـه .. والنـذير المخبر بما محذر منه وهو يقتضي المبالغة)[١] .

رابعا : يأتي نكره مجرورة بـ(من) الزائدة في خمسة مواضع كلها مكيـة ، فقد ورد في سورة القصص ٤٦/٢٨ " وما كنتَ بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمةً من ربِّك لتنذرِ قومًا ما أتاهُم من نذيرٍ من قبلِكَ لعلَّهم يتذكَّرون " وفي سـورة السـجدة ٣/٣٢ " أم يقولون افتراهُ بل هو الحقُّ من ربِّك لتنذر قومًا ما أتاهم من نـذيرٍ مـن قبلك لعلّهم يهتدون " وورد في موضعين في سورة سبأ ٣٤/٣٤ " وما أرسـلنا فـي قريةٍ من نذيرٍ إلاّ قال مترفوها إنّا بما أرسلتم به كافرون " الآية /٤٤ " وما آتينـاهم من كتابٍ يدرسونها وما أرسلنا إليهم من قبلك من نذيرٍ " . وفي سـورة الزخـرف ٢٣/٤٣ " وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قريةٍ من نذيرٍ إلاّ قال مترفوها إنّا وجـدْنا آباءنا على أمّةٍ وإنَّا على آثارهم مقتدون " وفي هذا المبحث نعرض للنقاط الآتية "

١- وظيفة (منْ) الزائدة .
٢- اختلاف النظم واتفاقه في هذه المواضع .
٣- سياق الفعل (أتى) .
٤- سياق الفعل (أرسلنا) .

أما وظيفة (مِنْ) الزائدة فهي عند النحويين لتوكيد النفي إذ فيها معنى الاسـتغراق والتوكيد ، جاء في الكتاب (لأن معنى ما أتاني أحدٌ وما أتاني من أحد ، واحد ولكن (مِنْ) دخلت هنا توكيدًا)[٢] وزيادتها تأتي لغرضين :

الأول : التنصيص على العموم . فقولنا (ما جاءني من رجلٍ) تفيد النفـي لجميـع الجنس أي أنها تستغرق الجنس كله بخلاف قولنا"ما جاءني من أحد . فهو يحتمـل نفي رجل واحد فنقول (بل رجلان) ويحتمل نفي الجنس أيضًا .

---

(١) نفسه ٢١/٢٧ .
(٢) الكتاب ٣١٦/٢ .

الآخر : توكيد العموم وهي التي تدخل على (أحد) و (ديار) اللذين يـلان علـى العموم تقول ما جاءني من أحد[١] . جاء في معاني القرآن وإعرابه (ما آتاهم مـن نذيرٍ من قبلك : أي لم يشاهدوا هم ولا آباؤهم نبيًا ، فأما الإنذار بما تقدم من رسـل الله صلى الله عليهم وسلم فعلى آبائهم به الحجة)[٢] . وجاء في مجمع البيـان (أي لتنذر العرب الذين لم يأتهم رسول قبلك)[٣] .

أما اتفاق النظم واختلافه فقد جاء اتفاق النظم في آيتي القصـص والسـجدة ففـي سورة القصص " لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون " /٤٦ وفـي سورة السجدة " لتنذر قومًا ما أتاهُم من نذير من قبلك " والخطاب في كلتا الآيتـين إلى النبي (ص) . وقوله تعالى (من قبلك) إشارة إلى الفترة وهي انقطاع الرسل ، وعلى الرغم من أن تركيب الآيتين يوحي باتفاقهما في النظم إلا أن السياق يختلف . ففي سورة القصص يذكر أحداثًا تسبق الإنذار (ما كنت بجانب الغربي إذ قضـينا إلى موسى الأمر) بإرساله إلى فرعون (وما كنت من الشاهدين) لهذه الأحداث . (وما كنت ثاويًا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا) أي مقيمًا في أهـل مـدين تقـرأُ عليهم تعلمًا منهم الآيات التي فيها قصتهم (وما كنت بجانب الطور إذ نادينـا) أي نادينا موسى (ع) وقت إعطائه التوراة[٤] . وختم الآية بقوله (لعلهم يتـذكرون) أي يتعظون من هذه الأخبار والأحداث فيؤمنون . بدليل قوله تعالى في الآية نفسـها (ولكن رحمة من ربك) . جاء في مجمع البيان (رحمةً منصوبة مفعول لها تقـديره ولكنا أوحينا إليك رحمةً . أي للرحمة)[٥] .

---

(١) نظر المقتضب ٦٦/٣ ،والمغني ٣٢٢/١ ، وأساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين٣٧٤ .
(٢) الزجاج ٢٠٤/٤ .
(٣) الطبرسي ٣٠١/٢٠ .
(٤) مواهب الجليل في تفسير البيضاوي / محمد أحمد كنعان ٥١٣ .
(٥) الطبرسي ٢٩٩/٢٠ .

أما السياق في سورة السجدة فلم تسبق الآية بذكر الأحداث وإنما هو ردّ وإبطال لدعواهم من الافتراء ، وقد جاء ذلك بأسلوب الإضراب الإبطالي الذي جاءت به أم المتقطعة أولاً ، ثم (بل) (أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك) ثم يأتي الإنذار لبيان سبب إنزال القرآن ، ولذلك ختمت الآية بقوله تعالى (لعلّهم يهتدون) بالإنذار فيأخذ الإيمان طريقه إلى قلوبهم . وهكذا نجد أن النظم في الآيتين وان بدا متفقًا إلا أن السياق لا يتفق تمامًا . يقول الدكتور فاضل السامرائي (فإن القرآن دقيق غاية الدقة في المخالفة بين التعابير والألفاظ لاختلاف الموطن والسياق)[1] .

وتتفق الآيتان في أنهما واقعتان في سياق الفعل (أتى) (وما أتاهم من نذيرٍ) والاستعمال القرآني يفرق بين الفعل (جاء) والفعل (أتى) ، جاء في كتاب الفروق اللغوية (قولك جاء فلان . كلام تام لا يحتاج إلى صلةٍ وقولك أتى فلان يقتضي مجيئه بشيء . ولهذا يقال جاء فلان نفسُه ولا يقال أتى فلان نفسه)[2] وجاء فى مفردات ألفاظ القرآن (والمجيء كالإتيان لكن المجيء أعم . لان الإتيان مجيء بسهولة والإتيان قد يقال باعتبار القصد وان لم يكن منه الحصول ، والمجيء ، يقال اعتبارًا بالحصول)[3] ، وجاء فى (الإتقان) (ومن ذلك جاء وأتى فالأول يقال في الجواهر والأعيان ، والثاني فى المعاني والأزمان)[4] .

وفضلاً عن هذه الفروق بين (المجيء) و (الإتيان) فان المواضع التي يتردد فيها الفعل (جاء) يغلب عليها الشدة والصعوبة بخلاف الفعل (أتى) ومشتقاته إذ يتردد فى المواضع التي هي أقل صعوبة ومشقة . وقد جاءت كلمة (نذير) مع الفعل (جاء) فى مواقف الصعوبة والشدة ففي سورة الملك ٦٧/٨ــ٩ " تكاد تميَّزُ

---

(١) معاني النحو ٣/٨١ .

(٢) الفروق اللغوية ٢٥٥ .

(٣) الراغب الأصفهاني ٢١٢ .

(٤) السيوطي ١/٢٥٥ .

من الغيظِ كلمَّا أُلقيَ فيها فوجٌ سألهم خزنتُها ألم يأتِكم نذيرٌ . قالوا بلى قد جاءنا نذيرٌ فكذَّبنا " فقد جمع السياق بين الفعلين . فالسؤال بالفعل (أتى) جاء على لسان الخَزَنة لمن أُلقيَ في جهنَّم عن حالهم في الدنيا عندما كانوا يتنعَّمون بملذاتهم ، فلذلك استعمل الفعل (أتى) فكان جوابهم بالفعل (جاء) المسبوق بـ(قد) لغرض التوكيد ثم العطف بالفاء (فكذَّبنا) لبيان السبب والتعقيب بلا مهلة فكأن الكذب جاء عقب مجيء النذير مباشرة . فهم متحسرون على ما اجترحوا في الدنيا يحملون آثامهم وأوزارهم ، فالموقف ها هنا أشدّ وأشقّ من الموقف الأول . جاء في كتاب الكشاف (ألم يأتِكم نذيرٌ) توبيخ يزدادون به عذابًا إلى عذابهم وحسرة إلى حسرتهم .. وهم لغلوهم في الإنذار كأنهم ليسوا إلا إنذارا[١] . يقول الدكتور فاضل السامرائي (والذي استبان لي أن القرآن الكريم يستعمل المجيء لما فيه صعوبة ومشقة أو لما هو أصعب وأشق مما تستعمل له (أتى) . إذ (لم يرد في القرآن فعل مضارع لـ(جاء) ولا أمر ولا اسم مفعول ولم يرد إلا الماضي وحده بخلاف (أتى) الذي وردت كل تصريفاته)[٢] .

أما اختلاف النظم فقد ورد في آيتي سبأ وآية الزخرف في سياق الفعل (أرسلنا) فقد ورد في سورة سبأ ٣٤/٣٤ " وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون " وفي سورة الزخرف ٢٣/٤٣ " كذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلاّ قال مترفوها إنّا وجدنا آباءنا على أمّةٍ وإنّا على آثارهم مقتدون " ففي آية الزخرف زاد في النظم (من قبلك) الذي تقدم على (في قريةٍ من نذير) في حين جاء النظم في أية سبأ /٤٤ " وما أرسلنا إليهم من قبلك من نذير " ولملاحظة هذا الاختلاف نذكر النصوص بعضها من بعض كي يلاحظ بوضوح .

١- سبأ / ٣٤ " وما أرسلنا في قرية من نذير " .

٢- سبأ / ٤٤ " وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير " .

---

(١) الزمخشري ١٣٦/٤ .
(٢) لمسات بيانية / ٧٩ .

٣- الزخرف /٢٣ " وما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير " .
فالجار والمجرور (إليهم) دخل في نظم الآية /٤٤ ومعه (قبلك) الظرف المنصوب ، وفي آية الزخرف حذف الجار والمجرور (إليهم) وزيد حرف الجر (من) على الظرف (قبلك) . وفي الآية /٤٤ تقدم الظرف (قبلك) على (من نذير) وفي آية الزخرف تقدم الظرف المجرور (من قبلك) على (في قرية) وعلى (من نذير) معا وحذف الجار والمجرور (في قرية) من الآية /٤٤ فنلاحظ أن هناك حذفًا في موضع وزيادة في موضع آخر ، وهنا يكون تقديم وهناك يكون تأخير ، وكل ذلك بحسب السياق والمعنى .
ففي سورة سبأ / ٣٤ " وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون " جاء النظم بلا تقديم أو تأخير وبلا زيادة ، فقد سبقت الآية بمشهد من مشاهد القيامة وهو عام لا يخص فئة معينة وإنما هو حوار يجري بين المستكبرين المتنعمين المترفين والمستضعفين ، أي بين التابع والمتبوع يتبادلان التهم وإلقاء اللوم ، ولذلك جاء وصفهم بالاسم الموصول (الذين استكبر)و(الذين استضعفوا) فليس فى السياق مخصص أو معين . أما في الآية /٤٤ " وما آتيناهم من كتبٍ يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذيرٍ " فقد سبقت بمشهد من مشاهد الحشر فيه استعراض لموقف الكافرين والمكذبين والمنكرين للقرآن والنبوة وإصرارهم على تمسكهم بما كان عليه آباؤهم ولذلك قدم الجار والمجرور للحصر والعناية والاهتمام . وبعد الظرف (قبلك) المضاف إلى كاف النبوة الذي فيه تأكيد نفي الإرسال وتأكيد نفي إتيانهم الكتاب لإبطال حجتهم في تمسكهم بملة آباؤهم . ولذلك لم يذكر(في قرية) ومن ثمّ فلم يذكر (مترفيها) .
أما في آية الزخرف " وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على امة وإنا على آثارهم لمقتدون " فلم تسبق بمشهد من مشاهد يوم القيامة وإنما هو جدل وحوار حدث في الدنيا إذ افتروا على الله سبحانه وتعالى

في ادعائهم الملائكة بنات الله ، فهم على آثارهم آبائهم مقتدون . وتقـديم الظـرف المجرور بحرف الجر (مِنْ) (من قبلك) فيه تسلية النبي (ص) . وزيادة حـرف الجر هنا للدلالة على ابتداء الإرسال في الآية /٤٤ قال سبحانه " وما أرسلنا إلـيهم قبلك " من غير ذكر (من) وفي الآية (ما أرسلنا من قبلك) بزيادة (من) وتقديمها مع مجرورها . فمع (من) يكون الكلام على ابتداء الإرسال إذ هناك فرق بـين (ما أرسلنا قبلك) و(ما أرسلنا من قبلك) فالأولى غير محدد والثاني محدد بالابتداء . والفعل (أرسلنا عدّي مرة بـ(في) ومرة بـ(إلى) إذ إن (في) تفيد الظرفيـة فتقتضي التطويل والمكث[١] .

خامسا : تأتي بلا مصاحبة فيكون نكرة في الغالب ويكون في حالة رفع أو نصـب ويدل على أكثر من معنى . وسنعرض لذلك كله :

أما النكر فهو الغالب فيه . إلا أنه جاء معرفا بـ(أل) في موضع واحد ومضـافا إلى الضمير الياء في موضع واحد أيضا . والغرض من التنكير هنا هو التخصيص فقوله تعالى " تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نـذيرا " الفرقـان ١/٢٥ . فالمراد هنا بالنذير (الفرقان أو العبد) ، جاء في الكشاف (ونذيرًا مُنـذرًا أي مخوفًا أو إنذارًا[٢] . لان الضمير في (ليكون) إما يعود على العبـد أو علـى الفرقان . وفي قوله تعالى " فلما جاءهم نذير " فاطر ٤٢/٣٥ . يكون (نذير) هـو النبي صلى الله عليه وسلم .جاء في تفسير الطبري لا يعني بالنذير محمد صـلى الله عليه وسلم .. ينذرهم عقاب الله على كفرهم)[٣] . وفي قوله تعالى " ألم يأتكم نـذير " الملك ٦٧/ ٨ أي نذير مخصوص ، جاء في مجمع البيان (أن تقول لهم الملائكة الموكلون بالنار على وجه التبكيت لهم في صيغة الاستفهام أَلَم يجِئكم مخـوف مـن

---

(١) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ٣٦ .

(٢) معاني القران / الزجاج ١٤٧/١ .

(٣) معاني القران / الزجاج ١٤٧/١ .

جهةِ الله سبحانه يخوّفكم عذاب هذه النار)[١] . وفي قوله تعالى " هـذا نـذيرٌ مـن النُّذُرِ الأولى " النجم ٥٣/٥٦ فالمراد به (القرآن) أو (النبي) صلى الله عليه والـه وسلم. جاء في الكشاف . (هذا : القرآن (نذير من النذر الأولى) أو هـذا الرسـول منذر من المنذرين الأولين)[٢] .

أما وروده في موضع الرفع فهو الغالب فقد وردَ فاعلاً في أكثر المواضع مع الفعل (جاء) وإسناد الفعل إلى (نذير) للدلالة على تحقق الأمر كأنه هـو الـذي قـام بالمجيء والإتيان ، إذ المجيء والإتيان لا يكون إلا بأمر من الله سبحانه . جاء في الكشاف سألتهم خزنتها ألم يأتِكم نذيرٌ " الملك ٦٧/٨ .. توبيخ يزدادون بـه عـذابا إلى عذابهم وحسرة إلى حسرتهم). يؤكد ذلك أنهم يفسرون (نذيرا بمعنى الإنـذار. (على أن النذير بمعنى الإنذار . وجاء معرفًا بـ(أل) في قولـه تعـالى " وهـم يصطرخون فيها ربَّنا أخرجْنا نعملْ صالحًا غيرَ الذي كُنّا نعملُ أَولَمْ نعمـرْكم مـا يتذكّر من تذكر وجاءكم النذير " . فالاستفهام للتقرير " كأنـه قيـل قـد عمرنـاكم وجاءكم النذير " واختُلف في معنى (النذير) فقيل النذير : الرسول صلى الله عليـه وسلم ، وقيل الشيب ، وقيل الإنذار). وجاء مضافا إلى (ياء المتكلم) التـي لـم تذكر وإنما اجتزئ بالكسرة عنها للدلالة على أن المقام ليس مقام إطالة وتفصيل ففي قوله تعالى " أم أمنتم من في السماء أنْ يُرسلَ عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير " الملك ٦٧/١٧ . إذ ليس في الآية تفصيل ولا إطالة .

(أنذر) صيغة الأمر

ورد فى تسعة مواضع وكانت على النحو الآتي :

أولا : حاله عندما يأتي على صيغة الأمر (أَفْعِلْ) (أَنْذِرْ) ورد فى سعه مواضـع كلها مكية . وصيغة الأمر قد جاءت مسبوقة بـ(أنْ) المفسرة أو المصـدرية فـى

---

(١) معاني القران / الزجاج ١/١٤٧ .
(٢) معاني القران / الزجاج ١/١٤٧ .

ثلاثة مواضع . وجاءت بغير (أنْ) في سائر المواضع . وجاء مفعوله الثاني كلمة (يوم) في سورة إبراهيم ٤٤/١٤ " وَأَنْذِرِ النّاسَ يومَ يأتيهم العــذابُ " جـــاء فـــي مشكل إعراب القرآن (ولا يحسن أن يكون ظرفًا للإنذار لأنه لا إنذار يوم القيامـــة)[١] . وفي سورة مريم ٣٩/١٩ " وأَنْذِرْهُم يومَ الحسرةِ " جاء في تفسير الطبـــري (وأَنذرْ يا محمّد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم)[٢] . (يـــوم الحســـرة) وهو يوم القيامة ليس ظرفا له ، لأن الإنذار ليس في يوم القيامة وإنما هو قيل يـــوم القيامة فلا يكونُ ظرفًا له بل هو مفعول به[٣] . وفي سورة غافر ١٨/٤٠ " وأنذِرْهُم يومَ الآزفة " . جاء في معاني القرآن وإعرابه (معنى أنذرهم خوفهم)[٤] . وجـــاء في مجمع البيان (ثمّ أمر سبحانه نبيه (ص) أن يخوّف المكلفين يـــوم القيامـــة)[٥] فالفعل (أَنْذِر) ينصب مفعولين . جاء في تهذيب الله (قال : أنذرتُ القومَ مســـير عدوهم إليهم فنذروا أي أعلمتهم ذلك فنُذروا أي علموا فتحرزوا)[٦] فقد تعدى الفعل إلى مفعوليه مباشرة دون وساطة بحرف الجر . وقد يكون هناك حرف الجـــر فـــلا ينصب أحد المفعولين مباشرة ومنه قوله تعالى " وأَنْذِرْ به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربِّهم " الأنعام ٥١/٦ . جاء في الجامع لأحكام القرآن (وأَنْذِر به : أي بالقرآن . وقيل (به) بالله ، وقيل باليوم الآخر)[٧] . جاء في اللسان (وأَنذرْهُ بالأمر إنـــذارًا

---

(١) مشكل إعراب القرآن / مكي / ٤٠٦ .

(٢) جامع البيان ٨٥/١٦ .

(٣) ينظر معاني النحو ٦٠٣/٢ .

(٤) الزجاج ٣٦٩/٤ .

(٥) الطبرسي ١٨٩/٢٣ .

(٦) الأزهري ٤٢٠/١٤ .

(٧) القرطبي ٢٧٧/٦ .

. أعلمَهُ .. أَنْذرَه أيضا خوَّفه)[١] . وجاء فى أساس البلاغة وأنذرتُهم به وأنــذرتُهم إياه وهو نذير[٢] .

ثانيا : أما اقتران صيغة الأمر (أَنْذِرْ) بـ(أن) فقد جاء فى قوله تعــالى " أكــان للناس عجبًا أن أوحينا إلى رجل منهم أنْ أنذرِ الناس وبشّر الذين آمنوا " يونس/٢ . وفى (أنْ) هذه ثلاثة توجيهات : الأول أن تكون مفسرة . جاء في الكشاف (أنْ : هي المفسرة لأنّ الإيحاء فيه معنى القول)[٣] . وفى قوله تعالى " إنّا أرسلنا نوحــا إلى قومه أنْ أنذرْ قومك " جاء في معاني القرآن وإعرابه (ويجوز أن تكون (أن) تفسيرًا لما أرسل به فيكون المعنى : إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه أي أنذر قومــك)[٤]

. والثاني : أن تكون مخففه من الثقيلة.جاء فى الكشاف (ويجوز أن تكون المخففــة من الثقيلة وأصله أنّه أنذرِ الناس على معنى أنّ الشأن قولنا أنذرِ الناس)[٥]

الثالث : أن تكون مصدرية في تأويل مصدر أي (بالإنذار) ، جــاء فــى معــاني القران (أن أنذِرْ قومَك : أي أرسلناه بالإنذار (أن) فــى موضــع نصــب لأنــك أسقطت منها الخافض وهى عند الزجاج كذلك (أن فى موضع نصب بـ(أرســلنا) لأن الأصل بأن أنذر قومك . وعند الزمخشري أيضا أصله بـ(أن أنذر) فحــذف الجار وأوصل الفعل وهي أن الناصبة للفعل ، والمعنى : أرسلناه بأن قلنا له أَنــذِرْ.

---

(١) اللسان / مادة (نَذَر) ٥٥/٧ .

(٢) الزمخشري ٤٣٣/٢ .

(٣) الزمخشري ٢٢٤/٢ .

(٤) معاني القران وإعرابه ٢٢٧/٥ ، والكشاف ١٦١/٤ ، ومجمع البيان ٦٥/٢٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩٣/١٨ ، وينظر الإعجاز اللغوي للقصة القرآنية ٢٢٧ .

(٥) الزمخشري ٢٢٤/٢ .

أي أرسلناه بالأمر بالإنذار[١] ، إن هذه التوجيهات الثلاثة تجعل من المركب (أنْ أَنذِرْ) تعبيرا احتماليًا إذ إن المعنى يختلف باختلاف التوجيه . وإذا عدنا إلى هذه التوجيهات لنتبين دلالة كل توجيه على وفق ما ذكره المفسرون وجدنا المعاني الآتية :

١- إذا كانت (أن) مفسرة بمعنى (أي) كان المعنى (أنْ أنذرِ الناس) أو (أنْ أَنذِرْ قومَك) (أي أنذرْ قومَك) فلا يكون لها موضع من الإعراب وقال ابن هشام (لأن المفسر عينُ تفسيره)[٢] . فيكون المعنى (إنّا أرسلْنا نوحًا إلى قومهِ أي أنذرْ قومك)[٣] ، جاء في بدائع الفوائد (وأما أن التي للتفسير فليست مع ما بعدها بتأويل المصدر .. لأن الكلام القائم في النفس والغائب عن الحواس في الأفئدة يكشفه للمخاطبين خمسة أشياء : اللفظ والخط والإشارة والعَقد والنَّصب وهي لسان الحال وهي أصدق من لسان المقال فلا تكون أن المفسرة إلا تفسيرا لما أجمل من هذه الأشياء ، كقولك كتبتُ إليه أن اخرجْ وأشرتُ إليه أنْ اذهبْ .. هي ها هنا لتفسير النَّصبة التي هي لسان الحال . وإذا كان الأمر فيها كذلك فهي بعينها التي تقدم ذكرها لأنها إذا كانت تفسيرا فإنما تفسير الكلام والكلام مصدر ، فهي إذن في تأويل مصدر إلا أنك أوقعت بعدها الفعل بلفظ الأمر)[٤] ، وهذا الذي قرره ابن قيم الجوزية يشبه كثيرا ما ذكره ابن الخشاب (لأن الأمر يستغنى فيه في كثير من الأمور عن ذكر ألفاظ أفعاله بشواهد الحال كقولك لمن رأيتَهُ قد أشرع رمحًا أو سدد سهما ...) (زيدًا) أو (عمرًا) وتستغني بشاهد الحال عن أن تقول (اطعن) أو

---

(١) القران / الفراء ١٨٧/٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٢٧/٥ ، والكشاف ١٦١/٤، ومشكل إعراب القرآن ٤١٦ ، ومجمع البيان ٨/١١ و١٤ / ١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩٥/٨ و ٤٥/١٠ و١٢٩٣/١٨ .

(٢) المغني ٣٢/١ .

(٣) معاني القران وإعرابه ٢٢٧/٥ .

(٤) ابن قيم الجوزية ٩٤/١ .

(اضرِبْ) ويكفي من ذلك الإشارة[١] . وشاهد الحال هي التي يقصد بهـا النصـبة ويبدو أن وظيفة (أنْ) التفسيرية هي الإشارة . جاء في (العربية الفصحى) ((أمـا أنْ فأن لها كذلك قمتها الإشارية المحضة فيما أطلق عليـه علمـاء العربيـة (أنِ المفسرة) أي التي لها معنى النقطتين بهذا الشكل (:) وهي تعلن عما سوف يقـال))[٢]. إن مجيء صيغة الأمر (أنذِرْ) مسبوقًا بـ(أنْ) يمكن أن يكون دليلا على (الفور) وليس (التراخي) وعلى سرعة امتثال المخاطب بخلاف لو كـان الفعـل خلوا منها .

٢- إذا كانت (أنْ) مخففة من الثقيلة فيكون اسمها ضمير الشأن ، وقد قال بـذلك الزمخشري ، ففي قوله تعالى " أنْ أنذرِ الناسَ وبشّرِ الذين آمنوا " (وأصله أنّه أنذرِ الناس على معنى أن الشأن قولُنا أنذرِ الناس)[٣] ، وهنا تعرض مسألتان : الأولـى تخفيف النون في (أنْ) والثانية كون اسمها ضمير الشأن . أما ما يخص تخفيـف (أنْ) فهناك شروط لا بد من توافرها كي تخفف لأن (أنْ) المخففـة ــ وإن زال اختصاصها بالأسماء ــ يليها فعل إما مضمن معنى دعاء كقراءة نافع (والخامسـةَ أنْ غَضِبَ اللهُ عليها) النور ٢٤/٩ ، وأما غير متصرف " وإنْ ليسَ على الإنسـانِ إلاّ ما سعى " النجم ٣٩/٥٣ ، وأما متصرف مفصول عن (أنْ) بقد : علمتُ أنْ قد قام زيدٌ أو حرف تنفيس " عَلِمَ أنْ سيكونُ منكم مرضى " المزمل ٢٠/٧٣ ، أو (لو) كقوله تعالى " فلما خرَّ تبيَّنتِ الجنُّ أنْ لو كانوا يعلمونَ الغيبَ ما لَبِثوا في العـذابِ المُهين "[٤] . وتخفيفها لا يلغي وظيفتها في التوكيد وهى تختلف عن الثقيلة في أنهـا

(١) المرتجل /ابن الخشاب /٢٥٠ .

(٢) العربية الفصحى / هنري فليش ١٦٩ .

(٣) الكشاف ٢/٢٢٤ .

(٤) في النحو العربي نقد وتوجيه ٢٤٨ .

تؤكد الحدث الفعلي فتوقعه موقع المفرد[١] . وفي ضوء ذلك فدلالة (أنْ) المخففة في المواضع التي وردت فيها في الاستعمال القرآني ــ موضع البحث ــ هي توكيد الحدث الفعلي وهو الإنذار بخلاف الثقيلة فيؤتى بها في الغالب للاهتمام بصاحب الحدث[٢] . أما ما يخص ضمير الشأن الذي يقدر في هذه المواضع فأن تقديره هنا يكون في الغالب للدلالة على التعظيم والتفخيم (ويكون منفصلاً ومتصلاً مستترًا وبارزًا على حسب العوامل)[٣]. وجاء في الطراز (إن ضمير الشأن والقصة على اختلاف أحواله إنما يرد على جهة المبالغة في تعظيم تلك القصة وتفخيم شأنها .. من جهة إضماره أولاً وتفسيره ثانيًا)[٤] . فحمل الآية " أكان للناس عجبا أنْ أوحيْنا إلى رجلٍ منهم أنْ أَنذِرِ الناس وبشّر الذين آمنوا ..) يونس ١٠/٢ على ضمير الشأن المضمر إنما يكون على معنى تعظيم هذا الإنذار وتفخيمه . (إذ لا بد من يكون مضمون الجملة المفسرة شيئًا عظيمًا يعتنى به فلا يقال مثلاً : هو الذباب يطير)[٥] .

٣- وأما إذا كانت (أن) ناصبة فيكون موضع (أنْ أَنذِرْ) في موضع نصب تقديره في سورة يونس ١٠/٢ " أوحيْنا بأنْ أَنذرْ " فحذف الجار فوصل الفعل . أي في موضع نصب بإسقاط الخافض . وكذلك في سورة النحل ١٦/٢ . ومثله في سورة نوح ٧١/١ (أنْ في موضع نصب لأنك أسقطت منها الخافض لأنّ الأصل بأن أنذرْ قومك)[٦] وحذف حرف الجر مع (إنّ و أنّ) جائز بشرط أمن اللبس[١] .

---

(١) ينظر معاني النحو ١/٢٤٨ .

(٢) نفسه ١/٣٨٣ .

(٣) شرح الرضي على الكافية ٢/٣٧ .

(٤) الطراز ٢/١٤٢ ، ودلائل الإعجاز ٣٠٥ .

(٥) شرح المفصل ٣/١١٤ .

(٦) معاني القرآن / الفراء ٣/١٨٧ . ومعاني القرآن وإعرابه ٥/٢٢٧ ، والكشاف ٤/١٦١ ، ومجمع البيان ٢٩/٦٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ١٩٣ .

والحقيقة أن المعنى يختلف في حالة إثبات حرف الجر وإسقاطه فإثباته يكون على تقدير مصدر صريح هو (بالإنذار) وإسقاطه يكون على تقدير مصدر مؤول هو (أنْ أنذرْ) ودلالة المصدر الصريح يختلف عن دلاله المصدر المؤول ففي المصدر الصريح لا يظهر الفاعل ولا يكون هناك دلاله على الزمن بخلاف المصدر المؤول إذ يظهر فيه الفاعل وهو المخاطب هنا ويظهر فيه الزمن فيكون الإخبار عن الحدث مع الدلالة على الزمان فضلا عن أن تقدير حرف الجر يؤدي إلى معنى زائد لأنّ معنى الباء الرئيس هو الإلصاق .

(نذر)

على صيغة الجمع (فعل) (نذر) فقد ورد في ثلاثة عشر موضعا وكانت أحواله على النحو الآتي :

١- في سياق (ما) + الفعل تغني + النُّذُر (فاعلاً) وقد وردت في سورة يونس " قلِ انظروا ماذا في السماواتِ والأرضِ وما تُغني الآياتُ والنُّذُرُ عن قومٍ لا يُؤمنونَ " وفي سورة القمر ٥/٥٤ " حكمةٌ بالغةٌ فما تُغنِ النُّذُرُ " فالتركيب هو (ما + الفعل تُغني + النُّذُر (فاعلاً)) وهنا جملة ملاحظات لا بد من ذكرها :

أ- اختلف المفسرون في (ما) بين النافية والاستفهامية . جاء في معاني القران (إنْ شئتَ جعلت (ما) جحدًا تريد : ليست تغني عنهم النذر . وإنْ نشئت جعلتها في موضع (أي) كأنك قلتَ : فأيَّ شيء تُغني النُّذُرُ)[٢] وتكون (ما) على الاستفهام في محل نصب . وملاكُ الأمر أنّ الكلام في الآيتين يفيد النفي والإنكار سواء أكانت فيه (ما) نافية أم استفهامية فإذا كانت نافية فالنفي صريح وإذا كانت استفهاما فهو من النفي الضمني إذ إن الاستفهام هنا يفيد الإنكار والتوبيخ . إلا أن

---

(١) شرح ابن عقيل ٥٣٩/١ .

(٢) معاني القرآن / الفراء ١٠٥/٣ .، والكشاف ٦٣/٤ ، مجمع البيان ١٠٣/١١ و ٦٦/٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٨٥/١٧ . .

طبيعة التركيب يختلف إذ مع النفي يكون الكلام خبرًا ومع الاستفهام يكـون الكـلام إنشاء ولكن ربما يترجح النفي إذا علمنا أن الفعل (يُغني) في الاستعمال القرآنـي يكون فيه النفي هو الشائع .

ب - حذف ياء الفعل (يغني) في سورة القمر وإثباتها فـي سـورة يـونس وهـذا الحذف وارد في الاستعمال القرآني وهذا الحذف وذاك الإثبـات لا يكـون إلا بمـا يقتضيه السياق ويتسق معه اتساقا فيه من اللطافة والدقة ما يثير التأمل والدهشـة إذ إن المقام في آية يونس مقام تفصيل وأطاله ففي أول السورة تفصيل لآيـات خلـق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوائه سبحانه على العرش وما تبع ذلك مـن جعل الشمس ضياء والقمر نورًا واختلاف في الليل والنهار وتستمر السـورة علـى هذا المنوال إلى آخرها . وبذلك جاء ذكر الياء فى الفعل (تغنى) متسقًا مع سـياق السورة كلها إذ لم يرد فها حذف ياء الضمير ولا حذف ياء الفعل . أما سورة القمر فقد ورد فيها حذف ياء الفعل وحذف ياء الضمير، ولا سيما فى كلمـة (نـذيري) وكلمة (الداعي) إذ لم يكن المقام فيها مقام إطالة أو تفصيل ، كما أنه زاد كلمـة (الآيات) فى يونس لأن المقام مقام تفصيل وإطالة فى حين لم يزد شيئًا فـي سـورة القمر لأن المقام مقام إيجاز واختصار .

٢- في سياق (كيف) تركيب يتألف من (كيف + كان + اسمها + معطوف) وقـد تردد في سورة القمر أربع مرات : أما (كيف) فالاستفهام بها جاء لغرض التعظيم والتخويف ، جاء فى مجمع البيان (ومعناه التعظيم لذلك العذاب أي كيـف رأيـتم انتقامي منهم وإنذاري إياهم وهو تعظيم للعذاب النازل بهم وتخويف لكفار مكة)[١].

وهد تضافر هنا الاستفهام بـ(كيف) وتكرار التركيـب لإبـراز معنـى التعظـيم والتنبيه لما هم عليه من غفلة تخويفًا لهم مما ينتظرهم من مآل . جاء فـى المثـل السائر (فإنه قد كرّر ذلك فى السورة كثيرًا وفائدته أن يجدّدوا عند استماع كل نبـأ من الأنباء الأولين ادكارًا أو إيقاظا .. وأنْ تقرع لهم العصا مرات لئلا يغلبُهم السوء

(١) مجمع البيان ٢٧/٦٧ و ٧١ .

وتستولي عليهم الغفلة)[١] . ومثله ما جاء في مفردات ألفاظ القرآن (وكل ما أخبر الله تعالى بلفظة (كيف) عن نفسه فهو استخبار على طريق التنبيه للمخاطب وتوبيخًا)[٢] .

٣- حاله مجرورًا بحرف الجر (الباء) وقد ورد في ثلاثة مواضع في سورة القمر في الآيات ٢٣ ، ٣٣ ، ٣٦ " كذَّبَتْ ثمودُ بالنُّذُر " " كذَّبتْ قومُ لوطٍ بالنُّذُر " " ولَقدْ أنذرهُم بطشَتَنَا فتمارَوا بالنُّذُر " . ويلاحظ أن الجار والمجرور (بالنُّذُر) وقع في سياق الفعل (كذَّب) في موضعين ومعنى الباء الرئيس هو الإلصاق . جاء في الكتاب (وباء الجر إنما هي لك للإلزاق والاختلاط وذلك قولك : خرجْتُ بزيدٍ ودخلتُ به ، وضربْتُهُ بالسوطِ : ألزقتَ ضربك إياه بالسوط . مما اتسعَ من هذا في الكلام فهذا أصله)[٣] . فكأن تكذيبهم في الآيتين جاء ملصقًا بالنذر ، وذلك لشدة عنادهم وإعراضهم . جاء في الكتاب (فإذا قلتَ : مررتُ بزيدٍ فإنما أضفتَ المرور إلى زيد بالباء)[٤] . وعلى هذا يكون المعنى كأنهم أضافوا تكذيبهم إلى النذر . ففي قوله تعالى " كذبتْ ثمودُ بالنُّذُر " ٢٣ ، يقول الطبرسي (معناه : أنهم كذبوا الرسل بكذبهم صالحًا لأن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الجميع)[٥] .

٤- ورد نكرة منصوبة في موضع واحد في سورة المرسلات ٧٧/٥ـ ٦ " فالملقياتِ ذكرًا . عُذرًا أو نذرًا " وفيها قراءات سنعرض لها في مبحث القراءات القرآنية وفي نصبه آراء : منها النصب على المفعول له . ذكره الزجاج على معنى فالملقماتِ ذكرًا للإعذار والإنذار . وذكره الزمخشري والطبرسي . ومنها النصب

---

(١) المثل السائر ٣/٢٣ ، والكشاف ٤/٤٠ ، والبرهان ٣/٢٠ .

(٢) الراغب الأصفهاني ٧٣٠ .

(٣) سيبويه ٤/٢١٧ .

(٤) نفسه ١/٤٢١ .

(٥) مجمع البيان ٢٧/٧٣ .

على البدلية من (ذكرًا) ذكره الزجاج والزمحشري والطبرسي[١] . ومنها النصب على المفعول به بـ(ذكرا) ذكره الزجاج والطبرسي[٢] . ومنها النصب على الحال ذكره الزمخشري[٣] وحاصل هذه الآراء ما يأتي :

١- النصب على المفعول له : فالملقيات ذكرًا للإعذار والإنذار» أي أعذارًا من الله وإنذارًا إلى خلقه .

٢- لنصب على البدلية : فالمعنى فالملقيات عُذرًا أو نذرًا .

٣- النصب على المفعول به : فالمعنى فالملقيات إن ذكرتَ عذرًا ونذرًا .

٤- النصب على الحال : بمعنى عاذرين أو منذرين .

ويبدو أن هذه المعاني كلها مرادة في الآية الكريمة وهذه طريقة شائعة في التعبير القرآني.إذ يجمع أكثر من معنى في لفظ واحد للاتساع في المعنى ، إذ جمعها كلها بهذا التعبير الموجز القصير . والله أعلم .

(أنذر)

يأتي فعلا ماضيا في تسعة مواضع على النحو الآتي :

١-حاله عندما يطوى فاعله فيكون التركيب (ما + الفعل المبني للمفعول + نائب الفاعل) وغالبًا ما يأتي في سياق (ما) إذ ورد في ثلاثة مواضع في الكهف ٥٦/١٨ " واتَّخذوا آياتي وما أُنذِروا هزوًا " . وفي سورة يس " لتُنذر قومًا ما أُنذر آباؤُهم فهم غافلون " . وفي سورة الأحقاف " ٣/٤٦ " والذين كفروا عما أُنذِروا معرضون " واختلف في (ما) هذه فقول الفراء يفهم منه أنها نافية أو موصولة (يقال : لتُنذرَ قومًا لم يُنذَر آباؤهم .. ويقال : لتنذرَهم بما أنذر آباؤهم ، ثم تنقى الباء فيكون (ما) في موضع نصب)[٤] . وعند الزمخشري إما مصدرية وإما موصولة

(١) معاني القران وإعرابه ٢٦٦/٥ ، والكشاف ٢٠٢/٤ ، ومجمع البيان ١٥٥/٢٩ .
(٢) معاني القران وإعرابه ٢٦٦/٥ ، ومجمع البيان ١٥٥/٢٩ .
(٣) الكشاف ٢٠٢/٤ .
(٤) معاني القران / الفراء ٣٧٢/٢ ، وجامع البيان / الطبري ١٥٠/٢٢ .

. فعلى الأول يكون التقدير (لتنذر قوما إنذارَ آبائهم) وعلى الثاني يكون (لتنذرَ قومًا ما أنذره آباؤهم [١] فهي في محل نصب على المفعول الثاني للفعل (لتنذر) . وكذلك عند الطبرسي (وأُنذروا) في موضع نصب على آياتي[٢]. وعند ابن الجوزي تكون (ما) بمعنى (كما) في قوله تعالى " لتنذرَ قومًا ما أُنذِر آباؤهم " يس ٦/٣٦ [٣]. ودلالة (ما) على الاحتمالية يعد من ابرز صفاتها إذ قد تشترك في أكثر من معنى في التفسير الواحد .

فقد تحتمل الموصولية الاسمية والحرفية وتحتمل النفي والاستفهام . وقد مر بنا في مبحث سابق أن (ما) في قوله تعالى " فما تُغني الآياتُ والنُّذُرُ " أن (ما) تحتمل الاستفهام والنفي . وغيره كثير في الاستعمال القرآني أو في غيره ، جاء في كتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم (وقد تحتمل الموصولة والنافية نحو قولك (ما عندي ما تريده) .. ونحوه قوله تعالى " إنّ الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء " العنكبوت ٤٢/٢٩ فما استفهامية وتحتمل أن تكون نافية أيضًا)[٤] .

٢- حاله عندما يذكر الفاعل (الضمير المتصل) فيكون التركيب (انذر + الضمير المتصل + المفعول الأول (الضمير المتصل) . فيأتي على تركيب (أنذرَهم) (أنذرتهم) (أنذرتُكم) (أنذرْناكم) (فأنذرتُكم) . أما المفعول الثاني فقد حذف في موضعين في آية البقرة بعد همزة التسوية . وقد جاء اسمًا ظاهرًا (صاعقة ، قومه ، عذابًا ، بطشَتَنا)[٥] .

(١) الكشاف ٤٨٩/٢ ، و٣١٤/٣ و٥١٥/٣ .

(٢) مجمع البيان ١٧٣/١٥ .

(٣) منتخب قرة العيون ٢٢٠ .

(٤) دراسات لأسلوب القرآن الكريم / عبد الخالق عضيمة ١٣٥/٣ .

(٥) الأحقاف ٣١/٤٦ ، القمر ٣٦/٥٤ ، النبأ ٤٠/٧٨ ، الليل ١٤/٩٢ .

أما الفعل فقد جاء مسندًا إلى ضمير المخاطب النبي (ص) فى قوله تعالى في سورة البقرة /٦ " سواءٌ عليهم أأنذرتَهم أم لم تنذرْهُم لا يؤمنون " ومثله في سورة يس ١٠/٣٦ أيضًا . وجاء مسندًا إلى ضمير المتكلم المتصل على لسان النبي (ص) في سورة فصلت ١٣/٤١ " فانْ أَعرضُوا فقلْ أنذرتُكم صاعقةً " وجاء مسندا إلى الضمير (نا) العائد على الذات العلية سبحانه في سورة النبأ ٤٠/٧٨ " إنّا أنذرْناكُم عذابًا قريبًا والى تاء المتكلم العائد إلى ذاته سبحانه في سورة الليل ١٤/٩٢ " فأنذرتُكم نارًا تلظَّى " ومسندًا إلى الضمير الغائب المستتر في سورة الأحقاف ٢١/٤٦ " واذكُرْ أخا عادٍ إذ أنذرَ قومَهُ بالأحقافِ " فالضمير المستتر يعود على هود (ع) . وفي سورة القمر ٣٦/٥٤ " ولقد أنذرَهم بطشَتَنَا " إذ الضمير المستتر يعود على لوط (ع) ويلاحظ أن المفعول الثاني للفعل (أنذر) في هذه المواضع يكون من الألفاظ التي تدل على الخوف والهلاك والعذاب الشديد والزجر عن المعاصي يتجسد ذلك في الألفاظ (صاعقة ، عذابًا ، نارًا ، بطشَتَنَا) .

على صيغة المضارع : ينذر : ويعد أكثر أحواله ورودا بعد لفظة (نذير) وقد جاء على الأحوال الآتية :

١- يأتي فعلا مضارعًا مقترنًا بلام التعليل في ثمانية عشر موضعًا كلها مكية إلا موضعًا واحدًا مدنيًّا في سورة التوبة . ويلاحظ في حاله هذه أن مفعوليه لم يذكرا معًا . وإنما يقتصر الذكر على أحدهما بحسب السياق . فقد يذكر المفعول الأول استغناء به عن المفعول الثاني . وقد يذكر المفعول الثاني استغناء به عن المفعول الأول . فإذا كان السياق موجهًا للعناية والاهتمام بالمفعول الأول فنراه يذكر في الكلام ويحذف الثاني فيأتي التركيب على الوجه الآتي (لأنذرَكم) أو (لتُنذِرَ أمَّ القرى) (ليُنذرَكم) (وليُنذروا قومهم) (ويُنذر الذين قالوا ...) ففي سورة الأنعام ١٩/٦ " وأوحيَ إليّ هذا القرآن لأنذرَكم بهِ " فحذف المفعول الثاني وأطلق الإنذار دون تقييد إذ المهم هنا المفعول الأول وهو الضمير كاف المخاطبين ليحملهم على التدبر والتفكير في هذا القرآن إذ إن المفعول المحذوف يقوم بإبراز أهمية

المذكور . كما أن المفعول المذكور بعلاقته وارتباطه بالفعل والفاعل ومكونات الكلام الأخرى بعلاقته بكل أجزاء الجملة الأخرى يقوم بالدلالة على المفعول المحذوف جاء في مجمع البيان (لأنذركم به. أي لأخوفكم به من عذاب الله)[١] ومثله ما جاء في سورة مريم ٩٧/١٩ " فإنما يسّرناه بلسانك لتبشّرَ به المتقين وتُنذرَ به قومًا لُدًّا " فذكر المفعول الأول هنا هو المهم وهو الذي توجه إليه العناية بدليل تخصيصه بالوصف . و.طلق الإنذار بحذف المفعول الثاني دون تقييد ليكون أشد وقوعًا في نفوسهم وليذهبوا في تحديده مذاهب . جاء في تفسير الطبري (يقول : ولتنذر بهذا القرآن عذاب الله قومَك من قريش)[٢] .

ومن حذف المفعول الأول وذكر المفعول الثاني ما جاء في سورة الكهف ٢/١٨ " ليُنذرَ بأسًا شديدًا من لَدُنْهُ " إذ حذف المفعول الأول لان العناية والاهتمام اقتضيا إبراز المفعول الثاني . جاء في الكشاف (فأن قلت لِمَ اقتصر على أحد مفعولي (يُنذر) قلت : قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق إليه فوجب الاقتصار عليه[٣]. فالمهم هو ذكر المفعول الثاني لذلك أظهره ولم يطوه . ولكننا في الآية الرابعة من السورة نفسها نجد أن السياق اقتضى حذف المفعول الثاني وذكر المفعول الأول ، قال تعالى " ويُنذر الذين قالوا اتّخذَ الله ولدًا " لأنهم ارتكبوا إثمًا كبيرًا بقولهم هذا فلا بد من إنذارهم وإشاعة الخوف في نفوسهم .

وقد يحذف المفعولان معًا كما ورد في الأعراف ٢/٧ " كتابٌ أُنزِلَ إليكَ فلا يكُنْ في صدرك حرجٌ منهُ لتنذر به وذكرى للمؤمنين " بحذف المفعولين لان المقام مقام تسلية للنبي وتخفيف عنه (ص) وزيادة في الاطمئنان فحذف المفعولين لإفادة العموم . جاء في الكشاف (فان قلت بمَ تعلّق قوله " لتنذرَ " قلت : بـ(أُنزلَ) أي أنزل

---

(١) الطبرسي ٢٨٣/٧ .
(٢) جامع البيان ١٣٢/١٦ .
(٣) الزمخشري ٤٧٢/٢ .

إليك لإنذارك به أو بالنهي لأنه إذا لم يُخفهم أنذرَهم وكذلك إذا أيقن أنه من عند الله شجّعه اليقين على الإنذار)[١].

٢- يأتي فعلا مضارعًا مرفوعًا في سياق (إنما) وقد ورد في ثلاثة مواضع في سورة الأنبياء ٤٥/٢١ " قلْ إنّما أُنذرِكُم بالوحيّ ولا يسمعُ الصمُّ الدعاءَ إذا ما يُنذَرون " وفي سورة فاطر ١٨/٣٥ " إنّما تُنذرْ الذين يخشون ربّهم بالغيب وأقاموا الصلاةَ " وفي سورة يس ١١/٣٦ " وإنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب " ووظيفة (إنما) في التركيب تقوم على ثلاثة معان :

الأول : أنها تأتي في الكلام لتدل على أن الكلام في أمر لا يدفع المخاطب صحته أو ما ينزّل هذه المنزلة . ومنه قوله تعالى " إنّما تنذر من اتَّبعَ الذكرَ وخَشِيَ الرحمنَ بالغيبِ " .

الأمر الثاني : أن الاختصاص بها يقع في المتأخر فقوله تعالى (إنما أُنذركم) الأنبياء ٤٥/٢١ وقوله (إنما تُنذر) فاطر ١٨/٣٥ ويس ١١/٣٦ توجه التخصيص للمنذرين .

الثالث : أنها تأتي للتعريض عندما لا يراد بالكلام الذي بعدها نفس معناه ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه ومنه قوله " إنَّما تُنذرُ الذين يخشون ربَهم بالغيب فاطر ١٨/٣٥ . والتقدير إن من لم تكن له هذه الخشية فهو كأنه ليس له أذن تسمع وقلب يعقل فالإنذار معه كلا إنذار[٢] . جاء في الكشاف (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب يعني : إنما تقدر على إنذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل منفعة الإنذار فيهم دون متمرديهم وأهل عنادهم)[٣] . ويأتي فعلاً مضارعًا مرفوعًا على صيغة (يفعلون) مع ذكر مفعوليه فيكون التركيب (فعل + فاعل + واو الجماعة + المفعول الأول الضمير + المفعول الثاني " لقاء ") (ينذرونكم لقاء

---

(١) نفسه ٦٦/٢ .

(٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ١٨٢ ــ ١٨٣ .

(٣) الزمخشري ٣٠٥/٣ .

يومكم هذا) . وقد ورد في موضعين الأول في سورة الأنعام ١٣٠/٦ " يا معشرَ الجنِّ والأنسِ أَلَمْ يأتِكم رسلٌ منكم يقصُّون عليكم آياتي وينذرونَكم لقاءَ يومِكم هذا " والآخر في سورة الزمر ٧١/٣٩ " وسيقَ الذين كفروا إلى جهنَّمَ زُمَـرًا حتّى إذا جاؤوها فُتِّحَتْ أبوابُها وقال لهم خَزَنَتُها ألم يأتِكم رسلٌ منكم يتلونَ عليكم آياتِ ربِّكم وينذرونكم لقاءَ يومِكم هذا " .

ويلاحظ أن السياق في سورة الأنعام جاء بـ(يقصّون عليكم آياتي) والسياق في سورة الزمر جاء بـ(يتلون عليكم آيات ربِّكم) إذ إن لفظ " يقص " ورد مرتين في سورة الأنعام . أما في سورة الزمر فلم يرد وإنما وردت لفظة (يتلون) . والخطاب في سورة الأنعام من الله سبحانه وتعالى ولذلك نسب إليه (الآيات) فقال (آياتي) . أما في سورة الزمر فالخطاب من خزنة النار ولذلك قالوا (آيات ربكم) . وفي الأنعام كان الخطاب إلى الجن والإنس فجاء لفظ (يقصّون) متسقا، لان الرسل من الإنس خاصة إذ إن القصص هي : الأخبار المتتبعة[١] . أما في سورة الزمر فجاء الفعل (يتلون) متسقا مع السياق لأن التلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة تارة بالقراءة وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي وترغيب وترهيب[٢] . إذ إن (الذين كفروا) هم من الإنس وهم مخصوصون بإرسال الرسل فقال (يتلون) ويلاحظ أيضا أن لفظة (لقاء) المضافة إلى (يومكم) المنعوت باسم الإشارة (هذا) كل ذلك جاء مصاحبًا الفعل (ينذرونكم) في الموضعين . جاء في تفسير الطبري (وينذرونكم ما تلقون في يومكم هذا)[٣] وجاء في مجمع البيان (أي يخوفونكم من مشاهدة هذا اليوم وعذابه)[٤].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ٦٧١ .
(٢) نفسه ١٦٦ .
(٣) جامع البيان ٣٤/٢٤ .
(٤) الطبرسي ١٧٦/٢٣ .

(منذر) على صيغة (مفعل)

اسم فاعل أو مفعول (مُنذر) : ورد في سبعة عشر موضعا وكانت أحواله على النحو الآتي :

١- سياق (ما و إلاّ) مصاحبا لفظة (مبشرين) وقد ورد في ثلاثة مواضع في سورة النساء ١٦٥/٤ " رسلاً مبشرين ومنذرين " وفي سورة الأنعام ٤٨/٦ " وما نُرسل المر ملين إلاّ مبشرين ومنذرين " وفي سورة الكهف ٥٦/١٨ " وما نرسل المرسلين إلاّ مبشرين ومنذرين " وفي سورة الشعراء ٢٠٨/٢٦ " وما أهلكنا من قريةٍ إلاّ لها منذرون " ويلاحظ أن التركيب في سور النساء والأنعام والكهف جاء على نظم واحد . أما في سورة الشعراء فقد اختلف النظم . وهذا التركيب في الآيات الكريمة موضع البحث . جاء عقب التخويف بالعذاب الذي سيلحق بهم سواء في الحياة الدنيا أم في الحياة الآخرة لذلك جاء الكلام بالنفي والاستثناء الذي (يستعمل في الأمر الذي ينكره المخاطب أو ما ينزل هذه المنزلة)[١] . جاء في الكشاف (ولم يرسلهم لتلهى بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرها بالبراهين القاطعة)[٢] إذ إنهم كانوا يُعرضون عن الآيات " انظرْ كيف نصرّف الآيات ثم هم يصدفون " الأنعام ٤٧/٦ فجاء التوكيد بـ(ما وإلاّ) ، وزيادة في التوكيد اسند الفعل إلى الذات العلية بدلالة الضمير (نا) . ويكون ومبشرين ومنذرين ، منصوبين على الحال .

أما في سورة الشعراء ٢٠٨/٢٦ " وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون " والآية جاءت في معرض إنكار صحة القرآن أو نبوة محمد (ص) (أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) (ولو نزلناه على بعض الأعجمين) (فقرأه أعليهم ما كانوا به من مؤمنين) الآيات ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ . ثم يأتي الحديث عن العذاب الذي يأتيهم بغتة وهم لا يشعرون . إذ إن إهلاك القرى لا يكون إلا بعد

---

(١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ١٨٢ .
(٢) الزمخشري ١٩/٢ .

إنذارها إلزامًا للحجة بدليل الآية التي بعدها (ذكرى وما كنا ظالمين) . جاء في معاني القرآن وإعرابه (ذكرى يكون نصبًا ويكون رفعًا .. فمن نصب فعلى المصدر ودل عليه الإنذار لأن قوله (إلاّ لها منذرون) معناه إلا لها مذكّرون ذكرى ويجوز أن يكون في موضع رفع على معنى إنذارها ذكرى على خبر الابتداء)[١] .

٢- يأتي على صيغة اسم المفعول في سياق الذم بالفعل (ساء) وهد ورد في ثلاثة مواضع في سورة الشعراء ١٧٣/٢٦ " وأمطرنا عليهم مطرًا فساء مطرُ المنذرين " وفي سورة النمل ٥٨/٢٧ " وأَمْطَرْنا عليهم مطرًا فساءَ مطرُ المنذرين " وفي سورة الصافات ١٧٧/٣٧ " فإذا نَزَلَ بساحتِهم فساءَ صباحُ المنذرين " ففي سورتي الشعراء والنمل جاء الذم بالفعل (ساء) إذ إن الآيتين كانتا في قوم لوط وإعراضهم عن دعوته (ع) لهم بترك المعاصي وإتيان الفواحش ، وإصرارهم على ما هم عله من الموبقات وهمّهم بإخراج لوط ومن معه فاستأصلهم الله بما أنزل عليهم من العذاب . والذم بالفعل (ساء) فيه خصوصية[٢] إذ يتضمن ما يأتي :

١ - الدلالة على معناها الخاص .

٢- زيادة في الدلالة تتضمن الذم بهذا المعنى .

٣- كما تتضمن الإشعار بالتعجب في الوقت نفسه .

٤- الذم هنا يكون خاصًّا بخلاف بئْسَ إذ يكون الذم بها عامًّا شاملاً وخاليًا من التعجب .

أي أن الفعل (ساء) في هذا التركيب يتضمن معنى السوء والذم والتعجب . جاء في كتاب معاني النحو (وتفيد صيغة (فعُل) أيضًا التعجب على وجه الاستمرار والثبات ... قال تعالى في وصف الجنة (حسُنتْ مستقرًّا ومقامًا) الفرقان ٧٦/٢٥.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٠٢/٤ .
(٢) ينظر النحو الوافي /عباس حسن/ ٢٩٢/٣ .

فهي حسنة على وجه الدوام)[١]. جاء في الكشاف (ولم يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم إنما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم)[٢]. ويلاحظ أن التركيب جاء بالفعل (أمطر) وجاء لفظ (مطر) مرتين في الأولى (مطرًا) نكرة وفي الثانية معرفًا بالإضافة ، فأما الفعل (أمطر) فأكثر ما يرد في الاستعمال القرآني في مواطن العذاب والعقاب ومنها الآيات ــ موضع البحث ــ جاء في مفردات ألفاظ القرآن " وقيل إن (مطر) يقال في الخير و (أمطر) في العذاب)[٣] .

أما التنكير في (مطرًا) فلغرض التفخيم والتهويل ، إذ لم يقيد بقيد ، وفاعل (ساء) في الاستعمال القرآني يكون في الغالب (ما) + الفعل المضارع . ومنه قوله تعالى " ساءَ ما يحكمون " " ساء ما يزرون " الأنعام /٣١ ولم يرد اسمًا إلا في هذه الآيات ــ موضع البحث ــ

أما آية الصافات " فإذا نزلَ بساحتِهِم فساء صباح المنذرين " فالآية في المشركين والكفار ، والخطاب للنبي (ص) .

جاء في الكشاف (وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر ... والمعنى : فساء صباح المنذرين صباحهم . واللام في (المنذرين) مبهم في جنس من أنذروا لأن ساء وبئس يقتضيان ذلك)[٤] .

ويلاحظ أن الذم جاء في سياق (إذا) وهي شرط و (تخص بدخولها على المتيقن والمضنون والكثير الوقوع بخلاف (إنْ) فإنها تستعمل في المشكوك والموهوم والنادر)[٥] . وهذا يتسق مع نظم الآية الكريمة ومعناها إذ إن العذاب هنا ليس

---

(١) معاني النحو ٦٦٢/٤ .

(٢) الزمخشري ١٢٦/٣ .

(٣) الراغب الأصفهاني ٧٧٠ .

(٤) الزمخشري ٣٥٧/٣ .

(٥) الإتقان في علوم القرآن ١٩٤/١ .

عذابَ اختصاص كما كان مع قوم لوط (ع) وإنما هو عذاب متوقع بسبب عنادهم وإصرارهم على الشرك وإنكار البعث جاء في مجمع البيان (أي فبئس الصباحُ صباحُ من خُوّف وحُذّر فلم يحذرْ ولم يخف)[١] .

٢- يأتي جمعًا معرفا بـ(أل) في أربعة مواضع كلها مكية . وفي سورة يونس ٧٣/١٠ " فأنظرْ كيفَ كان عاقبةُ المنذرين " وفي سورة الشعراء ١٩٤/٢٦ " لتكونَ منَ المنذرين " . وفي سورة النمل ٩٢/٢٧ " فمنِ اهتدى فإنّما يهتدي لنفسهِ ومنْ ضلَّ فقلْ إنّما أنَا من المنذرين " . وفي سورة الصافات " فأنظُرْ كيفَ كانَ عاقبةُ المنذرين " . ويلاحظ (المنذرين) جاء في صيغة اسم مفعول في آيتي يونس والصافات مع اتفاقهما في النظم . أما في آيتي الشعراء والنمل فقد جاء على صيغة اسم فاعل . ويلاحظ أيضًا أن لفظ (المنذرين) في آيتي يونس والصافات جاء في سياق (كيف) وإنهما مصاحبان لفظه (عاقبة) . جاء في الكشاف (كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له)[٢]. أما في آيتي الشعراء والنمل فقد جاءت لفظة (المنذرين) على صيغة اسم الفاعل وجاءت معرفة بـ(أل) ولم يقترن بلفظه (مبشرين) أي أن الكلام اقتصر على الإنذار . إذا عدنا إلى سياق السورتين وجدنا أن هناك اختلافا . إذ تبدأ سورة الشعراء " تلك آيات الكتاب المبين " ٢/٢٦ في حين تبدأ سورة النمل " تلك آيات القرآن وكتاب مبين " كما أن سورة الشعراء تبدأ بتسلية النبي (ص) وألاّ يقتل نفسه غمًّا بسبب عدم إيمانهم " لعلك باخعٌ نفسَك ألاّ يكونوا مؤمنين " ويلاحظ تكرار (كاف) النبوة مرتين وهذا يتسق تمامًا مع الآية ــ موضع البحث ــ إذ نقرأ أواخر السورة " إنّه لتنزيلُ ربِّ العالمين نزلَ بهِ الروحُ الأمينُ على قلبك لتكونَ من المنذرين " فيلاحظ هذا التأكيد بنسبة القرآن إلى الله سبحانه ثم إظهار (كاف) النبوة في لفظه (قلبك) لتتناسب مع (لعلك) و (نفسك

---

(١) الطبرسي ٩٢/٢٣ .
(٢) الزمخشري ٢٤٦/٢ .

) في أول السورة فجاء (لتكون من المنذرين) متسقًا مع هذا كله . لان أخبار الرسل المذكورين في السورة وهم موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح وشعيب (عليهم السلام) ، لا تكون هذه الأخبار إلا بالوحي من الله عز وجل .
أما في سورة النمل فتبدأ بذكر القرآن " تلك آياتُ القرآن " وتبدأ بالبشرى للمؤمنين . ويكثر فيها الخطاب بالفعل (قل) ولذلك جاء الكلام بـ(إنما) متسقًا مع نظم السورة كلها إذ يغلب على (إنما) في القرآن أن تكون بمثابة الجواب عن سؤال يقتضيه السياق قبلها صريحًا أو ضمنًا يكثر في الصريح سبقها بمادة القول (قُلْ إنّما)[1] .
٣- يأتي جمعًا نكرة منصوبا من غير مصاحبة : وقد ورد في ثلاثة مواضع في سورة الصافات ٧٢/٣٧ " ولقَدْ أرسلْنَا فيهم منذرين " وفي سورة الدخان ٣/٤٤ إنّا أنزلناهُ في ليلةٍ مباركةٍ إنّا كُنّا منذرين " وفي سورة الأحقاف ٢٩/٤٦ وإذْ صرفنا إليك نفرًا من الجنِّ يستمعونَ القرآنَ فلمّا حضروهُ قالوا أنصتوا فلما قُضي ولّوا إلى قومِهم منذرين " . ويلاحظ أن دلالة (منذرين) في الآيات الثلاث تختلف باختلاف السياق . ففي سورة الصافات تكون دلالة (منذرين) الرسل والأنبياء الذين سبقوا النبي (ص) . وفي سورة الدخان تكون دلالة (منذرين) منسوبة إلى الله سبحانه وتعالى بدلالة الضمير المكرر في (إنّا كُنّا منذرين) . وفي سورة الأحقاف تتصرف دلالته (منذرين) إلى نفر من الجن سمعوا القرآن فولوا إلى قومهم ينذرونهم بما فيه من عذاب وعقاب . ومجيئه نكرة للدلالة على الشمول والعموم جاء في تفسير الطبري (منذرين تنذرهم بأسنا على كفرهم بنا)[2]. وجاء في الكشاف (منذرين : أنبياء حذروهم العواقب)[3] . وفي قوله تعالى " إنّا كنّا منذرين " الدخان ٣/٤٤ فقد بدأت الآية بالقسم " حم والكتابِ المبينِ " جاء في الكشاف (هما جملتان مستأنفتان) (إنّا كنّا منذرين فيها يُفرَقُ كلُّ أمرٍ حكيمٍ) ملفوفتان فسر بهما

(١) فكرة النظم بين وجوه إعجاز القرآن / د. فتحي أحمد عامر ١٨٥ .
(٢) جامع البيان ٦٦/٢٣ .
(٣) الزمخشري ٣٤٣/٣ ، والقرطبي ٦٠/١٥ .

جواب القسم الذي هو قوله تعالى " إنّا أنزلنَاهُ في ليلةٍ مباركةٍ " كأنه قيل : أنزلناهُ لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب[١] . وجاء في مجمع البيان (إنّا كنّا منذرين) جواب القسم دون قوله (إنّا أنزلناه) لأن لا تقسم بالشيء على نفسه فان القسم تأكيد خبر بخبر آخر فقوله " إنّا أنزلناهُ في ليلةٍ مباركةٍ " اعتراض بين القسم وجوابه[٢] .

٤- يأتي مفردًا مرفوعًا في سياق (إنما) وقد ورد في سورة الرعد ٧/١٣ " إنّما أنت منذرٌ ولكلِّ قومٍ هاد " وفي سورة ص ٦٥/٣٨ " قلْ إنَّما أنا منذرٌ " وفي سورة النازعات ٤٥/٧٩ " إنَّما أنتَ منذرٌ من يخشاها " . ويلاحظ أن لفظة (منذر) جاءت نكرة منونة في آيتي الرعد و ص . بخلاف آية النازعات فقد جاءت معرفة بالإضافة . وآية الرعد على لسان الذين كفروا إذ جاء الطلب بـ(لولا) ولذلك جاء الكلام بـ(إنما) متسقًا مع سياق الآية الكريمة . إذ إن (إنما) أغلب ما تأتي جوابًا لسؤال صريح أو مقدر كما مرّ بنا . والتخصيص بها وقع على الخبر (منذر) . أما آية ص فجاءت في سياق تخاصم أهل النار فيما بينهم ولا سيما الطغاة منهم لذلك جاء الجواب " قُلْ إنّما أنا منذرٌ " فضلا عن لفظة (منذر) جاءت في أول السورة " وعجبوا أَنْ جاءَهم منذرٌ منهم " ٤/٣٨ . وفي آية النازعات كان السياق في سؤالهم عن الساعة " أيانَ مرساها " أي منتهاها ومستقرها فجاء الجواب (إنّما أنت منذرٌ من يخشاها)، وفيه معنى التعريض (والتقدير إنّ من لم تكن له هذه الخشية فهو كأنه ليس له أذن تسمع وقلب يعقل فلإنذار معه كلا إنذار)[٣] . جاء في الكشاف (أي لم تبعث لتعلِمَهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه . إنما بعثت لتنذر من

---

(١) الكشاف ٥٠/٣ .

(٢) الطبرسي ١٠٦/٢٤ .

(٣) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز / فخر الدين الرازي ١٨٨ .

أهوالها من يكون إنذارك لطفًا له في الخشية منها)[١]. وجاء في الجامع لأحكام القرآن (أي مَخوف ، وخُص بالإنذار بمن يخشى لأنهم المتفقون به)[٢] . وفي غير سياق (إنما) جاءت لفظة (منذر) نكرة مرفوعة في سورة ص ٣٨/٤ " وعَجِبوا أنْ جاءَهم منذرٌ منهم وقال الكافرونَ هذا ساحرٌ كذّابٌ " وهو هنا فاعل للفعل (جاءَهم) الواقع بعد (أن) المصدرية جاء في المقتضب (وإذا وقعت على فعل ماضٍ كانت مصدرًا لما مضى تقول سرني أنْ قمت .. أي لهذا العلة)[٣] . فسبب عجبهم هو مجيء منذرٍ منهم . جاء في تفسير الطبري (وعجبَ هؤلاء المشركون من قريش أن جاءهم منذرٌ يُنذرهم بأس الله)[٤]. ولفظة (منهم) هي التي أثارت عجبهم . جاء في الكشاف (منذر منهم) (رسول من أنفسهم)[٥] .

مادة (خشي)

ورد الفعل (خَشِيَ) وتصريفاته فى خمسة وأربعين موضعًا منها ثلاثة وعشرون موضعًا مدنيًّا . واثنان وعشرون موضعًا مكيًّا . وقد جاء على الأحوال الآية :

أ- حاله عندما يجيء مصدرًا " خَشِيَ " فقد ورد مضافًا إلى لفظ الجلالة في السور المدنية . أما إضافته إلى غير لفظ الجلالة فقد ورد في السور المكية ، ففي سورة البقرة ٢/٧٤ جاء مضافا إلى لفظ الجلالة وكذلك في سورة النساء ٤/٧٧ . وفي سورة الحشر ٥٩/٢١ أيضًا وهذه السور كلها مدنية . وسنعرض لكل موضع من هذه المواضع إن شاء الله :

أما ما جاء في سورة البقرة ٢/٧٤ " ثُمّ قَسَتْ قُلوبُكم من بعدِ ذلكَ فهيَ كالحجارةِ أو أشَدُّ قَسوَةً وإنّ من الحجارةِ لمَا يتَفجّرُ منهُ الأنهارُ وإنّ منها لما يشَّقَقْ فيخرجُ منه الماءُ وإنّ منها لما يهبطُ من خَشْيَةِ اللهِ " .

---

(١) الزمخشري ٤/١٦ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٩/١٣٦ .
(٣) المقتضب ٣/٥ .
(٤) جامع البيان ٢٣/١٢٤ .
(٥) الكشاف ٣/٣٩٠ .

فالخطاب لبني إسرائيل والإشارة (ذلك) إلى ما تقدّم من الآيات والمعجزات على يد موسى (ع) . والآية في وصف قلوبهم وقسوتها وتشبيهها بالحجارة ثم تفضيل الحجارة على قلوبهم لأن منها ما يخرج منه الماء ومنها ما يهبط من خشية الله . جاء في مفردات ألفاظ القران (والهبوط الانحدار على سبيل القهر كهبوط الحجر)[١] واختلف المفسرون فى حقيقة (الخشية) في هذه الآية . جاء في تفسير الكشاف (والخشية مجازًا على انقيادها لأمر الله تعالى)[٢]. والمشكل في الآية الكريمة هو نسبة الهبوط والخشية إلى الحجر ، إذ إن الهبوط من خشية الله صفة العقلاء ، والحجر جماد فلا يتحقق ذلك فيه . ولذلك قيل (إن الضمير فى قوله تعالى " وان منها " راجع إلى القلوب فإنه يجوز عليها الخشية)[٣] . لكن الضمير في (منها) يرجع إلى الحجارة أي ومن الحجارة ما يهبط من خشية الله ، وعليه أكثر أهل التفسير[٤] . وإذا عدنا إلى سياق الآية الكريمة وجدنا أنها فى معرض الموازنة بين قسوة قلوب بني إسرائيل بعد ما رأوا الآيات والمعجزات على يد موسى (ع) وقسوة الحجارة الصماء . إن قسوة قلوبهم الجاهلة المعاندة لو ووزنت بقسوة الحجارة الصماء التي لا تعقل ، لكانت الحجارة خيرًا من قلوبهم لأن للحجارة من الفضل والنفع ما يجعلها أعلى مرتبة من تلك القلوب التي لا تعي ولا تتدبر . فمن الحجارة تتفجر الأنهار ومنها يخرج الماء ومنها ما يهبط من خشية الله . ويلاحظ توكيد هذه الصفات بأشد طرائق التوكيد وهى طريقة (إنّ) المشددة واسمها المقترن بلام التوكيد ثم هذا التكرار للجار والمجرور (منها) وللاسم الموصول (ما) . فإسناد الهبوط والخشية إلى الحجارة فى سياق الموازنة فيه تعريض بتفاهة منزلتهم وعدم

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ٨٣٢ .

(٢) الكشاف ٢٩١/١ .

(٣) التفسير الكبير ٣٨١/٣ .

(٤) الكشاف ٣٩١/١ ، ومجمع البيان ٣١٣/١ ، والنهر الماد / أبو حيان ٩٤/١ .

نفعهم بإعراضهم عما دعاهم إليه نبيهم موسى (ع) . فلو أن لمثل هذه الحجارة ما يتمتعون به من إدراك وحواس لأصابهم ما أصابها من الخوف والخشية . أما في سورة النساء ٧٧/٤ " أَلَمْ تَرَ إلى الذين قيلَ لهم كُفُّوا يديَكم وأَقيمُوا الصلاةَ وآتُوا الزكاةَ فلمَّا كُتِبَ عليهم القتالُ إذا فريقٌ منهم يخشَونَ الناس كخشية الله أو أشدَّ خشية وقالوا ربَّنا لِمَ كَتَبْتَ علينا القتالَ لو لا أخرتنا إلى اجلٍ قريب " .

وسياق الآية في كراهة القتال وموقف جماعة من المسلمين منه عندما أمروا بقتال المشركين ، وكانوا قبل ذلك يطلبون من النبي (ص) أن يأذن لهم في قتال المشركين ، فلما فرض عليهم القتال كرهوا ذلك .

ويلاحظ في الآية الكريمة أن المصدر (خشية) وقع في سياق (لمَّا) التي تختص بالماضي ، وسياق (إذا) الفجائية . جاء في كتاب مغني اللبيب (لمّا : أن تختص بالماضي فتقتضي جملتين وُجِدت ثانيهما عند وجود أولاهما)[١] .

وقد جاء الجواب بـ(إذا) الفجائية التي تدل على سرعه تغير ومفاجأة في الموقف . وهذا ما يتسق مع موقف الذين كرهوا القتال وكانوا قبل يحرضون عليه. والكاف في قوله تعالى " كخشية الله " عند أكثر اللغويين والمفسرين في موضع نصب لأنها صفة مصدر محذوف وتقديره يخشون الناس خشية كخشية الله[٢]. وعند الزمخشري (كخشية الله) محله النصب على الحال من الضمير في (يخشون) أي يخشون الناس مثل أهل خشية الله . أي مشبهين لأهل خشية الله و (أشد) معطوف على الحال)[٣].

أما في سورة الحشر ٢١/٥٩ " لو أنزلْنَا هذا القرآنَ على جبَلٍ لَرَأيتهُ خاشعًا متصدِّعًا من خشيةِ اللهِ " . فالمصدر (خشية) وقع في سياق (لو) الشرطية غير الجازمة

---

(١) ابن هشام ٢٨٠/١ .

(٢) البيان في غريب القرآن / ابن الأنباري ٢٦٠/١ ، ومشكل إعراب القرآن / القسم الأول ٢٠٣ ، ومجمع البيان ٧٧/٥ .

(٣) الكشاف ٥٤٣/١ .

المقترن جوابها باللام . والأصل في فرض المحالات كلمة (لو) دون (إنْ) لأنها لمَا لا جزمَ بوقوعه ولا وقوعه والمحال مقطوع بلا وقوعه[١] . جاء في كتاب المغني (إن خاصية (لو) فرض ما ليس بواقع واقعًا ومن ثم انتفى شرطها في الماضي والحال لما ثبت من كون متعلقها غير واقع .. والحاصل أن الشرط متى كان مستقبلا محتملا وليس فرضه الآن أو فيما مضى فهي بمعنى (إنْ) ، ومتى كان ماضيًا أو حالاً أو مستقبلاً ولكن قصد فرضه الآن أو فيما مضى . فهي الامتناعية)[٢] . ومجيء اللام في جوابها للتأكيد ، ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن مجيئها في الكلام يكون (لما هو شاق عسير ، ونزعها مما هو أيسر)[٣] .

ويلاحظ أن فعل الشرط (أنزل) على بناء أفعل وليس على بناء (فعّل) على الرغم من أن البناءين ورد استعمالهما في القرآن الكريم . إذ إن استعمال (أنزل) غير استعمال (نزّل) جاء في مفردات ألفاظ القرآن (والفرق بين الإنزال والتنزيل .. أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقًا ومرة بعد أخرى والإنزال عام .. [٤] وجاء في كتاب بلاغة الكلمة (والذي يبدو أن استعمال (نزّل) قد يكون للتدرج والتكثير وقد يكون للاهتمام والمبالغة .. فما استعمل فيه (نزّل) يكون أهم وآكد مما استعمل فيه (أنزل) [٥] ومجيء لفظ (خاشعًا متصدعًا) يتسق مع تلك الخشية المضافة إلى الله سبحانه . جاء في تفسير الطبري (لو أنزلنا هذا

---

(١) كليات أبي البقاء الحسيني الكفوي / ٥١ ، طبعة بولاق ط ، وينظر معاني النحو ٤/٤٦٩ .

(٢) المغني / ابن هشام ١/٢٦٥ .

(٣) معاني النحو ٤/٤٧٢ .

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ٢٨ ـ ٥٣ .

(٥) د. فاضل السامرائي ٥٢ ـ ٥٧ .

القرآن على جبلٍ وهو حجر لرأيته يا محمد خاشعًا .. متذللا متصدعًا من خشية الله على قساوته حذرًا من أن لا يؤدى حق الله)[١] .

وجاء في تفسير الكشاف (هذا تمثيل وتخييل .. والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره)[٢] .

أما ما أضعف إلى غير لفظ الجلالة (الله) فقد وردت أضافته إلى كلمة (رَبّ) في سورة المؤمنون ٥٧/٢٣ " إنّ الذين هم من خشيةِ ربّهم مُشفقون " ويلاحظ في السياق اللفظي لهذه الآية تكرار كلمة (ربّهم)، ثلاث مرات . قال تعالى " إنّ الذين هم من خشية ربِّهم مشفقون والذين هم بآياتِ ربِّهم يُؤمنون والذين هم بربِّهم لا يشركون " وهذا التكرار يتسق تمامًا مع سياق السورة . إذ وردت كلمه (ربّ) في هذه السورة ثلاثًا وعشرين مرة . كما يلاحظ تكرار الاسم الموصول (الذين) وصدر صلته (هم) وذلك لغرض التعظيم وعلو منزله الموصوفين بهذه الأوصاف . جاء في كتاب الطراز (وربما سيق لتعظيم شأن القضية .. فهذا وارد على جهة تعظم هذه القضية كما ترى)[٣] . وفي الجمع بن الإشفاق والخشية وردت أقوال (فمنهم من قال للتأكيد ومنهم من حمل (الخشية) على العذاب . أي من عذاب ربهم مشفقون .. ومنهم من حَمَل (الإشفاق) على أثره وهو الدوام فى الطاعة والمعنى: الذين هم من خشيته دائمون على طاعته . ومنهم من قال : الإشفاق كمال الخوف (أي أنهم من سخط الله عاجلاً ومن عقابه آجلاً في نهاية الخوف)[٤] .

كما وردت إضافة (الخشية) إلى غير لفظ الجلالة في سورة الإسراء في الآيتين ٣١ ، ١٠٠ ، فقد أضيفت في الآية ٣١ إلى كلمة (إملاق) قال تعالى " ولا تقتلوا أولادَكُم خشيةَ إملاق " وفي الآية / ١٠٠ أضيفت إلى كلمة (الإنفاق) قال تعالى "

---

(١) جامع البيان ٥٣/٢٨ .
(٢) الكشاف ٨٧/٤ .
(٣) الطراز ٢٦٥/٣ .
(٤) التفسير الكبير ١٠٧/٢٣ ، وغرائب القرآن / النيسابوري ٢٨/١٨ .

قلْ لو أنتم تملكونَ خزائنَ رحمةِ ربِّي إذًا لأمسكتُم خشيةَ الإنفاقِ وكانَ الإنسان قتورًا" .

فآية الإملاق جاءت في سورة الأنعام ١٥١/٦ قال تعالى في سورة الأنعام ١٥١/٦ " ولا تقتلوا أولادكُم من إملاقٍ نحنُ نرزقُكُم وإياهُم " وقال تعالى في سورة الإسراء ٣١/١٧ " ولا تقتلوا أولادكُم خشيةَ إملاقٍ نحنُ نرزقُهُم وإياكم " ففي الأنعام قال تعالى " من إملاقٍ " وفي سورة الإسراء قال تعالى " خشيةَ إملاق " لأن سياق الآيتين يختلف ، ففي الآية الأولى – الأنعام – يكون القتل بسبب الفقر الذي هم عليه وليس بسبب الفقر المتوقع فلا تكون هناك خشية إذ هم في فقر . أما في الآية الثانية – الإسراء – فقد كان خوفًا من الفقر المتوقع إذ هم ليسوا على حال من الفقر ولذلك قدم رزق الأولاد على الآباء – فقال " نحن نرزقُهُم وإياكم " . أما في الآية الأولى فقد قدم رزق الآباء على الأولاد – فقال " نحن نرزقُكُم وإياهم " جاء في (بديع القرآن) قوله تعالى في الأولى (من إملاق) يشير إلى الخطاب للفقراء دون الأغنياء .. وفي الثانية قال يخافون أن تسلبهم كلف الأولاد ما بأيديهم من الغنى)[١] . ويلاحظ أن لفظة (إملاق) جاءت في الآيتين نكرة لتدل على عموم الفقر وشموله.

أما الموضع الثاني الذي أضيف فيه المصدر (خشية) إلى غير لفظ الجلالة فقد ورد في سورة الإسراء ١٠٠/١٧ في قوله تعالى " قلْ لو أنتم تملكونَ خزائنَ رحمةِ ربِّي إذا لأمسكتُم خشيةَ الإنفاق وكانَ الإنسان قتورًا " إذ جاء المصدر (خشية) مضافًا إلى كلمة (الإنفاق) . فخشية مفعول من أجله[٢] . وقد جاء (الإنفاق) معرفًا بـ(أل) بخلاف الإملاق الذي جاء منكرًا . والغرض من التعريف هو

---

(١) بديع القرآن / ابن أبي الإصبع ٢٦١ ، وينظر معاني النحو ٢١٧/٣ ، والتعبير القرآني ٢٤٦ .

(٢) البحر المحيط ٨٥/٦ .

تخصيص إنفاق معين بدليل قوله تعالى " وكانَ الإنسانُ قتورًا " . جاء في مفردات ألفاظ القرآن (خشية الإنفاق) أي خشية الإقتار يقال أنفق فلان إذ نفق ماله فأفتقر[١] . وقيل من البخل[٢] .

وفي مجيء الضمير (أنتم) بعد (لو) دلالة على الاختصاص والقصر ، أي لو اقتصر ملك خزائن رحمة ربي عليكم . جاء في الكشاف (فأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن (تملكون) فيه دلالة على الاختصاص[٣] ، ويرى الدكتور فاضل السامرائي (أن التقديم للقصر)[٤] . ويعرض ابن القيم لسياق (لو) التي وردت في هذه الآية أو في آيات أخرى بقوله (إذا قلت لرجل لا يعطي أحدًا شيئًا لو أنك لك الدنيا بأسرها ما أعطيت أحدًا منها شيئًا . فإنك إذا قصدت أن عدم إعطائه ثابتٌ على أعظم التقادير التي تقتضي الإعطاء فلازمت بين إعطائه وبين أعظم أسباب الإعطاء وهو كثرة ما يملكه فدل هذا على أن عدم إعطائه ثابت على ما هو دون هذا التقدير ، وأن عدم الإعطاء لازم لكل تقدير[٥] .

٢- أما وروده على بناء الماضي (خشي) فقد جاء في خمسة مواضع كلها مكية إلا موضعًا واحدًا مدنيا . أ- إذ جاء صلة للاسم الموصول (مَنْ) في ثلاثة مواضع أحدها مدني والآخران مكيان . ب- وجاء مسندًا إلى ضمير الرفع المتصل (نا ، وتاء الفاعل) في موضعين مكيين . وقد جاء مفعوله ظاهرًا (العَنَت ، الرحمن) في ثلاثة مواضع . أحدها مدني والآخران مكيان . جـ - وجاء مفعوله مصدرًا مؤولا من (أن والفعل) في موضعين مكيين . ١- أما مجيئه صله لاسم الموصول (مَن) فقد ورد في سورة النساء ٢٥/٤ " فإذا أُحْصِنَّ فإنْ أتَيْنَ بفاحشة فعليهِنَّ نصفُ ما على المحصناتِ من العذاب ذلك لمن خشِيَ العَنَت منكم " وسياق

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ٨١٩ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٣٥/١٠ .
(٣) الكشاف ٢٤٧/٢ .
(٤) معاني النحو ٤٧٣/٢ .
(٥) بدائع الفوائد ٥٧/١ .

الآية الرخصة في نكاح الإماء . فذلك : مبتدأ وما بعده خبره[١] . والعَنَت من المعانتة وهى معاندة فيها خوف وهلاك ولهذا يقال : عنتَ فلانٌ إذا وقع فى أمر يخاف منه التلف[٢] . ولذلك فسر (العنت) (الضرّار فى دينه وبدنه أو (إذا خاف أحدكم أن يفجر) أو (الإثم الذي يؤدى إليه غلبة الشهوة) أو (الزنا)[٣] . وكلها يدخل فى المحرم من الكبائر . ولذلك جاء الفعل (خَشِيَ) متسقاً مع عظم الإثم أو الذنب لأن الخشية خوف يشوبه تعظي[٤] . وقد جاء الفعل هنا على بناء الماضي والمراد به المستقبل لأن الخشية تكون فى المتوقع وليس فى الذي وقع . ومثله ما جاء صلة للاسم الموصول (من) في سورة ق ٣٢/٥٠ – ٣٣ " وأزلفتِ الجنّةُ للمتقينَ غيرَ بعيدٍ . هذا ما تُوعَدون لكلِّ أوّابٍ حفيظٍ ، من خشِيَ الرحمنَ بالغيبِ وجاء بقلبٍ منيبٍ " وفي توجبه إعراب (من خشِيَ الرحمن) وجهان : الخفض على إتباعه (كلٍّ) في قوله تعالى " لكلِّ أوّابٍ " . والرفع : على الاستئناف. فعلى الإتباع يتم الكلام عند قوله تعالى " وجاء بقلبٍ منيبٍ " وعلى الاستئناف على أن يكون مبتدأ وخبره محذوف على تقدير قال لهم (ادخلوها)* فعلى هذا يكون تمام الكلام عند قوله " كلٍّ أوّابٍ "[٥] ويكون (بالغيب) حالاً من المفعول أي خَشِيَه وهو غائب لم يعرفه .. أو صفة لمصدر(خشيَ) . أي خَشِيَهُ خَشْيَةً ملتبسة بالغيب حيث خشِيَ عقابه وهو غائب[٦]. والمفعول هو (الرحمن) وفى ذكره واقتران الخشية باسمه دلاله لطيفة (وذلك

---

(١) مشكل إعراب القرآن ١٩٥ / القسم الأول .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ٥٦٩ .

(٣) معاني القران / الفراء ٢٦١/١ ، وجامع البيان ٢٥/٥ ، والكشاف ٥٢٠/١ ، ومجمع البيان ٣٤/٥ .

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ٢٨٣ .

* على تقدير (من) شرطية و (خشِيَ) في موضع جزم والجواب : فيقال لهم (ادخلوها) .

(٥) جامع البيان ١٧٣/٢٦ ، ومجمع البيان ١١٤/٢٦ .

(٦) الكشاف ١٠/٤ .

للثناء البالغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنه خاشٍ مع أن المخشي منه غائب)[١] وجاء في تفسير الرازي (وقوله (من خَشِيَ الرحمن) فيه لطيفة وهي أن الرحمة تورث الاتكال والرجاء فقال مع انه رحمن رحيم فالعاقل لا ينبغي أن يترك الخشية .. يعني ومع كونه ذا رحمة لا تأمنوه)[٢] . ودلالة الفعل (خشِيَ) في سياق الآية الكريمة على الدوام أي انه في خشية دائمة بدليل قوله تعالى " جاءَ بقلبٍ منيبٍ " أي يوم القيامة).

٢- أما وروده على بناء الماضي مسندا إلى ضمير الرفع (نا) و (تاء الفاعل) فقد ورد في موضعين مكيين فقط احدهما في سورة الكهف ١٨/٨٠ " أمّا الغلام فكان أبواهُ مؤمنينَ فخشيْنَا أن يرهقهما طغيانا وكفرا . فأردنا أنْ يبدلهما ربُّهما خيرا منه زكاةً واقربُ رُحمًا " .

وفي عودة الضمير (نا) في (فخشينا) خلاف . جاء في معاني القرآن وإعرابه (فخشينا) من كلام الخضر . دليلنا قوله " فأردنا أن يبدلهما ربُّهما خيرا وهذا جائز أن يكون عن الله عز وجل[٣] . وعند اغلب المفسرين أن الضمير يعود إلى الله تعالى وذلك إذ معنى ((قوله (خشينا) في هذا الموضع كرهنا . لأن الله لا يخشى)[٤] . إذ إن دلالة (خشينا) تختلف إذا كان الكلام من الله سبحانه أن يكون معناها الكرامة (لان الخشية من الله عز وجل معناه الكرامة)[٥] وقيل معناه (علمنا) جاء في معاني القرآن للفراء (فخشينا) : فعلمنا .. والخوف والظن يذهب بهما

---

(١) الكشاف ١٠/٤ .

(٢) التفسير الكبير مفاتيح الغيب ٤٧/٢٦ .

(٣) الزجاج ٣٠٥/٣ .

(٤) الطبري ٣/١٦ ، والكشاف ٤٩٥/٢ ، وغرائب القرآن ٦٢٠/١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٦/١١ .

(٥) الطبري ٣/١٦ ، ومعاني القرآن ٣٠٥/٣ ، والبحر المحيط ٦/ ١٥٥، والقرطبي ٣٦/١١.

مذهب العلم[١] . أما إذا كان (فخشينا) من كلام الخضر (ع) فيكون معناه (فخفنا)[٢] . والاستعمال القرآني يرجح أن يكون من كلام الخضر (ع) إذ لم يرد في الاستعمال القرآني نسبة الخوف أو أحد ألفاظه إلى الله سبحانه وتعالى . فالله لا يخاف ولا يخشى . ويلاحظ أن مفعوله جاء مصدرًا مؤولاً من (أنْ + الفعل) (أنْ يرهقهما) أو (أن تقول) . الفرق بينه وبين المصدر الصريح (الإرهاق) و (القول) هو أن المصدر المؤول ولا سيما مع (أنْ) (يدل على مجرد معنى الحدث دون احتمال زائد)[٣] . يقول الدكتور فاضل السامرائي (وإيضاح ذلك أنك إذا قلت مثلا (يعجبني مشيُ محمد) فقد يفيد ذاك أن في مشيه صفة معينة هي التي تعجبك فيه ويحتمل أنه يعجبك مجرد المشي ولكن إذا قلت (يعجبني أن يمشي) كان ذلك لمجرد المشي لا لشيء آخر أو صفة خاصة)[٤] .

كما أن المصدر المؤول يميز الفاعل من المفعول . فقوله تعالى " تخشينا أن يرهقهما " أسند الإرهاق إلى الغلام ولو جاءت الآية بالمصدر الصريح (فخشينا إرهاقهما) أو (إرهاقًا) لم يتميز الفاعل من المفعول بدقة إذ تقبل الاحتمال وفذلكة القول أن مجيء المفعول مصدرًا مؤولاً كان لغرض ومعنى يقتضيها السياق . وهذا التوجيه ينطبق على الآية /٩٤ من سورة طه " إنّي خشيتُ أنْ تقولَ فرقّتَ بين بني إسرائيل ولم ترقُبْ قولي " فقد جاء المفعول مصدرًا مؤولاً (أنْ تقولَ) ليدل على مجرد القول لا شيء آخر .

---

(١) معاني القران ١/١٥٧ ، والطبري ١٦/٣ ، والطبرسي ١٥/١٩٤ ، والقرطبي ١١/٣٦.

(٢) الكشاف ٢/٤٩٥ ، ومجمع البيان ١٥/١٩٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٣٦ ، والبحر المحيط ٦/١٥٥ ، وغرائب القرآن / النيسابوري ١٥/١٢٠ .

(٣) بدائع الفوائد ١/٩٣ .

(٤) معاني النحو ٣/١٤٣ .

٣- أما وروده فعلا مضارعًا مثبتًا مرفوعًا (يخشى - يخشون) فهو أكثر أحواله ورودًا في الاستعمال القرآني إذ جاء في تسعة عشر موضعًا منها سبعة مواضع مدنية واثنا عشر موضعًا مكيًّا .

وقد ورد على بناءين (يخشون) و (يخشى) . أما مفعولهما فمع (يحشرن) كان على الوجه الآتي :

الفعل	المفعول به
يخشون	اسم ظاهر في موضعين " يخشون الناس " النساء/٧٧ " تخشون كسادها " التوبة /٢٤ . ضمير متصل في موضعين " أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه التوبة /٣ " ويخشونه " الأحزاب/٣٩ . لفظ (رب) في خمسة مواضع " ويخشون ربهم " الرعد /٢١ والأنبياء /٤٩ وفاطر /١٨ والزمر /٢٣ والملك /١٢ .

ومع الفعل (يخشى) كان مفعوله على النحو الآتي .

الفعل	المفعول به
يخشى	مصدر مؤول في موضع واحد " نخشى أن تصيبنا دائرة " المائدة /٥٢ اسم ظاهر في موضع واحد " وتخشى الناس " الأحزاب/٣٧ ضمير متصل في موضع واحد فقط " إنما تنذر من يخشاها " النازعات/٤٥ . يكون محذوفا وقد ورد في خمسة مواضع طه " لمن يخشى " /٣ وطه/٤٤ " ولعله يتذكر أو يخشى " والنازعات /٢٦ " إن في ذلك لعبرة لمن يخشى " وعبس /٩ " وهو يخشى " والأعلى /١٠ " سيذكر من يخشى "

ويلاحظ أن أحوال المفعول به تختلف إذ لم يرد المفعول مصدرًا مؤولاً أو محذوفًا مع (يخشون) بينما ورد مصدرًا مؤولاً في موضع واحد ومحذوفًا في خمسة مواضع مع (يخشى) كما أن كلمة (رَبّ) وردت مفعولاً به في خمسة مواضع مع (يخشون) ولم ترد مع (يخشى) . أما المواضع المشتركة بين الفعلين فقد وقعا صلة الموصول (الذين ومن) في ثمانية مواضع ٠أربعة مع (يخشون)

وأربعة مع (يخشى) . أما المصاحبات فالفعل (يخشون) جاء مصاحبًا الجار والمجرور (بالغيب) في ثلاثة مواضع ، ولم يرد مع الفعل (يخشَى) ومن اللافت للنظر أن الاستعمال القرآني للفعل (خَشِي) وتصريفاته لا يكون على وتيرة واحدة ولا سيما في حالة ذكر المفعول وعدمه . ففي ذكر المفعول فأنه يأتي به مرة لفظ (الله) ومرة (رَبّ) ومرة (الرحمن) . وقد يخص بناء معينًا بلفظ (الله) أو (الرب) أو (الرحمن) .إذ نلاحظ في بناء (المصدر) (خشية) كان التركيب الشائع (خشية الله) مرة واحدة كما مر بنا . وفي بناء (خشي) كان التركيب الشائع (من خشِي الرحمنَ) ولم يرد (من خشِيَ اللهَ) . وفي بناء (يخشَون) كان التركيب الشائع (يخشَون ربَّهم بالغيب) ولم يرد (يخشَون اللهَ) . وفي بناء (يخشى) كان التركيب الشائع هو حذف المفعول (لمن يخشى) ولم يرد (يخشى الرحمن) أو (يخشى ربّه) إلا في آية واحدة في سورة فاطر ٢٨/٣٥ " وإنّما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ " . أما عدم ذكر المفعول وطيه فهو الشائع مع الفعل (يخشى) والغالب في صله الموصول (مَنْ) وسنعرض لهذا إن شاء الله .

ونعود إلى ذكر المفعول واختصاص كل بناء باسم من أسمائه الحسنى . وهي (الله ، الربّ ، الرحمن) إذ الشائع (خشية الله) و (خشي الرحمن) و (يخشون ربهم) ولكل تركيب دلالة يقتضيها السياق ويتطلبها المعنى ، جاء في (التفسير القيم) (فصفات الجلال والجمال اخص باسم الله ... فهو الذي لا تنبغي العبادة والتوكل والرجاء والخوف والحب والإبانة والإخبات والخشية والتذلل والخضوع إلا له . فعلم أن اسم (الله) مستلزم لجميع معاني الأسماءِ الحسنى دال علها بالإجمال)[١] . ولذلك جاءت إضافة المصدر (خشية) إلى لفظ الجلالة (الله) في قوله تعالى " وإنّ منها لما يهبطُ من خَشيةِ الله " البقرة ٧٤/٢ . وفي قوله تعالى " لو أنزلْنا هذا القران على جبل لرأيتهُ خاشعًا متصدّعًا من خشية الله " الحشر /٢١ وقد مرّ بنا في

---

(١) التفسير القيم / ابن قيم الجوزية / ٣١ وما بعدها .

موضعه . أما التركيب (من خشي الرحمن) إذ لم يرد (من خشِيَ الله) أو (خشِيَ ربَّه) جاء في (التفسير القيم) (. وصفات الإحسان والجود والبرّ والحنان والمنة والرأفة واللطف أخص باسم (الرحمن) . فالرحمن الذي الرحمة وصفه)[١] .

ولذلك جاء هذا التركيب في صفة المؤمنين والمتقين في قوله تعالى " إنّما تنذرْ من اتّبعَ الذكرَ وخشِيَ الرحمنَ بالغيبِ فبشّرْهُ بمغفرةٍ وأجر كريمٍ " يس ١١/١٦ . وفي قوله تعالى " وأُزْلِفتِ الجنّةُ للمتقينَ غير بعيدٍ . هذا ما توعدونَ لكلّ أوّاب حفيظ ، من خشِيَ الرّحْمنَ بالغيبِ وجاءَ بقلبٍ مُنيبٍ " ق ٣٢/٥٠ ــ ٣٣ . أما التركيب (يخشَونَ ربَّهم) فقد شاع مع لفظ (رَبّ) ، ولم يرد (يخشَونَ اللهَ) أو (يخشَونَ الرحمنَ) لان (صفات الفعل والقدرة والتفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع ونفوذ المشية وكمال القوة وتدبير أمر الخليقة أخص باسم الرب)[٢] ، ولذلك خُصّ هذا التركيب بصفات المؤمنين المتقين في قوله تعالى " الذي يصلونَ ما أمر اللهُ بهِ أنْ يُوصَلَ ويخشَونَ ربَّهم ويخافونَ سوءَ الحساب " وفي قوله تعالى "وذكرا للمتقين الذين يخشَونَ ربَّهم بالغيبِ " الأنبياء ٤٩/٢١[٣] . (قاسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه لا يخرج عن ربوبيته ، وكل من في السماوات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره .. والخلق والإيجاد والتدبير والفعل من صفة الربوبية)[٤] . أما الآية التي ورد فيها المفعول به لفظ الجلالة (الله) فقد وردت في سورة فاطر " إنما يخشى الله من عبادهِ العلماءُ " . جاء في الكشاف (كأنه قال : إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعَلِمَه كنهَ علمه)[٥] . إذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته

---

(١) التفسير القيم / ٣٣ .

(٢) التفسير القيم ٣١ .

(٣) وفي سورة فاطر /١٨ والزمر /٢٣ والملك /١٢ .

(٤) تفسير القيم /٣٣ وبدائع الفوائد ٢٤٧/٢ .

(٥) الكشاف ٣٠٨/٣ .

وأفعاله ، فمن كان أعلم كان أخشى منه[١] . ولذلك خص الله سبحانه (العلماء) بالخشية (لأن العالم أحذر لعقاب الله من الجاهل)[٢] . ولذلك قدم المفعول لأن المقصود حصر الفاعلية .

وأما مصاحبة الجار والمجرور (بالغيب) الفعل (يخشون) فقد جاء لغرض بيان حال الموصوفين بهذه الصفة وهي الخشية . وقد قيل في ذلك أقوال ، جاء في الكشاف (بالغيب : حال الفاعل أو المفعول أي يخشون ربهم غائبين عن عذابه . أو يخشون عذابه غائبًا عنهم)[٣] . أي أن معنى (الغيب) ضد الظاهر والعلن وقيل معناه (إنهم يخشونه ولم يروه فيؤمنون به خوفا من عذابه . وقيل يخافون حيث لا يراهم مخلوق[٤] . ولا يوجد اختلاف كبير بين هذه الأقوال فالمقصود (بالغيب) غير الإعلان إذ (إن الخشية متى كانت بالغيب .. كانت بعيدة من الرياء خالصة لوجه الله ، وخشية الله بالغيب تنفع بأن يستحق عليها الثواب .. فإذا الخشية في الغيب أفضل لا محالة)[٥] . ولذلك قيد الخشية (بالغيب) . أما عدم ذكر المفعول وطيه فقد ورد مع الفعل (يخشى) صلة الموصول (مَنْ) ومصاحبا (يذكر) وتصريفاته في قوله تعالى " إلاّ تذكِرةً لمن يخشى " طه ٢٠/٣ . وقوله تعالى " فقولا له قولاً ليِّنًا لعله يتذكّرُ أو يخشى " طه /٤٤ ، وقوله تعالى " سيذكَّرُ من يخشى " وهذه المصاحبة متسقة مع السياق (فالذكرى كثرة الذكر وهو أبلغ من الذكر .. والتذكرة ما يتذكر به الشيء وهو أعم من الدلالة والإمارة)[٦] . كما أنه

---

(١) مواهب الجليل / محمد أحمد كنعان / ٥٧٥ .
(٢) مجمع البيان ٢٣/٢٤٠ .
(٣) الكشاف ٣/٣٠٥ .
(٤) مجمع البيان ٢٩/١٢ .
(٥) نفسه ٢٩/١٢ .
(٦) مفردات ألفاظ القرآن ٣٢٩ .

جاء متسقا مع طي المفعول إذ إن الخشية لا تكون إلا من الله سبحانه فلا أحد يشاركه فيها إذ تكون الخشية من عذابه وعقابه وغضبه وسخطه وكل ما لا يرضاه سبحانه صغيرًا أو كبيرًا . جاء في البحر المحيط (سيذكّر من يخشى) أي لا يتذكر بذكراك إلا من خاف . فإن الخوف حامل على النظر في الذي ينجيه مما يخافه . فالحذف جاء هنا لقوة الدلالة عليه جاء في البرهان (إنما يخشى ، الحذف ما لم يُشكل به المعنى لقوة الدلالة عليه)[1] .

٤- ورد فعلاً مضارعًا مجزومًا بـ(لم) ولام الأمر ولا الناهية في خمسة مواضع كلها مدنية . إذ جاء مع (لا) الناهية في قوله تعالى " وحيثُ ما كنتم فولّوا وجوهَكم شطرهُ لئلا يكونَ للناسِ عليكُم حجةٌ إلاّ الذين ظلموا منهم فلا تخشوهُم واخشوني ولأتمَّ نعمتي عليكم ولعلَّكم تهتدون " البقرة ١٥٠/٢ . وفي قوله تعالى " اليوم يئسَ الذين كفروا من دينِكم فلا تخشَوهُم واخشَونِ " المائدة ٣/٥ . فالجزم جاء (لا) الناهية للفعل (تخشَون) في الآيتين ، والنهي نوع من أنواع الطلب ، إذ يطلب بها ترك الفعل وهي تختص بالدخول على الفعل المضارع[2] . والنهي في الآيتين يدل على الدوام في طلب ترك خشية الكافرين . وفيه معنى التشديد على الطلب[3] . جاء في مجمع البيان (خطابٌ للمؤمنين نهاهم الله أن يخشوا ويخافوا من الكفار أن يظهروا على دين الإسلام ويقهروا المسلمين ويردوهم عن دينهم)[4] .

وجاء مقترناً بلام الأمر في قوله تعالى " وليخشْ الذين لو تركوا من خلفِهم ذريّة ضعافًا خافوا عليهم فليتّقوا الله وليقولوا قولاً سديدًا " ٩/٤ والأصل في هذه اللام أن تستعمل في الأمر عند انتفاء الخطاب لأن أمر غير المخاطب لا يكون إلا بإدخال

---

(١) البرهان ١٠٦/٣ .
(٢) الكتاب ٩٠٨/٣ ، والمغني ٢٤٦/١ .
(٣) أساليب الطلب / قيس إسماعيل الأوسي / ٤٧٢ .
(٤) مجمع البيان ١٥٩/٥ .

(اللام)[١] . جاء في كتاب المغني (إذا كان مرفوع فعل الطلب فاعلاً مخاطبًا استغني عن اللام بصيغة (افعل) غالبا نحو قُمْ أو اقعُدْ وتجب اللام إن انتفت الفاعلية (لتغنَ بحاجتي)[٢] . ويرى الدكتور قيس الأوسي أن الجزم بها ليس حالة إعرابية يسببها الفاعل ــ كما يزعم النحاة ــ وإنما هي علامة على الأمر والتشديد والبت في الطلب . ومفعول (وليخشَ) محذوف لدلالة الكلام عليه .

جاء فى الكشاف (أمروا بان يخشوا الله فخافوا على من في حجورهم من اليتامى .. خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافًا)[٣] .

وجاء مقرنًا بـ(لم) فى قوله تعالى " إنَّما يَعمُرُ مساجد اللهِ من آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وأقامَ الصلاة وآتى الزكاةَ ولم يخش إلاّ اللهَ " التوبة ١٨/٩ ويلاحظ أن الآية تضمنت أسلوبين من أساليب القصر، هما القصر بـ(إنما) والقصر بالنفي والاستثناء . إذ إن السياق يتطلب ذلك . فالآية متصلة بما قبلها فى قوله تعالى " ما كان للمشركينَ أن يعمُروا مساجدَ الله شاهدين على أنفسِهِم بالكُفْرِ أولئك حبطَتْ أعمالُهم وفي النار هم خالدون " التوبة ١٧/٩ . فجاء القصر بـ(إنما) للتعريض بالمشركين .

إذ إن القصر بها بكون لما هو ظاهر مما لا ينكره المخاطب أو نُزّل هذه المنزلة[٤] . والفاعل هو المحصور فى الآية الكريمة " مَنْ آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاة ولم يخشَ إلاّ اللهَ " ويلاحظ فى سياق الآية التدرج فى الصفات فأولاً الإيمان ثم علامات هذا الإيمان الصلاة والزكاة ثم الخشية التامة لله وحده .

---

(١) المغني ٢٢٤/١ .

(٢) أساليب الطلب ١٤٨ .

(٣) الزمخشري ٥٠٣/١ .

(٤) دلائل الإعجاز ٢٥٤ ــ ٢٧٣ ، ونهاية الإيجاز ١٨٤ وما بعدها .

وقد جاءت بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء المفرغ إذ يكون القصر بهذا الأسلوب أعم وأشمل . فقوله تعالى " لم يخشَ إلاّ اللهَ " أي أنّه نفى كل خشية إلا خشية الله سبحانه . جاء في الكشاف (فإنْ قلتَ كيف قيل (ولم يخشَ إلاّ الله) والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها . قلت هي الخشية والتقوى في أبواب الدين وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف)[١] . ونقل السيوطي في (الإتقان) قول الرماني (معنى (إلاّ) اللازم لها الاختصاص بالشيء دون غيره)[٢] ففي قوله تعالى " الذين يبلِّغونَ رسالات اللهِ ويخشونهُ ولا يخشون أحدًا إلاّ اللهَ " أي أن الخشية اختصت بالله وحده . ويلاحظ أن النفي جاء بـ(لا) في قوله تعالى " لا يخاف دركًا ولا يخشى " طه ٢٠/٧٧ وفي قوله تعالى " لا يخشون أحدًا إلاّ اللهَ " إذ إن النفي بها يدل على طول النفي ودوامه واتساعه[٣] .

٥- وجاء فعلاً على بناء الأمر في خمسة مواضع أربعة منها مدنية وموضع مكي واحد . ويلاحظ أن مفعوله جاء ضميرًا متصلاً إلا في موضعين جاء اسما ظاهرا. وجاء معطوفا على النهي وحرف العطف الواو في ثلاثة مواضع . ويلاحظ أن الأمر بصيغة (افعلْ) يعد قليلاً إذا ما قيس بالطلب بصيغة لا الناهية . إذ لم يرد في الفعل (خاف) إلا مرة بخلاف النهي بـ(لا) الناهية فقد ورد بكثرة ، أما الأمر باللام فلم يرد مع الفعل (خاف) لكنه ورد مرة مع الفعل (يخشى).

وفي المواضع التي جاء فيها الفعل بالأمر على بناء (افعلْ) يلاحظ أن التركيب " فلا تخشَوهم واخشوني " تكرر ثلاث مرات في سورة البقرة ٢/١٥٠ ومرتين في سورة المائدة " فلا تخشَوهم واخشَون " ٣/٥ ، ٤٤ إلا أنه في سورة البقرة جاء بالياء ، وفي سورة المائدة جاء بغير الياء ، (اخشَون) جاء في كتاب التعبير القرآني (إن سياق آية البقرة وما فيها من خصوصية وملاجة ومحاجة ومحاربة

---

(١) الكشاف ٢/١٨٠ .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١/١٩٩ .

(٣) بدائع الفوائد ١/٩٧ .

يستدعي جانبًا كبيرًا من الخشية فأظهر الله نفسه طلبًا لمراقبته وخشيته وعدم الاكتراث بأقوال المرجفين بخلاف الآيتين الأخريين)[١] .

٦- وجاء منصوبًا بـ(أنْ) في موضعين أحدهما في سورة التوبة ١٣/٩ " وهُمْ بَدَؤُوكُم أوّل مرة أتخشونهم فاللهُ أحقُّ أنْ تخشَوهُ إنْ كنتُم مؤمنينَ " والموضع الآخر في سورة الأحزاب ٣٧/٣٣ " وتخشَى الناسَ واللهُ أحَقُّ أنْ تخشَاهُ " . ويلاحظ أن التركيب (فاللهُ أحقُّ أنْ) قد تكرر في الموضعين المدنيين . ففي آية التوبة كان الأمر يتعلق بالذين نقضوا العهد والمواثيق ونكثوا أيمانهم فجاء الاستفهام بالهمزة والمراد به تشجيع المؤمنين وفي ذلك غاية الفصاحة لأنه جمع التقريع والتشجيع فالله أولى بكم أن تخافوا عقوبته[٢] . .ما آية الأحزاب فكان الأمر يتعلق في زواج النبي (ص) من زينب بنت جحش الأسدية بعد طلاقها من زيد بن حارثة . وخشي (ص) لائمة الناس أنِ يقولوا أمره بطلاقها ثم تزوجها . والخشية من النبي (ص) خشية الاستحياء لأن الحياء كان غالبا على شيمته الكريمة (ص)[٣] ووظيفة (أنْ) الناصبة مع الفعل المضارع تتلخص في ثلاث فوائد ذكرها ابن قيم الجوزية ، الأولى للدلالة على الحدث والزمن والثانية أنها تدل على إمكان الفعل دون الوجوب والاستحالة . والثالثة أنها تدل على مجرد معنى الحدث دون احتمال معنى زائد عليه ففيها تحصين من الإشكال وتخليص له من شوائب الإجمال[٤] . وقد مر بيانه في مبحث اللفظ (خاف) .

---

(١) التعبير القرآني ٨٢ ، وقد فصل القول في الموازنة بين آية البقرة وآيتي المائدة في كتاب بلاغة الكلمة .
(٢) مجمع البيان ٢٤/١٠ .
(٣) مجمع البيان ١٤٦/٢١ .
(٤) بدائع الفوائد ٩٢/١ .

مادة (حزن)

ورد في أربعين موضعًا وكانت أحواله على النحو الآتي :

١- عندما يرد مسبوقًا بالجملة الاسمية المنفية " لا خوفٌ عليهِم ولا هم يحزَنــون " وهذا التركيب هو الغالب أي (لا + خوف + عليهم + ولا + هم لا يحزنــون) إلا في سورة الزخرف جاء التركيب بزيادة لفظة اليوم بعد الجار والمجــرور فيكــون التركيب (لا خوفٌ عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) . لكنــه ورد مســبوقًا بالجملــة الفعلية المنفية في موضع واحد في سورة الزمر ٦١/٣٩ " لا يمَسُّهُمْ السُّوءُ ولا هُــم يحزنون " .

وقد مر بنا هذا التركيب عند دراسة مادة (خاف) وتصريفاته إذ كان الكلام منصبًا على حالة النفي وأداته (لا) واسمها المرفوع (خوفٌ) فلا حاجة إلى إعادة الكلام ثانية .

أما هنا فالكلام مقتصر على التركيب (ولا هم يحزنــون) و (لا) هنــا مكــررة ومقترنة بحرف العطف (الواو) والجملة كلها معطوفة علــى (لا خــوفٌ علــيهم) وهي جملة اسمية فالتركيب (لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) يتكرر بعد كل مقام يذكر فيه المؤمنون الذين يتبعون الهدى و يؤمنون بالله واليوم الآخر والذين ينفقــون الأموال دون مَنٍّ أو آذى والشهداء أو الذين هم من أهل الكتاب الذين يؤمنون بــالله واليوم الآخر . فالتركيب فيه نفيان الأول نفي الخوف على وجه العموم (لا خــوفٌ عليهم) والثاني نفي الحزن على وجه الخصوص (ولا هم يحزنون) إذ إن الحــزن شعور نفسي لا يستطيع المرء رده سببه الخوف . جاء في تفسير الطبري (وخوف دخول النار من الحزن)[١] وجاء في مجمع البيان (ولا هم يحزنون) من أهــوال يوم القيامة[٢] . فالتركيب الشائع في الاستعمال القرآني هو (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) إلا آية وردت في سورة الزمر اختلف فيها النظم عن التركيب الشــائع ــ

---

(١) جامع البيان ١٣٨/٢٢ .

(٢) الطبرسي ١١/٢٦ .

موضع البحث ــ هذه الآية ٣٩/٦١ " ويُنجِي اللهُ الذين اتَّقَوا بمفازتِهِم لا يَمَسُّهم السوءُ ولا هم يحزنون " فجاء النظم (لا يمسهم السوء) بدلا من (لا خوف عليهم) وإذا عدنا إلى سياق السورة وجدنا أن ألفاظ المس والسوء يكثر ترددها إذ وردت لفظة (المس) ثلاث مرات وكذلك لفظة (السوء) و (السيئات) و (أسوأ) فهنا نفيان الأول في (المسّ) و (المَسّ يقال في كل ما ينال الإنسان من أذًى)[١] وإسناد المس إلى السوء ونفيه فيه من الفضل والنعمة ما لا يدرك ، إذ معنى السوء (كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية الخارجة من فوات مالٍ وجاهٍ وفقد حميم)[٢] .

والثاني : نفي أن يصبهم الحزن ثلاث إذ إن تقديم الضمير وإيلاءه حرف النفي يقتضي نفي أن يكونوا محزونين . ويلاحظ اختلاف النظم بين الجملة الأولى والجملة الثانية فالأولى جملة فعلية تسلط النفي فيها على الفعل بدلالة تقديمه (لا يمسهم) والثانية جملة اسمية تقدم فيها الضمير (هم) على الفعل (يحزنون) فالنفي مسلط على أن يكونوا ممن يصيبهم الحزن والله أعلم .

٢- يأتي فعلا مضارعًا على الأحوال الآتية :

أ- يأتي مرفوعًا منفيًّا ومثبتًا : فقد ورد منفيا بـ(لا) النافية في موضع واحد في سورة الأنبياء " لا يُحزِنُهُم الفزعُ الأكبر وتتلقَّاهُم الملائكةُ هذا يومُكم الذي كنتم ترعدون " فالآية ترد في مقام وصف حال المؤمنين عند اقتراب يوم القيامة فقد وصفهم القرآن بقوله تعالى " إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون " ٢١/١٠١ " لا يسمَعونَ حسيسَها وهم في ما اشتهيَتْ أنفسُهم خالدون " /١٠٢ فقد نفى سبحانه عنهم الحزن وهو الخوف في هذا اليوم الموصوف بالفزع الأكبر وهذا فضل عظيم يمن به الله على المؤمنين. والنفي بـ(لا) (سلط على النسبة بين المسند إليه والمسند لا على المفرد الذي اتصلت (لا) به لأنه لا معنى لنفي القراءة

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ٧٦٧ .
(٢) نفسه ٤٤١ .

(لا يقرأُ زيد) وحدها[١] . فالنفي في قوله تعالى " لا يحزنُهُم الفزعُ الأكبرُ " مسلط على النسبة بين الفعل وفاعله فهو يشمل الجملة كلها . والنفي في الآية ـ موضع البحث ـ يتسق مع سياق السورة كلها إذ تردد النفي فيها كثيرًا ولاسيما مع الفعل المضارع . جاء في تفسير الطبري (وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر وأمِن منه فهو مما بعده أحرى أن لا يفزع . وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده[٢] .

أما وروده مثبتًا مقترنًا بـ(لام) الابتداء فقد جاء في موضعين مكيين الأول في سورة الأنعام ٦/٣٣ " قَدْ نعلَمُ إنَّهُ ليحزنُكَ الذي يقولون فإنَّهم لا يكذبونك ولكنَّ الظالمين بآياتِ الله يجحدون " وفي سورة يوسف ١٣/٢١ " قال إنِّي ليحزُنُني أنْ تذهبَوا بهِ وأخافُ أنْ يأكلَهُ الذئبُ وأنْتم عنهُ غافلونَ " ولام الابتداء هذه (فائدتها أمران : توكيد مضمون الجملة .. وتخليص المضارع للحال)[٣] . ويلاحظ كثرة المؤكدات في آية الأنعام (قد + أنْ + ضمير الشأن + اللام) . واختلف في معنى (قد) فعند الراغب الأصفهاني (إذا دخل (قد) على المستقبل من الفعل فذلك الفعل يكون في حالة دون حالة نحو " قَدْ يَعلَمُ اللهُ الذينَ يتسلَّلُونَ منكم لِواذًا " النور ٢٤/٦٣ (قد يتسللون أحيانًا فيما علم الله)[٤] .

وعند الزمخشري بمعنى (ربما)[٥] . وذكر ابن هشام معنى التقليل (وهو ضربان : تقليل وقوع الفعل نحو (قد يصدق الكذوب).وتقليل متعلقه نحو قوله تعالى " قد يعلم ما انتم عليه " ٢٤/٦٤ أي ما هم عليه أقل معلوماته سبحانه . وزعم بعضهم

---

(١) في النحو العربي نقد وتوجيه ٢٤٨ .
(٢) جامع البيان ١٧/٩٨ .
(٣) مغني اللبيب ١/٢٢٨ .
(٤) مفردات ألفاظ القرآن ٦٥٧ .
(٥) الكشاف ٢/١٤ .

أنها في هذه الأمثلة ونحوها للتحقيق)[١] . أما (إن) فهي للتوكيد جاء في الكتاب (إنّ توكيد لقوله زيدٌ منطلقٌ . وإذا خففت فهي كذلك تؤكد ما يتكلم به وليثبت الكــلام)[٢] أما ضمير الشأن معها فله (من الحسن واللطف ما لا تراه إذا هي لــم تــدخل عليه بل تراه لا يصلح إلا بها)[٣] . فضلاً عن أنها (تتولى من ربط الجملــة بمــا قبلها)[٤] . يقول الدكتور احمد بدوي (ومما استخدمه القرآن ضمير الشأن آو القصة وهو ضمير لا مرجع له تسمعه النفس فتتهيأ لسماع ما يــأتي بعــده لأن الأســلوب العربي لا يأتي بهذا الضمير إلا في المواطن التي يكون فيها أمر مهم ، تراد العناية به فيكون هذا الضمير أداة لتنبيه يدفع المرء إلى الإصغاء فإذا وردت الجملة بعــده استقرت في النفس واطمأن الفؤاد[٥] . وإذا عدنا إلى سياق السورة وجدنا أن ضمير الشأن قد تردد فيها كثيرًا ولا سيما (هو الذي) (هو الله) (هو القاهر) " إنّــهُ لا يُفلِــحُ الظالمونَ " ٦/٢١ وغيره ، كما كثر في السورة التوكيد بأدواته المتنوعة منها الــلام الواقعة في جواب لولا ومنها لام القسم ومنها نون التوكيد مع الفعل المضارع ومنها (إنّ) بعد الفعل (قل) ومنها أسلوب القصــر بــــ(مــا ، وإلاّ) و (إنْ ، وإلاّ) ومنها لام الابتداء " وللدّارُ الآخرةُ خيرٌ " /٣٢ ومنها (لقد) فالجو العــام للســورة يشيع فيه التوكيد في أدواته المختلفة ويغلب على السورة مخاطبة النبي (ص) بدلالة الفعل (قل) وبدلالة كاف النبوة " حتَّى إذا جاؤُوكَ يُجادلونَك " ٦/٢٥ وبدلالة (ولو ترى) وغيره كثير فجاء التركيب في الآية ـ موضوع البحث ـ متسقًا تمامًا مــع سياق السورة بكاملها . أما في آية سورة يوسف على لسان يعقوب (ع) " قال إنــي

([١]) مغني اللبيب ١/١٥٤ .

([٢]) الكتاب ٤/٢٣٣ .

([٣]) دلائل الإعجاز ٣٠٥ .

([٤]) نفسه ٣٠٦ .

([٥]) نقلا عن لغة القرآن / محمود نحلة ٤٠٣ (بلاغة القرآن ١٣٤) .

ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وانتم عنه غافلون " ١٣/ . إذ جاء التوكيد بـ(إنَّ + اللام) وأسند الفعل (يحزن) إلى المصدر المؤول (أنْ تذهبوا به) . جاء في تفسير الطبري (قال يعقوب لهم " إني ليحزنني أن تذهبوا به " معكم إلى الصحراء مخافة عليه من الذئب أن يأكله)(١) .

ب- يأتي مجزومًا بـ(لا) الناهية . على الأقوال الآتية :

١- مسندًا إلى اسم الموصول ومفعوله كاف المخاطب فيكون التركيب (لا يحزنك الذين ..) ورد في آل عمران ١٧٦/٣ والمائدة ٤١/٥ .

٢- مسندًا إلى لفظة (قولهم) ومفعوله كاف المخاطب فيكون التركيب (لا يحزنك قولهم) ورد في يونس ٦٥/١٠ ويس ٧٦/٣٦ .

٣- مسندًا إلى لفظة (كُفره) ومفعوله كاف المخاطب فيكون التركيب (لا يحزنك كُفْرُه) ورد في سورة لقمان ٢٣/٣١ .

أما إسناده إلى الاسم الوصول (الذين) فقد ورد في موضعين الأول في سورة آل عمران ١٧٦/٣ بعد قوله تعالى " إنَّما ذلكمُ الشيطانُ يخوِّفُ أولياءَهُ فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين " فالسياق اللفظي للآية جاء في مقام الخوف بعد ما أصاب المسلمين في معركة أحد من جراح وما ارجف المنافقون بين صفوف المسلمين بإشاعة الخوف والهزيمة ، فجاء الخطاب إلى النبي (ص) تسلية له (ص) وتثبيتًا لأصحابه الذين ثبتوا . أي لا يكون في نفسك حزن مخافة أن يضروك ويعينوا عليك . ويلاحظ أن الفعل جاء مضموم العين وهو من الباب الأول (نصَر - ينصُر) وهو متعدٍّ إذ إن هذا الفعل يرد في الاستعمال القرآني على بابين يرد من الأول فيكون متعديًّا . ويرد من الباب الرابع (فرِح - يفرَح) فيكون لازمًا . وسنعرض لهذه المسألة في الفصل الثالث. إن شاء الله .

أما الموضع الثاني الذي اسند فيه الفعل (يحزن) إلى اسم الموصول (الذين) فقد ورد في سورة المائدة ٤١/٥ " يا أيُّهَا الرسولُ لا يحزُنْكَ الذين يُسارعونَ في الكفرِ

---

(١) جامع البيان ١٦٠/١٢ .

من الذين قالوا آمنا بأفواهِهِم ولم تُؤمِنْ قلوبُهُم ومن الذين هادوا سـمَّاعون للكـذب سمَّاعون لقومٍ آخرينَ لم يأتوكَ يحرِّفُونَ الكلامَ من بعدِ مواضعه يَقُولونَ إنْ أوتيـتُم هذا فخذوهُ وإنْ لم تُؤتَوهُ فاحذروا ومن يُرِدِ اللهَ فتنتَهُ فلن تملكَ له مـن اللهِ شـيئًا ، أولئك الذين لم يُرِدِ اللهُ أن يطهِّرَ قلوبُهُم لهم في الدنيا خزيٌ ولهم في الآخرةِ عـذابٌ عظيمٌ " . ويلاحظ أن السياق في الموضعين يختلف ، فآية آل عمران لم تبدأ بالنداء (أيّها الرسول) وهو نداء تشريف وتعظيم إذ لم يرد في القرآن إلا فـي موضـعين هذا احدهما والآخر في الآية (٦٧) من السورة نفسها " يا أيُّها الرسولُ بلِّـغْ مـا أُنزِلَ إليك من ربِّكَ وإنْ لَمْ تفعَلْ فما بلَّغتَ رسالتهُ " فالآية /٤١ " يا أيُّها الرسـولُ لا يحزنْك " جاءت في حد الزنا وهو الرجم الذي أبطله اليهود من بعد موسـى (ع) ، فكانوا يتركون الشريف ويأخذون الضعيف بالحد إذ جعلوه تحميمًا أي تسويد الوجـه بنحو فحمٍ والجلد ، فأنزل انه تعالى " يا أيها الرسول لا يحزنك " الآية عندما طلـب منه (ص) اليهود القضاء في رجل زان عندهم فأقام الحد وهو الرجم ثم قـال (ص) (أنا أول من أحيا أمرك إذ أماتوه)[١] . فالأمر خطير إذ هو في محاولة تعطيل حدٍّ من حدود الله ولذلك جاء الكلام بـ(يا أيها الرسول) .

أما حاله عندما يسند إلى لفظة (قولهم) فقد جاء في موضعين الأول فـي سـورة يونس ٦٥/١٠ والموضع الآخر في سورة يس ٧٦/٣٦ . ويلاحظ أن لفظة (قولهم) في الموضعين لم توضح وإنما أريد بها أن تدل على كل قول جـاؤوا بـه عنـادًا واستكبارًا . جاء في الكشاف (والمعنى : فلا يهمنَّك تكذيبُهم وأذاهم وجفـاؤهم . و (قولهم) تكذيبهم لك وتهديدهم وتشاورهم في تدبيرِ هلاكك وإبطال أمرك وسائر مـا يتكلمون به في شأنك)[٢] .

ومما يؤكد ذلك أن الاستئناف في الموضعين جاء بـ(إنّ) ففي أيـة يـونس " إنَّ العِزَّةَ للهِ جميعًا " . جاء في الكشاف (إنّ العزة) استئناف بمعنى التعليل (كأن قيل

(١) مجمع البيان ٩٥/٦ .
(٢) الزمخشري ٢٤٣/٢ و ٣٣٠/٣ .

: مالي لا أحزن فقيل " إنّ العزة لله جميعا "[١] . وفي سورة يس " إنّا نعلمُ ما يسرون وما يعلنون " .

إذ إن مجيء الجملة متصدرة بـ(إنّ) فهنا وظيفة تقوم بها (إنّ) وهي ربط الجملة بما قبلها ربطًا لا يتأتى مع غيرها من أدوات الربط كالفاء مثلا وفي مثل هذا الموضع يقول الجرجاني (فأنت ترى الكلام بها مستأنفا غير مستأنف مقطوعا موصولا معا)[٢] . أما إسناده إلى لفظة (كُفره) (فلا يحزنك كُفرُه) فقد ورد في موضع واحد في سورة لقمان " وَمَنْ كَفَرَ فلا يحزُنْكَ كُفْرُهُ " ٢٣/٣١ . ويلاحظ أنه وقع في سياق الشرط الذي يكون فيه الزمن متمخضا إلى المستقبل إذ إن أداة الشرط تجعل زمن شرطها وجوابها من خلال السياق مستقبلا محضا[٣] .

ويذكر ابن قيم الجوزية في مجيء فعل الشرط ماضيا (عُدل عن المستقبل هنا إلى صيغة الماضي إشارة إلى نكتة بديعة وهي تنزيل الشرط بالنسبة إلى الجزاء منزلة الفعل الماضي . تأكيدًا للجزاء وتحقيقًا ، لأن الثاني لا يقع إلا بعد تحقيق الأول ودخوله في الوجود .. بل لا سبيل إلى نيل الجزاء إلا بتقدم الشرط عليه وسبقه له فأتى بالماضي لهذه النكتة البديعة مع أمنهم اللبس بتحصين : أداة الشرط لمعنى الاستقبال فيهما)[٤] .

جـ ـ يأتي مجزوما بـ(لا) الناهية لازمًا من الباب الرابع فيكون التركيب (لا تحزن) وقد ورد في سورة التوبة ٤٠/٩ " إذْ هُمَا في الغارِ إذْ يقولُ لصاحبِه لا تحزَنْ إنَّ اللهَ معنا فأنزلَ اللهُ سكينتَهُ عليهِ وأيدَهُ بجنودٍ لم تروها " وفي سورة الحجر ٨٨/١٥ " لا تمُدَنَّ عينيكَ إلى ما متَّعْنا بهِ أزواجًا منهم ولا تحزَنْ عليهم " وفي سورة النحل ١٢٧/١٦ "واصبِرْ وما صبرُكَ إلاَّ باللهِ ولا تحزن عليهم ولا تَكُ في

(١) الكشاف ٢٤٤/٢ .
(٢) دلائل الإعجاز ٢٧١ .
(٣) الدلائل الزمنية في الجملة العربية / علي جابر المنصوري ١٢٧ .
(٤) بدائع الفوائد ١٠٥/١ .

ضيقٍ مما يمكرون " وفي سورة النمل ٧٠/٢٧ " ولا تحزَنْ عليهِم ولا تكُنْ في ضيقٍ ممَّا يمكرون ". وفي سورة العنكبوت ٣٣/٢٩ " ولمَّا أنْ جاءَتْ رُسُلُنا لوطًا سيءَ بهم وضاقَ بهم ذرعًا وقالوا لا تَخَفْ ولا تحزَنْ إنَّا منجُوكَ وأهلَكَ إلاّ امرأتَك كانتْ من الغابرينَ ".

ويلاحظ أن الفعل جاء بفتح العين فهو من الباب الرابع الذي من معانيه الدلالة على قيم نفسية . وسنعرض لهذه المسألة في موضعها المناسب إن شاء الله .

أما في سورة التوبة فدلالة (لا تحزَن) هي (لا تخَف) إذ إن المقام مقام خوف.

جاء في تفسير الطبري (إذ يقول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لصاحبه أبي بكر : لا تحزَنْ وذلك أنّه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما فجزع من ذلك)[١] ، وجاء في تفسير غريب القرآن (المذعور هو صاحبه فأنزل الله السكينة . واحتجوا بأن رسول انه كان مطمئنًا يقول لصاحبه (لا تحزن)[٢] .

أما وروده في غير آية التوبة فقد ورد في سورة الحجر ٨٨/١٥ " ولا تَمُدَنَّ عينيكَ إلى ما متَّعْنا به أزواجًا منهم ولا تحزَنْ عليهم واخفضْ جناحَكَ للمؤمنين " فالآية تتفق مع أول السورة " ذَرْهُم يأكُلوا ويتمتَّعوا ويلهِهُم الأملُ فسوف يعلمونَ " /٣٠ ولفظة (متعنا) موحية تدل على عدم الثبات لأن التمتع لا يدوم بخلاف (رزقناهم) لأن الرزق أدوم .

أما في سورة النحل " واصبِرْ وما صبرُكَ إلاَّ بالله ولا تحزَنْ عليهم ولا تكُ في ضيقٍ ممَّا يمكرون " ١٢٧/١٦ . وذكر الصبر في الآية الكريمة يتسق تمامًا مع السياق العام للسورة كلها ، إذ ورد ذكر الصبر في ستة مواضع بخلاف سورة النمل ٧٠/٢٧ " ولا تحزن عليهم ولا تكُنْ في ضيقٍ مما يمكرون " إذ لم يرد ذكر للصبر في السورة كلها . كما أن في تركيب الآيتين حذفًا وإثباتًا ففي آية النحل حذف النون في (ولا تكُ) وفي سورة النمل أثبتها (ولا تكنْ) . جاء في التعبير القرآني (

---

(١) جامع البيان ١٣٦/١٠ .
(٢) ابن قتيبة ١٨٦ .

وذلك لان السياق مختلف فى السورتين فالآية الأولى نزلت حين مثل المشركون بالمسلمين يوم أحد ..

فقد أوصاه ربنا بالصبر ثم نهاه أن يكون فى ضيق من مكرهم فقال له " ولا تكُ في ضيْقٍ ممَّا يمكرون " أي لا يكُن فى صدرك ضيق مهما قلّ فحذف النون من الفعل إشارة إلى ضرورة حذف الضيق من النفس أصلا . أما الآية الثانية فهي فى سياق المحاجة فى المعاد وهو مما لا يحتاج إلى مثل هذا التعبير)[١] .

جاء فى مجمع البيان (ولا تحزن عليهم : أي ولا تحزن على المشركين فى إعراضهم فقد بلغت ما أمرت به وقضيت ما عليك)[٢] .

د- يأتي مجزومًا بـ(لا) الناهية مصاحبًا الفعل المجزوم (لا تهنوا) أو (لا تخافوا) فقد ورد فى سورة آل عمران ٣/١٣٩ " ولا تهِنُوا ولا تحزَنُوا وأنتم الأعلون إن كنتُم مؤمنين " وهى خطاب للمسلمين وتسلية عما أصابهم يوم أحد ولم يأتِ الكلام بطلب ترك الخوف إذ لم يقل (لا تخافوا وأنتم الأعلون) لأن ما أصابهم يوم احد ليس بسبب خوفهم من العدو وإنما بسبب مخالفة أمر الرسول (ص) ، لذلك جاء الخطاب بـ(لا تهنوا) و (لا تحزنوا) وكلاهما من ألفاظ الخوف ولكن فى كل لفظ منهما معنى زائد على الخوف لأن الوهن خوفٌ مع ضعف وذل . والحزن خوف فيه ألم وتوجُّع . جاء فى الكشاف (يعنى ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم . أي لا يرثّنكم ذلك وهنًا وجبنًا)[٣] ، وجاء فى الجامع لأحكام القرآن (ونهاهم عن العجز والفشل فقال (ولا تهنوا) أي لا تضعفوا ولا تجبنوا)[٤] . لذلك أردف

---

(١) التعبير القرآني ٧٤ .

(٢) الطبرسي ١٤/١٣٩ .

(٣) الزمخشري ١/٤٦٤ .

(٤) القرطبي ٤/١٣٩ .

سبحانه تأكيد النهي بقوله (وأنتم الأعلون) ثم بقوله (إنْ كُنْتُمْ مُـؤمنينَ) ومعنـى (إنْ) (ما دمتُم أو ما كنتم من مؤمنين) لأن الخطاب للمؤمنين[١] .

وقد ورد أيضًا في سورة فصلت ٣٠/٤١ " إنَّ الذينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ استَقَامُوا تَتنزَّلُ عليهِم المَلائِكَةُ ألاَّ تَخَافُوا ولا تَحزَنُوا وأبْشِرُوا بالجَنّةِ التي كُنْـتُم مـؤمنينَ " وهـو وصف لحال المؤمنينَ بعد الموت . وفي توجيه (أنْ) مـن (ألاّ تخـافوا) رأيـان : أحدهما أنها بمعنى (أي) . والآخر : مخفّفة من الثقيلة وأصله (أنْ لا تخافوا) والهاء ضمير الشأن .. والمعنى أن الله كتب الأمن من كل غم فلن تذوقوه أبدًا[٢] .

هـ - يأتي فعلاً مضارعًا منصوبًا مصاحبًا أو معطوفًا على الفعل (تَقَرَّ) المسبوقة بـ(كي) أو (أن) .وقد ورد في ثلاثة مواضع ففي سورة طـه ٤٠/٢٠ " فَرَجَعْنَـاكَ إلى أمِّكَ كي تَقَرَّ عَيْنُهَا ولاَ تَحْزَنَ " . وفي سورة القصص ١٣/٢٨ " فَرَدَدْنَاهُ إلـى أمِّه كي تقَرَّ عَيْنُهَا ولاَ تَحْزَنَ " وفي سورة الأحزاب ٥١/٣٣ " ذلكَ أَدْنَـى أنْ تَقَـرَّ أعْيُنُهُنَّ ولاَ تَحْزَنَّ " وورد في موضع واحد منصوبًا بلام التعليل في سورة المجادلة ١٠/٥٨ " إنَّمَا النجوَى منَ الشيطَانِ لِيَحْزَنَ الذينَ آمَنوا وليسَ بِضَارِّهِمْ شيئًا إلاَّ بإذنِ اللهِ " والفعل (قَرَّ) ورد في القران في خمسة مواضع وقد أسند إلى لفظة (عين) في أربعة مواضع . (وقَرَّتْ عَينُهُ تَقَرُّ : سُرَّتْ)[٣]. ومصـاحبته للفعـل المنفـي (ولا تحزن) توكيد لهذا السرور وتثبيت له لأن المقام مقام خوف فلا بدّ من زيادة توكيـد الاطمئنان ونفي الخوف ، جاء في تفسير الطبري (فرددناكَ إلى أمك بعدما صـرتَ في أيدي آل فرعون كيما تقر بسلامتك ونجاتك من القتل والغرق في الـيمّ وكـيلا تحزنَ عليك من الخوف من فرعون)[٤]. ويلاحظ أن آيـة طـه جـاءت بالفعـل

---

(١) دراسة في الأدوات النحوية / د. مصطفى النحاس ١٦٧ ، والإنصاف م٨٨ .

(٢) الكشاف ٤٥٣/٣ ، ومجمع البيان ٢٠/٢٤ .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ٦٦٣ .

(٤) جامع البيان ١٦٢/١٦ .

(فرجعناك) وآية القصص جاءت بالفعل (فرددناه) وهذا يرجع إلى سياق السـورة ، إذ لم يتردد في سورة طه الفعل (ردَّ) وتصريفاته وإنما تردد الفعـل (رجـع) فـي الآيات التي تخص قصة سيدنا موسى (ع) فقط قال تعالى " فرجَع موسى إلى قَوْمِـه غَضبْانَ أَسِفًا " طه ٢٠/٨٦ ، وقال تعالى " أفَلاَ يَرَوْنَ ألاَّ يَرْجِعُ إليهم قـولاً " طـه ٢٠/٨٩ ، وقوله تعالى " قالُوا لنْ نَبْرَحَ عليهِ عاكفينَ حتَّى يَرجِعَ إلينا مُوسى " طـه ٢٠/٩١ ، أما في سورة القصص فقد تردد الفعل (ردّ) وتصريفاته فـي السـورة إذ ورد في أول السورة " إنَّا رَادُّوهُ إليكَ وجَاعِلُوهُ منَ المُرْسَـلِين " القصـص ٢٨/٧ ، وفي الآية /٨٥ " لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ " وبذلك استعمل لكل سياق الفعل المناسـب لـه . جاء في مفردات ألفاظ القرآن (الردُّ : صرف الشيء بذاته أو بحالة من أحواله يقال : رددتُه فارتدَّ .. والرجوع : العود إلى ما كان منه البدء فـالرجوع : العـودُ)[١] فالتركيب كله يدعو إلى الأمن ونفي الخوف فالرد والرجوع وقـرة العـين ونفـي الحزن كلها ألفاظ يأخذ بعضها برقاب بعض لرسم صورة الأمان والقرار . أما فـي آية المجادلة فقد ورد منصوبًا بـ(لام) التعليل ولم يسبق بالفعل (تَقَرّ) ويلاحظ أنـه جاء بضم الزاي أي من الباب الأول إذ يكون فيه الفعل متعديًا فقوله تعالى " ليَحزُنَ الذين آمنُوا " اسم الموصول (الذين) مفعول به للفعل (ليحزُنَ) (وذلك أن المنـافقين كانوا في نجواهم وتغامزهم يوهمون المؤمنين أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلـوا)[٢]، لإثارة الخوف والفزع في نفوس المؤمنين .

كما جاء منصوبًا بـ(كي) المكسوعة بـ(لا) النافية والمسبوقة باللام (لكيلا) إذ ورد في سورة آل عمران ٣/١٥٣ " لكيلاَ تحزَنوا على مـا فـاتكم ولا مـا أصـابكم " واجتماع اللام معها يجعلها بمنزلة (أنْ) معنى وعملاً جاء في المغنـي (أن تكـون بمنزلة (أنْ) المصدرية معنًى وعملاً وذلك في نحو " لكيلا تأسَوا " الحديـد ٥٧/١٣ ويؤيده صحة حلول (أن) محلها). ويبدو أن هناك فرقًا بين قولنا (لئلاّ تحزنـوا) و

---

(١) الراغب الأصفهاني ٣٤٢ و ٣٤٨ .
(٢) مواهب الجليل في تفسير البيضاوي / محمد أحمد كنعان ٧٢٦ .

(لكيلا تحزنوا) . أما (لئلاّ) فهي تفيد غرضًا أو سبب عدم الشيء قد تقول : درس لئلا يرسب . فاللام أفادت السبب و(لا) أفادت النفي و (أن) رابطة . أما الجمع بين كي واللام . إنّ (كي) تستعمل للغرض الحقيقي . أما اللام فهي أوسع استعمالا منها والجمع بينهما يفيد التوكيد والله أعلم).

٣- يأتي مصدرًا . وقد ورد على صيغتين أحداهما على صيغة (فَعَل) بالتثقيل والأخرى على صيغة (فُعْل) بالتخفيف . أما صيغة (فُعْل) فقد وردت في مواضع النصب فقط وهي ثلاثة . قال تعالى في سورة التوبة ٩/٩٢ " ولا على الذين إذَا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُم عَلَيهِ تَوَلَّوا وأَعْيُنُهُم تَفِيضُ منَ الدَّمْعِ حُزْنًا ألاَّ يَجِدوا ما يُنْفِقُونَ " . وفي سورة القصص ٢٨/٨ " فالتقطَهُ آلُ فِرْعَونَ لِيَكُونَ لهُم عَدوًّا وحَزَنًا " وفي سورة فاطر ٣٥/٣٤ " وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الذي أَذْهَبَ عنَّا الحَزَنَ إنَّ رَبَّنَا لغفورٌ شَكُورٌ "

أما الصيغة الثانية (فُعْل) فقد وردت في مواضع الجر فقط قال تعالى في سورة يوسف ١٢/٨٤ " وتولَّى عَنْهُم وقَالَ يَا أَسَفِى على يُوسُفَ وابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ منَ الحُزْنِ فَهُو كَظِيمٌ "

وفي السورة نفسها الآية /٦٨ " قال إنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وحُزْنِي إلى اللهِ وأعلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تعلمون " .

وفي تفسيره يذكر علماء اللغة آراء منها ، للعرب في الحزن لغتان : إذا ثَقَّلوا فتحوا . وإذا ضمّوا خفَّفوا). ومنها ما رواه يونس عن أبي عمرو (قال . إذا جاء الحزن منصوبا فتحوا وإذا جاء مرفوعًا أو مكسورًا ضموا الحاء) . ومنها أنها بسبب الاختلاف الصرفي فالحَزَن مصدر والحُزْن اسم ، جاء في معاني القرآن (وكأنّ الحُزن الاسم والغم وما أشبهه وكأنَّ الحَزَن المصدر)[١] . ومنها أنها بسبب التخفيف جاء في معاني القران (إذا خُفِّف ضُمّ أوله ولم يثقّل .. إذا فتحُوا أوّله ثقّلوا وإذا

(١) معاني القرآن / الفراء ٢/٣٠٢ ، وينظر أبنية المصدر في الشعر الجاهلي ١٩٤ .

ضموا أوله خفّفوا)[١] . ومنها ما ذكره الفارابي (العرب تقول أحزنني هذا الشـــيء فإذا صاروا إلى المستقبل قالوا يحزُنني)..على انه كان في الأصل أحزَن ويُحـــزن وحزَن يحزُن بمعنى واحد .. فاخذوا من هذه الصدر . ومن هـــذه الغـــابر وأمـــاتوا الآخرين[٢]. فيكون المصدر (حُزْن) مرتبطًا بالفعل (أحزن يُحـــزن) [٣]. ومـــلاك الأمر أن السبب يعود إما لاختلاف اللغات وإما التخفيف ، وإما للاختلاف الصـــرفي ، وإما تداخل الأصل في الفعلين الثلاثي والرباعي . وما يعنينا هنا هو الاســـتعمال القرآني فهناك خط ثابت في التعبير القرآني في استعمال الصيغتين ارتبط بـــالموقع الإعرابي . كما مر بنا . فمع النصب يكون التثقيل ومع الجر يكون التخفيف . كمـــا أن هذا الاستعمال لا يسند رأي الفارابي لان الماضي لم يرد في الاستعمال القرآنـــي . إذ ورد المضارع من بابين الأول متعدٍّ (يحزُن) وهو من الباب الأول ، والثاني يكون لازمًا وهو من الباب الرابع (يحزَن) . كما أن الاستعمال القرآنـــي لا يســـند الرأي القائل من أن المصدر (حُزْن) مرتبط بالفعل (أحزَن) الربـــاعي والمضـــارع (يَحزُن) . وسنعرض لذلك في الفصل الثالث إن شاء الله .

(**راب**)

ورد في خمسة وثلاثين موضعا وجاءت أحواله على النحو التالي :

١- وروده مصدرا اسما لـــ(لا) النافية للجنس مكسوعًا بالجار والمجـــرور (فيـــه) فيكون التركيب (لا ريب فيه) ففي سورة البقرة ١/٣ " ذلكَ الكتابُ لاَ ريب فيهِ " فلا نافية للجنس و (ريبَ) اسمها وجملة (لا ريب فيه) ، إما خبر لاسم الإشارة (ذلك) ، أو في موضع نصب على الحال والعامل فيه معنى الإشارة . ويجوز في (فيـــه) أن

([١]) معاني القران / الفراء ٢/٤٠٦ .

([٢]) ديوان الأدب ٢/١٩٠ ، وينظر أبنية المصدر ١٨٣ .

([٣]) أبنية المصدر في الشعر الجاهلي ١٨٣ .

يكون (خبرا) . ويجوز أن يكون صفة لـ(ريبَ) والخبر محذوف[١] . وفي سورة آل عمران ورد التركيب مرتين في الآيتين /٩ و ٢٥ " ربَّنا إنَّك جَامِعُ النَّاسِ لِيَومٍ لاَ رَيبَ فيهِ " ٩/١ وقوله تعالى " فكيفَ إذَا جَمَعْنَاهُم لِيومٍ لا ريبَ فيهِ " ٢٥/ وفي كلا الموضعين جاء في موضع خفض نعت ليوم[٢]. ويلاحظ أن كلمة (يوم) في آيتي آل عمران جاء نكرة مجرورة بحرف الجر (اللام) . وهذه اللام عند الطبري بمعنى (في) أي (في يوم) جاء في تفسيره (ولم يقل : في يوم لا ريب فيه) لمخالفة معنى اللام في هذا الموضع معنى (في) ... لكان معنى الكلام : فكيف إذا جمعناهم في يوم القيامة ماذا يكون لهم من العذاب والعقاب ! وليس ذلك المعنى في دخول اللام ، ولكن معناه مع اللام : فكيف إذا جمعناهم لما يحدث في يوم لا ريب فيه ، ولما يكون من فضل الله القضاء بين خلقه .. فمع اللام فيه فعل وخبر مطلوب وقد ترك ذكره أخيرا . بدلالة دخول اللام في اليوم عليه منه[٣]. وكذلك عند الطبرسي معناه (في يوم) ((وإنما جاز ذلك لما دخل الكلام من اللام فان تقديره : جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه فلما حذف لفظ الجزاء دخلت على ما يليه فأغنت عن (في) لان حروف الإضافة متواخية لما يجمعها من معنى الإضافة))[٤] ولو قال (جمعناهم في يوم) لم يدل على الجزاء ، واللام يدل على ذلك . وهنا لابد من التطرق إلى جملة مسائل :

الأولى : معنى اللام ، و**الثانية** :التنكير في (يوم) ، و**الثالثة** : سياق (كيف) والرابعة الجمع بينهما وبين (إذا) في تركيب واحد .

---

(١) مجمع البيان ٧١/١ .

(٢) مشكل إعراب القرآن / مكي / القسم الأول ١٥٤ .

(٣) جامع البيان ١٨٩/٣ و ٢٢١ .

(٤) معاني القران / الزجاج ١٤٧/١ .

أما اللام فالراجح انه تحتمل التعليل أي لحساب يوم . إذ إن هناك فرقا بين قولنا جمعناهم ليوم وتحتمل الاختصاص أيضا .

أما التنكير في(يوم) فكلمة يوم وان كانت نكرة في الشكل بدلالة التنوين إلا أنها تدل على معين إذ المقصود يوم (يوم القيامة) ولذلك فهي نكرة في لفظها معرفة في دلالتها .وجاءت جملة (لا ريب فيه) توكيدا لمعنى التعيين فاليوم الذي لا ريب فيه هو يوم القيامة لا غير .

أما سياق كيف ففيه التنبيه والتخويف يقول الطبرسي (ومعناه هنا التنبيه بصيغة السؤال على حال من يساق إلى النار . وفيه بلاغة واختصار شديد لان تقديره : أي حال من اغتر بالدعاوى الباطلة حتى أداه ذلك إلى الخلود في النار)[١] أما الجمع بينهما وبين (إذا) فيكون على حذف عاملها . فيكون التقدير فكيف يصنعون إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه، هذا هو (الأظهر أن يقدر بين كيف وإذا)[٢] عن ابن هشام وان تقدر (إذا) خالية عن معنى الشرط[٣].

ويلاحظ أن الاستعمال القرآني لم يرد إلا بالنصب (لا ريب فيه) بخلاف (لا خوف عليهم) فلم يرد إلا بالرفع في جميع القران .

وفي سورة يونس " وما كان هذا القران أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين " ١٠/٣٧ جاء في الكشاف (لا ريب فيه من رب العالمين) هو داخل في حيز الاستدراك ، ويكون لا ريب فيه) اعتراضا كما تقول : زيد لا شكَّ فيه كريم[٤] .

---

(١) مجمع البيان ٣/١٨ ، ٤٧ .

(٢) نفسه ٣/٤٧ .

(٣) مغني اللبيب ١/٢٠٦ .

(٤) الكشاف ٢/٢٣٧ .

وفي سورة السجدة ٢/٣٢ " تنزيلُ الكتابِ لا ريبَ فيهِ مـنْ رَبِّ العَـالمينَ " .وفـي توجيه إعرابه ما يأتي[١]:

١- تنزيل الكتاب : خبر مبتدأ محذوف فيكون (لا ريب فيه) في موضع الحال .

٢- تنزيل الكتاب : مبتدأ خبره (من رب العالمين) و (لا ريب فيه) اعتراض لا محل له . وفي كل هذه الأحوال تكون وظيفة (لا ريب فيه) هـي توكيـد . أمـا وروده مع لفظ (الساعة) فقد جاء في أربعة مواضع وكان الترتيب " وأنَّ السَّـاعَةَ لا رَيْبَ فيها " الكهف ٢١/١٨ و " أنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فيها " الحـج ٧/٢٢ و " وإنَّ السَّاعَةَ لآتِيةٌ لاَ رَيْبَ فيها " غافر ٥٩/٤٠ و " إنّ وَعْدَ اللهِ حَـقٌ والسَّـاعَةُ لاَ رَيْبَ فيها " الجاثية ٣٢/٤٥ . أربع آيات ورد فيها التركيب (لا ريب فيه) مصـاحبة لفظة (الساعة) ثلاث منها ورد النظم متفقا (وان السـاعة لا ريـب فيهـا) (وأنّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها) (وإنّ الساعةَ لآتيةٌ لا ريبَ فيها) ويلاحـظ أن الآيـات مصدرة بـ(أنَّ وإنّ) وهما يفيدان التوكيد . وان التركيب (لا ريبَ فيهـا) ، إمـا يكون هو خبر كما في آية الكهف (إنّ الساعة لا ريبَ فيها) وإما أن يـأتي بعـده استيفاء (أن أو إن) لخبرهما كما في آيتي الحج وغافر . فالخبر في الآيتـين هـو (آتية) فيكون التركيب (لا ريب فيها) توكيدا للإتيان . جاء في الكشاف (لا ريـب فيها) لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لأنه لا بد من الجزاء[٢] . أما آية الجاثية (والساعة لا ريب فيها) فقد جاءت معطوفة على (إن وعد الله حـق) وقُرِىء (الساعة) بالرفع و (الساعة) بالنصب وكلتا القراءتين متأثرتان بـ(إنّ) وحدها أو موضع (إنّ واسمها) .

---

(١) الكشاف ٢٤٠/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٥٧/١٤ .

(٢) الزمخشري ٤٣٣/٣ .

أما وروده على صيغة (فِعْلة) (رِيْبة) فقد ورد في موضع واحد في سورة التوبة ١١٠/٩ " لاَ يَزالُ بُنْيَانُهُم الذي بَنَوا رِيْبَةً في قُلُوبِهِمْ إلاَّ أنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُم واللهُ عليمٌ حكيمٌ " .

وصيغة (فِعْلة) تدخل فيها مصادر اسم الهيئة وهي مصادر التي تقيد الحدث بالوصف . أما المصدر فهو يدل على مطلق الحدث .

والريبة اسم من الرَّيْب[1]. وفي عدول التعبير القرآني من الرَّيْب إلى الرِّيْبة إذ لم يقل (رَيْبًا في قلوبهم) نكتةٌ لغويةٌ هي سرّ من أسرار الاستعمال القرآني إذ إن (الرَّيْب) مصدر فإذا لحقته التاء التي يسميها ابن قيم الجوزية بـ(تاء) التحديد التي تدل على الخصلة الواحدة .. فـ(الحماقة والرفاعة والنذالة والسفاهة فإنها تدل على خصلة محدودة من مطلق العيب والنقص)[2]. فكذلك الريبة تدل على خصلة محدودة من مطلق الريب والشك والخوف ، (فجاؤوا في الجنس الذي يشمل الأنواع بغير تاء وجاؤوا في أنواعه وأفراده بالتاء)[3] . ولذلك جاءت الآية الكريمة ، إذ إنهم " اتَّخذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وكُفْرًا وتفريقًا بينَ المؤمنينَ وإرْصَادًا لِمَنْ حاربَ اللهِ ورَسُولِهِ من قبلُ " التوبة ٧/٩ ويلاحظ في الآية - موضوع البحث- أن هذا البنيان نسب إليهم مرتين في قوله (بنيانهم) وقوله (الذي بنوا) كأنه جزء من نفاقهم وغيظهم ، ولذلك جاء لفظ (ريبة) متسقا مع وصف حالهم . جاء في معاني القران وإعرابه (قال بعضهم لا يزال كفرًا ، وقال بعضهم لا يزال شكًّا)[4]. وجاء في مجمع البيان (أي لا يزال بناء المبنى الذي بنوه شكًّا في قلوبهم وقيل حسرة في قلوبهم يترددون فيها)[5].

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن ٣٨٦ .

(2) بدائع الفوائد ١٣٨/١ .

(3) نفسه ١٣٨/١ .

(4) الزجاج ٤٧٠/٢ .

(5) الطبرسي ١٤٠/١٠ .

وجاء في الجامع لأحكام القران (رِيبة : أي شكاً في قلوبهم و نفاقًا . وقال الكلبي حسرة وندامة ، لأنهم ندموا على بنيانه ، وقال السدي وحبيب و المبرد : ريبة : أي حزازةً وغيظًا)[١] .

أما في غير هذا الموضوع فقد ورد المصدر (رَيْب) في سورة البقرة ٢/٢٣ " وإنْ كُنتُم في رَيْبٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا على عَبْدِنا فأتُوا بسورةٍ من مثلِه " وفي سورة الحج ٢٢/٥ "يا أيُّها الناسُ إنْ كُنتُم في رَيْبٍ من البعثِ فإنَّا خَلَقناكُم من تُرابٍ ثُمّ مِنْ نطفةٍ .. " فقد جاء الكلام بـ(الرَّيْب) ولم يأت بـ(الرِّيبة) لأن المراد جنس الريب من شك ونفاق وتردد وخوف وعدم اليقين . كما أن مجيئه في سياق (إنْ) التي تستعمل في المواطن المشكوك فيها يتسق مع سياق الآية ويتفق مع نظمها.

٢- يرد فعلا ماضيا في ستة مواضيع كلها مدنية إلا موضوعًا واحدًا مكيًّا . ولم يرد الماضي من المجرد وإنما ورد الماضي من المزيد (ارتاب) وقد ورد مسندًا إلى الاسم الظاهر (قلوبهم) و (المبطلون) في سورتي التوبة والعنكبوت الآيتين /٤٥ و٤٨ .

وورد مسندًا إلى الضمير المتصل في المائدة ٥/١٠٦ " إنِ ارْتَبْتُم "وفي سورة النور ٢٤/٥٠ " أمِ ارتابوا "وفي سورة الحديد ٥٧/١٤ " وتربصتُم وارتبتُم " وفي سورة الطلاق ٦٥/٤ " إنِ ارتبتم " .

أما إسناده إلى الاسم الظاهر في قوله تعالى " إنَّمَا يَسْتَأذِنُكَ الذينَ لاَ يُؤْمِنُونَ باللهِ واليومِ الآخرِ وارْتَابَتْ قُلُوبُهُم فهُم في رَيْبِهِم يَتَرَدَّدُونَ " التوبة ٩/٤٥ فقد جاءت في صفات المتخلفين عن الجهاد والخروج للقتال في سبيل الله ويلاحظ أن الجملة (وارتابتْ قلوبُهم) جاءت معطوفة على الموصول (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الأخر) فالفعل (ارتابت) مثبت والفعل لا يؤمنون منفي وصح العطف لأن في

(١) القرطبي ٨/١٦٩ .

الفعل (ارتاب) نفي ضمني فهو بمعنى (ولم تستيقن قلوبهم) فيكون الكلام (الذين لا يؤمنون ... ولم تستيقن قلوبهم) .

كما يلاحظ في نظم الآية – موضوع البحث – أنها جاءت في سياق (إنّما) وهي أداة من أدوات الحصر والتوكيد وفيها معنى الاختصاص ، فالاستئذان مختص في الآية بالذين لا يؤمنون بالله واليوم الأخر . و أنها (تفيد الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره) [١] إذ إنها في الآية الكريمة أوجبت الاستئذان بالذين لا يؤمنون بالله واليوم الأخر ونفته عن الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر . ويلاحظ في الآية الكريمة أن الكلام جاء في الفعل (ارتاب) وان المصدر جاء على (ارتيابهم) فلم يرد (فهم في ارتيابِهم يترددون) وإنما ورد (فهُم في رَيْبِهِم يترَدَّدُونَ) فالذي عليه الاستعمال القرآني أن المصدر (الرَّيْب) هو المستعمل ولم يرد (الارتياب) البتة . وأنّ الفعل (ارتاب) هو المستعمل ولم يرد (راب) البتة . فالريب أن تتوهم بالشيء أمرًا ما فينكشف عما تتوهمه .. والارتياب يجري مجرى الإرابة[٢]. وارتاب مطاوع رابه . فكأن الكلام : إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ورابهم الأمر فارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ..

ويأتي فعلا ماضيا مسندا إلى الضمير ، ففي سورة المائدة ١٠٦/٥ " فَيُقْسِمانِ بالله إنِ ارتَبْتُم لاَ نَشْتَرِي بهِ ثَمَنًا قليلاً ولَو كانَ ذَا قُرْبَى " وفي سورة الطلاق ٤/٦٥ " واللاتي يَئِسْنَ منَ المَحِيضِ منْ نَسَائِكُم إنْ ارْتَبْتُم فَعِدَتُهُنَ ثلاثةُ أشهرٍ " جاء في الكشاف في تفسير أية المائدة (إن ارتبتم : اعتراض بين المقسم والمقسم عليه والمعنى : أن ارتبتم في شانهما واتهمتموها فحلِّفوهما)[٣]، وجاء في مجمع البيان (إنِ ارتبتم : في شهادتهما وشككتم وخشيتم أن يكونا قد غيَّرا أو بدلا) [٤]. وفي

---

(١) دلائل الإعجاز ٣٢٠ .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ٣٦٨ .

(٣) الكشاف ٦٥٠/١ .

(٤) الطبرسي ٢٥٦/٧ .

تفسير أية الطلاق يقول الفراء (إن ارتبتم : إن شككتم فلم تدروا ما عدتها)[١]، ويلاحظ أن التركيب في الآيتين جاء (بـ(إن) الشرطية + فعل الشرط) (إنِ ارْتَبْتُم) وقد جاء معترضًا في أية التوبة ليفيد اختصاص القسم بحال الارتياب . ومثله في آية الطلاق إذ يمكن أن يكون (إنْ ارتبتم) اعتراضا بين المبتدأ (اللائي) وخبره (فعدتهن ثلاثة أشهر) ودخلت الفاء اسم موصول على معنى الشرط .

٣- يرد فعلاً مضارعًا في موضعين احدهما في موضع جزم في قوله تعالى " إنَّما المُؤمِنُونَ الذينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأمْوَالِهِم وأنفسِهِم في سبيلِ اللهِ أولئكَ هُمُ الصادِقونَ " الحجرات ٤٩/١٥ والآية في ذكر صفات المؤمنين ، وصدر الكلام بـ(إنما) التي تفيد القصر والتوكيد والاختصاص . ويلاحظ أن الآية أفردت نفي الارتياب بالعطف ب(ثم) إذ إن السياق يقتضي ذلك فالآية جاءت عقب قول الأعراب " آمَنّا قلْ لمْ تُؤمِنُوا ولَكِنْ قُولُوا أسْلَمْنا ولمَّا يَدْخُلِ الإيمانُ في قُلُوبِكُم " الحجرات ٤٩/١٤ ، جاء في الكشاف (فان قلت : ما معنى (ثم) ههنا وهي للتراخي ، وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنًا للإيمان لأنه وصف فيه ، لما بينت من إفادة الإيمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب ؟ ، قلت الجواب عن طريقتين : أحداهما : أن من وجد منه الإيمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلين فشككه وقذف في قلبه ما يلثم يقينه فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ... والثاني : أن الإيقان وزوال الريب لما كان ملاك الإيمان افرد بالذكر ... وعطف على الإيمان بكلمة التراخي أشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية والمتطاولة)[٢] . والموضع الثاني جاء في موضوع نصب معطوفا على فعل منصوب قبله في قوله تعالى " وما جَعَلْنَا أصحابَ النارِ إلاَّ مَلائِكَةً وما جَعَلْنا عِدَّتَهُم إلاّ فتنةً للذين كفروا ليستيقنَ الذين أوتوا الكتابَ ويزدادَ الذين امنوا إيمانًا ولا

(١) معاني القرآن ٣/١٦٣ .
(٢) الكشاف ٣/٥٧١ .

يرتابُ الذين أوتوا الكتابَ والمؤمنونَ " المدثر ٣١/٧٤ . ويلاحظ في نظم الآية الكريمة التلاؤم بين (يستيقن ويرتاب) ، و (الذين أوتوا الكتاب) تكرر مرتين . والتلاؤم بمن (الذين آمنوا) و (المؤمنون) ، ويلاحظ أيضًا أن (الذين أوتوا الكتاب) مقدم على (الذين آمنوا) فى المرة الأولى وعلى .. (المؤمنون) فى المرة الثانية . ويلاحظ أن الفعل (يستيقن) أُسند إلى (الذين أوتوا الكتاب) فى المرة الأولى وأسند الفعل (ولا يرتاب) وهو مرادف (يستيقن) إلى (الذين أوتوا الكتاب) أيضًا . وفي تقديم (الذين أوتوا الكتاب) دلالة ومعنى دقيق ، إذْ ما جاء به النبي (ص) كان موافقًا لما فى كتابهم فكان الأحرى بهم أن يكونوا سباقين إلى الإيمان بنبوته (ص) ويستيقنوا بصدق القرآن ، إذ لو حدث ذلك لازداد المؤمنون من غير أهل الكتاب إيمانًا لأن استيقان أهل الكتاب قوة للمؤمنين الذين لم يكونوا أصحاب كتاب لذلك كانت العناية والاهتمام بأهل الكتاب فقدم ذكرهم وتكرر . جاء فى الكشاف (والاستيقان وازدياد الإيمان دلاّ على انتفاء الارتياب)[1].

٤- يأتي اسم فاعل من غر الثلاثي (مُرِيْب) فى سبعة مواضع كلها مكية مصاحبًا لفظة (شَكّ) فى ستة منها . ويكون التركيب فى الأغلب يتألف من (إنَّ + الضمير + اللام + حرف الجر (فى) لا شك لا جار ومجرور (منه) + مُرِيب) وقد تكرر هذا التركيب فى المواضع التي صاحب فيها (الشك) لفظة (مُرِيب) وعلى الرغم من أن النظم يبدو متفقًا إلاّ أن هناك اختلافًا يظهر بزيادة لفظة هنا وحذفها هناك .

فقد تكرر قوله تعالى " وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَا تَدْعُونَنَا إليهِ مُرِيْبٌ " فى سورة هود ٦٢/١١ ، وفى سورة إبراهيم ٩/١٤ إلا أن اختلافًا فى (إنّنا) و (إنّا) فقد جاءت آية هود بإثبات النون (إنّنا) وجاءت آية إبراهيم بحذفها (إنّا) وذلك لمناسبة السياق في كل منهما . ففي سورة هود كان المقام مقام تفصيل وإطالة قال تعالى " والى ثَمُوْدَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَومِ اعبُدُوا الله مَا لَكُم مِنْ إلَهٍ غَيْرِهِ هو أَنْشَأكُم مِنَ الأرضِ واسْتَعْمَرَكُم فيها فَاسْتَغفروه ثُمّ تُوبُوا إليهِ إنَّ رَبِّى قَرِيْبٌ مُجِيْبٌ " هود /٦١ ، فجاء

---

(1) الزمخشري ١٨٥/٤ .

إثبات النون متسقًا تمامًا مع السياق . أما في آية إبراهيم فقد كان المقام مقام إيجاز وعدم إطالة . قال تعالى " أَلَمْ يأتِكُمْ نَبَأُ الذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَومِ نُوحٍ وعادٍ وثَمُودَ والذينَ مِنْ بَعدِهِم لا يَعلَمُهُم إلاَّ اللهُ جاءَتْهُم رُسُلُهُمْ بالبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُم فى أفْواهِهِمْ وقَالُوا إنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وإنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدعُونَنَا إليه مُرِيبٌ " فالمقام مقام اختصار وإيجاز وعدم إطالة ولذلك جاء حذف النون متسقًا تمامًا مع السياق .

وما اتفق فيه النظم أيضًا قوله تعالى في سورة سبأ ٥٤/٣٤ " إنَّهُم كانُوا فى شَكٍّ مُريبٌ " وقوله تعالى فى سورة فصلت ٤٥/٤١ " ولَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بينَهُم وإنَّهُم لفِي شَكٍّ منهُ مُرِيْبٌ " إلا أن آية سبأ جاءت بزيادة (كانوا) وحذف لام التوكيد من الحرف (فى) بخلاف آية فصلت فقد جاءت بإسقاط (كانوا) وإثبات لام التوكيد مع الحرف (فى) (لفي شك) وزيادة الجار والمجرور (منه) . وهذا يجرى بحسب السياق ففي سورة سبأ كان المقام مقام إخبار بإيجاز وعدم إطالة إذ فيه تصوير سريع لما يلاقيه الكافرون يوم القيامة قال تعالى " وَحِيْلَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بأشْيَاعِهِم مِنْ قَبْلُ وإنَّهُمْ كَانُوا فى شَكٍّ مُرِيْبٍ " فالمقام ليس فيه إطالة بدلالة طيّ الفاعل فى قوله (وحِيْل) و (فُعِل) و(الظرف المقطوع عن الإضافة من قبل) فليس المقام مقام تفصيل فجاء النظم بحذف اللام . أما فى آية فصلت فالمقام مقام مفصل إذ الحديث عما يقول الكفار من تكذيب واستهزاء بالنبي (ص) والرسل من قبله (ع) وموقفهم من القرآن قال تعالى " ولَو جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أعْجَمِيًّا لَقَالُوا لو لا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أعْجَمِيٌّ وعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ للذينَ آمَنُوا هُدًى وشَفَاءٌ والذين لا يُؤمنُونَ فى آذَانِهِم وَقْرٌ وهُوَ عليهِم عَمًى أولئك يُنَادُونَ مِن مكانٍ بعيدٍ " /٤٤ . فالمقام فيه تفصيل وإطالة ولذلك جاء قوله تعالى " ولَقَدْ آتَيْنا موسى الكتابَ فاخْتُلِفَ فِيهِ ولَولا كَلِمةٌ سَبقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بينَهُم وإنَّهُم لَفِي شَكٌّ مِنْهُ مُرِيْبٍ " فزاد اللام فى (لفي شك) والجار والمجرور (منه) إذ السياق يقتضي ذلك بسبب شده إنكارهم وعنادهم وتكذيبهم فجاءت الآية بأكثر من مؤكّد إذ صدّرت بـ(لَقَد) فاللام للقسم

و(قد) من حروف التوكيد ثم اللام في (لقضيَ) الواقعة في جواب (لولا) ثم اللام في (لفي) الواقعة في خبر (إنّ) فضلاً عن (إن) المشددة المكسورة الهمزة . فهذا حشد من المؤكدات مناسب مع المقام ومنسجم تمامًا مع السياق والله أعلم . ويلاحظ في هذه المواضع أن لفظة (الشك) جاءت مصاحبة لفظة (مُرِيب) والذي عليه الاستعمال القرآني أنه لم يرد من مادة (الشك) إلا الاسم . فلم يرد الفعل (شَكَّ) وتصريفاته البتة فقد وردت لفظة (الشك) في خمسة عشر موضعًا مجرورة بحرف الجر (في) إلا موضعًا واحدًا جاءت مرفوعة في سورة إبراهيم ١٠/١٤ " قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض " أما لفظة (مريب) فلم تفارق لفظة (الشك) إلا في موضع واحد في سورة ق ٢٥/٥٠ " مناع للخير معتد مريب " جاء في مفردات ألفاظ القرآن و(الشكُّ) ضرب من الجهل وهو اخص منه . لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأسًا فكل شك جهل ، وليس كل جهل شكًّا)[1]. وجاء في الكشاف (مُريب : من أرابَهُ إذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين)[2] ولفظة (مريب) من الصيغ الاحتمالية في اشتقاقها فهي (إما من أرابَهُ إذا أوقعه في الريبة والتهمة . أو من أرابَ الرجلُ إذا صار ذا ريبة ودخل فيها)[3] أي أن فعلَه إما أن يكون متعديًا أو لازمًا . ولذلك يفرق بينهما الزمخشري بقوله (وهو أن المُريب من الأول منقول ممن يصح أن يكون مريبًا من الأعيان إلى المعنى ، والمُريب من الثاني منقول من صاحب الشك إلى الشك كما تقول شعرٌ شَاعِر)[4] ومثله ما ذكره القرطبي (مُرِيب : أي يستراب به . ويقال: أرابَ الرجلُ

---

(١) الراغب الأصفهاني ٤٦١ .

(٢) الزمخشري ٢٨٧/٢ .

(٣) نفسه ٢٩٧/٣ .

(٤) الكشاف ٢٩٧/٣ .

أي صار ذا ريبة فهو مُريب . ومن قال هو من الرَّيْب الذي هو الشكُّ والتهمة قال : شكٌّ مُريب كما قال عَجَبٌ عجيبٌ وشعرٌ شاعر في التأكيد)[١].

٥- ورد على صيغة (مُرتاب) من غير الثلاثي في موضع واحد في سورة المؤمن ٣٤/٤٠ " كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ " وهذه الصيغة تحتمل اسم الفاعل واسم المفعول مثل (مُختار ومُجتاز) التي أفعالها معتلة الوسط . والسياق هو الذي يحدد ويعين دلالتها . فإذا قلت : أمُختَارٌ مُحمّدٌ القصةَ ؟ كانت دلالتها على اسم الفاعل وإذا قلت : ما مُختَارةٌ القصةُ ! كانت دلالتها على اسم المفعول ، كذلك الأمر في (مُرتاب) فدلالتها على اسم الفاعل ولذلك فسرت بكلمة (شَكّ) اسم الفاعل من (شَكّ) جاء في مجمع البيان أي شاكٌّ في التوحيد وبنبوة الأنبياء)[٢] وفي الجامع لأحكام القرآن (مُرتاب) شاكّ في وحدانية الله تعالى)[٣].

(يرجو)

ورد في الاستعمال القرآني في واحد وعشرين موضعًا ، وكانت أحواله على النحو الآتي :

١- جاء فعلاً مضارعًا مثبتًا مرفوعًا : فقد ورد في سورة البقرة ٢١٨/٢ في قوله تعالى " إنَّ الذين آمَنُوا والذينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا في سَبيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " .

ويلاحظ أن الفعل (يرجو ، يرجون) يكون مفعوله غالبًا أحد الألفاظ (رحمة ، لقاء ، لفظ الجلالة (الله) . إذ ورد مفعوله لفظ (رحمة) في أربعة مواضع في سورة البقرة ٢١٨/٢ والإسراء: ٢٨/١٧ و٥٧ ، والزمر ٩/٣٩ . كما ورد مفعوله لفظ الجلالة في سورة الأحزاب ٢١/٣٣ والممتحنة ٦/٦٠ . كما ورد مفعوله لفظ (لقاء)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٠٢/١٤ .
(٢) الطبرسي ١٩٨/٢٣ .
(٣) القرطبي ٢٠٤/١٥ .

المضاف إلى لفظ الجلالة أو كلمة (رب) في سورة الكهف ١٨/١١٠ " فَمَنْ كَانَ يَرجُو لِقَاءَ رَبِّهِ " وفي سورة العنكبوت ٢٩/٥ " مَنْ كَانَ يَرجُو لِقَاءَ اللهِ " . ويلاحظ أيضًا هذا الحشد من الألفاظ التي تمثل هرمًا يتربع على قمته اللفظان (الله، الرب) ثم تأتي لفظة الرحمة مضافة إلى (الله) مرة والى (الرب) مرة أخرى . فإذا كان الموضع مدنيًّا كان التركيب (رحمة الله) هو الشائع . وإذا كان الموضع مكيًّا كان التركيب (رحمة الرب) هو الشائع . ثم تأتي كلمة (لقاء) فإذا كان التركيب في سياق الشرط بـ(مَنْ) فكلمة (لقاء) المضافة إلى (الله أو الرب) هو الشائع . وإذا كان التركيب في سياق (مَنْ) الموصولة المجرورة باللام (لمن) تجردت كلمة (الله) من الإضافة فيكون التركيب (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) . والجو مشحون بالطمأنينة التي يسعى إليها المؤمنون سعيًا مشحونًا بالأمل المحاط بالخوف والهواجس التي تنتاب قلب المؤمن لئلا يقع في تقصيرٍ فلا ينال من تلك السعادة شيئًا يرجوه . وسنعرض هنا لثلاثة محاور في دراسة استعمال الفعل (يرجو) :

أ- المحور الأول يكون حول التركيب المؤلف من (لام الجر + من الموصولة + الفعل يرجو + مفعوله) فيكون على الوجه الآتي (لمن كان يرجو الله) وقد ورد هذا التركيب فى سورتي الأحزاب والممتحنة المدنيتين . إذ كانت آية الأحزاب فى التأسي بالنبي (ص) قال تعالى " لقد كان لكم فى رسول الله أسوه حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا " ٣٣/٢١ . أما آية الممتحنة فقد كانت فى التأسي بإبراهيم (ع) ومن معه . قال تعالى (لقد كان لكم فيهم أسوه حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر " ٦٠/٦ . ودلالة التركيب (كان يرجو) على الحدث المستمر فى زمان ماض . جاء فى كتاب الفعل زمانه وأبنيته (وقد يأتي بناء (يفعل) ونحوه مسبوقًا بـ(كان) للدلالة على أن الحدث كان مستمرًّا فى زمان ماضٍ ، ومجيء (كان) إلى جوار الفعل من يؤلف مركبًا يؤدى هذه الفائدة)[1] أي كأن

(١) الدكتور إبراهيم السامرائي ٣٢ .

الفاعل يعتاد الفعل[١]. فهي (كان) بلفظ الماضي وخبرها جمله فعلية مضارعية (يرجو) ، إذ لا بد أن يماثلها زمن المضارع فينقلب ماضيًا عند عدم وجود مانع[٢]. جاء في تفسير الطبري (فإنّ من يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة لا يرغب بنفسه)[٣] والرجاء بمعنى الأمل والخوف أي يخشى الله ويخشى البعث الذي فيه جزاء الأعمال . ومحل (لِمَن كان يرجو الله) الجر على البدلية من (لكم) في قوله تعالى (لقد كان لكم) وهو بدل بعض من كلّ . وفيه بيان أن هذه الأسوة لِمَنْ يخاف الله ويخاف عقاب الآخرة[٤]. ويمكن أن يكون التقدير يرجو رحمة الله أو رضا الله وثواب اليوم الآخر . ففي الكلام مضافان مقدران . وقال بعضهم : إن ما في الآية من عطف الخاص على العام والأصل لمن كان يرجو أيام الله واليوم الآخر فحذف المضاف من الأول لدلالة الثاني عليه وعطف اليوم الآخر على (أيام الله) وهو يوم منها للتنويه بهذا اليوم[٥]. وهذا يتفق مع فائدة البدل التي تكون للإيضاح بعد الإيهام.

ب ـ المحور الثاني – يتركب من (مَنْ الشرطية + كان + يرجو + المفعول) والغالب في المفعول أن يكون كلمة (لقاء) مضافة إلى لفظ (الرب) أو (الله) وقد ورد هذا التركيب في سورتي الكهف والعنكبوت وهما مكيتان . فعناصر هذا التركيب هي (مَنْ) الشرطية و(كان) الناسخة الدالة على الزمن الماضي و (يرجو) الفعل المضارع بدلالته على الحال . والمشهور أن الشرط والجزاء لا يتعلقان إلا بالمستقبل[٦]. وإن التركيب (كان يفعل) يعبر عن أحداث ماضيه . إذ المضارع هنا

---

(١) معاني النحو ٢٢٧/١ .

(٢) الدلالة الزمنية في الجملة العربية / علي جابر المنّصوري ٧٢ ، والفعل والزمن / عصام نور الدين ٨٨ .

(٣) جامع البيان ١٤٣/٢١ .

(٤) الكشاف ٢٥٦/٣ ، ومجمع البيان ١٢٢/٢١ و٤٨/٢٨ .

(٥) من أسرار التعبير القرآني / محمد أبو موسى ٩٤ .

(٦) بدائع الفوائد ٤٤/١ .

ينصرف إلى الماضي ، أي أن الحدث كان مستمرًا في زمان ماضٍ(١). فهو ماضي اللفظ لكنه يكون مع الشرط مستقبل المعنى ، (إذ الأصل فيه أن يكون مضارعًا ولكن غير لفظ المضارع إلى الماضي تنزيلاً له منزلة المحقق . أو أن حرف الشرط لما دخل عليه قلب معناه إلى الاستقبال وبقي لفظه على حاله)(٢) ويعلل ابن قيم الجوزية هذا الاستعمال اللغوي بقوله (إن تغيير الألفاظ أسهل عليهم من تغيير المعاني لأنهم يتلاعبون بالألفاظ مع محافظتهم على المعنى .. فإذا أتوا بالأداة جاؤوا بعدها بالفعل وكان حقّه أن يكون مستقبلاً لفظًا ومعنى فعدلوا عن لفظ المستقبل إلى الماضي .. فعدلوا عن صيغة إلى صيغة)(٣).

ويرى الدكتور مصطفى جواد أن الفعل إذا كثر عبر عنه بالماضي بخلاف ما لم يكثر (إن الفعل المعبر عنه بلفظ الشرط إذا كثر حدوثه استعمل الماضي وإذا قلّ حدوثه استعمل المضارع)(٤).

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن استعمال الشرط بصيغة الماضي أو المضارع قد يكون لغير ذلك فقد يفيد افتراض حصول الحدث مرة في حين أن المضارع قد يفيد افتراض تكرار الحدث وتجدده ... وقد يؤتى بالفعل الماضي مع الشرط لدلالة على وقوع الحدث جملة واحدة وإن كان مستقبلا ، ويؤتى بالمضارع لما كان ينقضي وينصرم شيئا فشيئًا .. فإذا أردت انقضاء الحدث وتمامه جئت بالفعل الماضي وان كان الحدث مستقبلاً وان لم تقصد ذلك جئتَ بالمضارع(٥). فرجاء لقاء الله إيمان يمسّ القلب ويستقرّ فيه فلا يغادره ، فهو لا يأتي مرة ويذهب مرة ، جاء

---

(١) الفعل زمانه وأبنيته ٣٣ ، والفعل والزمن ٨٨ .

(٢) بدائع الفوائد ١/٤٤ .

(٣) نفسه ١/٤٥ .

(٤) المباحث اللغوية في العراق / مصطفى جواد ٤٨ .

(٥) معاني النحو ٤/٤٤٢ وقد أسند الدكتور فاضل هذا الرأي على الاستعمال القرآني إذ أورد شواهد كافية من النصوص القرآنية .

فى تفسير الطبري (فمن كان يرجو لقاء ربه) الكهـف ١١٠/١٨ : (أي يرجـو رويته وثوابه ويخشى عقابه)[١]. وقد جاء الجواب مقترنًا بالفاء وخصت الفاء بـذلك لما فيها معنى السببية . جاء في شرح ابن يعيش (فأتوا بالفاء لأنها تفيـد الإتبـاع وتؤذن بأن ما بعدها مسبب عما قبلها)[٢].

وهي تفيدنا أيضًا في تعيين الجزاء وإيضاح المعنى وأن حـذفها قـد يـؤدي إلـى الالتباس أو إلى عدم اكتمال المعنى ، ففي قوله تعالى " ومَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فلأنفُسِكُم " البقرة ٢٧٢/٢ يقول الدكتور فاضل السامرائي (فلو قلت وما تنفقـوا مـن خيـر لأنفسكم) لم يكتمل المعنى لأن المجرور ارتبط بالشرط فأصبح في حيز الجـزاء)[٣] فقوله تعالى " فَلْيَعمَلْ عَمَلاً صَالِحًا " أي خالصًا لله تعالى يتقرب به إليه. وجاء قوله تعالى " ولا يُشْرِكُ بِعِبَادةِ رَبِّه أحَدًا " الكهف ١١٠/١٨ . عن ابن عباس (رض) إن الله تعالى قال " ولا يُشْرِكُ بِعِبَادةِ رَبِّهِ أحَدًا " ولم يقل (ولا يشرك بـه) لأنـه أراد العمل الذي يُعمل لله ويجب أن يحمد عليه[٤]. ويلاحظ في آية سورة الكهف هذه أن المفعول (لقاء) جاء مضافًا إلى كلمة (ربه) وهذا متسق تمامًا مع السـياق اللفظـي للسورة كلها إذ وردت كلمة (رب) خمسًا وثلاثين مرة .

أما في سورة العنكبوت في قوله تعالى (مَنْ كانَ يَرجُو لِقَاءَ اللهِ فَإنَّ أجَـلَ اللهِ لآتٍ وَهُو السَّمِيعُ العَلِيمُ) فيلاحظ أن المفعول (لقاء) جاء مضافًا إلى لفـظ الجلالـة (الله) الذي تكرر ذكره فى السورة كلها اثنين وأربعين مرة . فجاء متسـقًا مـع السـياق اللفظي للسورة .

ج- محور لا يدخل فيه الفعل في تركيب معين وإنما يأتي فى الغالـب علـى بنـاء (يرجون) المسند إلى (واو) الجماعة . ويأتي فى صفات المؤمنين ، ومفعوله كلمـة

---

(١) جامع البيان ٦٩/١١ .

(٢) شرح ابن يعيش ٢/٩ .

(٣) معاني النحو ٤٨٤/٤ .

(٤) مجمع البيان ٢١٧/١٥ .

(رحمة) المضافة إلى لفظ الجلالة والى الضمير العائد إليه سبحانه . ففي سورة البقرة " أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ " . وفى سورة الإسراء ٢٨/١٧ " وإمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا " فالضمير يعود إلى الرحمة . وفى الآية /٥٧ من السورة نفسها (ويرجون رحمته) . وفى سورة الزمر ٩/٣٩ (ويرجو رحمة ربِّه) إذ إن كل المواضع التي ورد فيها الفعل (يرجون) . كانت فى صفات المؤمنين . جاء فى معاني القرآن وإعرابه (وإنما قيل فى المؤمنين المجاهدين ههنا إنهم إنما يرجون ألله لأنهم عند أنفسهم غير بالغين ما يجب لله عليهم ولا يعلمون ما يختمون به أمرهم)[1].

وجاء فى الكشاف (وعن قتادة : هؤلاء خيار هذه الأمة ثم جعلهم الله أهل رجاء)[2]. إذ إن الرجاء أبدًا معه خوف ولا بد كما أن الخوف معه رجاء . وقيل الرجاء والخوف زمانان على الإنسان فإذا استويا استقامت أحواله وإنْ رجح أحدهما بطل الأخر[3]. وجمله (يرجون) تقع إما خبرًا بعد اسم الإشارة (أولئك) أو معطوفة بالواو على ما قبلها أو حالاً . ففي قوله تعالى " إمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُم ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا " الإسراء ٢٨/١٧ فالفعل (ترجوها) . أما جملة فى موضع الجر بكونها صفه لــ(رحمة) أو أن يكون فى موضع النصب على الحال من الضمير فى (تُعرِضَنَّ)[4].وفى سورة فاطر ٢٩/٣٥ " إنَّ الذينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وأقَامُوا الصَّلاةَ وَأنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُم سِرًّا وعَلانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارةً لَنْ تَبُورَ " فالجملة (يرجون) خبر (إن) . أو فى موضع حال على : وأنفقوا راجين . وخبر (إنّ) قوله " إنه غفور شكور "[5]. وفي قوله تعالى " أمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ

---

(١) الزجاج ٢٩٠/١ .

(٢) الزمخشري ٣٨٥/١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٥٠/٣ و ٢٤٨/١٠ .

(٤) مجمع البيان ٣٩/١٥ .

(٥) الكشاف ٣٠٨/٣ ومجمع البيان ٢٤٠/٢٢ .

وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ " الزمر ٩/٣٩ . يقول الرازي (قال في مقام الخوف (يحذر الآخرة) فما أضاف الحذر إلى نفسه ، وفي مقام الرجاء أضافه إلى نفسه ، وهذا يدل على أن جانب الرجاء أكمل وأليق بحضرة الله تعالى)[1].

٢- وجاء فعلاً مضارعًا منفيًا بـ(لا) فيكون التركيب (لا + الفعل المضارع المسند إلى واو الجماعة + المفعول به) (لا يَرْجُونَ لقَاءَنا) أو (لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ) أو (لا يَرجُونَ للهِ وَقَارًا) . وكلها وردت في صفات الكفار أو المشركين أو المنافقين . ففي سورة يونس ورد التركيب (لا يرجون لقاءنا) ثلاث مرات ، ومرة واحدة في سورة الفرقان . ويلاحظ أن المفعول به هو كلمة (لقاء) المضافة إلى (نا) ضمير التعظيم العائد على الله سبحانه . وقد مر بنا شي مبحث الفعل (يرجو المرفوع المثبت أن مفعوله (لقاء) جاء مضافًا إلى كلمة (رب) أو (الله) ولا سيما في السور المكية . جاء في تفسير مجمع البيان (لا يرجون لقاءنا) (وأضاف إلى نفسه تعظيمًا له)[2] ويلاحظ من سياق الآيات التي ورد فيها التركيب (لا يرجون لقاءنا) أنها لا تشتمل على تغليظ شديد في القول إذ يمكن أن نلحظ من سياق كل آية صفات أولئك الذين لا يرجون لقاء الله . ففي سورة يونس ٧/١٠ نجد صفاتهم هي " وَرَضُوا بالحياةِ الدُّنيا واطْمأَنُّوا بِهَا وَالذينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ " . جاء في الكشاف (لا يتوقعونه أصلاً ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم .. أو لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء)[3]. وفي ذلك تفخيم للأمر وتعظيم إذ (جعل سبحانه ملاقاة ما لا يقدر عليه إلا هو ملاقاة له كما جعل إتيان الملائكة إتيانًا له في قوله " هَلْ ينْظُرُون إلاَّ أنْ يَأْتِيَهُمْ الله "[4] وفي الآية/ ١٥ من السورة نفسها " قَالَ الذينَ لاَ

---

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ٢٥١/٢٦ .

(٢) الطبرسي ١٦/١١ .

(٣) الزمخشري ٢٢٦/٢ .

(٤) مجمع البيان ١٦/١١ .

يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرآنٍ غَيْرِ هَذَا أوْ بَدِّلْهُ " فكأن وصفهم بهذه الصفة (أريد به كونهم مكذبين بالحشر والنشر)[١].

أما الآية التي ورد فيها المفعول به (أيام الله) ففيها خطاب للنبي (ص) بأن يقول (للذين آمنوا) أنْ يتركوا مجازاة (الذين لا يرجون أيام الله) ليتولى الله سبحانه مجازاتهم . قال تعالي " قُلْ لِلذينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا للذينَ لاَ يَرْجُونَ أيَّامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَومًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " الجاثية ٤٥/١٤ . وإضافة (أيام) إلى لفظ الجلالة تشريف لأمرها وتعظيم ، ومعنى أيام الله هي وقائع الله في الأمم الخالية وإهلاك من أهلك منهم ليحذروا ذلك . وقيل نِعَمُ الله سبحانه في سائر أيامه ، وقيل أيام الله سننه وأفعاله في عباده من إنعام وانتقام ، وكنى بالأيام عنها لأنها ظرف لهما جامعة لكل منهما[٢]. السياق العام للآية لا يشتمل على ذلك التغليظ الشديد والوعيد المخيف .

أما الآية التي ورد فيها المفعول به كلمة (وَقَار) فيها خطاب لقوم نوح (ع) بعد تفصيل لبيان دعوته لهم بعبادة الله . والوَقَار السكون والحِلْم . والعظمة اسم من التوقير وهو التعظيم[٣]. فلفظة (وقار) تأتي متسقة مع السياق اللفظي للسورة كلها . فالسورة تبدأ بدعوة نوح (ع) لقومه بقوله (أنِ اعْبُدُوا اللهِ واتَّقُوهُ وأطِيعُونِ) ثم يعدد لهم النعم التي تحل عليهم (يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُم وَيُؤَخِرْكُم إلى أجَلٍ مُسَمَّى) (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عليكُم مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجعَلْ لكُم جَنَّاتٍ) .لكنهم قابلوا دعوته باستهزاء كبير وعدم التفات إلى عظمة الدعوة وجلالها إذ أنهم " جَعَلُوا أصَابِعَهُم في آذانِهِم واسْتَغْشَوا ثِيَابَهُم وأصَرُّوا واسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا " فهم لا يريدون سماع كلامه ودعائه ولا يريدون رويته وتكبروا وأنفوا من قبول الحق. فكان قوله تعالى " ما لكم لا ترجونَ للهِ وقارًا " متسقًا مع سياق السورة . جاء فى مجمع البيان (لا يعظمون الله حق عظمته) . وجملة (لا ترجون) في موضع الحال . والعامل في الحال (ما

---

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ١٧/٥٨ .

(٢) مجمع البيان ١٣/١٩٨ .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ٨٨٠ ، ومجمع البيان ٢٩/٦٥ .

لكم) من معنى الفعل ، (وَقَارًا) منصوب بأنه مفعول (ترجون)[١]. وخلاصة القول إن الفعل (يرجو) عندما يجيء منفيًا بـ(لا) النافية يختص فقط بالمواضع التي يكون فها إنكار من المشركين والكفار ليوم البعث والحساب والنشور والثواب والعقاب . إلا موقعًا واحدًا ورد المفعول به في ساق خاص يعالج فيه أمرًا اجتماعيًّا يخص حالة وضع الثياب عند القواعد من النساء ، قال تعالى " وَالقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَ جُنَاحٌ أنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بزينةٍ " النور ٢٤/٦٠ فلا يعد من ألفاظ الخوف في هذا الموضع .

٣- من أحواله أن يأتي مسبوقًا بكون منفى (ما كنتَ) وقد ورد في موضع واحد فقط في سورة القصص المكية فى قوله تعالى " وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أنْ يُلقَى إليكَ الكِتَابُ إلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيرًا للكافرينَ " ٢٨/٨٦ . فالفعل (يرجو) وقع في حيز النفي (ما كان) الذي يكون نفيًا لقولنا (لقد كان)[٢]. وسياق الآية منتظم مع ما قابلها وما بعدها فما قبلها قوله تعالى " إنَّ الذي فَرَضَ عليكَ القرآنَ لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أعلمُ منْ جَاءَ بالهُدَى وَمَنْ هُوَ فى ظَلالٍ مُبيْنٍ " /٨٥ وما بعدها قوله تعالى " ولاَ يَصُدُّنَّك عن آيَاتِ اللهِ بعد إذْ أُنْزِلَتْ إليك " . فهنا انتقال فى الكلام من الصعوبة ثم إلى الأقل فالأقل فقوله تعالى " فرض عليك القرآن " أي أوجب عليك العمل به . أصعب من قوله " أن يلقى إليك الكتاب " ويلاحظ طيّ ذكر الفاعل في قوله (يُلقى) لكونه معروفًا متفردًا بالفعل لا يشاركه فيه أحد . وقوله (بعد إذ أنزلت إليك) أقل صعوبة من الإلقاء لقوله تعالى في سورة المزمل "إنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقيلاً " ٧٣/٥ . وهكذا يكون الاتساق في النظم بين آيات القرآن الكريم . جاء في تفسير الطبرسي (وما كنتَ يا محمد ترجو فيما مضى أن يوحي الله إليك ويشرفك

(١) الطبرسي ٢٩/٦٦ .
(٢) الكتاب ١/٤٦٠ .

بإنزال القرآن عليك " إلاّ رحمةً من ربك " وهذا من الاستثناء المنقطع ومعناه إلا أنّ ربّك رحمَك وأنعم به عليك)[١].

٤- ومن أحواله أن يأتي على بناء الأمر فقد ورد في موضع واحد في سورة العنكبوت وهي مكية في قوله تعالى " وَإلى مَدْيَنَ أخَاهُم شُعَيْبًا فقَالَ يَا قوم اعْبُدوا اللهَ وَارْجُوا اليومَ الآخرَ وَلاَ تَعْثَوا في الأرضِ مُفْسِدِينَ ".

وصيغة الأمر نادرة الورود في ألفاظ الخوف إذ ورد مرة واحدة مع الفعل خاف وثلاث مرات مع الفعل (خشي) ومرة واحدة مع الفعل (يرجو) جاء في الكشاف (وارجوا اليوم الآخر . وارجوا : وافعلوا ما ترجون به العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب . أو أمروا بالرجاء وقيل هو الرجاء بمعنى الخوف[٢]. ولم يرد منه طلب باللام التي للأمر .

(حذر)

ورد في واحد وعشرين موضعًا وجاءت أحواله على النحو الآتي :

١- عندما يجيء ، (مصدرًا) له في الاستعمال القرآني بناءان:

أ- بناء (فَعَل) (حَذَر) وقد ورد في موضعين مضافًا إلى كلمة الموت ، والموضعان وردا في سورة البقرة الآية ١٩/٢ " يَجْعَلُونَ أصَابِعَهُمْ في آذَانِهم مِنَ الصَّوَاعِقِ حذَر المَوْتِ واللهُ مُحِيْطٌ بالكافرينَ " . والآية ٢٤٣/٢ " أَلَمْ تَرَ إلى الذينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِم وَهُمْ أُلوفٌ حَذَرَ المَوْتِ " . والآيتان تختلفان في التركيب والسياق . فالآية الأولى جاءت في المنافقين الذين سبق ذكرهم وتشبيه حالهم (بالذي استوقدَ نارًا) أو (كَصَيِّبٍ مِنَ السماءِ) ، أما الثانية فقد جاءت في قوم بني إسرائيل كما يذكر المفسرون . دعاهم ملكهم إلى الجهاد ففروا خوفًا من الموت .. فالخوف من الموت يختلف في كل آية فيكون في الآية الأولى بسبب الصواعق وما يصاحبها من برق

(١) مجمع البيان ٣٢٩/٣٠ .
(٢) الزمخشري ٢٠٥/٣ .

ورعد تخفق له القلوب ، ويكون فى الآية الثانية بسبب الجبن والفرار من ملاقاة الأعداء (وهم ألوف) ولم يكونوا قلة .

والمصدر (حَذَر الموت) منصوب على المفعول لأجله لكن العامل فه يختلف ففي الآية الأولى يكون العامل فيه (من الصواعق) لأنه يصلح جوابا لقولنا : لم يخافون من الصواعق ؟[١] . أما فى الآية الثانية فيكون منصوبا بـ(خرجوا)[٢]. ويجوز عند الزجاج النصب على المصدر (كأنه قال يحذرون حذرًا)[٣] والمعنى يختلف على التقديرين . فعلى المفعول لأجله يكون المعنى بيان العلة وعلى المصدر يكون مفعولاً مطلقًا لتوكيد فعله ، والأشهر عند المفسرين هو نصبه على المفعول لأجله[٤]. وفي الآية الأولى نجد هذا الصعود يبدأ من جعل الأصابع ثم (من الصواعق) ثم (حذر الموت) وكله مَثَل لحال المنافقين وحيرتهم من أمر هذا الدين . وفي الآية الثانية لا يكون هناك تصعيد وإنما هي إخبار عن قوم كان هذا حالهم من دعوة الجهاد وملاقاة الأعداء فليس في التركيب تصعيدا إلا جملة (وهم ألوف) التي جاءت لإبراز مدى جبنهم على الرغم من كثرتهم وفي ذلك حثٌّ للمسلمين على عدم التردد إذا ما دُعوا إلى الجهاد في سبيل الله .

جاء في مجمع البيان (توجيه الخطاب إلى الصحابة بعد ما ذكّرهم بحال من فرّ من الموت فلم ينفعه الفرار ، يحرضهم على الجهاد ولئلا يسلكوا في الفرار من الجهاد سبيل أولئك الذين فروا من الديار)[٥] .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٩٥/٣ .

(٢) معاني القران وإعرابه ٣٢٢/١ .

(٣) نفسه ٣٢٢/١ .

(٤) جامع البيان ١٥٦/١ ، ومعاني القرآن ٩٧/١ و ٣٢٢ ، ومشكل إعراب القرآن ٨١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥٢/٣ .

(٥) مجمع البيان ٢٧١/١ .

ب - بناء (فِعْل) وقد ورد في سورة النساء فقط في ثلاثة مواضع مفعولاً به لفعل الأمر (خذوا) ومضافًا إلى الضمير الكاف المتصلة بميم الجمع والهاء المتصلة بميم الجمع (كم) أو (هم) . وهذه المواضع وردت كلها في سياق الحرب والاستعداد لمواجهة العدو فالتركيب (خذُوا حِذْرَكم) فيه تأكيد لأخذ الحيطة والأُهبة وترك الغفلة . وصيغة (حِذْر) بالكسر فيها من الدلالة الصوتية ما لا يتأتى في صيغة (حَذَر) بالفتح . ولذلك جاء في المواضع التي تشتد فيها الحاجة إلى دوام الاستعداد واليقظة . ففي الآية النساء ٧١/٤" يَا أَيُّهَا الذين آمنوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرْوا ثباتٍ أو انفِروا جميعًا " فالدعوة مبنية على التركيب الذي يكثر فيه أفعال الأمر وهي (خذوا ، فانفروا أو انفروا) فجاء العطف في الأول بالفاء (فانفروا) التي فيها معنى التعقيب والسببية ثم جاء العطف بـ(أو) التي فيها معنى التخيير ، ومجيء المصدر على بناء (فِعْل) بالكسر فيه لطيفة إذ يحتمل بناؤه أكثر من معنى . جاء في مجمع البيان (قيل فيه قولان : أحدهما : أن معناه احذروا عدوكم بأخذ السلاح.

والثاني : أن معناه خذوا أسلحتكم.سمّى الأسلحة حِذْرا . ويكون من باب حذف المضاف.وتقديره خذوا آلاتَ حذركم..فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه)[١] .

ولا يتأتى هذا المعنى لو كان الكلام (خُذُوا حَذَرَكم) بالفتح . وهذه الطريقة في إيراد اللفظ الواحد للدلالة على أكثر من معنى واردة في الاستعمال القرآني وقد مر بنا شيء من ذلك في مبحث الفعل (خاف) عندما يجيء مصدرًا في قوله تعالى " يدعون ربَّهم خوفًا وطمعًا . ويمكن أن يكون الحذر بمعنى السلاح . ولذلك جمع بينهما في قوله تعالى " وليأخذوا حِذْرَهم وأسلحتَهم " في الآية نفسها جاء الكشاف (فإن قلت : كيف جمع بين الأسلحة وبين الحذر في الأخذ ؟ قلت : جعل الحِذْر

---

(١) نفسه ١٥٤/٥ .

والتحرّز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ جُعلا مأخوذين)[١] .

٢- ويأتي من هذه المادة بناء الأمر (احذر) فى ستة مواضع كلها مدنية . ويلاحظ أنه يأتي مقترنًا بالفاء (فاحذَرْ) في أربعة مواضع ، ومقترنًا بالواو في موضعين كما أن مفعولاً يأتي ضميرًا متصلا للغائب فى أربعة مواضع . وطُوِي ذكر المفعول فى موضعين . ففي قوله تعالى " واعلَمُوا أنَّ اللهَ يعلَمُ ما في أنفسكم فاحْذَرُوهُ " البقرة ٢/٢٣٥ . فالضمير يعود على الله سبحانه وقد جاء الفعل مقترنًا بالفاء التي من معانيها السببية أي (فاتَّقُوا عذابَهُ ولا تُخالِفُوا أمرَه)[٢] . وفي قوله تعالى " يقولُونَ إنْ أُوتيتُم هذا فخذُوهُ وإنْ لَمْ تأتُوهُ فَاحْذَرُوا " المائدة ٥/٤١ والآية جاءت على لسان اليهود فى حكم الزاني والزانية من الرجم أو الجلد . وقد جاء الفعل فى سياق الشرط بـ(إنْ) جوابًا لها مقترنًا بالفاء . وقد مرّ بنا أنَّ الشرط بـ(إنْ) يأتي فى المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك فى حصولها والموهومة والنادرة[٣] . وقد ترك المفعول به ليكون عامًّا غير مخصص ومثله فى ترك المفعول قوله تعالى " وأطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرسولَ واحذرُوا " المائدة ٥/٩٢ . جاء فى مجمع البيان (هذا أمر منه تعالى بالحذر من المحارم والمناهي)[٤] .

٣- ويأتي من هذه المادة فعل مضارع مثبت مرفوع . ورد في سبعة مواضع منها خمسة مدنية وموضعان مكيان . وقد جاء على بناء (فعّل - يفعّل) المضعف في موضعين في سورة آل عمران وبتركيب خاص (يُحذِّرُكُمُ اللهُ نفسَهُ) وجاء مسندًا إلى واو الجماعة . وفي ثلاثة مواضع (يحذرون) أما التركيب (ويحذِّركم اللهُ

---

(١) الزمخشري ١/٥٦٠ .

(٢) مجمع البيان ٢/٢٥٤ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ١/١٩٤ .

(٤) الطبرسي ٧/٢٤٠ .

نفسَهُ) فقد ورد في الآيتين ٢٨ و ٣٠ من سورة آل عمران قال تعالى " لا يتَّخِذِ المؤمنونَ الكافرينَ أولياءَ من دونِ المؤمنينَ ومَنْ يفعَلْ ذلكَ فليسَ من اللهِ في شيءٍ إلاَّ أن تتَّقُوا منهم تقاةً ويُحَذِّرُكُمُ الله نفسَهُ وإلى اللهِ المصير " فالآية في النهي عن موالاة الكافرين واتخاذهم أولياء من دون المؤمنين . وفي الآية تأكيد هذا النهي إذ جاء النهي بـ(لا) الداخلة على الفعل المضارع (يتخذ) الدال على الغائب . ونهي المخاطب هو الشائع في الاستعمال القرآني إذ يزيد كثيرا على نهي الغائب[١] . بل إن الأكثر فيها كونها للمخاطب[٢] . فالسياق سياق تأكيد طلب ترك موالاة الكافرين . جاء في الكشاف (فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد)[٣] . فقوله تعالى " ويُحذرِّكم اللهُ نفسَه " يعني إياه فوضع (نفسه) مكان (إياه) ومعناه ويحذركم الله عقابه .. وذكر نفسه ، لتحقيق الإخافة كما يقال : احذر الأسد أي صولته وافتراسه دون عينه وتكرار التركيب (ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه)[٤] .

٤- ويأتي من هذه المادة فعلٌ مضارعٌ مثبتٌ مجرد غير مضعف . فقد ورد مسندًا إلى واو الجماعة كما ورد مسندًا إلى اسم ظاهر . فقد ورد على صيغة (يحذرون) في ثلاثة مواضع منها اثنان في سورة التوبة المدنية في الآيتين ٦٤ و ١٢٢. وموضع في سورة القصص وهي مكية ٦/٢٨ ومسندًا إلى اسم ظاهر في سورة التوبة ٦٤/٩ والى ضمير مستتر في سورة الزمر ٣٩/٣٩ . ويلاحظ أن المفعول به لا يذكر مع بناء (يحذَرون) أما بناء (يحذَر) . فقد جاء مفعوله مرة مصدرًا مؤولاً من (أنْ + الفعل) ومرةً اسمًا ظاهرًا . ويلاحظ أن المفعول المحذوف واقع

---

(١) ينظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٥١٧/٢ .

(٢) همع الهوامع مع شرح جمع الجوامع في علم العربية / جلال الدين السيوطي ٣١٠/٤ ، وينظر أساليب الطلب / قيس الأوسي ٤٧٤ .

(٣) الزمخشري ٤٢٢/١ .

(٤) مجمع البيان ٥٦/٣ .

مع فعله صلة للموصول فيكون هو العائد الذي يكثر حذفه كما في قوله تعالى " إنّ اللهَ مخرجٌ ما تحذَرون " التوبة ٩/٦٤ . ومثله قوله تعالى " ونُرِي فرعونَ وهامانَ وجنودَهُما منهم ما كانوا يحذَرون " القصص ٢٨/٦ . جاء في الكشاف (" مخرجٌ ما تحذرون " أي تحذرون إظهاره من نفاقكم)[١] . جاء في قوله تعالى " منهُم ما كانوا يحذَرون " . (منهم ما) حذروه من ذهاب ملكهم على يد مولود منهم)[٢] .

٥- يجيء المضارع من هذه المادة مسندًا إلى اسم ظاهر في قوله تعالى " يَحذَرُ المُنافِقُونَ أنْ تَنَزّلَ عليهِم سورةٌ " التوبة ٩/٦٤ . وتوجيه الفعل (يحذَر) عند المفسرين إما على أنه إخبار بأنهم يخافون أن يفشوا سرائرهم ، أو أنه جاء على لفظ الخبر ومعناه الأمر كقولك (ليحذرِ المنافقونَ أن تنزل عليهم سورة) وحسُن ذلك لأن موضع الكلام على التهديد[٣] . ويلاحظ في الآية الكريمة أن المفعول به جاء مصدرًا مؤولاً (أنْ تنزّلَ) وان فاعله طوي ذكره وقد مر بنا أن (أنْ) تدخل على المضارع فتصرفه إلى الاستقبال غالبا . كما أن وظيفتها معه للدلالة على مجرد الحدث دون قصد إلى صفة معينة ، وجاء الفعل (تنزّل) بالتضعيف الذي مصدره (التنزيل) ، جاء في مفردات ألفاظ القرآن (لولا نُزّلتْ سورة) محمد ٤٧/٢٠ و (فإذا أنزلت سورة محكمة) محمد ٤٧/٢٠ فإنما ذكر في الأول (نزّل) وفي الثاني (أنزل) تنبيهًا على أن المنافقين يقترحون أن يُنزّل شيء فشيء من الحث على القتال ليتولوه .. إن الإنزال أعم من التنزيل[٤] . أما طي ذكر الفاعل فذلك لأنه معلوم وأن الفعل مقتصر عليه لا يشاركه فيه أحد سبحانه . وان المقام ليس مقام فضل أو نعمة وإنما مقام فضح المستور والمغيّب في نفوس المنافقين .

---

(١) الزمخشري ٢/٢٠٠ .

(٢) نفسه ٣/١٦٥ .

(٣) مجمع البيان ١٠/٩١ .

(٤) الراغب الأصفهاني ٨٠٠ ، مر في بحث (خشي) الفرق بين (أنزل) و (نزّل) .

٦- ويأتي من هذه المادة فعل مضارع مقترن بلام الأمر في موضع واحد مدني في سورة النور الآية ٦٣/٢٤ " فَلْيَحْذَرِ الذينَ يُخَالِفُونَ عن أمْرِهِ " والطلب بلام الأمر فيه علامة على الأمر والتشديد والبت في الطلب[١] . جاء في مجمع البيان (حذَّرهم سبحانه عن مخالفة نبيه (ص) أي فليحذر الذين يعرضون عن أمر الله تعالى . وإنما دخلت (عن) لهذا المعنى)[٢] .

٧- ويأتي على بناء اسم الفاعل (حاذر) في موضع واحد في سورة الشعراء وهي مكية الآية ٥٦/٢٦ " وإنَّا لَجميعٌ حاذرون " وتقرأ (حَذِرون) وهي على صيغة مبالغة (فَعِل) (حَذِر) ولكن سياق السورة اللفظي يرجح قراءة (حاذرون) (على اسم الفاعل) إذ ترد هذه الصيغة في السورة كلها أكثر من ثمان وثلاثين مرة فضلا عن صيغة اسم الفاعل من غير الثلاثي ، وقد حاول المفسرون واللغويون التفريق بين دلالة الصيغتين ، قال الزجاج (فالحاذر المستعدّ والحَذِر المتيقظ)[٣] .

٨- ويأتي من هذه المادة اسم المفعول (محذور) في موضع واحد أيضًا في سورة الإسراء المكية الآية ٥٧/١٧ " إنّ عذابَ ربِّك كانَ محذورًا " والبناء على (مفعول) يتسق مع السياق اللفظي للسورة كلّها ، إذ ترددت هذه الصيغة أكثر من ست وعشرين مرة ، جاء في الكشاف (كان محذورًا : حقيقيا بأن يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم)[٤] .

(خشع)

ورد فى سبعة عشر موضعًا وكانت أحواله على النحو الآتي .

---

(١) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ١٤٨ .

(٢) مجمع البيان ٨٢/١٨ .

(٣) معاني القران وإعرابه ٩٢/٤ ، والكشاف ١١٤/٣ ، ومجمع البيان ١٥٠/١٩ .

(٤) الزمخشري ٤٥٤/٢ .

١- يأتي من ماده هذا الفعل جمع مذكر سالم منصوبًا فى الغالب . فقد ورد فى سورة آل عمران ١٩٩/٣ " وإنَّ من أهلِ الكتابِ لمن يُؤمِنُ باللهِ وما أُنزِلَ إليكم وما أُنزِل إليهم خاشعين لله " . فخاشعين : نصب على الحال . واختلف في صاحبه فقيل من المضمر فى (مؤمن) وقيل الضمير فى (إليهم) وقيل من الضمير في (إليكم) [١] ويبدو من سياق الآية الكريمة أن الحال (خاشعين) جاءت متأخرة لتشمل كل هذه الاحتمالات . فهي فى وصف بعض أهل الكتاب الذين يؤمنون بالله وما أنزل إلى المسلمين وما أنزل إليهم ثم جاء الإخبار عنهم بأنهم في كل ذلك خاشعون لله . لأن الحال شكلٌ من أشكال الخبر . فكأن الآية أرادت أن تبرز صفة الخشوع عند هؤلاء ولذلك جاء الوصف بالاسم وليس بالفعل (يخشعون) لأن الاسم فيه معنى الدوام والثبوت . جاء فى تفسير الطبري (يعني خاضعين لله بالطاعة مستكينين له بها متذللين)[٢] .

وجاء في مجمع البيان (الخاشع المتذلل الخائف .. والخشوعُ الخوفُ اللازم للقلب من الله)[٣] .

كما ورد منصوبًا فى سورة الأنبياء ٩٠/٢١ " إنَّهُم كانوا يُسَارِعُونَ فى الخيراتِ ويدعوننا رغَبًا ورهَبًا وكانوا لنا خاشعين " والآية فى معرض الإخبار عن زكريا (ع) وذرية من الأنبياء (ع) . ويلاحظ فى تركيب الآية الكريمة أن الله وصفهم بـ(أنّهم يسارعون فى الخيرات) فجاء التركيب بالفعل المضارع (يدعوننا) (ويدعوننا رغَبًا وَهَبًا) فجاء التركيب بالفعل (يدعوننا) . وعندما وصفهم سبحانه بالخشوع (وكانوا لنا خاشعين) جاء التركيب بالاسمِ على أنهم دائمو الوجل كما أن

---

(١) مشكل إعراب القرآن ١٨٦ ، ومجمع البيان ٣١٠/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠٥/٤ .
(٢) جامع البيان ٢٢٠/٤ .
(٣) الطبرسي ٣١٠/٤ .

تقديم الجار والمجرور (لنا) فيه دلالة على الاختصاص . أي أن خشوعهم مختص به سبحانه لا ينصرف إلى غيره ، وهذا خشوع الأنبياء (ع) .

ويلاحظ أن الجار والمجرور (لله) في آية آل عمران قد تأخر عن (خاشعين)، بخلاف آية الأنبياء فقد تقدم الجار والمجرور على (خاشعين) وذلك لاختلاف السياقين . فآية آل عمران جاءت في وصف بعض أهل الكتاب من المؤمنين بينما آية الأنبياء جاءت في وصف ذرية (زكريا) (ع) من الأنبياء من بعده ولذلك تقدم ذكر الإيمان بالله في آية آل عمران ولم يرد ذكره في آية الأنبياء لأنهم أصلا ذرية مؤمنة . ولذلك جاءت الآية بتقديم الجار والمجرور (لنا) والله اعلم . كما ورد النصب في قوله تعالى " وتراهُم يُعرِضُون عليها خاشعينَ من الذُّلّ " الشورى ٤٥/٤٢ . والآية في معرض الإخبار عن الكافرين ووصف لحالهم يوم القيامة . والضمير في (عليها) يعود على النار ، و(خاشعين) منصوبة على الحال . جاء في الكشاف (خاشعين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل)[١] ، فالخشوع في هذه الآية خشوع مذموم مصدره الذل . بخلاف الخشوع في آيتي آل عمران والأنبياء فهو خشوع محمود مصدره التقوى .

٢- ويرد منصوباً في حالة الإفراد على صيغة اسم الفاعل (خاشعًا) و (خاشعة) إذ ورد مصاحبًا لفظة (أبصارهم) متقدمًا عليها فيكون التركيب (خاشعة أبصارهم) فقد ورد هذا التركيب في سورتين مكيتين إحداهما سورة القلم الآية ٤٣/٦٨ " خاشعةً أبصارُهُم ترهَقُهُم ذِلَّةٌ وقدْ كانوا يُدعَونَ إلى السجودِ وهم سالمون " والأخرى في سورة المعارج ٤٤/٧٠ " خاشعةً أبصارُهُم ترهَقُهم ذلةٌ ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون " والآيتان تتفقان في أنهما تصوران حال الكافرين المنكرين يوم القيامة ، (يوم يكشف عن ساق) و (يوم يخرجون من الأجداث) وتتفقان أيضًا في النظم فـ(خاشعة) في كلتا الآيتين تكون مكسوعة بالجملة الفعلية (ترهقهم ذلة) . و

---

(١) الزمخشري ٤٧٤/٣ .

(خاشعة) منصوبة على الحال و (ترهقهم ذلة) في موضع نصب على الحـــال[١] .
وقد أسند الخشوع إلى الأبصار لأنه خشوع مذموم ، خشوع ذل واحتقـــار . مثلمـــا أسند الشخوص إلى الأبصار فى قوله تعالى " إنما يُـــؤَخِّرُهُم لِيَـــومٍ تَشْـــخَصُ فيـــه الأبصارُ " إبراهيم ٤٢/١٤ وفى قوله تعالى " واقتربَ الوَعْدُ الحَقُّ فإذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أبصارُ الذينَ كفروا " الأنبياء ٩٧/٢١ . فخشوع الأبصـــار وشخوصـــها وصـــفان يستعملهما القرآن الكريم فى تصوير هول ذلك اليوم . جاء فى مجمـــع البيـــان (أي ذليلة خاضعة لا يستطيعون النظر من هول ذلك اليوم)[٢] . ويلاحظ فى تركيب آية القلم أن الفاعل طوي ذكره فى (يكشف عن ساق) و (يدعون إلى السجود) بخلاف آية المعا رج فقد أظهر الفاعل فى (يخرجون) و (يوقضون) ويفـــرق الاســـتعمال القرآني بن القبور والأجداث فقد استعمل لفظة القبور للأموات فى الحياة الدنيا وقـــد وردت خمس مرات[٣] . أما الأجداث فلا نعلم ما هي لأنها تخص اليوم الآخر (يوم تبدل الأرض) وبذلك جاء الاستعمال متسقًا تمامًا مع سياق آية المعا رج .
٣- ورد مصدرًا منصوبًا على صيغة (فُعُول) فى قوله تعالى " ويَخِرُّونَ للأذقـــانِ يبكونُ ويزيدُهُم خُشُوعًا " الإسراء ١٠٩/١٧ .
فـــ(خشُوعًا) منصوبًا على التمييز وهو تمييز محول عن المفعول إذ الأصل يزيـــد ذكرُ القرآن خشوعَهم . فالزيادة للخشوع أي (مما تجد الفعل منقولاً عن الشيء إلى ما ذلك الشيء من سببه)[٤] . ودلالة التمييز هنا لأجل الشمول فكأن الخشـــوع قـــد شمل جميع جوارحهم أبصارهم وقلوبهم ووجوههم وفى ذلك تأكيد ومبالغـــة ، جـــاء

(١) إعراب القرآن / النحاس ٤٩٠/٣ .
(٢) الطبرسي ٣٣/٢٩ .
(٣) الحج ٧/٢٢ ، وفاطر ٢٢/٣٥ ، والممتحنة ١٣/٦٠ ، والانفطار ٤/٨٢ ، والعاديات ٩/١٠٠ .
(٤) دلائل الإعجاز ١٣٢ .

فى شرح ابن يعيش فى قولنا طاب زيد نفسًا (ومعنى المبالغة أن الفعل كان مسندًا إلى جزء منه فصار مسندًا إلى الجميع وهو أبلغ فى المعنى والتأكيد أنه لما كان يفهم منه الإسناد إلى ما هو منتصب به ثم أسند في اللفظ إلى زيد تمكّن المعنى ، ثم لما احتمل أشياء كثيرة وهو أن تطيب نفسه .. وان يطيب لسانه .. وان يطيب قلبه .. تبين المراد من ذلك بالنكرة التي هي فاعل في المعنى)(١) . وتركيب الآية مبني على استعمال الأفعال (يخرُّون ـ يبكون ـ يزيد) ودلالة الفعل تقوم على التجدد (لان الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت)(٢) . فقوله تعالى " يخرُّونَ للأذْقانِ " تنبيه على اجتماع أمرين : السقوط وحصول الصوت منهم بالتسبيح(٣). لأن معنى (خرَّ) (سقط سقوطًا يسمع منه خرير . والخريرُ يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو)(٤) فهذه الصفة تتجدد عندهم كلما سمعوا القران وكذلك البكاء والخشوع .

٤- ورد فعلا في موضعين أحدهما مكي في قوله تعالى " يومئذٍ يتّبِعُونَ الداعي لا عِوَجَ لهُ وَخَشَعَتِ الأصواتُ للرحمنِ فلا تسمَعُ إلاّ هَمْسًا " طه ١٠٨/٢٠ .

وقد جاء على صيغة الماضي . والآخر مدني في قوله تعالى " أَلَمْ يَأْنِ للذين أمنُوا أنْ تخشَعَ قُلُوبُهم لذكرِ الله " الحديد ١٦/٥٧ . وقد جاء على صيغة المضارع وسياق الآيتين مختلف تماما . فالأولى جاءت في معرض الإخبار عن يوم القيامة ، والثانية جاءت في معرض الإخبار عن المؤمنين في الحياة الدنيا ويمكن إجمال هذا الاختلاف بما يأتي :

١- في آية طه جاء الفعل على صيغة الماضي على طريقة القرآن الكريم في التعبير عن الأحداث المتحققة في المستقبل بصيغة الماضي ولاسيما في الإخبار عن

---

(١) شرح المفصل ٧٥/٢ .

(٢) دلائل الإعجاز ١٩٤ .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ٢٢٧ .

(٤) نفسه ٢٢٧ .

أحداث يوم القيامة بخلاف آية الحديد فقد جاء بصيغة المضارع للدلالة على التجدد والحدوث شيئًا فشيئًا .

٢- في آية طه نُسب الخشوع إلى الأصوات على طريقة القرآن الكريم في الإخبار عن الجمادات والجوارح بأن الفعل يصدر عنها وهي التي تقوم به وهذه الطريقة تتفق تمامًا مع ما أخبرنا به القرآن الكريم من أن أحوال الكون تتغير وأن الحياة الأخرى غير الحياة الدنيا ، إذ إن نظام الكون الذي عليه الآن يتغير بتبدل الأرض غير الأرض والسماوات غير السماوات فالحيوان ينطق والجمادات تتكلم والجوارح تشهد على الإنسان فتعاد صياغة الكون على صورة لا يمكن أن نتصورها ولو خيالاً . ولذلك نسبة الخشوع إلى الأصوات نسبة حقيقية وليست مجازية أو على تقدير أصحاب الأصوات كما في تقدير (واسأل القرية) ، أي أهل القرية ، فليس في الكلام مجاز وليس فيه تقدير ، إنما هو على حقيقته وذلك ما أخبر به القرآن الكريم في مواطن كثيرة . ونسبة الخشوع إلى الأصوات يمثل أعلى درجات الخوف والرهبة . أما في آية الحديد فهي في معرض الإخبار عن المؤمنين بعد ما أصابهم الفتور بعد هجرتهم إلى المدينة فأصابوا الرزق والنعمة . وهي عتاب من الله سبحانه . وخص القلوب بالخشوع لأنها إذا خَشَعَتْ خشَعَتْ جميع الجوارح معها مثلما خصها سبحانه بالقسوة . والخشوع هنا غير الخشوع في آية طه إذ إنه هنا مصطلح إسلامي لأنه صفة لازمة للمؤمنين الصادقين (فالخشوع والخضوع لله والشعور بخشيته وتقواه)[١] . وجاء في الجامع لأحكام القرآن (فإنّ الخشوع لا يزيد على ما في القلب ، وقال علي بن أبي طالب (ع) الخشوع في القلب .. قلت: هو الخشوع المحمود . لأن الخوف إذا سكَن القلب أوجب خشوع الظاهر فلا يملك صاحبه دفعه .. وأما المذموم فتكلّفه والتباكي ومطأطأة الرأس)[٢] .

---

(١) التطور الدلالي / عودة أبو خليل ١٩٩ .

(٢) القرطبي ٢٥٤/١ .

٥- ورد جمع تكسير على صيغة (فُعَّل) في قولـه تعـالى " خُشَّـعًا أبصَـارُهُم يخرجون من الأجداثِ كأنَّهُم جرادٌ مُنْتَشِر " القمر ٧/٥٤ فـ(خُشَّعًا) منصوب على الحال و(أبصارهم) مرفوع بفعله .. جمع لأنه جمع مكسر فقد خـالف الفعـل(١) . ويعلل الفراء ذلك بقوله (إذا تقدم الفعل قبل اسمٍ مؤنثٍ وهو لَهُ أو قبل جمع مؤنـث مثل : الأبصار والأعمار وما أشبهها جاز تأنيث الفعـل وتـذكيره وجمعـه)(٢) . واستعمال اللفظ على هذه الصيغة جاء متسقًا تمامًا مع سياق الخوف الذي يبدأ مـن الآية الأولى إلى الآية الثامنة فالسياق مشحون بالألفاظ (نُكُر ـ خُشَّعًا ـ مهطعـين ـ عَسِر) فضلا عن الصور ذات الحركات الغريبة غير المألوفة في (يخرجون من الأجداث) (كأنهم جراد منتشر) (مهطعين إلى الداعي) فالسياق يؤكد صفة النظر . جاء في معاني القرآن وإعرابه (المعنى يخرجون خشّعًا أبصـارهم مهطعـين . ومعنى مهطعين ناظرين لا يقلعون أبصارهم)(٣) . وإنما وصف الأبصار بالخشوع (لأن ذلة الذليل أو عِز العزيز تتبين في نظره وتظهرُ في عينه)(٤) .

(ضعف)

١- ورد فعلاً ماضيًا مبنيًّا للمفعول على وزن (استفعل) . والغالب فيه فـي هـذه الحال أن يكون مصاحبًا الفعل (استكبر) مع الاسم الموصول (الـذين) فيكـون هناك تقابل في التركيب بين الفعلين (استُضعف) و (استَكبر) الواقعين في الغالب صلة للاسم الموصول (الذين) . ففي قوله تعالى " قالَ المَلأُ الذين اسـتَكبُروا مـن قومِهِ للذينَ استُضعِفوا " الأعراف ٧/٧٥ ويلاحظ أن القول نسـب إلـى (المـلأ) والذي عليه الاستعمال القرآني أن نسبة القول إلى (الملأ) ورد في عشرة مـواطن

(١) إعراب القرآن / النحاس ٣/٢٨٣ .
(٢) معاني القران ٣/١٠٥ .
(٣) الزجاج ٥/٨٦ .
(٤) مجمع البيان ٢٧/٦٧ .

جميعها جاءت في سياق العداء ومخاصمة الرسل وأتباعهم ، منها هذا الموضع في الآية ـ موضوع البحث ـ ومن اللافت للنظر في الاستعمال القرآني أيضًا أن التركيب (الذين استكبروا) يقابل تركيب (الذين استضعفوا) في أربعة مواضع . يتقدم فيها (الذين استكبروا) في موضعين ويتأخر في موضعين . والاستعمال القرآني يفرق ببن لفظة (الضعفاء) وبين (الذين استُضعِفُوا) فيستعمل لفظة (الضعفاء) في الإخبار عن حال الكافرين ضعفائهم ومستكبريهم إذ لا يستعمل هذه اللفظة إلا في سياق الإخبار عن حالهم يوم القيامة . قال تعالى " وبَرَزُوا للهِ جميعًا فقالَ الضعفاءُ للذينَ استكبروا إنّا كُنّا لكم تبعًا " إبراهيم ٢١/١٤ وهو في وصف حالهم يوم الحساب وقال تعالى " وإذْ يتحاجُّونَ في النارِ فيقولُ الضعفاءُ للذينَ استكبروا إنّا كُنّا لكم تَبَعًا " غافر ٤٧/٤٠ فهذه حالهم وهم في النار أما (الذين استُضعفوا) فهم من المؤمنين الذين استضعفهم الكفار واستذلوهم جاء في مجمع البيان (للذين استُضعفوا) الذين استضعفوهم من المؤمنين)(١) . وجاء في تفسير النهر الماد (الذين استضعفوا) أي استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم وصيغة (استفعل) تدل على الطلب مع الذين استكبروا أي طلبوا الهيبة لأنفسهم وهو الكبر)(٢). أما مع الذين استضعفوا فبمعنى وجدته ضعيفًا . جاء في مفردات ألفاظ القرآن (استضعفته وجدته ضعيفًا)(٣) .

وهذا المعنى لا يتسق مع سياق الآية إذ معنى (استُضعفوا) أي صيروهم ضعفاء فمعنى (استفعل) هنا معنى الصيرورة أو اتخذوهم ضعفاء . وفي سورة سبأ ورد الفعل (استُضعفوا) في الآيات ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ في سياق الحوار الذي دار بين المستكبرين والمستضعفين ، قال تعالى " وَقَالَ الذينَ كَفَرُوا لنْ نُؤمِنَ بهذا القرآنِ ولا

---

(١) الطبرسي ١٠٢/٨ .
(٢) التفسير الماد / أبو حيان ٨٢٥/١ .
(٣) الراغب الأصفهاني ٥٠٧ ، وأساس البلاغة ٥٠/٢ ، وأوزان الفعل ومعانيها ١٠٩ .

بالذي بينَ يديهِ ولو ترى إذِ الظالمونَ مَوقُوفونَ عِندَ ربِّهِم يرجعُ بعضُهُم إلى بعضٍ القول ، يقولُ الذين استُضعِفُوا للذينَ استَكْبَرُوا لو لا أنتُم لَكُنَّا مؤمنينَ " .

وتعرض هنا ثلاثة نقاط للبحث :

الأولى : أن المستكبرين والمستضعفين في هذا الموقف ، كل فريق منهم ظالم " ولو ترى إذِ الظالمون موقوفون عند ربهم " .

الثانية : لم يأتِ الكلام بوصف ذلك اليوم بـ(يوم القيامة) ولا (يوم الحساب) بل وصفه بـ(عند ربهم) ولهذا دلالته (فالخلق والإيجاد والتدبير والفعل من صفة الربوبية .. فاسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه لا يخرج شيء عن ربوبيته)[١] . فجاء الكلام (عند ربهم) متسقًا تمامًا مع السياق الذي يتجاذبون فيه أطراف المحادثة ويتجادلون إذ لا ينفعهم شيء . فإضافة (رَبّ) إلى الضمير (هم) العائد على (الظالمون) من مستكبرين ومستضعفين جاء لإبراز هذه المعاني . جاء في بدائع الفوائد (إضافة الربوبية المتضمنة لخلقهم وتدبيرهم وتربيتهم وإصلاحهم وجلب مصالحهم وما يحتاجون إليه ودفع الشر عنهم وحفظهم مما يفسدهم . هذا معنى ربوبيته لهم)[٢] .

والنقطة الثانية : (حذف جواب لو) فى قوله تعالى " ولو ترى إذِ الظالمونَ موقوفون عند ربهم ... " لغرض التضخيم والتعظيم والتهويل . ولذلك يكون تقديره عند الزمخشري (لرأيتَ العَجَب)[٣] وعند أبى حيان (لرأيتَ حالةً منكرة من ذلّهم وتَحَاوُرِهم وتَجدُلِهم)[٤] . وجاء فى (البرهان) (قالوا وحذفُ الجواب يقع في مواقع التضخيم والتعظيم ويجوز حذفه لعلم المخاطب به ، وإنما يحذف لقصد المبالغة لأن السامع مع أقصى تخيله يذهب منه الذهن كل مذهب ولو صرح

---

(١) تفسير ابن قيم ٣٤ .
(٢) بدائع الفوائد ٢٤٧/١ .
(٣) الكشاف ٢٩٠/٣ .
(٤) تفسير النهر الماد ٧٥٥/٢ .

بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به فلا يكون له ذلك الوقــع)[١] . وجــاء فــي الإتقان (ولهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها العجب والتهويل)[٢] .

٢- ورد فعلاً ماضيًا مزيدًا على صيغة (استفعل) مبنيًّا للمعلوم ، في قوله تعــالى على لسان هارون (ع) " إِنَّ القَومَ استَضْعَفُونِي وكَادُوا يَقْتُلُونَنِي " الأعراف ١٥٠/٧ ودلالة (استَضْعَف) عند بعض المفسرين (اتَّخَــذُوني ضَــعيفًا)[٣] أو (وجــدوني ضعفا)[٤] . وسياق الآية لا ينسجم مع هذين المعنيين تمامًا . فالآيــة جــاءت علــى لسان هارون (ع) بعد رجوع موسى (ع) من الميقات المعلوم فوجد القوم قد تركــوا عبادة الله واتخذوا العجل إلها ، فغضب موسى (ع) وهاله ما يرى فــألقى الألــواح وأخذ بلحية أخيه ورأسه يلومه لومًا شديدًا ظانًّا أنه قد قصّر في منــع القــوم عــن فعلتهم فجاء قول هارون (ع) موضحًا الأمر " إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني " وهذا قول موجز فيه اختصار بليغ إذ معناه(أنه لم يأل جهدًا في كفهــم بــالوعظ والإنذار وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولــم يبق إلا أن يقتلوه)[٥] . كل هذا الكلام اختصره (ع) بقوله " إِنَّ القَومَ استَضْــعَفُونِي وكادوا يقتلونني " بدليل أن موسى (ع) اقتنع بقول أخيه وعلم انه لم يقصر في الأمر فقال " رَبِّ اغْفِرْ لي ولأَخِي وأَدْخِلْنَا في رَحْمَتِكَ وأنتَ أرحمُ الراحمين " /١٥١ .

فقوله (فيم كنتم) اختصار لهذا الكلام . ولذلك جاء جوابهم " كنا مستضــعفين فــي الأرض " أي خائفين (يستضعفنا أهل الشرك بالله في أرضنا وبلادنا بكثرة عــددهم

(١) البرهان ١٨٣/٣ .

(٢) الإتقان ٥٧/٢ .

(٣) مجمع البيان ٣١/٩ .

(٤) تفسير النهر الماد ٧٨٠/١ .

(٥) الكشاف ١١٩/٢ .

وقوتهم ويمنعوننا من الإيمان بالله)[١] ويلاحظ في تركيب الآية أن كلمة (الأرض) ترددت مرتين فمع المستضعفين جاءت معرفة بـ(أل) ومع قول الملائكة جاءت مضافة إلى لفظ الجلالة . (واسم الله دال على كونه مألوهًا معبودًا تألهه الخلائق محبة وتعظيمًا وخضوعًا وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب)[٢] فالأرض عند المستضعفين هي الأرض التي يدركونها فقط التي لا تتجاوز مدى أبصارهم ومداركهم والذي عليه الاستعمال القرآني أن لفظة (أرض) أضيفت إلى لفظ الجلالة (الله) في موضعين احدهما في الآية ـ موضوع البحث ـ والآخر في سورة هود ٦٤/١١ " ويا قَومِ هذهِ ناقةُ اللهِ لكُم آيةً فذَرُوها تأكلُ في أرضِ الله " .

وفي موضع ثالث أضيفت إلى (ياء المتكلم) في سورة العنكبوت ٥٦/٩ " يا عبادي الذين امنوا إنَّ أرْضِيَ واسعةٌ فإيايَ فاعبدونِ " وكل ذلك لإبراز تفرده سبحانه بالملك . والاستضعاف في آية النساء الذي اعتذروا به غير مجدٍ وغير نافع لأنه استضعاف مذموم بخلافه في آية الأنفال في قوله تعالى " واذكروا إذ انتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون إن يتخطفكم الناس " فهنا الاستضعاف ليس مذمومًا سببه الجبن أو حب والقعود وإيثار السلامة على الجهاد . جاء في الكشاف (أي اذكروا وقت كونكم أقلة أذلة مستضعفين)[٣] . وجاء في تفسير النهر الماد (كانوا بمكة قليلي العدد مقهورين فيها)[٤] . بدليل قوله تعالى " فآوَاكُم وأيَّدَكُم "

فدلالة (استضعفوني) أي إنني لم يعد لي سلطان عليهم وإن كلمتي لم تعد تسمع وبذلك صرت ضعيفًا لا أقوى على ردهم وأخاف منهم أن يقتلوني . بدليل " وكادوا يقتلونني " والله أعلم .

٣- جاء وصفًا على صيغة اسم المفعول من غير الثلاثي في موضعين ، في سورة النساء ٩٧/٤ " إنَّ الذينَ تَوَفَّاهُمُ الملائكةُ ظالِمِي أنفسِهِم ، قَالُوا فيمَ كُنْتُم قالوا كُنَّا

---

(١) مجمع البيان ٢٦٠/٥

(٢) التفسير القيم ٣٢ .

(٣) الزمخشري ١٥٣/٢ .

(٤) أبو حيان ٩٢١/١ .

مُسْتَضعَفينَ في الأرضِ قَالُوا ألمْ تَكُنْ أرضُ اللهِ واسعةً فَتُهَاجِروا فيها " وفي سورة الأنفال ٨/٢٦ " واذْكُروا إذْ أنتُم قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ في الأَرْضِ تَخَافُونَ أنْ يتخطَّفَكُم الناسُ " وآية النساء في سياق حوار بين الملائكة وأولئك الذين (توفاهم الملائكة) . ويلاحظ في تركيب الآية أهمية الحال (ظالمي أنفسهم) في توجيه معنى " الذين توفاهم الملائكة " إذ خصصت هؤلاء بظلمهم أنفسهم . ويلاحظ ترك تقييد الظلم فلم يذكر سبب هذا الظلم أهو بنفاقهم أم بمعاداة الرسول أم بعدم إيمانهم ، وفي قول الملائكة " فيم كنتم " إيجاز واختصار بليغ وإبهام إذ لم يقيد (كنتم) بظرف أو جار ومجرور . جاء في الكشاف (فيم كنتم بالتوبيخ بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين)[١]. وجاء في تفسير النهر الماد (فيم كنتم : هذا استفهام معناه التوبيخ والتقريع .. والذي يظهر أن قولهم " كنا مستضعفين في الأرض " جواب .. على المعنى لا على اللفظ لان معنى (فيم كنتم) في أي حال مانعة من الهجرة كنتم)[٢] . بنصره " أما في آية النساء فقال سبحانه " فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً " فأعطى كل استضعاف حقه وجزاءه الذي يستحقه .

ويلاحظ أن دلالة (في الأرض) في آية الأنفال معروفة فهي أرض مكة عند المفسرين[٣] بخلاف دلالته في آية النساء .

٤- جاء فعلاً ماضياً مجرداً في قوله تعالى " فما وهَنوا لمّا أصابهم في سبيل الله وما ضعُفوا وما استكانوا " آل عمران ٣/١٤٦ . جاء في معاني القران (وما ضعفوا : ما جبنوا عن قتال عدوهم)[٤]. وجاء في الكشاف (وما ضعفوا عن

---

(١) تفسير النهر الماد ١/٥٥٦ .

(٢) تفسير النهر الماد ١/٤٩٨ .

(١) الكشاف ٢/١٥٣ ومجمع البيان ٩/١٣٢ وتفسير النهر الماد ١/٩٢١ .

(٤) الزجاج ١/ ٤٧٦ .

الجهاد)[١]. والآية في سياق الإخبار عن حال المسلمين يوم أُحد بعدما أُشيع أن النبي (ص) قد قُتل . جاء في الكشاف (وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم)[٢]. ويلاحظ في تركيب الآية أن النفي جاء بـ(ما) في الأفعال (وهنوا وضعفوا واستكانوا) وجميعها جاءت على صيغة الماضي . والنفي بـ (ما) مع الفعل الماضي يدل على انتفاء الحدث بصيغة الماضي بخلاف النفي بـ(لم) مع المضارع إذ يدل على انتفاء الحدث في الماضي ولكن بصيغة التجدد والاستمرار . جاء في معاني النحو (ويمكن أن يقال أيضا انه قد ينفى بـ(ما) مع الماضي إذا أُريد نفي الحدث بصورته المنقضية التامة . ويُنفى بـ (لم) مع المضارع إذا أُريد نفي الحدث في الماضي بصورة التغيير والتجدد . فإذا قلت ما استجاب لك خالد . أفاد نفي الاستجابة في الماضي بصورتها النهائية التامة، وإذا قلت : لم يستجب لك خالد . أفاد نفي الاستجابة في الماضي بصورتها التجديدية[٣].

٥- ورد جمع تكسير على وزن فُعلاء (ضُعَفاء) في موضعين الأول في سورة إبراهيم " وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنّا من عذابِ اللهِ من شيء ". وفي سورة غافر ٤٠/٤٧ " وإذ يتحاجّون في النار فيقول الضعفاءُ للذين استكبروا إنا كنّا لكم تَبَعاً فهل انتم مغنون عنا نصيباً من النار "، فالآيتان في سياق الإخبار عن حال المستكبرين وأتباعهم من الضعفاء يوم الحساب وقد جاء وصف الأتباع بالضعفاء بدلا من (الذين استضعفوا) لأن معنى الضعف غير معنى الذي استضعف . فالضعيف خلاف القوي أما الذي استضعف فهو الذي وُجد ضعيفاً أو أُتخذ ضعيفاً . ولذلك جاء وصفهم في الآيتين بـ (تبعا)

---

(١) الكشاف ٤٦٨/١ والجامع لأحكام القران ١٤٨/٤ .

(٢) الزمخشري ٤٦٨/١ .

(٣) د. فاضل السامرائي ٥٧٣/٤ .

وهو إما جمع تابع أو مصدر كأنهم تحولوا إلى معنى التَبَع إيغالاً في ذمّهم . لأنهم رضوا بالانقياد لمستكبريهم فانقادوا لهم انقياد التابع لمتبوعه .

٦- ورد على صيغة (فعيل) في قوله تعالى " وإنا لنراكَ فينا ضعيفاً " هود ١١/ ٩١. جاء في الكشاف (فينا ضعيفا : لا قوةَ لك ولا عزَّ فيما بيننا ، فلا تقدر على الامتناع منا إنْ أردنا بك مكروهاً)[١]. وقيل ضعيفاً أي مهيناً وقيل وحيداً ليس لك جند)[٢]. والآية جاءت على لسان قوم شعيب(ع) ويظهر من سياق الآية أنهم يرونه ضعيفاً أي لا سلطان له عليهم بدليل قوله تعالى " لولا رهطُك لَرَجمناك ".

٧- ورد مصدراً على وزن (فَعْلاً) في قوله تعالى " الآن خفّف اللهُ عنكم وعَلِم أن فيكم ضَعْفا " ٨/٦٦ . جاء في الكشاف (والمراد بالضعف في البدن، وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين)[٣]. وجاء في مجمع البيان (أراد ضعف البصيرة والعزيمة ولم يرد ضعف البدن)[٤]. إن ورود المصدر (ضَعفاً) في الاستعمال القرآني قليل إذ لم يرد إلا في موضعين أحدهما في الآية - موضوع البحث - والآخر في سورة مريم ٣٠/٥٤ " ثم جعل من بعد قوةٍ ضعفاً " كما انه لم يرد في الجدول الإحصائي بصيغة (فعْل) الخاص بأبنية المصدر في الشعر الجاهلي . وكذلك في الجدول الإحصائي الخاص بصيغة (فُعْل)[٥].

(أشفق)

١- ورد فعلاً ماضياً في موضعين مدنيين أحدهما في سورة الأحزاب " وأشْفَقْنَ منها " والآخر في سورة المجادلة " أأشْفَقتم أنْ تقدموا بين يدي نجواكم صدقات "

---

(١) الزمخشري ٢/٢٨٩ .

(٢) مجمع البيان ١٢/٢٠٦ والجامع لأحكام القران ٩/٦١ .

(٣) الزمخشري ٢/١٦٧ .

(٤) مجمع البيان ١٠/٥٥٦ .

(٥) أبنية المصدر في الشعر الجاهلي /٤٤٢ .

ويلاحظ انه في آية الأحزاب جاء مقيدا بحرف الجر (من)، أما في آية المجادلة فقد جاء مطلقا غير مقيد فهو متعدٍ بنفسه . ويبدو أن للفعل (أشفق) مع حرف الجر دلالات تختلف باختلاف حرف الجر نفسه، تقول أشفقتُ منه وأشفقتُ عليه وأشفقتُ فيه. كما يأتي متعدياً بنفسه تقول (أشفقتَ العطاءَ قللتَه)[1] .فمع حرف الجر (من) يكون معنى العناية أظهر[2]. وكذلك مع حرف الجر (عن) (أي خفت عليه)[3]. جاء في اللسان (إذا قلتَ أشفقتَ منه فإنما تعني حَذِرته وأشفق منه جَزِع ..ولا يقال شفقتُ)[4].

والسياق في الآيتين مختلف . فآية الأحزاب تناولت قصة عرض (الأمانة) على السماوات والأرض والجبال وهي أعظم الأجرام في حياتنا الدنيا (فأبَيْنَ) حملها (وأشفقْنَ منها) وحملها الإنسان . أما آية المجادلة فإنها متصلة بالآية التي قبلها " يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة " ثم نسخت بقوله تعالى " أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم " والفعل (أشفق) في آية الأحزاب أسند إلى نون النسوة التي تعود على (السماوات والأرض والجبال) . تقول الأشجار سَقَطْنَ إذا كانت الأشجار قليلة، وتقول الأشجارُ سقطتْ إذا كانت كثيرة[5]. وهذا مطرد في الاستعمال اللغوي والاستعمال القرآني. وقد عُدي الفعل في آية الأحزاب بحرف الجر (من). أما آية المجادلة فقد جاء الفعل (أشفقتم)في سياق الاستفهام الذي يفيد التقرير والتوبيخ ، ولم يقيد حرف الجر فهو متعدٍ بنفسه والمصدر المؤول (أن تقدموا) مفعوله. تقول (أشفقتُ العطاء قللتُه)[6] فمعنى (أأشفقتم): أقللتم تقديم

---

(1) كتاب الأفعال / ابن القطاع ١٧٤/٢ .

(2) مفردات ألفاظ القران / الراغب /٤٥٨ .

(3) كتاب الأفعال ١٧٤/٢ .

(4) اللسان ٤٦/١٢ .(شفق)

(5) معاني النحو ٧٠/١ .

(6) كتاب الأفعال ٢/ ١٧٤ .

الصدقات . جاء في الجامع لأحكام القرآن (قال ابن عباس) (أأشفقتم) أي أبَخِلتم بالصدقة[١]. والبخل مبني على التقليل . جاء في إعراب القرآن (قال مجاهد : أأشفقتم أي اشق عليكم) [٢]. وجاء في اللسان (وقوله : كما شفَقَتْ على الزاد العيال) (أراد بَخِلت وضننت لان البخيل بالشيء مشفق عليه) [٣]. يؤكد ذلك ما روي عن الإمام علي (رض) : إن في كتاب الله لآيةً ما عَمِل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي " يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول " ، كان لي دينار فبعتُه بعشرة دراهم كلما أردت أن أناجي رسول الله (ص) قدمتُ درهماً . فنسختها الآية الأخرى (أأشفقتم). فلم يعمل بها أحد[٤].

٢- يأتي وصفا على صيغة اسم الفاعل من غير الثلاثي (مشفقون) ويأتي على حالين : الأول : الرفع وهو الغالب وقد تقدم عليه الجار والمجرور فيكون التركيب (وهم من خشيته مشفقون) (وهم من الساعة مشفقون) (وان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) (والذين من عذاب ربهم مشفقون) وكلها نزلت في الإخبار عن العباد الصالحين من ملائكة أو بشر فآية الأنبياء ٢٨/٢١ في سياق الإخبار عن الملائكة . وفيها رد لمن قال " اتخذ الله ولداً " أي الملائكة بنات الله، وكذلك الآية /٤٩ من السورة نفسها فهي إخبار عن صفة المتقين " الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون " وكذلك آية (المؤمنون) " إنّ الذين هُم من خَشْيةِ ربِّهم مُشْفقون " /٥٧ جاءت في صفة المتقين . وكذلك آية المعا رج " والذين هم من عذاب ربهم مشفقون " جاءت في صفة المتقين بعد ذكر مجموعة صفات خصهم الله سبحانه بها

---

(١) القرطبي ١٩٦/١٧ .

(٢) إعراب القران / النحاس ٣٨٠/٣ .

(٣) اللسان ٤٦/١٢ مادة (شفق) .

(٤) مجمع البيان ١٥/٢٨ . تفسير النهر الماد ١٠٧٨/٢ . مواهب الجليل من تفسير البيضاوي /٧٢٧ .

. فتقديم الجار والمجرور يتسق مع تركيب الآية وسياقها، إذ إن المتقين في خوف دائم وهذا النوع من الخوف هو الذي يحبه الله ويدعو إليه لأنه يطهر القلب ويزيد من نقاء النفس وصفائها وهو خوف الرسل والأنبياء والصالحين . فالتقديم جاء من أجل العناية والاهتمام وتخصيصه بخشيته سبحانه دون غيره. الآخر: النصب وهو أقل ورودا من الرفع إذ ورد في ثلاثة مواضع منها موضعان في وصف حال المجرمين والظالمين في يوم القيامة . وموضع واحد في وصف حال المتقين . ويلاحظ أن الجار والمجرور يتأخر عندما يكون الكلام في وصف حال المجرمين والظالمين . قال تعالى " ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه " الكهف ٤٩/١٨ . وفي قوله تعالى " ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم " الشورى ٤٢/ ٢٢. فالجار والمجرور (مما فيه) و (مما كسبوا) تأخر عن الوصف (مشفقين) أما عندما يكون الكلام في وصف حال المتقين فالجار والمجرور يتقدم . قال تعالى " إنّا كنّا قبلُ في أهلنا مشفقين " الطور ٢٦/٥٢ فمشفقين: منصوبة على الحال في آيتي الكهف والشورى، وخبر لكان في آية الطور : ففي قوله تعالى " فترى المجرمين مشفقين " يقول الطبري (خائفين وجلين مما فيه مكتوب)[١]. وفي قوله تعالى " وترى الظالمين مشفقين مما كسبوا " يقول أيضا (وَجِلين خائفين من عقاب الله)[٢] . وعند الزمخشري (خائفين خوفا شديدا أرّقَ قلوبَهم)[٣] .

(وهن)

١- ورد فعلاً مضارعا مجزوما بـ(لا) الناهية في قوله تعالى " ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين " آل عمران ٣/ ١٣٩ وفي قوله تعالى " ولا تَهِنوا في ابتغاء القوم إنْ تكونوا تألمون فأنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما

---

(١) جامع البيان / الطبري ٢٥٨/١٥ .

(٢) نفسه ٢٢/٢٥ .

(٣) الكشاف / الزمخشري ٤٦٦/٣ .

لا يرجون وكان الله عليما حكيما " النساء ٤/١٠٤ . وفي قوله تعالى " فـلا تَهِنـوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يَتِرَكم أعمالكم " . محمـد ٤٧/ ٣٥ والآيات الثلاث نزلت في خطاب المسلمين وطلب ترك الضعف والوهن، في ملاقاة المشركين والكفار في معركة أحد وبعدها . ولكن التركيب مختلف. فآية آل عمران يكون فيها طلب ترك الوهن مصاحبا لطلب ترك الحزن مكسوعا بالجملة الاسـمية الحالية ثم بـ(إنْ) الشرطية وجوابها المحذوف، وسنعرض لكل مسـألة مـن هـذه المسائل لبيان وظيفتها في تركيب الآية الكريمة . أما طلب ترك الوهن فقـد جـاء بأسلوب النهي بـ(لا) الناهية التي تختص بالنهي ولا تشاركها أية أداة فيه . تـدخل على المضارع وتقتضي جزمه، وطلب ترك الوهن غير طلب تـرك الحـزن إذ إن طلب ترك الوهن مطلوب في كل حين ولذلك جاءت دلالة النهي على الاستمرار مع الوهن، أما مع الحزن فجاءت دلالتها على المرة . أمـا الجملـة الاسـمية الحاليـة المصدرة بـ(واو) الحال، فهذه الواو لها أكثر مـن غـرض، (ويقـدرها سـيبويه والأقدمون بـ(إذ)[١] أي أنها تفيد الوقت وهي بمعنى (إذ) الظرفية غالبا. جـاء فـي معاني النحو وإيضاح ذلك انك تقول (ما بالك تركض وما بالك راكضا فأنت تسـأله عن سبب ركضه وتقول : ما بالك وأنت تركض، فأنت تسأله عن شيء حـدث لـه وهو يركض كأنك قلت ما بالك حين تركض[٢] وعند عبد القاهر الجرجـاني يـؤتى بها لقصد الاستئناف[٣]. أما جملة (إن كنتم مؤمنين) فقد جاء استعمال (إنْ) للظرفيـة فمعناه ما دمتم أو ما كنتم مؤمنين[٤]. جاء في مجمع البيان (وأنتم الأعلـون جملـة

(١) الكتاب ١/٤٧ والمقتضب ٤/١٢٥ والمغني ٣/٣٥٩ .

(٢) معاني النحو / د. فاضل السامرائي ٢/٧٣٤ .

(٣) دلائل الإعجاز /٢٢٤ . للمزيد يراجع معاني النحو ٢/ ٧٣٩ فقد ذكر لها الدكتور فاضل السامرائي ثمانية أغراض .

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف /م٨٨ ودراسات في الأدوات النحوية /١٦٧ .

في موضع الحال كأنه قال لا تحزنوا عالين أي منصورين على الأعداء . ويحتمل أن يكون لا موضع لها في الإعراب لأنها اعتراض بوعد مؤكد وتقديره ولا تهنوا ولا تحزنوا إن كنتم مؤمنين وأنتم الأعلون مع ذلك)[١]. أما آية النساء فجاء طلب ترك الوهن في طلب المشركين وملاقاتهم ويلاحظ أن تركيبها يتخلف عن تركيب آية آل عمران إذ إن الفعل المجزوم (ولا تهنوا) لم يصاحب بـ (ولا تحزنوا) وليس هناك جملة حالية ولا جملة الشرط . وهذا يدل على أن المقام مع آية آل عمران كان ذا خطر عظيم ولذلك جاء التشديد معه كبيراً . جاء في الكشاف " ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية من قلوبهم .. أي لايورثنّكم ذلك وهناً وجبناً ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم "[٢]. أما آية النساء فقد نزلت في بدر الصغرى إذ ندم المشركون لأنهم تركوا المسلمين بعد هزيمتهم فهمّ أبو سفيان وأصحابه بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله (ص) فندب أصحابه للخروج في طلب المشركين وكان بأصحابه القرح وألقى الله في قلوب المشركين الرعبَ فانصرفوا . ويلاحظ في تركيب الآية أن الشرط جاء بـ (إنْ) والفعل المضارع (تكونوا) للدلالة على أن الألم لمّا ينقطع وأن الجراح لم تلتئم بعد . وقد نزل وقوع الألم منزلة الأمر المشكوك فيه والنادر بدلالة (إنْ) الشرطية. أي إنكم قوم أشداء ولا يحدث التألم منكم إلا نادرا . في حين جاء الجواب مؤكد بـ(إن) مع المشركين للدلالة على أنهم قوم ليسوا بأشداء . لان الله سبحانه ناصركم لا محالة بدليل قوله تعالى في سورة محمد ٤٧/٣٥ " فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يَتِرَكم أعمالكم ". جاء في الجامع لأحكام القرآن (فلا تهنوا) أي تضعفوا عن القتال . (وتدعوا إلى

(١) الطبرسي ٤/٢٠٨ .

(٢) الزمخشري ١/٤٦٤ .

السلم) أي الصلح .(وأنتم الأعلون) أنتم أعلم بالله منهم .. لا تكونوا أول الطـائفتين ضرعت إلى صاحبتها (والله معكم)[١].

٢- جاء فعلاً ماضيا منفيا بـ(ما) في سورة آل عمران ٣/ ٤٦ " فما وهنوا لمّا أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا " فقد جاءت الأفعال الثلاثة منفية بـ (ما) . التي تدخل على الماضي فتفيد نفي الماضي القريب من الحال[٢]. وفيها معنى التأكيد ، فقد ذكر سيبويه أنها لنفي (ما فَعَل) جاء في الكتاب (وإذا قال لقد فَعَل فأن نفيه (ما فَعَل) لأنه كأنه قال: (والله لقد فعل) فقال : (والله ما فعل) [٣] . وجاء في معاني النحو (إن (ما) آكد من (لم) وذلك أنها تقع جوابا للقسم بخلاف (لم)[٤] وقد مرّ بحث دلالها مع الماضي في مبحث الفعل (ضعُفَ) .

(رهب)

ورد في ثمانية مواضع، وكانت أحواله على الوجه الآتي :

١- يجيء فعل أمر مصاحباً ضمير النصب المنفصل مقترنا بالفاء فيكون التركيب " إياي فارهبون " مع حذف ضمير المتكلم الياء والاجتزاء عنه بالكسر . وقد ورد في موضعين أحدهما مدني في سورة البقرة " يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم وإياي فارهبون " ٢/٤٠ . والآخر مكي في سورة النحل " وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إلهٌ واحد فإياي فارهبونِ" ١٦/٥١ . ويلاحظ في سياق الآيتين إن آية البقرة جاءت في سياق خطاب بني إسرائيل. أما آية النحل فجاءت في سياق المشركين إذ جاءت أية البقرة بالتذكير

---

(١) القرطبي ١٦/١٦٩ .

(٢) المفصل / الزمخشري / ٣٠٦ .

(٣) الكتاب ١/٤٦٠ .

(٤) د. فاضل السامرائي ٤/٥٧٠ .

بنعمة الله التي أنعمها عليهم وبمطالبتهم بالوفاء بعهد الله وخشيته .أما الثانية فجاءت بالنهي عن الإشراك بالله ونفي الاثنينية وتوكيد الوحدانية بأداة الحصر (إنما). واختصاصه سبحانه بالخشية دون غيره، فجاء التركيب في آية البقرة " وإياي فارهبونِ " بالواو، وجاء التركيب في آية النحل " فإياي فارهبونِ " واشترك التركيبان باقترانهما بالفاء (فارهبون) .أما النسق بالواو فقد جاء متسقا مع نظم آية البقرة " وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم وإياي فارهبونِ " إذ ورد النسق قبلها بالواو فجاءت هي أيضا بالواو ليتم الاتساق .أما في آية النحل فلم يكن هناك نسق بالواو فجاءت الفاء لتدل على السببية والتعليل فقد سبقت بسياق (إنما) التي ترد في الكلام (إثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه .. وتذكير بأمر ثابت معلوم)[1]. إذ الخطاب للمشركين الذين ينكرون الوحدانية .والضمير (إياي) منصوب بفعل مقدر تقديره إياي ارهبوا فارهبونِ . وإنما وجب تقدير (ارهبوا) ولم يعمل فيه (فارهبونِ) الملفوظ به لأنه مشغول بالضمير المحذوف وهو الياء)[2]. والفاء في(فارهبونِ) دخلت في جواب أمر مقدر، لتقدير تنبهوا فارهبونِ[3]. ويلاحظ أن ياء المتكلم حذفت في الآيتين واجتزئ عنها بالكسر، وفي ذلك دلالة على أن المقام ليس مقام إطالة وتفصيل فجاء حذف الياء متسقا مع سياق الآيتين .

٢- يجيء فعلا مضارعا من الأفعال الخمسة في موضعين أحدهما في سورة الأعراف وهي مكية في قوله تعالى " للذين هم لربهم يرهبون " ٧/١٥٤ . والآخر في سورة الأنفال وهي مدنية في قوله تعالى " ترهبون به عدو الله " ٨/٦٠ . ويلاحظ في هذين التركيبين أن الفعل في آية الأعراف جاء ثلاثيا بخلاف آية الأنفال

---

(١) دلائل الإعجاز /٣١٦ .

(٢) معاني القران / الزجاج ١/١٢١ . تفسير غريب القران / النحاس ٢/٢١٢ . البيان في غيب إعراب القران ١/٧٧ . مشكل إعراب القران /مكي / ٩٠ القسم الأول . الجامع لأحكام القرطبي ١/٢٢٧ .

(٣) النكت في تفسير كتاب سيبويه / الأعلم الشنتمري ١/٢٦٥ . وتفسير النهر الماد ١/٦٧ .

إذ جاء من غير الثلاثي . وان المفعول في آية الأعراف تقدم على الفعل وقد لحقته (اللام). أما في آية الأنفال فقد جاء المفعول بعد الفعل دون تقديم . فالتركيبان مختلفان من حيث الصيغة ومن حيث التقديم والتأخير. أما صيغة الثلاثي فهو من باب فَرِحَ- يَفرَح (رَهِب – يرهَب) وهو متعدٍ. جاء في تهذيب اللغة(رَهِبْتُ الشيءَ رهباً ورهبةً :أي خفته)[١] . وجاء في اللسان (وأرهَبَه ورَهّبَه واسْتَرْهَبه أخافه وفَزَّعَه)[٢]. فالثلاثي معناه (يرهبون) يخافون ربهم وغير الثلاثي (ترهبون به عدو الله) معناه تُخيفون عدو الله .وفي دخول اللام على المفعول المقدم في قوله تعالى " للذين هم لربهم يرهبون " أقوال: جاء في الجامع لأحكام القرآن (وفي اللام ثلاثة أقوال: قول الكوفيين هي زائدة .وقيل هي لام (أجل). المعنى: والذين هم من أجل ربهم يرهبون لا رياءً ولا سمعةً ، عن الأخفش .وقيل هي متعلقة بمصدر. المعنى: الذين هم رهبتهم لربهم .وقيل: لما تقدم المعمول حَسُن دخول اللام كقوله " إنْ كنتُم للرؤيا تعبُرون " فلمّا تقدم المعمول و هو المفعول ضعف عمل الفعل فصار بمنزلة ما لا يتعدى)[٣]. ويعلل الزمخشري دخولها على المفعول بقوله (دخلت اللام لتقدم المفعول لأن تأخر الفعل عن مفعوله يكسب ضعفا)[٤] . وعند أبي حيان وابن هشام هي اللام المسماة لام التقوية (وهي المزيدة لتقوية عامل ضَعُف بتأخره)[٥]. والنحويون والمفسرون يقرنون هذه الآية بآية أخرى وردت في سورة يوسف " إن كنتم للرؤيا تعبرون " ١٢/٤٣ . ويبدو من خلال معالجتهم لطبيعة هذه اللام ... إن هناك ثلاث مسائل لابد من التعرض لها :

---

(١) تهذيب اللغة ٦/٢٩٠ (رَهِبَ)

(٢) لسان العرب ١/٤٢٠ (رَهِبَ)

(٣) القرطبي ٧/١٨٧ .

(٤) الكشاف ٢/١٢٠ .

(٥) تفسير النهر الماد / أبو حيان ١/٨٧٢ . ومغني اللبيب / ابن هشام ١/٢١٧ .

الأولى تقديم المفعول . والثانية ضعف العامل بسبب هذا التقديم . والثالثة دلالة اللام . إذا عدنا إلى سياق الآيتين لنتبين السبب الذي من أجله قُدّم المفعول فأصاب العاملَ الضعف فاقترن باللام . فآية الأعراف جاءت في سياق قصة موسى (ع) بعد أن كلّمه الله سبحانه إذ ترك قومه مع أخيه هارون (ع) فاتخذوا بعد ذهابه إلى (الميقات) العجلَ إلهاً فلما رجع وعلم بأمرهم أصابه الغضب الشديد(وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه) ثم طلب المغفرة له ولأخيه (ولما سكتَ عن موسى الغضبُ أخذ الألواح وفي نسختها هدىً ورحمةٌ للذين هم لربهم يرهبون) فسياق القصة حدثت فيه أمور عظيمة خارقة أهمها تكليم الله سبحانه ثم حادثة الإرادة ثم تخلي قومه عن عبادة الله واتخاذهم العجلَ إلهاً ثم ما فعله (ع) بأخيه هارون لظنه أنه قصّر في منع القوم عن فعلتهم وافترائهم . أحداث عظيمة جليلة مر بها موسى (ع) انتهت بإلقاء السكينة في قلبه (فلما سكت عن موسى الغضب).يلاحظ إسناد السكوت إلى الغضب وتعدية الفعل (سكت) بحرف الجر (عن) الذي يدل على المجاوزة إذ إن هذا الغضب محمودٌ، سببهُ شدة الإيمان والحرص على تبليغ الرسالة، (أخذ الألواح)التي كتب فيها الله سبحانه (هدىً ورحمةً) ويلاحظ تذكير (هدىً) (رحمة) للتعظيم والشمول (للذين هم لربهم يرهبون) وهذا تخصيص لأولئك الموصوفين بخشية الله ورهبته فجاء باللام مع (الذين وكررها مع لربهم) زيادة للحصر والتخصيص.وان الهدى والرحمة لا تكونان لغيرهم . أما أية يوسف فقد جاءت في سياق تفسير الرؤيا إذ سبقتها آيات تحدثت عن تفسير يوسف (ع) لرؤيا الفتيين اللذين دخلا معه السجن ... ثم جاءت آية رؤيا الملك الذي طلب فيها من الملأ الذين حوله أن يفتوه في رؤياه. ويبدو من سياق الآية أن الملك كان شاكاً في قدرتهم على تفسير رؤياه بدليل جملة الشرط المصدرة بـ (إن) التي ترد في الكلام المشكوك فيه أو الذي يندر وقوعه وبسبب ذلك قدم المفعول (الرؤيا) واقترن بـ (اللام) وذلك لبيان أهمية الرؤيا عند الملك ولشدة العناية بها والحرص على معرفة تأويلها، فالمقدم كما يبدو كان لغرض يقتضيه سياق كل آية . أما دخول اللام فلتأكيد وصول الفعل إلى

المفعول جاء في المقتضب (تقول: لِزيدٍ ضربتُ ولعمرو أكرمتُ إذا قدمتَ المفعولَ لتشغل اللام ما وقعت عليه فإن أخرته فالأحسن ألا تدخلها .. وحذفه أحسن لان جميع القرآن عليه)[١]. وبذلك يكون قول بعض النحويين إن اقتران المفعول المقدم باللام بسبب ضعف العامل قولاً غيرَ مقنع ولا يمكن التسلم به بسهولة. جاء في (معاني النحو) وهذا فيما أرى كلام لا حقيقة تحته فان اللام للتقوية ولكن ليست لتقوية العامل الضعيف بل لتقوية الاختصاص وتوكيده)[٢]. وهذا ينطبق على الآية الكريمة – موضوع البحث – أي يخصونه بالرهبة .

٣- يجيء فعلاً ماضياً مزيداً على وزن (استفْعَل) في موضع واحد في سورة الأعراف ١١٦/٧ " قال أَلْقُوا فلمَّا أَلقَوا سَحَرُوا أعيُنَ الناسِ واسْتَرْهَبُوهم وجَاؤُوا بِسحرٍ عظيمٍ " والآية جاءت في سياق قصة موسى وفي معرض المواجهة الكبرى الحاسمة بحضور فرعون وسحرته وجاؤوا بكل ساحر أو سحّار.إذ أعدَّ فرعون لهذه المواجهة كل ما يمكن عده وكان يرجو من وراء ذلك الغلبة لنفسه وتفنيد دعوة موسى(ع) إلى إله واحد لا شريك له. وبذلك كان استعمال الفعل (استرهبوهم) متسقاً تماما مع الجو العام للسياق ، جاء في الكشاف (استرهبوهم) أرهبوهم إرهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم)[٣] . إذ يبدو من هذه الدلالة أن الفعل (استرهبوهم) فيه معنى المبالغة وأنهم بلغوا في إرهابهم حداً عظيما . جاء في مجمع البيان " واسترهبوهم " أي استدعوا رهبَهم حتى رهبهم الناس "[٤] .وعند أبي حيان أن (استفعل) بمعنى أفعل يقول " والظاهر هنا حصول الرهبة فلذلك قلنا : إن استفعل فيه موافق افعل

---

(١) المبرد ٣٧/٢ .

(٢) د. فاضل السامرائي ٧٠/٣ .

(٣) الزمخشري ١٠٣/٢ .

(٤) الطبرسي ١٤٥/٨ .

"[١] .ومما يؤكد معنى المبالغة قوله تعالى: " وجاؤوا بسحر عظيم " فالسحر العظيم يستدعي رهبة عظيمة.

٤- يأتي مصدراً على (فَعْل) أو (فَعَل) أو (فُعْل) أو (فَعْلة) وقد ورد في ثلاثة مواضع ففي سورة الأنبياء ٩٠/٢١ " إنَّهم كانوا يُسارِعُونَ في الخَيْرات ويدْعُونَنَا رَغَباً ورَهَباً وكانوا لنا خاشعينَ " فرغباً ورهباً مصدران منصوبان، أما على المفعول لأجله أو الحال . جاء في مجمع البيان " أي للرغبة والرهبة رغبة في الثواب ورهبة من العقاب. وقيل راغبين وراهبين "[٢] . أو يكون نصبهما على المصدرية. جاء في إعراب القرآن " قال أبو إسحاق (ويدعوننا رَغَباً) على انه مصدر)[٣]. أو على الظرفية عند أبي حيان " رَغباً ورَهباً " إي وقت الرغبة والرهبة "[٤] . وسياق الآية يستوعب هذه الأوجه إذ إنها جاءت إخبارا عن يحيى (ع) وذريته أو عن الأنبياء المذكورين في هذه السورة (ع)، جاء في تفسير الطبري (ورَهَباً: يعني رهبةً منهم من عذابه وعقابه . وقيل خوفاً وطمعاً)[٥]. وفي سورة القصص ٣٢/٢٨ " أسلك يدكَ في جيبكَ تخرجْ بيضاء من غير سوء واضمُم إليك جناحك من الرَّهْب " والآية جاءت في سياق قصة موسى (ع) إذ أتاه النداء من الشاطئ الأيمن في البقعة المباركة " أنْ يا موسى إني أنا الله رب العالمين " /٣٠ إذ أمره سبحانه " أنْ ألقِ عصاكَ فلمَّا رآها تهتزّ كأنها جانٌّ ولّى مدبرا ولم يُعقّب يا موسى أقبلْ ولا تَخَفْ إنَّك من الآمنين " /٣١ وكان القصد من كل ذلك هو إعداد موسى (ع) وتهيئته للإرسال إلى فرعون وملَئِه. جاء في الكشاف (فان: ما معنى قوله " واضمم إليك جناحك من الرهب " قلت فيه معنيان : أحدهما أن موسى (ع)

---

(١) تفسير النهر الماد ٨٤٩/١ .

(٢) الطبرسي ٥٥/١٧ .

(٣) إعراب القران / النحاس ٣٨٠/٢ .

(٤) تفسير النهر الماد ٤٧٦/٢ .

(٥) جامع البيان / الطبري ٨٤/١٧ .

لما قلبَ اللهُ العصا حيةً فَزِعَ واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائفُ من الشـــيء، والثاني أن يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه وتسدده عند انقــلاب العصــا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب)[١] . وجاء في مجمع البيان (وقيل أَمَرَه ســبحانه بالعزم على ما أراد منه وحثه على الجد فيه لئلا يمنعه الخوفُ الــذي يغشــاه فـــي بعض الأحوال مما أَمَرَه بالمضي فيه)[٢]. فاستعمال لفظة (الرهب) جاء مناسبة لجو الخوف الذي تردد في السورة . جاء في مفردات ألفاظ القرآن (الرَّهبةُ والرَّهــبُ : مخافة مع تحرز واضطراب)[٣]. وفي سورة الحشر ١٣/٥٩ " لأنتم أشد رهبةً فـــي صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون " إذ ورد المصــدر علـــى وزن (فعلــة) فرَهبة : منصوبة على التمييز (فالرهبة واقعه منهم لا من المخاطبين، والمخــاطبون مرهوبون)[٤].والآية جاءت في وصف اليهود والمنافقين بعد إخراجهم من المدينــة بسبب عدائهم للرسول (ص) وللمسلمين . ففي أول السوَرة إخبار عما أصابهم مـــن ذعرٍ وخوفٍ إذ قَذَفَ في قلوبهم الرعبَ وفي هذه الآية استعمل لفظه "الرهبة " بـــدلاً من (الرعب) لأن الرهبة : مخافة مع تحرز واضطراب إذ يمكـــن إخفاؤهـــا عـــن الآخرين وإظهار خلافها حتى يظن من يراك انك لست بخاف ولذلك جـــاء الجـــار والمجرور (في صدورهم) ليؤكد ذلك. أما الرعب فهو الانقطاع من امتلاء الخـــوف إذ لا يمكن إخفاؤه عن الآخرين ولذلك جاء الجار والمجرور (في قلوبهم) ليؤكد ذلك إذ إن امتلاء القلوب بالخوف لا يمكن إخفاؤه بعكس الرهبة التي في الصدر .

---

(١) الزمخشري ٣/ ١٧٥ .

(٢) الطبرسي ٢٨٨/٢ .

(٣) الراغب الأصفهاني /٣٦٦ .

(٤) تفسير النهر الماد / أبو حيان ١٠٦٨/٢ .

(ضرع)

١- ورد فعلاً مضارعاً مرفوعا متصلاً بواو الجماعة واقعاً خبراً بـــ(لعــل) فـــي موضعين: الأول في سورة الأنعام ٤٢/٦ " ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فآخـذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون " والآخر في قوله تعالى " وما أرسلنا في قريـة من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهـم يضَّـرَّعون " الأعـراف ٩٤/٧ فالآيتان تتفقان في أمور وتختلفان في أمور. فما تتفقان فيه أنهما واقعتان في سـياق الإرسال والأخذ.البأساء والضراء وان جملة (لعلهم يتضرعون) قد تكررت فيهمـا. وتفترقان في أن الفعل (يتضرعون) جاء بإثبات التاء في آية الأنعام . وجاء بحـذف التاء في آية الأعراف وتفترقان أيضا في تعدي الفعل (أرسل) . ففي آيـة الأنعـام عُديّ بحرف الجر (إلى) وفي آية الأعراف عُديّ بحرف الجر (في) . كما تفترقـان في تصديرهما فقد صدرت آية الأنعام بطريقة من طرائق التوكيد وهي اللام وقـد (لقد) في حين صدرت آية الأعراف بـ(ما) النافية . كما تفترقان في أن الإرسـال في آية الأنعام أشمل وأعم لأنه كان إلى (أمم) فـي حـين أن الإرسـال فـي آيـة الأعراف أضيق ومحدد لأنه كان إلى قرية . فالمقام في آية الأنعام مقـام تطويـل وشمول، ولذلك جاء الفعل بإثبات التاء . بخلاف المقام في آية الأعراف فانه مقـام اختصار وعدم تطويل ولذلك جاء الفعل بحذف التاء .جاء في كتاب (بلاغة الكلمـة) (ومن ناحية أخرى انه استعمل في آية الأنعام (أرسل إلى) .. واسـتعمل فـي آيـة الأعراف (أرسل في) .. والإرسال إلى شخص ما يقتضي التبليغ ولا يقتضي المكث . وأما الإرسال في القرية أو في المدينة فانه يقتضي التبليغ والمكث فان (في) تفيـد الظرفية)[1]. والغالب في الاستعمال القرآني مصاحبة (لعل) لصيغة يفعلون ولاسيما في آيات (الأخذ) فتكون دلالة التركيب (لعل + صيغة يفعلون) بحسب ما يسبقها من حدث إذ تدل على الطلب كما في الآيتين - موضوع البحث-جاء في الكشاف (وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأسـاء والضـراء لعلهـم يضـرعون)

(١) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني / د. فاضل السامرائي /٣٥ .

ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر والعزة[١]. وجاء في مجمع البيان (ليتنبهوا ويعلموا انه مقدمة العذاب ويتضرعوا) [٢] . وجاء فعلاً مضارعاً مرفوعاً منفيا بـ (ما) في موضع واحد في قوله تعالى " ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون " المؤمنون ٧٦/٢٣ .والآية في سياق الإخبار عن حال المشركين وكفرهم وإشراكهم وعداوتهم للرسول (ص) وإذ دعا (ص) عليهم بالقحط حتى أكلوا (العِلْهز) وهو الوبر بالدم . والفعل (وما يتضرعون) معطوف على الفعل (فما استكانوا) ودلالة (ما) مع الفعل الماضي غير دلالتها مع الفعل المضارع لأنها إذا دخلت على المضارع خلصته للحال)[٣] . أما نفي الماضي بها فانه يفيد النفي بصورته النهائية التامة)[٤] . فقوله تعالى " فما استكانوا) أي انتفت الاستكانة عندهم بصورة تامة وانقضت ولذلك جاء نفي التضرع بصيغة المضارع فقال (وما يتضرعون) فأفاد نفي تكرار التضرع بصورة التجدد والتطاول . جاء في مجمع البيان (أي ما يرغبون إلى الله في الدعاء) [٥] .

٢- ورد فعلاً ماضيا واقعا في سياق (لولا) في موضع واحد في قوله تعالى " فلولا اذْ جاءَهُم بَأْسُنا تَضرَّعُوا ولَكِنْ قستْ قُلُوبُهُم وزيَّن لهمُ الشيطانُ مَا كانوا يعملُونَ " الأنعام ٤٣/٦ . وسياق الآية متصل بالآية التي قبلها " ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون " /٤٢ . ولولا، في الآية الكريمة تفيد التوبيخ والتنديم فتختص بالماضي . وقد فصل بينها وبين الفعل بـ (إذ).جاء في

(١) الزمخشري ٩٧/٢ .

(٢) الطبرسي ٤٥٠/٩ .

(٣) المغني / ابن هشام ٣٠٣/١ .

(٤) معاني النحو ٥٦٨/٤ .

(٥) الطبرسي ١٨/ ١٦٧ .

المغني (ويلزم من هذا المعنى النفي لأن التوبيخ يقتضي عدم الوقوع) [١] .ولـذلك قال الزمخشري (معناه نفي التضرع كأنه قيل : فلم يتضرعوا إذ جـاءهم بأسُـنا. ولكنه جاء بـ (لولا) ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع إلا عنادهم وقسوة قلوبهم وإعجابهم بإعمالهم التي زينها الشيطان لهم)[٢]. وعند أبي حيان أنها (حرف تحضيض يليها الفعل ظاهرا أو مضمرا وفصل بينهما بـالظرف بـين (لـولا) و (تضرعوا) بـ (إذ) والتحضيض يدل عل انه يقع تضرعهم حين البـأس ، فمعنـاه إظهارُ معاتبةٍ بذنبٍ غائبٍ وإظهارُ سوء فعله)[٣] . والمعنى نفسـه عنـد الطبرسـي والقرطبي أيضا أي دلالتها على التحضيض . والفرق بين التوبيخ والتحضـيض أن التوبيخ لا يكون إلا على شيء حصل أما التحضيض فهو الترغيب القوي في فعـل شيء أو تركه ويظهر ذلك في اختيار الكلمات وفي نبرات الصوت . وسياق الآية . موضع البحث . يرجح ما ذهب إليه الزمخشري وابن هشام إذ إن الأخـذ بالبأسـاء والضراء قد حصل بدليل قوله تعالى " لعلهم يتضرعون " ولكنهم لـم يتضـرعوا . وبدليل قوله تعالى في الآية التي بعدها " فلما نَسُوا ما ذُكِّروا به " ٤٤/ . وقد أوضح ابن هشام في المغني معنى النفي الذي ذكره الزمخشري في هذه الآية فقـال (وقـد يتوهم أن الزمخشري قائل بأنها (أي لولا) للنفي ... ولهذا قال الجملة فـي معنـى النفي ولم يقل (لولا للنفي) [٤].

٣- ورد مصدرا منصوبا مصاحبا لفظة (خُفية) في موضـعين ومصـاحبا لفظـة (خِيفة) في موضع واحد . أما مصاحبته لفظة (خُفية) فقد ورد في قوله تعالى " قـل من يُنَجّيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرّعا وخُفية " الأنعام ٦٣/٦ . وفـي قوله تعالى " ادعوا ربكم تضرعا وخفية " الأعراف ٥٥/٧ . ويلاحظ أن المصـدر

---

(١) ابن هشام ٢٧٥/١ .

(٢) الكشاف / الزمخشري ١٩/٢ .

(٣) تفسير النهر الماد ٦٨١/١ .

(٤) مغني اللبيب ٢٧٥/١ .

(تضرعا وقع في سياق الدعاء (تدعونه) و(ادعوه) . وسياق آية الأنعام جاء في معرض تعداد قدرات الله سبحانه وانه (هو القاهر فوق عباده) يتصرف بشؤونهم كيف يشاء بحسب حكمته وعدله . والاستفهام في قوله تعالى " قل من ينجيكم " هو (استفهام يراد به التقرير والإنكار والتوبيخ) [١] . وجملة (تدعونه) في محل نصب حال . وانتصاب (تضرعا) يحتمل ثلاثة أوجه، على الحال أو على المفعول لأجله أو على المصدر)[٢]. أما مصاحبة لفظة (خِيفة) فقد وردت في قوله تعالى " واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدوّ والآصال ولا تكن من الغافلين " الأعراف ٧/٢٠٥ . وسياق الآية في خطاب النبي (ص) ومن خلاله إلى المسلمين كافة . والتركيب جاء في سياق الفعل (اذكر) . وقد تردد (تضرعا) مع (الخُفية) . جاء في تفسير ابن قيم (فذكر التضرع فيهما معا وهو التذلل والتمسكن والانكسار وهو روح الذكر والدعاء . وخص الدعاء (بالخُفية).. وخص الذكر بالخِيفة لحاجة الذكر إلى الخوف) [٣]. كما خص الذكر بالنفس (واذكر ربك في نفسك) لأنه أبعد من الرياء[٤]

(حصر)

١- ورد فعلاً ماضيا مجردا في قوله تعالى " أو جاؤوكم حَصِرتْ صدورهُم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم " النساء ٤/٩٠ . والآية في سياق الموقف من المنافقين، فهي في وصف استثني من هؤلاء (إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حَصِرتْ صدورهم) فهؤلاء يستثنون من أمر القتال والأخذ . ويلاحظ في

---

(١) تفسير النهر الماد ١/٦٩٥ .

(٢) الكشاف ٢/٨٣ ومجمع البيان ٨/٧٦ وتفسير ابن القيم /٢٤٦ .

(٣) التفسير القيم / ابن الجوزية ٢٥ .

(٤) مجمع البيان ٩/٣٩ .

تركيب الآية أن الفعل (حَصِر) المجرد أسند إلى (صدورهم). وفي جملة (حصرت صدورهم) أقوال :

أ- الغالب أنها في موضع النصب على الحال بإضمار (قد)[١]. وصاحب الحال المضمر المرفوع في (جاؤوكم).

ب- وقال بعضهم (حَصِرت صدورهم) خبر بعد خبرٍ كأنه قال: أو جاؤوكم ثم أخبر فقال (حصرت صدورهم)[٢]. فعلى هذا يكون (حَصِرت) بدلاً من (جاؤوكم).

ج- وقيل هي صفة إما (لقوم) المذكورة أو لموصوف محذوف فتكون على الأول في محل خفضٍ وعلى الثاني في محل نصب لان المحذوف هو الحال وأقيمت الصفة مقامه[٣].

د- إذا لم يقدر إضمار (قد) حُملتِ الجملة (حَصِرت صدورُهم) على الدعاء[٤]. أما القراءات فسنعرض لها في مبحث القراءات إن شاء الله .

والذي يبدو آن ترجيح أحد هذه الأقوال يعتمد على علاقة جملة (أن يقاتلوكم) بجملة (حصرت صدورهم)، إذ لابد أن يعالج التركيب متصلاً دون قطع . فقوله تعالى " أو جاؤوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم " . لأن (أن يقاتلوكم) مرتبطة ومتصلة بـ(حَصِرت صدورهم) فعند الطبري (ضاقت صدورُكم عن أن يقاتلوكم) ومن: معناه الرئيس (المجاوزة) وكذلك قدّرها الزجاج (ضاقت صدورهم عن قتالكم) وعند الزمخشري (عن أن يقاتلوكم) أو كراهة أن يقاتلوكم وعند الطبرسي

---

(١) جامع البيان / الطبري ١٩٨/٥ .ومعاني القران / الزجاج ٨٩/٢ .والكشاف ٥٥٢/١ .ومشكل إعراب القران /مكي /٢٥ . ومجمع البيان ١٨٦/٥ .والجامع لأحكام القران ١٩٨/٥

(٢) معاني القران / الزجاج ٨٩/٢ .

(٣) الكشاف ٥٥٢/١ .ومجمع البيان ١٨٦/٥ .

(٤) الجامع لأحكام القران ٢٠٠/٥ .

(من قتالكم)[١]. فالضيق الذي وقع في صدورهم بسبب توقع القتال وكراهة أن يقع قتال بينكم وبينهم فقد جاؤوا على هذه الحال بدليل قوله تعالى في الآية نفسها " ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإنْ اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السَلَم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا "، (وقد) عند البصريين يوجبون دخولها على الماضي الواقع حالا أما ظاهرةً أو مقدرةً وقد خالفهم الكوفيون والأخفش فقالوا لا تحتاج لذلك لكثرة وقوعها حالا بدون (قد) ، والأصل عدم التقدير ولاسيما فيما كثر استعماله[٢]. ولابد من الإشارة هنا إلى أن إثباتها وحذفها ليسا سواءً إذ لا يمكن أن يكون المعنى واحدا ، إذا قلنا: جاء زيدٌ ضاقَ صدره ، وجاء زيدٌ قد ضاقَ صدره. وكذلك الآية الكريمة إذ لا يمكن أن يكون (أو جاؤوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم) مطابقا لـ (أو جاؤوكم قد حصرت صدورهم أن يقاتلوكم)، فـ(قد) من معانيها إذا دخلت على الماضي فإنها تقربه من الحال . نقول (قام زيد) فيحتمل الماضي القريب والماضي البعيد فان قلت (قد قام زيد) اختص بالقريب وكذلك الآية الكريمة فمع (قد) يكون الفعل مختصا بالقريب وبدون (قد) يكون الفعل محتملا القريب هذا ينطبق مع سياق الآية . وفي معنى الحصر قال الفراء: العرب تقول للذي يمنعه خوف أو مرض من الوصول إلى تمام حجه أو عمرته[٣]. وفي مفردات ألفاظ القرآن (أي ضاقت بالبخل والجبن)[٤]. ومعنى (حصرت صدورهم) عند أغلب المفسرين واللغويين (ضاقتْ صدورهم)، والاستعمال القرآني يفرق بين الضيق والحصر . فقد وردت ماده (ضاق) وتصريفاتها في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة

---

(١) جامع البيان / الطبري ١٩٨/٥ .ومعاني القران ٨٩/٢ . والكشاف ٢٥٢/٢ .مجمع البيان ١٨٦/٥ .

(٢) مغني اللبيب / ابن هشام ١٧٣/١ .

(٣) اللسان ٢٦٨/٥ .

(٤) الراغب الأصفهاني /٢٣٨ .

أسند فيها الضيق إلى لفظة (الصدر) في أربعة مواضع في سورة الأنعام ٦/١٢٥ " فمن يرد الله أنْ يهديَه يشرحْ صدره للإسلام ومن يرد أن يضلَّه يجعلْ صدره ضيّقا حرَجا " فجاء (الضيق) مقابلا (شرح الصدر) فهنا سَعَة وهناك ضيق . وفي سورة هود ١١/١٢ في خطاب النبي (ص) (فلعلك تاركٌ بعض ما يُوحى إليك وضائقٌ به صدرك) وهنا فيه معنى الغم والحزن، وكذلك في سورة الحجر ١٥/٩٧ " ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون " وهنا أيضا خطاب للنبي (ص) أي ما يصيبك من الغم والحزن بسبب الطعن في القرآن والاستهزاء بك وفي سورة الشعراء ٢٦/١٢-١٣ على لسان موسى (ع) " قال رب إني أخاف أنْ يكذبونِ ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون " فجاء ضيق الصدر بسبب من خوف التكذيب انفعالا عنه . فالغالب في نسبه الضيق إلى الصدر يأتي في المواطن التي تخص الأنبياء (ع)، أما الحصر فلم يرد في مثل هذه المواطن . وبذلك نستطيع القول إن الاستعمال القرآني فرق بين معنى الحصر ومعنى الضيق. والحصر فيه معنى الخوف والجبن والإحجام جاء في اللسان (وكل من امتنع من شيء فلم يقدر عليه فقد حَصِر عنه .. والحَصِرُ الهرب المحجم عن الشيء، .. أن يقال للذي يمنعه الخوف والمرض أحصَر)[١].

٢- وجاء فعلاً ماضيا مزيدا مبنيا للمفعول في موضعين الأول في سورة البقرة ٢/١٩٦ " وأَتِمّوا الحجَ والعمرةَ للهِ فإنْ أُحصرتُم فما استيسر من الهَدْي " والآخر في السورة نفسها في الآية /٢٧٣ " للفقراء الذين أُحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرضِ يحسبهم الجاهلُ أغنياءَ من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خيرٍ فإن اللهَ به عليم " ويلاحظ في تركيب الآيتين أن الفاعل طوي ذكره لأن العناية بالحَدَث أهم، إذ المراد حصر العدو أو كل منْع من عدوٍ أو مرضٍ أو غيرها فحذف الفاعل وطوي ذكره لأنه لا يتعلق غرض بذكره

---

(١) اللسان ٥/٢٩٨ ، (حَصِرَ)

جاء في معاني النحو (فانه لا يتعلق غرض بذكر الحصر إذ لو ذكر فاعلا بعينه لتوهم أن هذا الحكم مختص بهذا الفاعل دون غيره)[١]. ومعنى الإحصار هو أن يقال للرجل (الذي يمنعه الخوف أو المرض من التصرف قد أحصر فهو محصر)[٢]. وفرق الراغب الأصفهاني بين الإحصار والحصر (فالإحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض، والحصر لا يقال إلا في المنع الباطن)[٣]. أي الخوف والمرض .

(فـزع)

ورد في ستة مواضع وقد جاء على حالين :

الأول : جاء فعلاً ثلاثيا مجردا في قوله تعالى " يوم يُنفخ في الصور فَفَزِعَ من في السماوات ومن في الأرض " النمل ٨٧/٢٧ . وفي قوله تعالى " ولو ترى إذ فَزِعوا فلا فوت وأُخذوا من مكانٍ قريب " ٥١/٣٤ . وفي قوله تعالى " إذ دخلوا على داود فَفَزِع منهم قالوا لا تخف " ص ٢٢/٣٨. ويلاحظ في تركيب آية النمل التنوع في صيغة الفعل (يُنفخ) المضارع و (فَزِع) الماضي . وتكرار اسم الموصول (مَنْ) .

أما التنوع في الصيغة فيعلله الفراء بقوله (ولم يقل يفزع فجعل (فَعِل) مردودة على (يفعَل) وذلك انه في المعنى: وإذا نفخ في الصور فَفَزِع .. لأن (فَعِل) و (يفعَل) تصلحان مع (إذا)[٤]. وعند الزمخشري أن هذا التنوع جاء (لنكتة وهي الإشعار بتحقيق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة. لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به)[٥].

---

(١) د. فاضل السامرائي ٤٩٢/٢ .

(٢) معاني القران / الزجاج ٢٦٧/١ . وتفسير غريب القران / ابن قتيبة /٧٨ .

(٣) مفردات ألفاظ القران /٢٣٨ .

(٤) معاني القران ٢٠٠٠/٢ .

(٥) الكشاف ١٦١/٣ .

ومثل ذلك (يرى ابن الأثير في المثل السائر)[١]. وينقل الزركشي في البرهان (قالوا: والفائدة في الفعل الماضي إذا أخبر به عن المستقبل الذي لم يوجد انه أبلغ وأعظم موقعا لتزيله منزلة الواقع . والفائدة في المستقبل إذا أخبر به عن الماضي ليتبين هيئة الفعل باستحضار صورته ليكون السامع كأنه شاهد)[٢].

وآيات النفخ التي وردت في الاستعمال القرآني جاءت كلها مكية وكان فعل النفخ ماضيا في سبعة مواضع، ومضارعا في أربعة مواضع . أما الفعل المعطوف على النفخ فقد جاء في خمسة مواضع ، منها أربعة مواضع، كانا ماضيين في موضعين هما في قوله تعالى " ونُفخ في الصور فجمعناهم جمعاً " الكهف ١٨/٩٩ . وفى قوله تعالى " ونُفخ في الصور فَصَعِقَ من في السماوات ومن في الأرض " الزمر ٦٨/٣٩ . ومضارعين في موضعين في قوله تعالى " يوم يُنفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذٍ زُرقاً " طه ١٠٢/٢٠ ،وفي قوله تعالى " يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا " النبأ ٧٨/ ١٨. وفي موضع واحد كانا مختلفين، في قوله تعالى " ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض " النمل ٨٧/٢٧ . وهى الآية – موضوع البحث – وسياق الآية جاء عقب إخبار عن أحداث تقع يوم القيامة بدلالة قوله تعالى من الآية ٨٨/٨٢ " يوم نحشر من كل أمةٍ فوجا .. "حتى إذا جاؤوا قال أكذبتم بآياتي " " ووقع القول عليهم بما ظلموا .. " ثم تأتي الآية " ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض " فالآيات تخبر عن أحداث ستقع في يوم القيامة . فصيغ الفعل تنوعت بين (فَعل) و (يفعل) وتنوعت القرائن (الأدوات) بين (إذا) و (يوم) إلا أن القرينة المعنوية هي المهيمنة في تحديد مسار الزمن نحو المستقبل إذ إن الحدث يقع في المستقبل لا محالة . وتدرك هذا المستقبل من خلال سياق الآيات المذكورة . أما آية سبأ " ولو ترى إذ فَزِعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب " ويلاحظ أن تركيب الآية جمع بين الأداتين (لو) و

---

(١) ٣/٣٣٧ .

(٢) ٣/٣٣٧ .

(إذ) وصيغة الماضي في (فَزِعوا) و(أخذوا) وكلها تدل على الماضي إلا أن القرينة المعنوية حددت الزمن بالاستقبال جاء في الكشاف (ولو و إذ والأفعال التي هي (فَزِعوا) و (اخذوا) كلها للمضي والمراد بها (الاستقبال)[١]. وجواب (لو) محذوف . القصد منه التعظيم والتفخيم جاء في المثل السائر(فان جواب (لو) ها هنا محذوف تقديره : رأيتَ أمراً عظيماً وحالاً هائلة أو غير ذلك مما جرى مجراه)[٢]. وحذف جواب (لو) يكثر في الاستعمال القرآني ولا سيما في وصف أحوال يوم القيامة.أما آية (ص) فقد جاء الفعل (فَزِع) مقيد بحرف الجر (من) فقال (فَزِع منهم) أي كان فزعُه منهم.جاء في تفسير الطبري (فان فزعَه منهما كان لدخولهما عليه من غير الباب الذي كان المدخل عليه .. وقيل لأنهما دخلا ليلاً من غير وقت نَظِره بين الناس[٣]. أما في آية سبأ ٢٣/٣٤ "حتى إذا فُزّع عن قلوبهم " فالفعل[٤] جاء مقيدا بحرف الجر (عن) الذي معناه المجاوزة أي تجاوز الفزع عن قلوبهم وكشف عنها أي أبعد عنها الخوف . فالمقام مقام أمان. جاء في مجاز القرآن (نُفّس الفزع عن قلوبهم وطير عنها الفزع)[٥]. وقيل (خُفّف عنها الفزع)[٦] فُعدي الفعل بـ(عن) لأنه في معنى كشف الفزع[٧]. أما تكرار الاسم الموصول في قوله تعالى " ويوم ينفخ في الصور فَفَزِع من في السماوات ومن في الأرض " فالغرض منه التنصيص على كل فرد من أفراد السماوات والأرض على وجه التخصيص[٨].

---

(١) الكشاف ٢٩٣/٣ .

(٢) ابن الأثير ٣٥٧/٢ .

(٣) جامع البيان / الطبري ١٤١/٢٣ .

(٤) مع ملاحظة كونه مزيداً .

(٥) مجاز القران / أبو عبيدة ١٤٧/٢ .

(٦) تفسير غريب القران / ابن قتيبة /٣٥٦ .

(٧) البرهان / الزركشي ٣٤١/٣ .

(٨) معاني النحو ١٥٥/١ .

٢- ورد مصدرا في موضعين : فقد ورد معرفا بـ (أل) في قوله تعالى " لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون " الأنبياء ١٠٣/٢١ ، ونكرةً في قوله تعالى " وهم من فزعٍ يومئذٍ آمنون " النمل ٨٧/٢٧ . ويلاحظ في آية الأنبياء أن الحزن نسب إلى الفزع الأكبر ودلالة الحزن هنا هي الخوف. جاء في تفسير الطبري (وذلك إن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر وأمن منه فهو بعده أحرى أن لا يفزع . وقيل في الفزع الأكبر إنه النار إذا أطبقت على أهلها وقيل بل ذلك النفخة الآخرة وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش أملح)[١].

أما آية النمل فقد جاء الفزع فيها نكرة . وغرض التنكير هنا هو الدلالة على شدته وعظمته فهو فزع معلوم كما يقول الفراء[٢]. وهو فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهُهُ الوصف وهو خوف النار كما يقول الزمخشري[٣].

(وجل)

١- ورد فعلاً ماضيا مصاحبا لفظة (قلوبهم) في موضعين، الأول في سورة الأنفال " إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِر اللهُ وَجِلَت قلوبُهم " ٢/٨ . والآخر في سورة الحج ٣٥/٢٢ " الذين إذا ذُكر الله وَجِلَت قلوبُهم والصابرين على ما أصابهم ". وآية الأنفال جاءت في وصف المؤمنين وفي سياق (إنما) التي تفيد الحصر واختصاص الخبر (الذين) بالمبتدأ (المؤمنون). وجملة الصلة التي تتكون من (إذا) الشرطية وفعل الشرط (ذُكِر الله) الماضي المبني للمفعول، وجواب الشرط (وجلت قلوبهم) الماضي المسند إلى لفظة (قلوبهم) . ويلاحظ في تركيب الآية أن الفاعل طوي ذكره

---

(١) جامع البيان / الطبري ٩٨/١٩ . والكشاف / الزمخشري ٥٨٥/٢ .ومجمع البيان / الطبرسي ٦٣/١٧ .

(٢) معاني القران ٣٠١/٢ .

(٣) الكشاف ١٦٢/٣ .

في (ذكر الله) لان الغاية جاءت بالحَدث (ذِكرُ الله) فلا أهمية للفاعل مَـنْ يكـون؟ . وفي مجيء فعل الشرط ماضيا للدلالة على أن المؤمنين في ذكر دائم وفي خوف.إذ ليس المعنى أنهم يخافون الله حين يذكر، أي أن الخوف لا يقع في قلوبهم حين يذكر الله حسب وإنما المعنى أنهم في ذكر مستمر لا ينقطع وخوف مستمر دائم . جاء في معاني النحو (إذا كان الشرط وقع فعلا ماضيا فأنه قد يفيد افتراض حصول الحـدث مرة واحدة أو وقوعه جملة، في حين أن المضارع قد يفيد افتراض تكرر الحدث أو يفيد تطاول الحدث فقوله تعالى " وإذا تُليَتْ عليهم آياته زادتهم إيمانا " الأنفـال ٢/٨ . معناه إذا قُرئت عليهم. فهو يشير إلى انقضاء الحدث وتمامه بخلاف الآيات التـي وردت بالمضارع نحو قوله تعالى " وإذا تتلى عليهم آياتنـا بينـات قـال الـذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله " يونس ١٥/١٠ . فان معناه أنهـم فـي أثناء القراءة يقولون : ائتِ بقرآن غير هذا، يقولون ذلك والقراءة لـم تكتمـل بعـد لضيق ذَرعهم بسماعه. والله أعلم[١]. وكذلك الأمر في الآية – موضوع البحث – إذ لو كان الكلام في غير القرآن (الذين إن ذكر الله تَوجل قلوبهم . يكـون المعنـى أن الوجل يقع في قلوبهم في أثناء ذكر الله فإذا انقطع الذكر انقطع الوجـل ولا يحسُـن ذلك ولا يستقيم مع سياق الآية . والله أعلم . أما في آية الحجر فهي فـي وصـف (المُخبتين) الذين ورد ذكرهم في الآية التي قبلها " وبشر المخبتين الذين إذا ذكر اللهُ وَجِلتْ قلوبُهم " فالتركيب متفق مع آية الأنفال أي أنهم في ذكرٍ دائم مستمر وخـوف دائم مستمرٍ لا ينقطع . والله أعلم .

٢- ورد وصفا على صيغة (فَعِل) في موضعين في سـورة الحجـر ٥٢/١٥ " وإذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنّا منكم وَجلون " وفـي سـورة المؤمنـون ٦٠/٢٣ " والذين يؤتون ما أتوا وقلوبُهم وجِلة إنهم إلى ربهم راجعون ". وآية الحجر جـاءت في سياق الإخبار عن ضيف إبراهيم (ع) وقد نسب الخوف إلى إبراهيم (ع) ومـن

(١) د. فاضل السامرائي ٤٥٨/٤ .

معه ولذلك جاء الإخبار بالجمع (وَجِلون)، أي الوجل شَمِل جميع من في البيت وهذا يدل على شدة الخوف وعظمه إذ لم يقتصر على سيدنا إبراهيم (ع). فضلا عما تدل عليه صيغة الصفة المشبهة من زيادة في المعنى كما أن الإخبار جاء بالجملة الاسمية (إنا منكم وجلون) وتقديم الجار والمجرور (منكم) للدلالة على أن الوجل كان من (الضيف) ولم يكن من غيرهم كل ذلك تضافر في إبراز شدة الوجل، ولذلك بادر الرسل بالقول (لا تَوجل) فجاء على طريقة النهي بـ(لا) الناهية الجازمة والفعل المضارع . ثم الاستئناف (إنا نبشرك) في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه[1]. جاء في الكشاف (وكان خوفه لامتناعهم من الأكل وقيل لأنهم دخلوا بغير. إذن وبغير وقت)[2]. وجاء في (لمسات بيانية) (أظهر التعبير إن حالة الخوف والوجل اكبر مما هي في آيات الذاريات . فانه أي إبراهيم (ع) واجه ضيفه بالخوف منهم بالجملة الاسمية المؤكدة بـ(إنّ) وجاء مع ذلك بالصفة المشبهة (وجلون) الدالة على شدة الخوف ثم أخرجه مخرج العموم والشمول لأهل البيت أجمعين) [3] . أما آية (المؤمنون) فقد جاءت في تعداد صفات المؤمنين من الآية ٥٧- ٦١ وقد تكرر اسم الموصول (الذين) في كل صفة من هذه الصفات جاء في معاني القرآن (معناه يُعطون ما أعطوا وهم يخافون ألا يتقبل منهم " قلوبهم خائفة لأنهم إلى ربهم راجعون . أي لأنهم يوقنون بأنهم راجعون إلى الله عز وجل) [4]. وفي مجمع البيان " أي يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقة . (وقلوبهم وجلة) . . خائفة أن لا يقبل منهم . . وقيل إن في الكلام حذفا وإضمارا وتأويله، قلوبهم وجلة أن لا يقبل منهم لعلمهم (إنهم إلى ربهم راجعون) أي لأنهم يوقنون

---

(١) مواهب الجليل /٣٤١ .

(٢) الزمخشري ٣٩٢/٢ .

(٣) لمسات بيانية / د. فاضل السامرائي / ٦٥ .

(٤) الزجاج ٤/ ١٦ .

بأنهم يرجعون إلى الله تعالى يخافون أن لا يقبل منهم . وإنما يخافون ذلك لأنهم لا يأمنون التفريط[١].

(رعب)

ورد في خمسة مواضع وجاءت أحواله على النحو الآتي:

١- يأتي مصدرا في تركيب يتألف من (الفعل ألقى + في قلوب + الذين كفروا + الرعب) وقد خص الاستعمال القرآني بهذا التركيب مواطن القتال ومنازلة المشركين فقط بخلاف التركيب الذي يضم الفعل (قَذَفَ) الذي خص به أهل الكتاب ولاسيما اليهود .

ويلاحظ في هذا التركيب أن (الرعب) جاء مفعولا به مؤخرا إذ قدم الجار والمجرور (في قلوب) وذلك للعناية والاهتمام به ، فالقلوب هي مواطن الانفعالات النفسية والعواطف . فإذا . أمِنَتْ واطمأنت فالأمان والاطمئنان يعمّان جميع الجوارح. وإذا فزعت ووجلت فقد فزعت معها كل الجوارح . ولذلك معنى أصابها بالرعب إن سائر الجوارح قد تعطلت فلا تستطيع الحركة أو الاستجابة وهذا ما تريد أن تصوره الآية الكريمة من حال المشركين. " فالإلقاء : طرح الشيء حيث تلقاه، أي تراه "[٢]. والرعب فيه معنى الامتلاء " ورَعب السيل الوادي إذا امتلأ منه الوادي لأنه انقطع إليه من كل جهة[٣]. وبذلك تكون مفردات التركيب متآلفة بعضها مع بعض ونعني (الإلقاء) و (القلوب) و (الرعب) . جاء في تفسير الطبري " سأرعب قلوب الذين كفروا .. وأملؤها فَرَقاً حتى ينهزموا عنكم)[٤] .

---

(١) الطبرسي ١٨/١٦٠ .

(٢) مفردات ألفاظ القران /٧٤٥ .

(٣) مجمع البيان / الطبرسي ٩/ ١١٢ .

(٤) جامع البيان / الطبري ٩/١٩٨ .

٢- يأتي مصدرا في تركيب متآلف من (الفعل قَذَف + في قلوبهم + الرعب) وقد خص الاستعمال القرآني بهذا التركيب مواطن القتال ومنازلة اليهود فقط . والقذف غير الإلقاء. جاء في مفردات ألفاظ القرآن " القذف الرمي البعيد "[١]. وجاء في الكشاف " والرعب الخوف الذي يرعب الصدر : أي يملؤه . وقذفُه إثباته وركزه "[٢] والاستعمال القرآني فرق بين حال المشركين وحال اليهود فقال مع المشركين (سنُلقي وسأُلقي) وقال مع اليهود " وقذف في قلوبهم " وذلك لسببٍ إذ لكل سياق تركيبه الخاص . فموقف المشركين وإن كان يلتقي مع موقف اليهود في محاربة الدين وإنكار الدعوة إلا انه يختلف في أنهم لم يكونوا أصحاب كتاب بخلاف اليهود فهم أصحاب كتاب فيه ما يدل على صدق دعوة النبي (ص) وإنهم على علم بان هناك نبياً سيبعث وان أوصافه معروفة في كتابهم إلا أنهم لم يقروا ولم يعترفوا بالنبي (ص) ودعوته ولذلك كانت قلوبهم أكثر قسوة من قلوب المشركين فاستعمل اللفظة التي تتناسب مع هذه القسوة وهي القذف . جاء في كتاب فكرة النظم " فالرعب قذيفة تسقط في هذه القلوب الشديدة المتحجرة فتتزلزل ولا يبقى فيها ذرة من ثبات . فهذا جحود كان مجسما في كتل الصخر أصبح كأن لم يكن من قبل"[٣]. وجاء في كتاب (من أسرار التعبير القرآني) فيه تصوير (حي لشعور الفزع والخوف والاضطراب الذي علاهم " وواضح أن معنى القهر والإذلال في القذف أشد وأنسب وأدق في تصوير الموقف النفسي الذي كان عليه اليهود في الحالين)[٤].

٣- ورد مصدراً نكرةً منصوباً في قوله تعالى " لو اطلعْتَ عليهم لَولَّيْتَ منهم فراراً ولَمُلِئْتَ منهم رعبا " الكهف ١٨/١٨ والمشهور في " رُعباً " أنه منصوب على

---

(١) الراغب الأصفهاني /٦٦٢ .

(٢) الزمخشري ٤/٨٠ .

(٣) فكرة النظم / د. فتحي أحمد / ٢٥٤ .

(٤) محمد أبو موسى / ١٢٦ . ذكر الباحث أن المواضع التي ذكر فيها الرعب أربعة والصواب خمسة .

التمييز قال به الزجاج والزمحشري ومكي إلا القرطبي فعنده أن " رعباً ": مفعول ثانٍ أو تمييز[١]. وتركيب الآية يحتمل وجها ثالثا وهو النصب على المفعولية المطلقة . لان أصل الرعب من الملء .جاء في أساس البلاغة " رَعبتُ الحوض ملأته "[٢] . فتكون " رُعباً " بمعنى (ملْئا) فكأن الاستعمال القرآني أراد الجمع بين الامتلاء والخوف الذي يملأ القلب والجوارح . لأن قوله تعالى " لوليتَ منهم فِرارا " فيه ما يكفي من معنى الخوف والهلع فجاء قوله تعالى " ولَملئْتَ منهم رعبا " توكيدا يجمع بين الملء والخوف والهلع . والله أعلم .

(فشل)

١- المضارع المنصوب ورد في موضعين الأول في سورة آل عمران منصوب بـ(أن) الظاهرة (إذ همّتْ طائفتان منكم أن تَفشَلا) والآخر منصوب بـ(أن) مضمرة في جواب النهي (ولا تنازعوا فتفشلوا) الآيتين ١٥٢/١٢٢ . فالآية /١٢٢ جاءت في سياق غزوة أحد والاستعداد لها . وجاء تركيب الآية من الفعل (همَّت + المصدر المؤول أن تفشلا)، والفعل (همَّ) ورد في القران الكريم ثماني مرات منها ثلاث مع المصدر المؤول من (أن والفعل) في قوله تعالى " إذ همَّت طائفتان أن تفشلا " آل عمران ١٢٢/٣ . وفي قوله تعالى " ولولا فضلُ اللهِ عليك ورحمته لهمّت طائفةٌ منهم أن يضلوكَ " النساء ١١٣/٤ . وفي قوله تعالى " إذ همَّ قومٌ أن يبسطوا إليكم أيديهم " المائدة ١١/٥ . والفعل (هَمَّ) يتعدى بحرف الجر (الباء) وعليه الاستعمال القرآني فقد ظهر حرف الجر في أربعة مواضع مع غير المصدر المؤول. وفي قوله تعالى " وهمّوا بإخراج الرسول " التوبة ١٣/٩ . وفي قوله

(١) معاني القران وإعرابه ٢٧٥/٣ . والكشاف ٤٧٦/٢ . ومشكل إعراب القران /٤٣٩ . والجامع لأحكام القران ٢٤٣/١٠ .

(٢) الزمخشري ٣٤٧/١ .

تعالى " وهَمَّتْ به وهمَّ بها لولا أن رأى برهانَ ربهِ " يوسف ٢٤/١٢ . وفي قوله تعالى " وهمَّتْ كلُ أمة برسولهم ليأخذوه " غافر ٥/٤٠ . وجاء غير مقيد بالجار والمجرور في موضع واحد " وطائفة قد أهمتهم أنفسُهم يظنون بالله غير الحق " آل عمران ١٥٤/٣ . وهذه المواضع التي ورد فيها الفعل (همَّ) جاءت في مواطن الإساءة والمكر السيئ والأذى . وحذفُ حرف الجر وإثباته له دلالته ومعناه كما يبدو، فإظهار حرف الجر (الباء) في الكلام يدل على الإلصاق. جاء في الكتاب (وباء الجر إنما هي للإلزاق والاختلاط وذلك قولك خرجتُ بزيدٍ ودخلتُ به وضربته بالسوط ألزقتَ ضربك إياه بالسوط)[1]. فالآيات التي وردت بحرف الجر معناه إلصاق الحدث بالمجرور فقوله تعالى " وهمّوا بإخراج الرسول " معناه الصقوا همهم بالإخراج والزقوه . أما بغير حرف الجر فليس على الإلصاق والاختلاط. ولذلك جاءت الآية – موضوع البحث – بغير حرف الجر لأن المعنى أن الطائفتين من المسلمين لم يلصقوا همَّهم بالفشل والجبن وإنما الأمر كان عارضا بخلاف القول (وهمَّت طائفتان بأن تفشلا) بإظهار حرف الجر. أما آية الأنفال ٤٦/ فقد جاء الفعل منصوبا لوقوعه جوابا للنهي بدليل نصب الفعل (وتذهب ريحكم) وهو ما عليه الجماعة أو مجزوما لدخوله في حكم النهي تدل عليه قراءة من قرأ (ويذهبْ (ريحكم) بالياء والجزم)[2]. فعلى النصب تكون الفاء لبيان علة النهي عن التنازع ولكن ليس ارتباط ما قبلها بما بعدها ارتباطا شرطيا. جاء في معاني النحو (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) فأنت ترى في هذا ونحوه لا يصح إسقاط الفاء منه وجزمه لأنه لا يصح تقدير الشرط إذا حذفت)[3]. أما الجزم فيكون ارتباط ما قبل الفاء بما بعدها ارتباطا شرطيا (ففي الشرط فائدة واحدة وهو اقتضاء الأسباب لمسبباتها وفي هذا التعبير فائدتان إحداهما فائدة الشرط المذكورة . والأخرى إفادة

---

(١) الكتاب / سيبويه ٣٠٤/٢ .

(٢) الكشاف / الزمخشري ١٦٢/٢ .

(٣) معاني النحو / د. فاضل السامرائي ٣٩٦/٤ .

معنى الطلب من أمر ونهي واستفهام وتمنّ ونحوه مما لا يتحقق بالشرط)[١]. جــاء في تفسير الطبري (يقول: ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلــوبكم فتفشــلوا، يقــول فتضعفوا وتجبنوا)[٢].

وجاء في مجمع البيان (فتفشلوا: منصوب بإضمار (أن) على معنى جواب النهي أي لا تنازعوا في لقاء العدو ولا تختلفوا فيما بينكم فتجبنوا عن عدوكم وتضعفوا عــن قتالهم)[٣].

٢- جاء فعلا ماضيا في موضعين في سورة آل عمران ٣/ ١٥٢ " ولقد صَدَقكم الله وعده إذ تَحُسُونهم بأذنه حتى إذا فَشِلتم وتنازعتم في الأمر وعَصَيتم مــن بعــد مــا أراكم ما تحبون . منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة " وفي سورة الأنفــال ٤٣/٨ " ولو أراكهم كثيرا لفَشِلتم ولتنازعتم في الأمر " والتركيب في الآيتين واحــد (فشلتم وتنازعتم في الأمر) إلا أن السياق مختلف فآية آل عمران في سياق معركــة أحد بعد ما خالف الرماة أمر النبي (ص) فوقــع مــا وقــع . وأغلــب المفســرين واللغويين على أن دلالة (فَشِلتم) جَبنتُم وضعُفتم وفزعتم)[٤]. وقوله تعالى ((حتــى إذا فشلتم: فحتى حرف ابتداء دخلت على الجملة بأسرها . وقيل حرف جــر و (إذا) في موضع جر بحتى مزالا عنها معنى الشرط . وقيــل تــدخل حتــى علــى (إذا) الشرطية . وجوابها محذوف تقديره (انهزمتم) وقيل (منعكم نصره) وقيل (اُمتحنــتم) وقيل (انقسمتم إلى قسمين)[٥]. وعند الفراء على التقديم والتأخير وزيادة الواو . جاء

---

(١) بدائع الفوائد ١٠٥/١ . ومعاني النحو ٣٩٩/٤ .

(٢) جامع البيان / الطبري ١٥/١٠ .

(٣) الطبرسي ١٠/ ٥٤٨ .

(٤) تهذيب اللغة ٣٦٨/١١ . ومعاني القران / الزجاج ٤٧٨/١ . والكشاف ٤٧٠/١ . والجامع لأحكام القران ١٥٢/٤ . وتحفة الأريب /٢٠٧ .

(٥) تفسير النهر الماد ٣٨٨/١ .

في معاني القرآن (يقال إنه مُقدّم ومؤخّر معناه : حتى إذا تنازعتم في الأمر فَشِلتم . فهذه الواو معناها السقوط)[١]. أما في آية الأنفال فكانت في سياق معركة بدر إذ كان عدد المسلمين أقل بكثير من عدد المشركين، ولذلك نجد ألفاظ (قليلاً وكثيراً) ترددت في تركيب الآية لأن كثرة العدو لها أثر كبير في نفوس المقاتلين لذلك أولت الآية الكريمة هذه المسألة عناية كبيرة قال تعالى " إذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفَشِلتم ولتنازعتم في الأمر " ويلاحظ أن التركيب جاء مُصدّرا بالأداة (لو) وهي تفيد الشرطية والامتناع ولهذا يعقبها حرف الاستدراك (لكن) كما هو في الآية الكريمة " ولكن الله سلّم " وجوابها مقترن باللام (لفشلتم) الواقعة في جواب (لو) وهي تفيد التوكيد وقد تكررت مع الفعل (ولتنازعتم) زيادة في التوكيد لان فشلهم وتنازعهم تكون عواقبه وخيمة على حياة المسلمين ومستقبلهم فناسب التوكيد عظم الأمر وأهميته .

(أخبت)

١- ورد فعلا ماضيا في قوله تعالى (وأخبتوا إلى ربهم) هود ٢٣/١١ . وفى قوله تعالى (فتُخبِتَ له قلوبُهم) الحج ٥٤/٢٢ .

ويلاحظ أن الفعل في آية هود عُدّي بحرف الجر (إلى) وفى آية الحج عُدي بحرف الجر (اللام) . إذ إن السياقين مختلفان . فآية هود جاءت في وصف المتقين المؤمنين . أما آية الحج فجاءت في الإخبار عن الذين أوتوا العلم وموقفهم من القرآن الكريم. جاء في مجاز القرآن (وأخبتوا إلى ربهم) مجازُه: أنابوا إلى ربهم وتضرعوا إليه وخضعوا وتواضعوا له[٢]. وجاء في تفسير الطبري (فقال بعضهم: وأنابوا إلى ربهم، وقال آخرون: وحافوا وقال آخرون: معناه اطمأنوا وقال آخرون: خَشَعوا، وهذه الأقوال متقاربة المعاني وان اختلفت ألفاظها لان الإنابة إلى الله من

---

(١) نفسه ٢٣٨/١ .

(٢) أبو عبيدة ٢٨٦/١ .

خوف الله ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة والطمأنينة إليه من الخشوع له.غير أن نفي الإخبات عند العرب: الخشوع والتواضع . وقال (إلى ربهم) ومعناه . واخبتوا لربهم وذلك أن العرب تضع اللام موضع إلى وإلى موضع اللام كثيرا)[١]. ويبدو أن هناك فرقا بين قولنا . أخبت إلى الله وأخبت لله فالأصل في (إلى) أن تكون لانتهاء الغاية. فمع (إلى) يكون المعنى أن الإخبات منتهٍ إلى الله سبحانه . أما اللام معناها الاختصاص . أي أن الإخبات مختص بالله سبحانه . ففي آية هود نجد هذا التدرج والصعود بالحدث فالإيمان بالله ثم العمل الصالح ثم الإخبات إلى الله سبحانه . أما آية الحج فهي مع الذين أوتوا العلم حين يعلمون أن القرآن حق من الله فيحدث لهم الإيمان ثم تتجرد قلوبهم للإخبات لله دون غيره فيكون إخباتها خالصا لله وحده لا شريك له . جاء في تفسير غريب القرآن (فتُخبت له قلوبهم) أي تخضع وتذل[٢]. وجاء في مجمع البيان (أي تخشع وتتواضع لقوة إيمانهم)[٣]. وجاء في الجامع لأحكام القرآن (فتخبت : أي تخشع وتسكنُ وقيل : تخلصُ)[٤] .

٢- ورد وصفا على صيغة اسم الفاعل من غير الثلاثي في موضع واحد في قوله تعالى " فله أسلموا وبشّر المخبتين " الحج ٢٢/٣٤ . والآية متصلة بالآية التي بعدها إذ تذكر صفاتهم " الذين إذا ذُكِرَ الله وَجِلتْ قلوبُهَم " /٣٥ ويلاحظ أن الوصف جاء غير مقيد بحرف جر لدلالته على الشمول والعموم جاء في مجمع البيان (المخبتين: المتواضعين المطمئنين إلى الله وقيل الذين لا يَظلمون وإذا ظُلموا لا ينتصرون كأنهم اطمأنوا إلى يوم الجزاء) [٥].

---

(١) جامع البيان / الطبري ١٢ / ٢٤ .

(٢) ابن قتيبة / ٢٩٤ .

(٣) مجمع البيان الطبرسي ١٧/ ١٢٢ .

(٤) القرطبي ١٢/٥٨ .

(٥) الطبرسي ١٧/١٠٣ .

(جأر)

يأتي الفعل جأر في الاستعمال القرآني على صيغة المضارع من الأفعال الخمسة على مثال (يفعلون) في موضعين ويأتي مجزوما بـ (لا) الناهية . ففي قوله تعالى " وما بكم من نعمةٍ فمن الله ثم إذا مسّكم الضرُّ فإليه تجأرون " النحل ١٦/٥٣ . جاء في معاني القرآن وإعرابه (فإليه تجأرون : أي إليه ترفعون أصواتكم بالاستغاثة)[١]. وفي تقديم الجار والمجرور للدلالة على انه سبحانه وحده المخصوص بالجؤار . جاء في الكشاف (فإليه تجأرون . فما تتضرعون إلا إليه)[٢]. بخلاف آيتي (المؤمنون) إذ ورد فيها الفعل دون تقييد بالجار والمجرور وذلك بسبب اختلاف السياق في آية النحل عنه في آيتي (المؤمنون) . ففي آية النحل كان الحديث عن نعم الله تعالى في سياق السورة كلها من أولها إلى آخرها فجاء تقديم الجار والمجرور متسقا مع السياق العام للسورة لأن التضرع إلى الله والالتجاء إليه بالدعاء ورفع الصوت بالاستغاثة كل ذلك يعد نعمة من نعم الله سبحانه . أما في آيتي (المؤمنون) فليس المقام مقام تعداد النعم إنما هو إخبار عن أحوال المشركين " بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون " ٢٣/٦٣ . " حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون " /٦٤ " لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون " فقد جاء الفعل غير مقيد بالجار والمجرور وإنما جاء مطلقا للدلالة على أنهم ليسوا في حال تضرع ودعاء بل هم في حال خوف وفزع مما هم فيه من عذاب . جاء في مجاز القرآن (أي يرفعون أصواتهم كما يجأر الثور)[٣]. وفي معاني القرآن (يضجون)[٤]. وجاء في مجمع البيان (أي

---

(١) الزجاج ٣/٢٠٤ .

(٢) الزمخشري ٢/٤١٣ .

(٣) أبو عبيدة ٢/٦٠ .

(٤) الفراء ٢/٢٣٩ . وتفسير غريب القران / ابن قتيبة /٢٩٨ .

يضجون لشدة العذاب ويجزعون، وقيــل يســتغيثون، وقيــل يصــرخون إلــى الله بالتوبة)[١]. ويقال لهم (لا تجأروا) (فان الجؤار غير نافع لكم) [٢].

(١) الطبرسي ١٨ /١٦٢ .

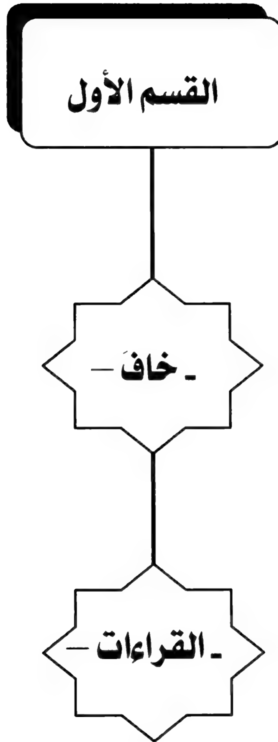
(٢) الكشاف ٣٦/٣ .

الفصل الثالث

يعد الفصل الثالث امتدادا لما جاء في الفصلين الأول والثاني إذ إن الفصل الأول نهض بالدراسة الوصفية لتلك الألفاظ التي عبر بها القرآن الكريم عن معنى الخوف ، ثم يأتي الفصل الثاني لينهض بالدراسة اللغوية من غير فصل بين مستويات الدرس اللغوي ، وبعده يأتي الفصل الثالث الذي ينهض بقسمين :

الأول : الوقوف على القراءات القرآنية التي وردت عليها هذه الألفاظ وعرض التوجيهات اللغوية والنحوية والدلالية التي تتبع كل قراءة ، ففي قوله تعالى "واضربْ له طريقاً في البحرِ يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى " طه ٢٠/٧٧ . جاءت القراءة في (لا تخافُ) بالرفع والجزم (لا تخفْ) وبذلك تختلف قراءة الرفع عن قراءة الجزم في توجيههما نحويا ودلاليا . وفي قوله تعالى " وهذا كتاب أنزلناه مباركٌ مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى " الأنعام ٦٢/ ٩٢. جاءت القراءة (ولينذر أم القرى) بالياء، وتوجيه القراءتين مختلف من حيث الإسناد والخطاب. فالوقوف على هذه القراءات وأمثالها يعالجه الفصل الثالث في قسمه الأول. أما القسم الثاني منه فيعرض لدلالة تلك الألفاظ في الاستعمال القرآني إذ إن القرآن الكريم يخص بعض هذه الألفاظ بدلالات معينة يذكرها المفسرون واللغويون . فمنها مثلا دلالة الخوف على معنى العلم والظن والتنقص . ومنه أيضاً دلالة (نذير) على المصدر أي الإنذار أو على اسم الفاعل أي (منذر) .. وغيرها مما جاء فيه الكلام مفصل في كل لفظة من الألفاظ التي تم حصرها وإحصاؤها . وبذلك يكون الفصل الثالث بقسميه القراءة والدلالة قد سدّ ثغرة وأكمل نقصا لم يكن تركهما غير محسوب في الفصلين الأول والثاني .

والحمد لله ، عليه توكلت واليه أنيب


القسم الأول
ـ خافَ ـ
ـ القراءات ـ

وردت القراءات في اللفظ (خاف) وتصريفاته في مواضع كثيرة لا يمكــن إغفالهـا فكان من تمام الفائدة أن تفرد في مبحث خاص للوقوف على طبيعة هذه القــراءات وأثرها في توجيه المعنى وقد تبين من خلال البحث أن هذه القراءات على ضربين: الأول ما يخص بنية اللفظة وشكلها وصيغتها ، والآخر: ما يخــص موقــع اللفظــة والأثر الإعرابي وما يتبع ذلك من أثر في الدلالة والمعنـــى . وســنعرض لهــذين الضربين بالتفصيل .

أ- **القراءات التي تخص بنية اللفظة** : ففي سورة البقرة ٢/ ٢٢٩ إلا أنْ يخافـا ألاَّ يُقيمَا حدودَ اللهِ " جاء في القراءة (إلا أنْ يُخافا بضم الياء وهي قــراءة حمــزة وأبي جعفر. جاء في كتاب (الكشف عن وجوه القراءات) (وحجة قراءة حمزة أنــه بني الفعل للمفعول والضمير في (يُخافا) مرفوع لم يسم فاعله .. والفاعل محــذوف وهو الولاة والحكام .. ووجه القراءة بفتح الياء (يَخافا) انــه حمــل علــى ظــاهر الخطاب يراد بهما الزوجان إذا خاف كل واحد منهما ألا يقيما حدود الله) (١) وفــي ضوء القراءتين يختلف توجيه موضع (ألا يُقيما) فعلى القراءة الأولى (ضم اليــاء) يكون موضع (أن وما دخلت عليه) جراً بإضمار حرف الجر على قــول الخليــل والكسائي . وعند غيرهما من الكوفيين في موضع نصب لحــذف حــرف الجــر . وعلى القراءة الثانية (بفتح الياء) فــ(أن) وما دخلت عليه في موضــع نصــب بالفعل لأنه لم يتعد إلى مفعول(٢).

وجاءت القراءة في سورة المائدة ٥/ ٢٣ " قال رجلان من الذين يَخافون أنعم الله عليهما " (يُخافون) بضم الياء ونسبت إلى ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير.

---

(١) مكي القيسي ١/ ٢٩٥ ، مجمع البيان / الطبرسي ٢/ ٢٣٠
(٢) نفسه ١/ ٢٩٥ ومجمع البيان ٢/ ٢٣٠

جاء في تفسير الطبري (وكأن سعيداً ذهب في قراءته هذه إلى أن الرجلين اللذين اخبر الله عنهما قالا لبني إسرائيل : ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم الغالبون .. كانا من رهط الجبابرة الذين يخافهم بنو إسرائيل)(١).

وجاء في الكشاف (ويجوز أن تكون الواو لبني إسرائيل والراجع إلى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو إسرائيل وهم الجبابرة .. وقراءة من قرأ (يُخافون) بالضم شاهدة له)(٢) . وجاءت القراءة في سورة مريم ١٩/ ٥" واني خفتُ المواليَ من ورائي " (واني خفّتِ الموالي) بتشديد الفاء وفتح الخاء وهذه القراءة نسبت إلى عثمان بن عفان (رض) جاء في تفسير الطبري (من الخفة كأنه وجَه تأويل الكلام : واني ذهبت عصبتي ومن يرثني من بني أعمامي وتكون الياء من الموالي مسكنة غير متحركة لأنها تكون في موضع رفع) (٣) .

ب- القراءة التي تخص الموقع الإعرابي :

وفي سورة طه ٢/ ٧٧ " فاضربْ لهُم طريقًا في البحر يبسـاً لا تَخَـافُ دركـاً ولا تخشى " جاءت القراءة (لا تخَفْ) قراءة حمزة بالجزم على انه جـواب (فاضـربْ) ورفع (تخشى) على انه نفي(٤). ويكون المعنى على قراءة الرفع (لا تخاف) أي (لست تخاف دركا . وعلى قراءة الجزم (لا تخفْ) فهو نهي عن أن يخاف ومعناه لا تخفْ أن يدركك فرعون ولا تخشى الغرق)(٥). ويمكن إجمال الفرق بين القـراءتين

---

(١) جامع البيان/ الطبري ١٧٦/٦ . ومختصر في شواذ القران / ٣٠ .
(٢) الكشاف / الزمخشري ٦٠٤/١ دار الفكر . ومجمع البيان ٦٦/٦ .
(٣) جامع البيان ٤٦/١٦ . والجامع لأحكام القران / القرطبي ٥٤/١١ .
(٤) معاني القران / الفراء ١٨٦/٢ . والكشف / مكي / ١٠٢/٢ .
(٥) معاني القران وإعرابه / الزجاج ٣/ ٣٦٩ .

بالاتي : [١]

قراءة الرفع	قراءة الجزم
(لا تخافُ)	(لا تخفْ)
١- قرأ بها جمهور القراء	١- قرأ بها حمزة
٢- (لا تخاف) بالرفع على انه حال من موسى (ع) على تقدير اضرب لهم طريقا غير خائف ولا خاشٍ .	٢- (لا تخف) بالجزم على انه جواب(فاضرب)
٣- يجوز رفع (تخاف) على القطع أي أنت لا تخاف .	٣ - على هذه القراءة يحسن الوقوف على (دركا) ثم تبتدئ (ولا تخشى).
٤- وقيل رفعه على انه نعت لـــ (طريقا) على تقدير حذف (فيه).	٤- على معنى ولست تخشى على الاستئناف أو أن تكون (ولا تخشى) في موضع جزم على تقدير حذف الحركة .

وجاءت القراءة في الآية / ١٢٢ من السورة نفسها " ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخافُ ظلماً ولا هضماً " (فلا يخَفْ) على النهي ونسبت إلى ابن كثير وقرأ الباقون بالرفع . فعلى الجزم (نهى من عمل الصالحات وهو مؤمن أن يخاف أن يظلمه أحد) وعلى الرفع (انه ليس يخاف أن يظلمه أحد) [٢].

وجاءت القراءة في فصلت ٣٠/٤١ " ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنـــة (لا

---

(١) معاني القران / الفراء ١٨٦/٢ . ومعاني القران وإعرابه / الزجاج ٣٦٩/٣ . والكشاف / الزمخشري ٥٤٧/٢ و ١٠٢/٢ . ونحو القراء الكوفيين ١٠٢ و ١٢٩ و ٣٠٧

(٢) الكشاف ٢/ ٥٥٤ . والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٠٧ . ومجمع البيان ١٦/ ١٤٢ و ١٤٦ . وإتحاف فضلاء البشر ٢/ ٢٥٧ . ونحو القراء الكوفيين / ١٦٢ .

تخافوا) بغير (أن) منسوبة إلى ابن مسعود (رض) : أي يقولون : لا تخافوا على مذهب الحكاية[١].

وجاءت القراءة في سورة الجن ٧٢/ ١٣ " فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهَقًا " (فلا يخَفْ) جزماً على جواب الشرط وإلغاء الفاء ونسبت هذه القراءة إلى الأعمش ويحيى وإبراهيم . وقراءة العامة (فلا يخافُ) رفعاً على تقدير فإنه لا يخاف أو فهو لا يخاف أي فهو غير خائف ولأن الكلام في تقدير مبتدأ وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخَفْ . جاء في الكشاف (فان قلت : أي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبراً ووجوب إدخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال (لا يخَفْ) . قلت الفائدة فيه انه إذا فعل ذلك فكأنه قيل فهو لا يخاف فكان دالاً على تحقيق أن المؤمن ناجٍ لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره)[٢].

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن دخول الفاء وارتفاع الفعل بعدها لها غرض في الكلام فهي تفيد التوكيد فقوله تعالى (فلا يخافُ) آكد من قولنا (لا تخَفْ) [٣]. وقد مر الكلام في ذلك في أحوال الفعل عندما يجيء منفيا بـ (لا) . وجاءت القراءة في قوله تعالى " فلا خوفٌ عليهم " بالنصب (فلا خوفَ)، وبالرفع بلا تنوين (فلا خوفُ) . أما النصب فقد مر البحث فيه في الفصل الثاني مادة (خاف). وأما الرفع بلا تنوين فهي قراءة ابن محيصن ، على أن (لا) مهملة أو عاملة عمل ليس ،

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٥٣ . ونحو القراء الكوفيين / ٢٠٧ .

(٢) الكشاف / الزمخشري ٤/ ١٦٩ .

(٣) معاني النحو ٤/ ٤٨٧ .

وعلى تقدير مضاف إليه محذوف منْويّ أي : فلا خوفُ شيء عليهم[١] .

(أنذر)

وردت القراءات في الآية السادسة من سورة البقرة في قوله تعالى " سواء عليهم أأنذرتَهُم أمْ لمْ تُنْذِرْهُم لا يُؤمنون " . وقرئ بتخفيف الهمزتين والتخفيف أعرب وأكثر. وبتخفيف الثانية بينَ بينَ وبتوسيط ألف بينهما مخففتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله) [٢]. ولم ترد القراءات في أحوال الفعل (أنذر) الأخرى .

(ينذرُ)

وردت القراءة في (لتُنذِرَ) بالتاء والياء فالتاء تكون على الخطاب والياء تكون على الغيبة في قوله تعالى " وهذا كتاب أنزلناه مباركٌ مصدقٌ الذي بين يديه ولِتنذِرَ أمّ القرى " الأنعام ٦/٩٢ قرئ (لينذر) بالياء . فعلى قراءه (الياء) (لينذر) يكون الكلام انتقال من الغيبة إلى الخطاب وهذا كثير في القران الكريم . وهو من الأساليب الفصيحة المعروفة في اللغة العربية : جاء في الكشاف (ولأن الكلام انتقال من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد)[٣]. وجاء في مجمع البيان في قوله تعالى " لينذرَ الذين ظلموا " الأحقاف ٤٦/ ١٢ (قرأ أهل الحجاز وابن عامر ويعقوب (لتنذر) بالتاء والباقون بالياء. حجة من قرأ بالتاء قوله تعالى " إنما أنا منذر" وقوله " لتنذر به وذكرى " وحجة الياء (لينذر بأسًا شديدًا) [٤]. فتكون قراءة التاء خطابا للنبي

---

(١) شرح ابن عقيل ٣/ ٨٠ . إتحاف فضلاء البشر ١/ ٣٨٩ .

(٢) الكشاف ١/ ١٥٤ . وإتحاف فضلاء البشر / محمد البنا ١/ ٣٧٦ .

(٣) الكشاف ١/٦٤ ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها / د. أحمد مطلوب ١/ ٢٩٥ .

(٤) مجمع البيان / الطبرسي ٢٦/ ٩ .

(ص) وتكون قراءة الياء على إسناد الفعل إلى الكتاب . والقراءة بالتاء تكون نصاً في إسناد الفعل إلى المخاطب ولا تقبل أي احتمال آخر. أما قراءه الياء فيحتمل إسناد الفعل إما إلى الله سبحانه أو إلى النبي (ص) أو إلى الكتاب . جاء في الجامع لأحكام القران في قوله تعالى " لينذر من كان حيّا " يس ٣٦/ ٧٠ وقرأ الباقون بالياء على معنى لينذرَ الله . . أو لينذرَ محمد (ص) أو لينذرَ القرآن[١]. وقرئ على بناء ما لم يُسَم فاعله في قوله تعالى " لينذرِ من كان حيّا " يس ٣٦/٧٠ قرئ " ليُنذَرَ من كان حيّا " بفتح الذال نسبت القراءة إلى الجحدري وقرئ " ويُنذِّر الذين قالوا " الكهف ١٨/٥ بتشديد الذال ونسبت إلى مجاهد . وقرئ (ولِيَنذِروا به) بفتح الياء. ذكره أبو عمار الذراع عن أبيه[٢]. (من نذرَ به إذا علمه واستعدّ له)[٣]

(منذر)

وردت القراءة في سورة النازعات الآية ٧٩/ ٤٥ " إنما أنت منذرُ من يخشاها " وقرئ(منذرٌ) بالتنوين وهو الأصل والإضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال . فإذا أريد المضي فليس إلا الإضافة[٤]. وقراءة التنوين نص في الحال والاستقبال ويكون فيها (منذر) عامل عمل فعله فينصب اسم الموصول (من) على المفعول به وسياق الآية يحتمل دلالة المضي ودلالة الحال والاستقبال إذ إن الكلام على الساعة التي يسألون عنها " أيان مرساها " الأعراف ٧/٤٢ . فعلى المضي يكون الكلام إنما أنت أنذرت من يخشاها . وعلى الحال والاستقبال يكون الكلام إنما أنت تنذر من يخشاها .

---

(١) القرطبي ١٥ / ٣٩ .

(٢) مختصر في شواذ القرآن / ابن خالويه / ١٢٦ و٧٠ و ٧٨ .

(٣) الكشاف / الزمخشري ٢/ ٣٨٤ .

(٤) مختصر في شواذ القرآن /١٦٨ والكشاف / الزمخشري ٤/٢١٦ والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٣٦ .

(نـذر)

وردت كلمة (النَّذْر) مخففة ومثقلة . جاء في معاني القران (عذرا أو نُـذْراً) خففه الأعمش ونقل عاصم (النذر) وحده وأهل الحجاز والحسن يثقلون (عُذْرًا أو نُـذْرًا) وهو مصدر مخففا أو مثقلا[١]. وذكره الزجاج أيضا والزمحشري وذكر مكي (قوله نذرِ في ستة مواضع قرأها ورش بياء في الوصل خاصة)[٢]. جاء في الكشف عن وجوه القراءات (أو نُذُرا) قرأه الحرميان وأبو بكر وابن عامر بضم الذال. وقرأ الباقون بإسكان الذال وهما لغتان والضم الأصل والإسكان للتخفيف[٣]. وفي قوله تعالى " فكيف كان عذابي ونُذُر" القمر ١٨/ ٢١. وقعت (نذر) في هذه السورة في ستة أماكن محذوفة الياء في جميع المصاحف . وقرأها يعقوب مثبة في الحالين. وورش في الوصل لا غير وحذف الباقون[٤]. ويبدو أن (النذر) بالتثقيل و (النـذْر) بالتخفيف يتعاقبان في الاستعمال إذ تتصل أمثلة صيغة (فُعُـل) بالصيغة المخففة (فُعْل) .. كما عد القدماء صيغة (فُعُل) بالتثقيل متطورة عن صيغة (فُعْـل) بالتخفيف على وفق قانون الإتباع[٥].

(خشِيَ)

وردت القراءة في قوله تعالى " وليخش الذين ... " البقرة ٢/ ٢٨٢ فقد قرئ بكسر اللام (وَلِيخشَ)[٦]. ووردت القراءة في قوله تعالى " ولا تقتلوا أولادكم خشية إمـلاق

(١) معاني القران / الفراء ٣/٢٢٢ .

(٢) معاني القران وإعرابه ٥/٢٢٦ والكشاف ٤/ ٢٠٢ والكشف / مكي ٢/ ٢٩٨ .

(٣) مكي ٢/ ٣٥٧

(٤) الجامع لأحكام القران ١٧/ ٩١ .

(٥) ينظر أبنية المصدر في الشعر الجاهلي / ١٩٦ د. وسمية عبد المحسن المنصور .

(٦) مختصر في شواذ القران / ابن خالويه /١٨.

" الإسراء ٣١/١٧ (خِشية) بكسر الخاء و(خُشية) بضم الخاء[١]. وفي قوله تعالى " فخَشِينا أنْ يرهقهما طغيانا وكفرا " الكهف ٨/١٨ قرئ (فخشَينا) بفتح الشين[٢].

(حزن)

وردت القراءات على ثلاثة محاور :

١- الفعل المتعدى (ولا يحزُنك): قرئ بفتح الياء وضمها . فمن قرأ بالفتح جعله من حَزَنه وهو فعل ثلاثي ومن قرأ بالضم جعله من (أحزنه) وهو فعل رباعي. جاء في مجاز القرآن (لا يحزنك) يقال حزنه وأحزنه وأحزنته لغتان وهو محزون. وحزنت أنا لغة واحدة[٣]. وجاء في الكشاف (وقرئ يَحزُنك ويُحزنك من حزن وأحزن. والذي عليه الاستعمال المستفيض أحزنته ويُحزنه)[٤]. لكن الاستعمال القرآني فرق بين الصيغتين فاستعمل مفتوح العين لازما واستعمل مضموم العين متعديا . ولم يستعمل الرباعي البتة .

٢- الفعل المتعدي (لا يَحزُنهم) قرئ (لا يحزنهم) من أحزن . جاء في الجامع لأحكام القران (حَزِنَه لغة قريش وأحزنه لغة تميم)[٥] وقرئ (لا يحزنْهم بالجزم وهم ينوون الرفع . ولم يتعرض إمام النحاة سيبويه ولا المبرد لهذه القراءة وكذلك الطبري بل اقتصر على التفسير[٦]. ويلاحظ أن القراءات اقتصرت على صيغة (يفعُل – يحزُن) المتعدى ولم ترد قراءة في صيغة(يفعَل) (يحزَن) اللازم. جاء في

---

(١) نفسه /٧٦ والكشاف ٢/ ٤٤٧ .

(٢) معاني القران / الفراء ٢/ ١٥٧ .

(٣) مجاز القران / أبو عبيدة ١٦٦/١ .

(٤) الكشاف / الزمخشري ٣/ ٢٣٥ .

(٥) الجامع لأحكام القران / القرطبي ١١/ ٢٢٩.

(٦) مختصر في شواذ القران / ابن خالويه /٩٣ . وينظر نحو القراء الكوفيين / خديجة احمد مفتي /٢٤٥ .

الكشف عن وجوه القراءات (وما عليه الجماعة من فتح الياء وضم الزاي أحب إليّ لأنها اللغة الفاشية المستعملة المجمع عليها[١]. وقرئ (ليُحزِنني) بضم الياء وكسر الزاي[٢] .

٣- المصدر: جاءت القراءة (حُزْنا) بضم فسكون و (حَزَنا) بالتثقيل. جاء في مجاز القران (أذهَبَ عنا الحَزَن) وهو الحُزن مثل البُخل والبَخَل) [٣]. فيفهم من كلامه أنهما لغتان .أما عند الفراء (وكأن الحُزن الاسم والغم وما أشبهه وكأن الحَزَن مصدر[٤]. وقرئ (وحَزَني) بفتحتين و (حُزُني) بضمتين . وقرئ " أذهب عنا الحُزُنَ "[٥]. والاستعمال القرآني لم يرد فيه إلا صيغتان هما (الحُزْن) و (الحَزَن) وقد خصّ الأولى في مواضع الجر، وخص الثانية في مواضع النصب. والاستعمال القرآني يسند ما رواه يونس عن أبي عمرو قال (إذا جاء الحَزَن منصوبا فتحوا وإذا جاء مرفوعا أو مكسورا ضموا الحاء) [٦]. كما أن الرباعي لم يرد منه في القران الكريم. ولم يرد الماضي من الثلاثي وإنما ورد المضارع بضم الزاي وفتحها فالمضموم الزاي ورد متعديا والمفتوح الزاي ورد لازما وبذلك لا يمكن أن نسلّمَ بقول الفارابي (العرب تقول أحزنني هذا الشيء فإذا صاروا إلى المستقبل قالوا يَحزُنني)[٧]. أي أن الماضي من الرباعي والمضارع من الثلاثي وهذا القول حمل أحد الباحثين المحدثين على القول إن صيغة (فعل) تكون مركبة

---

(١) مكي / ٣٦٥/١.

(٢) إتحاف فضلاء البشر / محمد البنا ١٤٢/٢ .

(٣) مجاز القران / أبو عبيدة ٢/ ١٥٥ ومعاني القران /الزجاج ٤/ ١٤٢ .

(٤) معاني القران ٨/ ٣٠٣ .

(٥) ختصر في شواذ القران / ابن خالويه ٦٥و١٢٤ . وإتحاف فضلاء البشر ٢/ ١٥٢ ،٣٤١.

(٦) التهذيب / الأزهري ٤/ ٣٦٤ .

(٧) ديوان الأدب ١٩٠/٢ -١٩١ .

من فعلين ماضيه من المزيد ومضارعه من المجرد[١]. وقيل حَزَنه لغة قريش وأحزنه لغة تميم[٢]. وقد أورد سيبويه ذلك في باب (افتراق فعلت وأفعلت في الفعل للمعنى)[٣]. ويلاحظ أن الاستعمال القرآني استعمل (الحَزَن) بالفتح في المواطن إلي لا يكون وقعها شديدا صعبا. أما الحُزن فقد جاء في المواطن الشديدة المؤثرة في النفس عامة التأثير. جاء في الكشاف (الحمد لله الذي أذهبَ عنا الحَزَن) والمراد حزن المتقين وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة)[٤]. وجاء في مجمع البيان (ليكون لهم عدوا و حَزَنا) أي ليكون لهم في عاقبة أمره كذلك)[٥]، وكل ذلك جاء بالفتح . وجاء في الجامع لأحكام القران (وابيضتْ عيناه من الحُزن) فاشتدّ حزنه على ذلك، وفي قوله تعالى " إنما أشكو بثّي وحزني " (حقيقة البث في اللغة ما يرد على الإنسان من الأشياء المهلكة التي لا يتهيأ له أن يخفيها. وحزني معطوف عليه إعادة يغير لفظه)[٦]. فقد جاء بالضم في المواطن الشديدة .

(راب)

وردت القراءة في (لا ريبَ فيه) فقد جاءت القراءة بالرفع (لا ريبٌ فيه) وبالنصب (لا ريباً فيه) .

أما الرفع (لا ريبٌ فيه) إذ تكون فيه (لا) عاملة عمل ليس ولا تكون نصا في نفي الجنس. جاء في الكشاف (والفرق بينهما وبين المشهورة أن المشهورة توجب

---

(١) أبنية المصدر في الشعر الجاهلي / د. وسمية عبد المحسن المنصور /١٨٣ .

(٢) لسان العرب ١٦/ ٢٦٦ مادة (حزن).

(٣) الكتاب ٤/ ٥٧.

(٤) الكشاف / الزمخشري ٣/٣١٠ .

(٥) مجمع البيان / الطبرسي ٢٠/٢٦٤ .

(٦) الجامع لأحكام القران / القرطبي ٩/ ١٦٣ و ١٦٥ .

الاستغراق. وهذه تجوزه)[١].أما النصب بالتنوين (لا ريباً فيه) فيكون عامله محذوفا جاء في إتحاف فضلاء البشر (بالتنوين إذ وقع بفعل مقدر. أي لا أجد ريبا)[٢]. ويلاحظ أن نفي (الريب) جاء بالفتح في جميع القرآن وان نفي (الخوف) جاء بالرفع في جميع القرآن "لا خوفٌ عليهم " . إذ أن النصب أقوى في توكيد النفي فلذلك جاء مع توكيد نفي الريب فقال (لا ريبَ فيه) في صفة الكتاب (ولا ريبَ فيها) في صفة الساعة. و (لا ريبَ فيه) في صفة يوم القيامة إذ لا تحتمل إلا نفي الجنس والاستغراق .

(حَذِرَ)

وردت القراءة في قوله تعالى " حَذَر الموت " البقرة ١٩/٢ " حِذار الموت "[٣] وفي قوله تعالى " وإنا لجميع حاذِرون " الشعراء ٥٦/٢٦ . جاء في معاني القران " وإنا لجميع حَذِرون " ويقرأ حاذرون[٤]. وجاء في الكشاف (وقرئ حَذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحَذِر : اليَقِظ . والحاذر الذي يجدد حذره. وقيل المؤدي في السلاح وإنما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي)[٥]. وجاء في كتاب الكشف عن وجوه القراءات (وهما لغتان . إلا أن (حاذرا) فيه الاستقبال . وقد قيل إن معنى (حَذِرون) خائفون، ومعنى (حاذرون) مستعدون بالسلاح وغيره من آلة الحرب)[٦]. وفي مجمع البيان (والفرق بين الحَذِر

---

(١) الكشاف / الزمخشري ١١٤/١.

(٢) محمد البنا ١/ ٣٧٢ .

(٣) مختصر في شواذ / ٣/ والكشاف ٢١٨/١ والجامع لأحكام القران ١/ ١٥٣ .

(٤) معاني القران وإعرابه / الزجاج ٩٢/٤ .

(٥) الكشاف / الزمخشري ١١٤/٣ .

(٦) مكي ١٥١/٢ .

والحاذر الفاعل للحذر. والحَذِر المطبوع على الحذر.(حاذرون) أي خائفون شرهم)[١]. وفي إتحاف فضلاء البشر وهما بمعنىً أو الحَذِر المتيقظ ، والحاذر الخائف أو الحذر المجبول على الحذر والحاذر ما عرض فيه[٢]. ويبدو أن جميع القراءات لا تخرج عن المعنى العام للحذر الذي فيه معنى الخوف والتحرز والتأهب. ومن اللافت للنظر أن صيغه المصدر (حِذْر) بالكسر فالسكون لم ترد في أبنية المصدر في الشعر الجاهلي ولم تذكرها الباحثة في المصادر التي لها مقابل من صيغة (فَعَل) بفتحتين تقول الباحثة (ومما ورد من أمثلة (فِعْل) وله مقابل (فَعَل) كل من (حرص – سلم – ضيعن – سرع)[٣]. ويلاحظ أنها لم تذكر (حِذْر – حَذَر) . كما أن صيغة (فِعْل) بالكسرة لم ترد في الجدول الإحصائي للمصدر على صيغة (فِعْل) وإنما الذي ورد هو صيغة (فَعَلٌ) حَذَرٌ. أما الاستعمال القرآني فقد استعمل الصيغتين في سياقين مختلفين كما مر في بحث (المصدر) .

(خشع)

وردت القراءة في سورة القمر ٥٤/٧ " خُشَّعاً أبصارهم " فقرأ ابن عباس (خاشعاً) وقرأ ابن مسعود (خاشعة أبصارهم)[٤]. وقد مر قول الفراء في جواز تأنيث الفعل وتذكيره وجمعه (إذا تقدم الفعل قبل اسم مؤنث وهولَه أو قبل جمع مؤنث مثل : الأبصار والأعمار وما أشبهها)[٥] . ويقصد بـ(الفعل) أسماء الفاعلين إذ إن

---

(١) الطبرسي ١٩ /١٥٠

(٢) محمد البنا ٢/٣١٥ .

(٣) أبنية المصدر في الشعر الجاهلي / د. وسيمة عبد المحسن منصور /١٨٢ .

(٤) معاني القران / الفراء ٣/١٠٥ . ومعاني القران / الزجاج ٥/٨٦ . ومختصر في شواذ القران / ابن خالويه /١٤٧ .

(٥) معاني القران ٣/ ١٠٥ .

الكوفيين يعدون اسم الفاعل فعلا دائما. ولا تخرج قراءة الجمهور (خُشّعاً) على لغة (أكلوني البراغيث) لكونه جمع تكسير وهو كالواحد بجامع الإعراب بالحركة[١]. إذ يجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد ويجوز أيضا التوحيد والتأنيث لتأنيث الجماعة ، ويجوز الجمع تقول : مررت بشباب حسنٍ أوجههم[٢].

(ضَعُفَ)

وردت القراءة في كلمة (ضعفاً) في قوله تعالى " وعلم أن فيكم ضَعفا " الأنفال ٨/٦٦. جاء في تفسير الطبري (اختلف القراء فقرأ بعض المدنيين وبعض البصريين (ضُعفاً) بضم الضاد في جميع القرآن وتنوين الضعف على المصدر من ضَعُف الرجل ضُعفاً . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وقراءة بعض المدنيين ضعفاء على تقدير فعلاء[٣]. وقد فرّق بعض اللغويين بين الضُعف بالضم والضَعف بالفتح جاء في تهذيب اللغة (ومنهم من يقول: الضَعف في العقل والرأي والضُعف في الجسد .. لغتان جيدتان)[٤]. وجاء في مفردات ألفاظ القرآن (وقيل الضَعف والضُعف لغتان قال الخليل رحمه الله : الضُعف بالضم في البدن والضَعف في العقل والرأي)[٥]. والذي عليه الاستعمال اللغوي أن صيغة (فَعْل) بالفتح وصيغة (فُعْل) بالضم يشتركان في كثير من الألفاظ على سبيل المثال (كَره) بالفتح و (كُره)

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٥٠٦ .

(٢) الجمان في تشبيهات القران / ابن ناقيا / ٢٩٩

(٣) جامع البيان / الطبري ١٠/ ٤٠ والكشاف /الزمخشري ١٦٢/٢ ومجمع البيان / الطبرسي ٢١/ ٣٩ .

(٤) الأزهري ٤٨٢/١ واللسان ١١/ ١٠٦ مادة (ضعف) .

(٥) العين ٢٨١/١ ومفردات ألفاظ القران / الراغب الأصفهاني /٥٠٦ .

بالضم وفَقر بالفتح وفُقر بالضم وغيرها كثير[١].

(أشفق)

وردت القراءة في " أأشفقتم " المجادلة ١٣/٥٨ (سهل الثانية وادخل ألفا) ونسبت إلى قالون وأبى عمر وهشام . وبلا ألف ورش وابن كثير[٢].

(وَهَن)

جاءت القراءة في قوله تعالى " فما وهنوا لما أصابهم " آل عمران ٣/ ١٤٦جاء في المحتسب (ومن ذلك قراءة الحسن : فما وَهِنوا بكسر الهاء : فيه لغتان وهَن يهن وَهِن يَوْهن) [٣]. وقرئ (وهُنوا) بكسر الهاء وضمها لغتان وفي أساس البلاغة (وهَن يهن ووَهِن يَوهَن) [٤]. قال أبو زيد سمعت من الإعراب من يقرؤها (فما وَهِنوا) [٥].

(رَهِبَ)

أغلب القراءات التي وردت كانت في المصدر (الرهب) ففي قوله تعالى "ويدعوننا رغبا ورهبا " الأنبياء ٩٠/٢١ ذكر الطبري (وروي عن الأعمش انه قرأها رُغْبا ورُهْبا بضم الراء في الحرفين وتسكين العين والهاء) [٦]. وذكر الزجاج (وقرئت

---

(١) للمزيد يراجع أبنية المصدر في الشعر الجاهلي .

(٢) إتحاف فضلاء البشر / محمد البنا ٢/ ٥٢٧.

(٣) المحتسب / ابن جني ١٧٤/١

(٤) الجامع لأحكام القران ١٨٤/٤ .

(٥) الزمخشري ٢/ ٥٣١ .

(٦) جامع البيان ١٧/ ٨٤ .

رَغْباً ورَهْبا . فالرغْب والرهْب مصدران)[١]. وكذلك ذكر الزمخشري (وقرئ رَغبْا ورَهْبا) بالإسكان[٢] وفي قوله تعالى " واضمم إليك جناحك من الرَهْب " القصص ٢٨/ ٣٢. جاء في معاني القرآن (واضمم جناحك من الرهب قرأها أهل المدينة (الرَهَب) وعاصم والأعمش[٣] (الرُهْب) وجاء في معاني القرآن وإعرابه :(من الرَهب والرُهب جميعا ومعناهما واحد مثل الرُشد والرَشَد)[٤]. وجاء في الكشاف (والرَّهَب : بفتحتين (الرَهَب) . وضمتين (الرُهُب) وفتح وسكون (الرَهْب) وضم وسكون (الرُهْب) وهو الخوف)[٥] .وهذا الاختلاف يعزى إلى اختلاف اللغات ، جاء في مجمع البيان ((الرَهب والرُهب لغتان)) وكذلك عند القرطبي[٦]. وجاء في تهذيب اللغة (وقال الليث : الرَهْب - جزم - لغة في الرَهَب)[٧].

ويبدو من كل ذلك أن القراءات جاءت مرة بالتخفيف ومرة بالتثقيل وكان ذلك على صيغتين الأولى : فَعْل - فَعَل (الرَهْب - الرَهَب) والثانية : فُعْل - فُعُل (الرُهْب - الرُهُب) ويعد النحويون واللغويون صيغة (فَعْل) هي الأصل[٨] . وأنها كثيرة الشيوع إذ تستوعب جميع أبواب الفعل كما انه يأتي من المتعدي واللازم)[٩]. وهذه

---

(١) معاني القران وإعرابه ٣/ ٤٠٣.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٨٢ .

(٣) معاني القران / الفراء ٢/٣٠٦ .

(٤) الزجاج ٤/١٤٣ .

(٥) الزمخشري ٣/ ١٤٣ .

(٦) الطبرسي ٢٠/ ٢٨٨ والجامع لأحكام القران ١٣/ ١٨٨.

(٧) تهذيب اللغة ٦/٢٩٠ مادة (رهب)

(٨) الكتاب ٤/١٥ .والمقتضب ٢/١٢٤ .والمنصف ١/١٧٨ . والمخصص ١٤/ ١٣٢ .وشرح المفصل ٦/٣ . وينظر أبنية المصدر في الشعر الجاهلي /١٤٦

(٩) أبنية المصدر في الشعر الجاهلي /١٤٦ .

الصيغ التي تحتمل التخفيف والتثقيل تتداخل فيما بينها فمرة تأتي بالتخفيف ومرة تأتي بالتثقيل.أما البحث عن الأصل أهو التخفيف أم التثقيل فهذا أمر يصعب القول فيه[١]، وفي قوله تعالى " وإياي فارهبون " البقرة ٢/٤٠ قرأ ابن أبي اسحق (فارهبوني) بالياء[٢] وفي قوله تعالى " ترهبون به عدو الله " الأنفال ٨/ ٦٠ قرئ بالتخفيف والتشديد[٣]. وقرأ ابن عباس ومجاهد (تُخزون) وقرئ (يُرهّبون) بالياء والتثقيل[٤]. وقرئ (يَرهبَون) بالغيب والتخفيف[٥].

(حَصِرَ)

وردت القراءة في لفظة (حَصِرت) في الآية ٤/٩٠ من سورة النساء " أو جاؤوكم حصرت صدورهم وهذه القراءة هي القراءة الفاشية (وبها يقرأ لإجماع الحجة عليها) [٦]. وقد جاءت القراءة (حَصِرة) نصبا ونسبت إلى الحسن البصري يقول الطبري (وهي صحيحة في العربية فصيحة غير انه غير جائز القراءة بها عندي لشذوذها وخروجها عن قراءة قراء الإسلام) [٧]. وقرئ (حَصِرات) بألف وقرئ

---

(١) للمزيد من الاطلاع يمكن الرجوع إلى كتاب أبنية المصدر في الشعر الجاهلي / وسيمة عبد المحسن .

(٢) الجامع لأحكام القران / القرطبي ١/ ٢٢٧ .

(٣) الطبري ١٠/ ٢٩ ،الكشاف ٢/١١٦ .

(٤) مختصر في شواذ القران /٥٠ .

(٥) إتحاف فضلاء البشر / محمد البنا ٢/ ٨٢ .

(٦) جامع البيان /الطبري ٥/١٩٨.

(٧) نفسه ٥/١٩٨ .

(حاصرات) بألفين[١]. فـ (حَصِرة) نصب على الحال ويجوز رفعه على الابتداء والخبر عند القرطبي . وكذلك قراءة (حصرات) يجوز الرفع عنده[٢].

(فَزِعَ)

وردت القراءة في قوله تعالى " حتى إذا فُزّعَ عن قلوبهم " سبأ٣٤/٢٣ فقد قرئ (حتى إذا فَزَّعَ عن قلوبهم) بفتح الفاء. وقرئ (فُزّغ) بالغين وقرئ (فَرِغ) بالراء غير المعجمة وبالغين المعجمة وقرئ (فُرِغَ) وقرئ (فَزِع مخففا) . ففي قراءة فتح الفاء (حتى إذا فَزّع عن قلوبهم) ذكر أبو عبيدة (أي أذهب عن قلوبهم). وعند الفراء (كشف عنه الفزع) وعند الزجاج (كشف الله عن قلوبهم)[٣]. ومن قرأ (فَرّغ أراد فُرّغَ منها الفزع. من قولهم فَرِغَ الزاد إذا لم يبقَ منه شيء وأصله فرغ الوجل عنها: أي انتفى عنها وفني[٤]. وقرئ (فُرِغَ) بمعنى: كشف الله الفزع عنه[٥]. وقرئ (افرنقع) [٦] فمن بناه للفاعل(فَزّع) فالفاعل ضمير مستتر تحدده دلاله الضمير في (عن قلوبهم) فإن كان للملائكة فالفاعل لفظ الجلالة المضمر، وان كان الضمير للكفار فالفاعل يعود على مغويهم، وإضمار الفاعل لدلالة الحال عليه كثير واسع)[٧]. أما قوله تعالى " وهم من فزع يومئذٍ آمنون " النمل ٢٧/٨٩. جاءت فيها

---

(١) مختصر ف شواذ القران /٢٨ .والكشاف ١/٥٥٢. والجامع لأحكام القران ٥/٢٠٠ .
(٢) الجامع لأحكام القران ٥/٢٠٠ .
(٣) مجاز القران ٢/ ١٤٧ . ومعاني القران ٢/٣٦١ .ومعاني القران وإعرابه ٤/٢٥٣ .
(٤) تفسير غريب القران / ابن قتيبة /٣٥٦ والكشاف ٣/ ٢٨٨ .
(٥) جامع البيان / الطبري ٢٢ / ٩٢ .
(٦) مختصر في شواذ القران / ابن خالويه /١٢٢ .
(٧) المحتسب /ابن جني ٢/١٩٢ .

القراءات الآتية:

١- قرئ بالإضافة : (وهم من فزعِ يومئذ) من دون تنوين .

٢- قرئ بالتنوين : (وهم من فزعٍ يومئذ) ويتبع هاتين القراءتين اختلاف حركة (يوم) من (يومئذ) . فمع التنوين (من فزعٍ) كان في انتصاب (يومَ) ثلاثة أوجه ذكر الطبرسي (أحدهما أن يكون منتصبا بالمصدر كأنه قال: وهم من أن يفزعوا يومئذ . والآخر أن يكون (يوم) صفة لفزع .. وفي هذا الوجه أن يتعلق بمحذوف كأنه من فزع يحدث يومئذ . والثالث أن يتعلق باسم الفاعل كأنه آمنون من فزع يومئذ)[١]. أما على الإضافة فيكون (يوم) مجرورا بالإضافة من إضافة المصدر إلى مفعوله . أما من نصب وأضاف فقرأ (وهم من فزعِ يوَمئذ) جعل يومئذ مبنيا على الفتح[٢].

(وَجِلَ)

جاءت القراءة في " وَجِلتْ قلوبُهم " الانفال٣/٨ فقد قرئ (وَجَلت) بالفتح وهي لغة وفي قراءة عبد الله (فَرِقت) [٣]. وفي قوله تعالى " لا توجل " الحج ٣٥/٢٢ قرئ (لا تُوجل) بضم التاء و(لا تَواجل) بألف و (تاجل) [٤]. والفعل (وَجِل - يَوجَل) فيه لغات : تَوْجل وتِيجل وتَيْجل وتاجل) [٥]. جاء في الكشاف (لا تُوجل بضم التاء من أوجله يوجله إذا أخافه وقرئ لا تأجل ولا تواجل من واجله بمعنى أوجله) [٦].

---

(١) مجمع البيان ٢٥٥/٢٠ .

(٢) إعراب القران / أبو جعفر النحاس ٥٣٧/٢.

(٣) مختصر في شواذ / ابن خالويه /٤٨ .

(٤) نفسه /٧١ والكشاف ٣٩٢/٢ .

(٥) مختصر في شواذ /٧١ .

(٦) الكشاف / الزمخشري ٣٩٢/٢ واللسان ١٤/ ٢٤٨ مادة (وجل) .

(رَعَبَ)

لم يرد في القرآن الكريم من مادة (رعب) سوى المصدر . فلم يرد منها الفعل بأنواعه ولا الوصف من اسم فاعل ومفعول وصفة مشبهة ومبالغة وغيرها ولذلك اقتصرت القراءات التي وردت فيها هذه المادة على المصدر (الرعب) . ففي قوله تعالى " سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب " آل عمران ١٥١/٣. قرئ (الرعب) بسكون العين وضمها . ذكره الزمخشري ومكي والقرطبي والبنا[١] على أنهما لغتان فاشيتان)[٢]. وكذلك في قوله تعالى " سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب " قرئ (الرعب) بالتثقيل[٣]. أما في قوله تعالى " ولملئت منهم رعبا الكهف١٨ /١٨ فالظاهر مما ذكره الزجاج أن (رَعْباً ورُعُباً ورُعْباً) [٤] يمكن أن ترد بها القراءات أي أن هناك ثلاث صيغ هي (رَعبْا) فَعْلا و (رُعبُا) فُعُلا و (رُعْبا) فُعْلا . وعدت هذه الصيغ لغات . جاء في تهذيب اللغة (ونقول رَعَبت فلانا رَعْبا ورُعْبا لغتان) [٥]. إلا أن القراءتين الفاشيتين هما بإسكان العين أو ضمها أي بالتخفيف والتثقيل. وتتصل أمثلة صيغة (فُعُل) بالصيغة المخففة (فُعْل) كثيرا في الاستعمال القرآني ومنها (نُذُر) و (نُذْر) و (عُذُر) و(عُذْر) وغيرها كثير . وقد عدّ (القدماء أمثلة صيغة (فُعُل) متطورة عن صيغة (فُعْل) وفق قانون الإتباع . . فهما متداخلتان

---

(١) الكشاف ٤٧٠/١ والكشف عن وجوه القراءات ٣٦٠/١ والجامع لأحكام القران ١٤٩/٤ وإتحاف فضلاء البشر ٤٩٠/١ .

(٢) الكشف /مكي ٣٦٠/١ .

(٣) الكشاف ١٤٨/٢ .

(٤) معاني القران ٢٧٥/٣ .

(٥) الأزهري ٣٦٧/٢ .

كثيرا) [١]. إلا أن صيغة (فُعُل) بالتثقيل (من الصيغ القليلة الشيوع في العربية ولكنها كثيرة الشيوع في لغات سامية أخرى كالعبرية)[٢]. ويبدو من الجداول الإحصائية التي أوردتها الدكتورة وسمية عبد المحسن أن صيغة (فُعُل) بالتثقيل كان ورودها قليل بالقياس إلى أبنية المصادر الأخرى) [٣].

(فَشِل)

وردت القراءة (فَتَفشِلوا) بكسر السين وبالضم عن بعضهم فقيل : انه غير معروف وقيل بل هو لغة ثابتة[٤]. والمصدر (فَعَل) مطرد في الفعل اللازم من باب (فَعِل- يفعل) [٥].

(جأر)

وردت القراءة بتخفيف الهمزة وإلقائها ونقل فتحتها إلى الجيم فصار (يَجَرون) وقد نسبها ابن جني إلى الزهري . وقال (هذا في قوة القياس كقراءته أيضا (لكم فيها دِفء) .. ونظائره كثيرة قوية) [٦] .

---

(١) أبنية المصدر في الشعر الجاهلي /١٨٤و١٩٤

(٢) أبنية المصدر في الشعر الجاهلي / ١٩٤ نقلا عن أبنية المصادر في اللغتين العربية والعبرية ، رسالة دكتوراه ، دار العلوم / جامعة القاهرة ١٩٧٦ .

(٣) ينظر الجداول الإحصائية بصيغة (فُعُل)/٤٧٤ .

(٤) مختصر في شواذ القران /٥٠ والجامع لأحكام القران ١٧/٨ وإتحاف فضلاء البشر ٨٠/٢

(٥) أبنية المصدر في الشعر الجاهلي /١٨٥ .

(٦) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح / ابن جني ١٠/٢ والكشاف / الزمخشري ٥٣/٢ .

(نكص)

وردت القراءة بالضم في قوله تعالى " على أدباركم تنكصون " المؤمنون ٢٣/ ٦٦ بالضم ونسبت إلى ابن مسعود[١] .

(اثاقلتم)

وردت القراءة بالتاء (تَثاقلتم) ونسبت إلى الأعمش. كما وردت القراءة بالمد (آثاقلتم) على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ[٢]، ونسبت إلى أبي عمرو.

---

(١) مختصر في شواذ القران / ابن خالويه/٩٩ .

(٢) مختصر في شواذ القران/٥٣ والكشاف ٢/١٨٩ .

القسم الثاني

هذا هو القسم الثاني من الفصل الثالث . إذ يعرض هذا القسم لدلالة تلك الألفاظ في الاستعمال القرآني بعد الوقوف على دلالتها اللغوية المعجمية ودلالتها في الاستعمال اللغوي . والموازنة بن الاستعمال القرآني والاستعمال اللغوي ولاسيما الشعر الجاهلي من حيث التطابق والاختلاف . ثم الإشارة إلى خصوصية الاستعمال القرآني، وما خصّ بعض هذه الألفاظ بدلالات معينة . إن التنوع في الدلالة في استعمال هذه الألفاظ معتمد على دخولها في تركب معين وفي سياق خاص . إذ لا يكون هذا التنوع خارج التركيب والسياق .

(خاف)

ورد الخوف في الاستعمال القرآني على أكثر من معنى فقد ورد بمعنى العلم والظن والتوقع واليقين والتنقص. جاء في كتاب (منتخب قرة العيون) :الخوف : خاصة من خواص النفس يظهر عند المخوف، والخوف لما يستقبل والحزن لما فات والخوف في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : نفس الخوف ومنه في آل عمران ٣/ ١٧٠ " ألاّ خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون " وفى الأعراف ٧/ ٥٦ " ادعوه خوفا وطمعا ".

الثاني : العلم ومنه في البقرة ١٨٢/٢ " فمن خاف من موصٍ جنفا " وفيها " وإن خفتم ألا يقيما حدود الله " وفي النساء ٣/٤ " فان خفتم ألا تعولوا " وفيها " وإن امرأة خافت من بعها نشوزا " / ١٢٨. وفي الأنعام ٦/ ٥١ " وانذر به الذين يخافون " .

والثالث : الظن ومنه في البقرة ٢/ ٢٢٩ " إلا أنْ يخافا ألا يقيما حدود الله " .

والرابع : القتال ومنه في الأحزاب ٣٣/ ١٩ " فإذا جاء الخوف " " فإذا ذهب

الخوف ".

الخامس : النكبة تصيب المسلمين من قتل أو هزيمة ومنه في النساء ٤/ ٨ " أمرٌ من الأمن أو الخوف "[١]. وهناك معنى آخر لم يذكره (ابن الجوزي) وهو معنى (التنقص) وسنعرض له إن شاء الله .

وأغلب اللغويين والمفسرين يتفقون على معظم هذه المعاني، فالخوف بمعنى (العلم) ورد عند ابن قتيبة والطبري والزمخشري والطبرسي والقرطبي ففي سورة البقرة ٢/١٨٢ " فمن خاف من موصٍ جنفاً أو إثماً " . ذكر الزمخشري : (فمن خاف) فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون: أخاف أن ترسلَ السماءُ يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم[٢]. ويذكر الطبرسي (فمن خاف) وقيل علِمَ لان في الخوف طرفاً من العلم ، وذلك أن القائل إذا قال : أخاف أن يقع أمر كذا فكأنه يقول أعلم . وإنما خاف لعلمه بوقوعه)[٣]. وعند القرطبي (فمن خاف) قيل (علِمَ) [٤]. وفي الآية/٢٢٩ من السورة نفسها " إلا أن يخافا ألاّ يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما ". أي يعلمان أنهما لا يقيمان حدود الله[٥] . وفي سورة النساء ٤/٣ " وان خفتم ألاّ تقسطوا " أي فان علمتم أنكم لا تعدلون[٦].

---

(١) منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر / ابن الجوزي /١٠٥ .

(٢) الكشاف ١/٣٣٤ .

(٣) مجمع البيان ٢/١٠٨ .

(٤) الجامع لأحكام القران ٢/١٨١ .

(٥) تفسير غريب القران / ابن قتيبة /٨٨ . والجامع لأحكام القران / القرطبي ٣/٩١ .

(٦) تفسير غريب القران /١١٩ .

والآية /٣٤ " واللاتي تخافون نشوزهن" . واللاتي تعلمون نشـوزهن[١].
والآية/٣٥ من السورة نفسها " وان خفتم شقاق بينهما "[٢] وان علمتم شقاق بينهما .
والآية /١٢٨ " وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا " . أي علمت من زوجها نشوزا . وفي سورة الأنعام ٥١/٦ " وانذر به الذين يخـافون أن يُحشـروا " معناه يعلمون أنهم يحشرون . وفي سورة مريم ١٩/ ٤٥ " يا أبت إني أخـاف أن يمسك " يقول : يا أبت إني اعلم . والخوف في هـذا الموضـع بمعنـى العلـم[٣].
والخوف بمعنى الظن عند الطبرسي في الآية ٢٢٨ من سورة البقرة " إلاَّ أن يخافـا ألاّ يقيما حدود الله " فان خفتم : أي ظننتم أن لا يكون بينهمـا إصـلاح [٤]. وفـي سورة النساء الآية ٣/٤ " وان خفـتم ألاّ تقسـطوا . . " وقـال آخـرون (خفـتم) ظننتم[٥]. والآية /١٢٨ من السورة نفسها " وان امرأة خافت من بعلهـا نشـوزا أو إعراضا " خافت : أي علمت وقيل ظنّت[٦] .
والخوف بمعنى (اليقين) عند أبي عبيدة وعند الزجاج في قوله تعالى " إلاَّ أن يخافـا ألاّ يقيما حدود الله " البقرة ٢/ ٢٢٩. معناها : ألاّ يوقنا . وفي الآيـة نفسـها "وان خفتم " ها هنا فان أيقنتم[٧]. والآية /٢٣٩ من السورة نفسها " فان خفـتم فرجـالا

---

(١) جامع البيان /الطبري ٦١/٥ . ومجمع البيان / الطبرسي ٩٥/٥ والجامع لأحكام القران / القرطبي ١١٢/٥ .
(٢) جامع البيان / الطبري ٧٠/٥ ومجمع البيان / الطبرسي ٩٦/٥ .
(٣) جامع البيان / الطبري ٩٠/١٦ والجامع لأحكام القران / القرطبي ٧٥/١١ .
(٤) مجمع البيان ٢٣٤/٢.
(٥) الجامع لأحكام القران ١٠/٥ .
(٦) مجمع البيان / الطبرسي ٢٥٠/٥ .
(٧) مجاز القران ٧٤/١ ومعاني القران وإعرابه ٣٠٧/١ .

وركبانا " والخوف ها هنا بالتيقن لا بالظن[١] . وفي سورة النساء الآيتين ٣،٣٥ " وان خفتم " (أيقنتم)[٢] وكذلك في سورة هود ١١/ ٣ " فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير " وهذا الخوف ليس في معنى الشك بل هو في معنى اليقين)[٣] والخوف بمعنى (التوقع لم ذكر الزمخشري في قوله تعالى " وان امرأة خافت من بعلها " النساء ٤/ ١٢٨ (خافت من بعلها) توقعت منه ذلك وذكره القرطبي أيضا[٤].

وفي سورة الأنعام الآيتين ١٥،٥١ " إني أخاف " قيل معناه أوقن واعلم " والذين يخافون أن يحشروا " (يخافون) يتوقعون . وكذلك في سورة الأعراف ٥٩/٧ " إني أخاف "[٥] وجاء التخوف بمعنى التنقص في قوله تعالى " أو يأخذهم على تخوّف " النحل ٤٧/١٦ قال أبو عبيدة : على تنقص . وذكر الفراء : جاء التفسير بأنه التنقص وكذلك عند الزجاج وابن قتيبة والطبري والزمحشري والطبرسي والقرطبي وأبي حيان[٦].

أما عند اللغويين فقد ورد الخوف بالمعاني التي جاءت عند المفسرين وزاد عليها الخوف بمعنى الرجاء . جاء في كتاب الأفعال (وخفت الرجل أخوفه كنت أخوف منه، والشيء علمه وتيقنه. وخاف الشيء بمعنى رجاه (ضدّ) وتَخوّف الشيء

---

(١) تفسير غريب القران ١/ ٩٢ .

(٢) مجاز القران / أبو عبيدة ١/ ١١٤ و ١١٦ و ١٥٦ .

(٣) مجمع البيان /الطبرسي ١٢/ ١١٤ .

(٤) الكشاف ١/ ٥٦٨ والجامع لأحكام القران ٢٥٩/٥ .

(٥) الطبرسي ٧ /٢١ و ٨ /٨٨ والقرطبي ٦/ ٢٥٦ و ٦/ ٢٧٧ .

(٦) مجاز القران ١/ ٣٦٠ ومعاني القران ١٠١/٢ و ٣/ ٢٠١ وتفسير غريب القران /٢٤٣ وجامع البيان /١١٢ والكشاف ٤١٠/٢ ومجمع البيان ٧٩/١٤ والجامع لأحكام القران ١٠/ ٣٧ وتحفة الأريب /٩٤ .

تنقصه[١]. وجاء في كتاب الأضداد (يقال خاف يخاف خوفا من الفزع الذي لا يتيقن . وخاف يخاف خوفا إذا أيقن الشيء .. وقال قطرب والخوف أيضا بمعنى الرجاء)[٢]. وفي اللسان (والخوف العلم (فمن خاف من موصٍ) الآية (وإن امرأة خافت)[٣]. ومن اللافت للنظر أن هذه المعاني لا يذكرها الراغب الأصفهاني عندما يعرض لمادة (خاف) في القران).

ويبدو أن مجيء الخوف بهذه المعاني لا يكون مطردا في كل الاستعمال القرآني فقد جاء في آيات محدودة كان للسياق أثر واضح في تحديد هذه المعاني، وحمل الخوف عليها.جاء في تفسير الطبري في تفسير الآية ٣٤/٤ من سورة النساء " واللاتي تخافون نشوزهن " اختلف أهل التأويل فقال بعضهم معناه(واللاتي تعلمون نشوزهن) ووجه صرف الخوف في هذا الموضع إلى العلم في قول هؤلاء نظير صرف الظن إلى العلم لتقارب معنييهما إذ كان الظن شكا وكان الخوف مقرونا برجاء وكانا جميعا من فعل المرء بقلبه[٤]. فحمل الخوف على معنى العلم يكون لتقارب معنييهما بسبب من أنهما جميعا من فعل المرء بقلبه فهما من أفعال القلوب والمعاني النفسية التي تصدر عن المرء في حالات معينة . وقد يكون مرد ذلك إلى لغات العرب. جاء في تفسير الطبري (على تخوّف) وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء ... وقد ذكرنا عن الهيثم بن عَدي انه كان يقول: هي

---

(١) ابن القطاع ١/ ٣١٨ .

(٢) أبو الطيب اللغوي ٢٣٥/١ .

(٣) ١٠/ ٤٤٨ (خاف) .

(٤) جامع البيان ٦١/٥ .

لغة لأزد شنوءة[١]. ويذكر الزمخشري في معنى (تخوف) في قوله تعالى " أو يأخذهم على تخوف " عن عمر (رض) انه قال على المنبر ما تقولون فيها ! فسكتوا، فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا: التخوف التنقص . وإذا عدنا إلى الآيات التي حمل فيها (الخوف) على معنى العلم واليقين وجدنا أنها جاءت في المواضع التي تتناول موضوعا اجتماعيا يترتب عليه حكم شرعي فهي إما تكون في موضوع الوصية وأحكامها أو الطلاق وأحكامه أو الزواج بأكثر من واحدة وإحكامه من نشوز أو إعراض وغيرها من الموضوعات التي لا تقبل غير العلم واليقين . وهنا تعرض مسألة فيها شيء من لطافة المعنى، إذ إن حمل الخوف على العلم الغرض منه جمع معنيين في لفظ واحد إذ المقصود في ذلك الخوف بالعلم واليقين، أو العلم المشوب بالخوف والحذر، وتلك سمة من سمات التعبير القرآني غرضها الاتساع في المعنى.

(أنذَرَ)

ورد الفعل (أنْذَرَ) في الاستعمال القرآني للدلالة على معنى الحذر والخوف . جاء في الكشاف في تفسير قوله تعالى " فقل أنذَرتكم صاعقة " فصلت ٤١/ ١٣"فحذرهم أن تصيبهم صاعقة " وكذلك عند القرطبي (فأنذرتكم ، أي حذرتكم) وكذلك عند الطبرسي في قوله تعالى " إذ أنذرَ قومَه " الأحقاف ٤٦/ ٢١ " أي خوفهم بالله تعالى "[٢]. جاء في تهذيب اللغة (أنذرت القوم مسيرَ عدوهم إليهم فنذروا أي

(١) فسه ١٤/ ١١٢ .

(٢) الكشاف ٣/ ٤٤٧ ومجمع البيان ١٧/٢٦ و٣٠ /١٣٢ . والجامع لأحكام القران ٢٢٦/١٥ و٩٥/١٧ .

أعلمتم ذلك فنذروا أي علموا فتحرزوا) [١]. وجاء في اللسان (وأنذَرَهٌ بالأمر أعلمه . وانذرَه أيضا خوفه وحذره) [٢].

(يُنذِرُ)

ورد الفعل (ينذر) بدلالات كثيرة إلا أنها لا تخرج عن حقل الخوف والحذر والاحتراز والإعلام والإبلاغ . ففي معنى الخوف قوله تعالى " قل إنما أنذرُكم بالوحي " الأنبياء ٢١/٤٥ . جاء في تفسير الطبري (وأخوفكم به بأسه) وكذلك عند الطبرسي والقرطبي[٣]. وحمل الإنذار أيضا على معنى الخوف في سورة الأنعام ٦/١٣٠ و٩٠ . وفي الأعراف ٧/ ٦٣و ٦٩وفي سورة التوبة ٩/ ١٢٢وفى سورة إبراهيم ١٤/ ٥٢ والكهف / ١- ٢ ويس ٣٦/ ٦و ١١و ٧٠ والزمر ٧١/٣٩ [٤] . وعلى معنى الحذر في سورة الأعراف ٧/ ٦٣ عند الزمخشري (ليُنْذركم ولتتقوا) (ليحذركم عاقبة الكفر). وفي سورة الكهف ١٨/ ٤ ويُنْذر الذين قالوا اتَخذ اللهُ ولداً " عند الطبري (ويحذر أيضا محمدٌ القومَ) وكذلك عند الطبرسي في الآية نفسها . وفى سورة الأنبياء ٢١/ ٤٥ " قل إنما أنذركم بالوحي " عند القرطبي (أي أخوفكم وأحذركم بالقرآن) . وفى سورة فاطر ٣٥/ ١٨ " إنما تنذر الذين يخشون ربهم " عند الزمخشري (إنما تقدر إنذار هؤلاء وتحذيرهم) [٥]. وعند الزجاج بمعنى

---

(١) ١٤/٤٢٠ مادة (نذر).

(٢) ٧/٥٥ مادة (نذر).

(٣) جامع البيان ١٧/ ٣٢ ومجمع البيان ١٧/٣٠ والجامع لأحكام القران ١١/ ١٩٣.

(٤) مجمع البيان ١٩٧/٧ و٢٨٣ والكشاف ٨٦/٢ و٣٨٤ والجامع لأحكام القران ٢٥٣/٩ وجامع البيان ١٥/ ١٩٣ ومجمع البيان ١٨/١٥ والكشاف ٣٠٥/٣ ومجمع البيان ٣٨/٢٣والجامع لأحكام القران ١٨٥/١٥ .

(٥) الكشاف ٨٦/٢ وجامع البيان ١٩٣/١٥ مجمع البيان ١١٨/١٥ . والجامع لأحكام القران ١١/ ١٩٣ والكشاف ٣٠٥/٣ .

التذكر[١]. في قوله تعالى " لتنذر به " الأعراف ٢/٧ . وهو بمعنى العلم . جاء في تهذيب اللغة " أنذرتُ القومَ مسيرَ عدوهم إليهم فنذروا " أي أعلمتهم ذلك فنذروا أي علموا أو تحرزوا[٢]. وجاء في اللسان (ونَذِرَ بالشيء وبالعدو وبكسر الذال نذْراً علمه فحذره وأنذره بالأمر إنذاراً أعلمه)[٣]. إلا أن الثلاثي لم يرد في الاستعمال القرآني على معنى الخوف وإنما الذي ورد هو (أنذر) أما(نَذَر) فبمعنى أوجب في سورة مريم ٢٦/١٩ " إني نذرت للرحمن صوماً " وفي سورة البقرة ٢٧٠/٢ " أو نَذَرتم من نَذْرٍ " والنَّذر: أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر[٤]. (والإنذار الإبلاغ والإعلام ولا يكاد يكون إلا في تخويف يتسع زمانه للاحتراز . فان لم يتسع زمانه للاحتراز كان إشعارا ولم يكن إنذارا)[٥]. وفي اللسان (الإنذار الإبلاغ ولا يكون إلا في التخويف)[٦].

(نذير)

تعددت دلالة (نذير) في المواضع التي وردت فيها في الاستعمال القرآني بحسب السياق والمعنى . فقد جاء بمعنى المصدر (الإنذار) وجاء بمعنى (الرسول أو النبي) وجاء بمعنى اسم الفاعل (منذر) وجاء بمعنى (مخوف) وجاء بمعنى الشيب. جاء في معاني القرآن (كيف نذير) . (والنذير بمعنى الإنذار .. يريد إنذاري)[٧] وفي قوله تعالى " إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر " المدثر ٧٤/ ٣٦. قال الزجاج :(أي

---

(١) معاني القران وإعرابه ٢/ ٣١٥ .

(٢) تهذيب اللغة ٤٢٢/١٤ مادة (نذر).

(٣) تهذيب اللغة ٤٢٢/١٤ واللسان ٥٤/٧ (نذر).

(٤) مفردات ألفاظ القران /٧٩٧ .

(٥) الجامع لأحكام القران / القرطبي ١٢٩/١ .

(٦) ٧/ ٥٥٥٤ (نذر).

(٧) الفراء ٢٠٥/٣ و٤١٢/٢ وتفسير غريب القران / ابن قتيبة /٤٧٥ . والكشاف ١٨٦/٤ .

إنها لكبيرة في حال الإنذار) [١]. وفي قوله تعالى " إنما أنا لكم نذير مبين " الحج ٢٢ / ٤٩ . جاء في تفسير الطبري (يقول أبيّن لكم إنذاري)[٢]. وفي قوله تعالى هـذا نذير من النذر الأولى " النجم ٥٣/ ٥٦ (أي إنذار من جنس الإنذارات الأولى) [٣] . وفي قوله تعالى " إن أنا إلاّ نذير مبين " الشعراء ١١٥/٢٦. جاء في الكشاف (ما علي إلا أن أنذركم إنذارا بيناً بالبرهان) [٤] وبمعنى (منذر) ففي قوله تعالى " إنما أنت نذير " هود ١٢/١١ أي منذر[٥]. وفي قوله تعالى " ليكون للعالمين نذيرا " الفرقان ٢/٢. النذير : المخوف من عذاب الله[٦]. ودلالة (نذير) عند الطبرسي هي (مخوف) في الغالب . وبمعنى (النبي) أو الرسول في قوله تعالى وجاءكم النذير (فقال بعضهم عنى به محمدا وقيل عنى به الشيب) [٧]. وجاء في تهذيب اللغة (وقال الله جل وعز (جاءكم النذير) ٣٧/٣٥ قال أهل التفسير : (يعني النبي صلى الله عليه وسلم .. وقال بعضهم النذير هنا : الشيب).

وقوله جل وعز " كيف نذيرِ " معناه : كيف كان إنذاري .. والاسم من الإنذار النذير لقوله " إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب " تأويله إنما ينفع إنذارك[٨].

---

(١) معاني القران وإعرابه ٢٤٩/٥ .

(٢) جامع البيان ١٧/ ١٨٥ والكشاف ٢٠٩/٣.

(٣) الكشاف ٣٥/٤ .

(٤) الكشاف ١٢١/٣ ومجمع البيان / الطبرسي ١٣١/٢٣ والجامع لأحكام القران / القرطبي ٢٢٥/١٤ .

(٥) الطبري ٨٦/١٨ و ٢١١/٢٢ -٢٥٢ و ٩/٢٩ والطبرسي ١٢١/١٢- ٥٣ و١٠٥/١٥ .

(٦) معاني القران وإعرابه /الزجاج ٥٧/٤ .

(٧) جامع البيان ١٤٢/٢٢-١٤٤ والكشاف ٣١٠/٣ ومجمع البيان ١١٤/١٩ والجامع لأحكام القران ٢٢٨/١٤ .

(٨) تهذيب اللغة ١٤/ ٤٢٠ (نذر).

وفي أساس البلاغة (فستعلمون كيف نذيرِ) أي إنذاري(١). وفي اللسـان (وأنذرتـه إنذارا ونذيرا والجيد أن الإنذار المصدر والنذير الاسـم (كيـف نـذيرِ) إنـذاري. والنذير : المحذّر فعيل بمعنى مُفعِل والجمع نُذُر . وقوله عز وجل " وجاءكم النذير " قال ثعلب هو الرسول وقال أهل التفسير يعني النبي (ص) ، كما قال عز وجـل " إنّا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا " وقال بعضهم النذير ههنا الشيب(٢). وفي تحفـة الأريب (نذير محذّر) (٣). وفي الفرق بين الحروف (والنذير: المنذر. والنذير أيضا الإنذار) (٤).

(مُنذر)

ترد لفظة (منذر) في الاستعمال القرآني لتدل على معـان متنوعـة منهـا معنـى (مخوّف) أو (مُعْلم) أو (مذكّر) أو (محذّر) أو بمعنى (رسول) . ففي قوله تعـالى " إنما أنت منذر " الرعد ٧/١٣ جاء في الكشاف (أنت رجل أرسلت منذرا ومخوّفـا) وكذلك عند الطبرسي(٥). أما عند القرطبي فهو بمعنى (مُعْلم) (٦). وفي قوله تعالى " وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون " الشعراء ٢٠٨/٢٦ . جاء في معاني القـرآن وإعرابه (لان قوله (إلا لها منذرون) معناه إلا لهـا مـذكّرون) وكـذلك عنـد الزمخشري (لان أنذر وذكّر متقاربان فكأنه قيل (مذكّرون) (٧). وفي قوله تعـالى " ولقد أرسلنا فيهم منذرين" الصافات٣٧/٣٢ جاء في الكشـاف (منـذرين : أنبيـاء

---

(١) الكشاف ٤٣٣/٢ .

(٢) اللسان ٥٥/٧ مادة (نذر).

(٣) أبو حيان /٢٦٠ .

(٤) الفرق بين الحروف الخمسة /ابن السيد البطليوسي /١٤٥ .

(٥) الزمخشري ٣٥٠/٢ ومجمع البيان ١٤٦/١٣ .

(٦) الجامع لأحكام القران ١٨٨/٩ .

(٧) الزجاج ١٠٢/٤ والكشاف ١٣٠/٣ .

حذروهم العواقب) وعند الطبرسي في قوله تعالى " ولّوا إلى قومهم منذرين " الأحقاف ٤٦/ ٢٩ (أي محذرين إياهم عذاب الله) [١] وبمعنى (رسول) عند الزمخشري[٢] في قوله تعالى " وعجبوا أن جاءهم منذر منهم " ص ٣٨/٤. وفي كتب اللغة: منذر بمعنى مُعْلم جاء في تهذيب اللغة (الإنذار الإعلام بالشيء الذي يحذر منه وكل منذر مُعْلم وليس كل مُعْلم منذرا) [٣]. وجاء في اللسان (والمنذر): المُعْلم الذي يعرف القوم بما يكون قد دهمهم من عدو وهو المخوف أيضا[٤].

وفي ضوء ذلك يتبين أن مادة (أنْذَر) تجمع كل هذه المعاني فهي من ألفاظ حقل الخوف لكنها تتميز من غيرها من ألفاظ هذا الحقل بكونها تدل على الخوف الذي فيه معنى الحذر والإعلام والتحرّز . ولذلك نجدها تكثر في السور المكية إذ تتلاءم مع طبيعة هذه السور التي يشيع فيها التخويف والتحذير والإنذار والإعلام والإبلاغ.

(نذر)

وردت كلمة (النُذُر) في الاستعمال القرآني على دلالات متنوعة منها بمعنى (الإنذار) وهو المعنى الشائع لدى المفسرين، قال الفراء في قوله تعالى " فكيف كان عذابي ونُذُر " القمر ٥٤/١٦ . النُذُر هاهنا مصدر معناه : فكيف كان إنذاري . وقال في قوله تعالى " عُذْرا أو نُذْرا " المرسلات ٧٧/ ٥ : وهو مصدر مخففا كان أو مثقلا[٥]. وهي عند الزجاج كذلك وابن قتيبة والزمخشري والطبرسي

---

(١) الكشاف ٣٤٣/٣ . ومجمع البيان ٢١/٢٦ .

(٢) الكشاف ٣٦٠/٣ .

(٣) الأزهري ٤٢٢/١٤ (نذر).

(٤) اللسان ٥٥/٧ .

(٥) معاني القران ١٠٧/٣ و٢٢٢.

والقرطبي[١]. وترد بمعنى الرسل والأنبياء فتكون جمعاً لنذير . ففي قوله تعالى " كذبت ثمود بالنُذُر" وقوله تعالى " كذبت قومُ لوطَ بالنُذُر " ٢٣/ ٣٣. يقول الزمخشري (النذر: موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء) وكذلك عند الطبرسي والقرطبي[٢]. وترد جمعاً لـ(نذيرا) الذي معناه الإنذار . ذكره ابن قتيبة والزمخشري والقرطبي . جاء في تفسير غريب القرآن " فكيف كان عذابي ونُذُر " القمر ٩٤/ ١٩-٣٠ . جمع نذير . ونذير بمعنى الإنذار وجاء في الكشاف (وجمع نذير بمعنى الإنذار) وجاء في الجامع لأحكام القرآن (وقيل نُذُر جمع نذير . ونذير بمعنى الإنذار كنكير بمعنى الإنكار) [٣] وترد بمعنى اسم الفاعل (ناذراً أو منذراً) جاء في الكشاف " عذراً أو نذراً " المرسلات ٥/٧٧ (بمعنى عاذرين أو منذرين) وكذلك عند مكي بن أبي طالب والطبرسي جمع عاذِر ناذر أو المُنذر كما أن الأليم بمعنى المُؤلم) [٤]. وترد بمعنى الزواجر المخوّفة عند الطبرسي(وقيل النذر هي الزواجر المخوّفة) [٥] . وفي تهذيب اللغة (ويقال أنذرته إنذارا ونُذُراً . والنُذُر جمع النذير وهو الاسم من الإنذار). وجاء في اللسان (والصحيح أن النُذُر الاسم والإنذار المصدر)[٦] . وفي هذا الاستعمال القرآني يبدو أن كل هذه المعاني والدلالات مرادة . فهو لفظ واحد لكن دلالته المتنوعة محتملة إذ يمكن أن يكون المراد هو المصدر (الإنذار) ويمكن أن يكون المراد الاسم وهو (النذير) أو المُنذر

---

(١) معاني القران وإعرابه ٢٦٦/٥ وتفسير غريب القران /٥٠٥ والكشاف ٢٠٢/٤ ومجمع البيان ٧٣/٢٧ والجامع لأحكام القران ١٧/ ٨٧ .

(٢) الكشاف ٤٠/٤ ومجمع البيان / الطبرسي ٧٣/٢٧ والجامع لأحكام القران /القرطبي ٧٦/٢٧

(٣) ابن قتيبة /٤٣٢ والزمخشري ٢٠٢/٤ والقرطبي ٨٧/١٧ .

(٤) الزمخشري ٢٠٢/٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ٣٥٧/٢ ومجمع البيان ١٥٥/٢٩ .

(٥) مجمع البيان ٦٦/٢٧ .

(٦) تهذيب اللغة / الأزهري ٤٢٠/١٤ واللسان ٥٥/٧ (نذر).

أو الناذر. وإيراد اللفظ على صيغة معينة تحتمل أكثر من معنى ودلالة وارد في الاستعمال القرآني منه ما ذكره الأستاذ محمود أحمد نحلة (إنك تجد عدداً من الألفاظ يستعمل بوزنه الصرفي أكثر من صيغة فإذا التمست في المقام أو سياق الكلام ما يصرفك إلى صيغة واحدة من الصيغ.. لم تجد إلى ذلك سبيلا، وهذا نوع من اللبس الحاذق والمقصود.. منه قوله تعالى (إن يومَ الفصلِ كان ميقاتاً) النبأ ٧٨ / ١٧ فميقات وزنها الصرفي مِفْعَال وما يسبق إلى الذهن أنها اسم آلة على وزن مفعال أو أنها صيغة مبالغة . ولكنها ليست هذا ولا ذاك بل هي كلمة بمعنى الوقت تحتمل المصدرية والظرفية الزمانيّة مع أنها ليست على وزن قياسي لأي منهما . ومثله لفظة (المرصاد) النبأ ٧٨/٢١ مِفعال أيضا يصلح أن يكون آلة رصد وصيغة مبالغة[1].

(خشِيَ)

وردت الخشية بمعنى العلم والظن والكراهة والإجلال والتعظيم والاستحياء . ولا تظهر هذه المعاني إلا في أثناء السياق . فقد جاءت الخشية بمعنى العلم في قوله تعالى " فَخشِينا أن يرهقهما طغيانا وكفراً " الكهف ١٨/٨٠ . جاء في تفسير الطبري (والخشية والخوف توجههما العرب إلى معنى الظن وتوجه هذه الحروف إلى معنى العلم بالشيء الذي يدرك من غير جهة الحس والعيان)[2]. وجاءت الخشية بمعنى الكراهة في الآية نفسها جاء في تفسير الطبري (وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: معنى قوله (خشينا) في هذا الموضع: كرهنا. لأن

---

(١) لغة القران الكريم في جزء عم /٤٣٨ .

(٢) جامِع البيان ٣/١٦ ومعاني القران / الفراء ٢/١٥٧ وتأويل مشكل القران /ابن قتيبة /١٤٦ ومجمع البيان / الطبرسي ١٥/١٩٤ والجامع لأحكام القران /القرطبي ١١/٣٦ .

الله لا يخشى[١]. وفي قراءة عمر بن عبد العزيز " إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ " فاطر ٣٥/ ٢٨. جاءت الخشية بمعنى الإجلال والتعظيم قال الزمخشري (والمعنى إنما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده)[٢]. وفي قوله تعالى " وتخشى النــاسَ واللهُ أحــقٌّ أن تخشــاه " الأحــزاب ٣٣/٣٧ . جاءت الخشية بمعنى الاستحياء. يقول الفراء (وتخشى النــاس : يقــول تستحي من الناس، (والله أحق) أن تستحي منه)[٣].

(حزن)

يرد الفعل (يحزن) ومصدره (الحزن) في الاستعمال القرآني بدلالات متنوعة إذ يرد بمعنى (يُهِمّ) أو الهم وبمعنى (يخاف) أو الخوف المشوب بالحزن ، ويــرد بمعنــى الألم والأسى والغم والبكاء . وهذه المعاني كلها يجمعها معنى الخوف ففــي قولــه تعالى " ولا تخافي ولا تحزني " القصص ٢٨/٧. يقول الزمخشري(فان قلــت مــا الفرق بين الخوف والحزن قلت : الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع . والحزن غــم يلحق لواقع[٤]. فالخوف والحزن كلاهما غمّ يصيب الإنسان وفي قوله تعالى " ومن [illegible] " لقمان ٣١/ ٢٣. قال الزمخشري (المعنى لا يهمَّنــك كفــر من كفر)[٥]. وجاء في مجمع البيان في قوله تعالى " قال إني ليحزننــي " يوســف ١٢/ ١٣ أي يغمّني . وفي قوله تعالى " فلا يحزنْك " لقمان ٣١/٢٣ أي لا يغمّــك

---

(١) جامع البيان ١٦/٣ ومعاني القران وإعرابه / الزجاج ٣٠٥/٣ ومجمع البيان /الطبرسي ١٩٤/١٥ والجامع لأحكام القران / القرطبي ١١/ ٣٦ .

(٢) الكشاف ٣/ ٣٠٨ والجامع لأحكام القران / القرطبي ١٤/ ٢٤٣ .

(٣) معاني القران ٢/ ٣٤٣ والقرطبي ١٩٠/١٤ .

(٤) الكشاف ١٦٥/٣ .

(٥) نفسه ٢٣٥/٣ و٣١٠و ٣٣٠و٣٣٥ .

ذلك [١]. وفي قوله تعالى " إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا " التوبة ٩/٤٠ . يقول الطبري (إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لصاحبه أبي بكر (لا تحزن وذلك انه خاف من الطلب أن يعلموا مكانهما . فقد نصره الله على عدوه وهو بهذه الحال من الخوف). وفي الآية نفسها يقول ابن قتيبة (المذعور صاحبه فأنزل الله السكينة) وكذلك عند الطبرسي ولا تحزن . أي لا تخف . وعند القرطبي أيضا (لأنه خاف على النبي صلى الله عليه وسلم من القوم فأنزل الله سكينته عليه بتأمين النبي (صلى الله عليه وسلم) فسكن جأشه وذهب روعه وحصل الأمن) [٢] . وفي قوله تعالى " فناداها من تحتها أن لا تحزني " مريم ١٩/٢٤ يقول الطبري (قالت : وكيف لا احزن وأنت معي لا ذات زوج فأقول من زوج ولا مملوكة . فأقول من سيدي ، أي شيء عذري عند الناس) [٣]. فقوله (كيف لا احزن) بمعنى كيف لا أخاف وهذا أمري ولذلك من شدة خوفها تمنّت الموت " يا ليتني مِتّ قبلَ هذا وكنتُ نسياً منسيّاً " مريم١٩/٢٣. وفي قوله تعالى " الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن " فاطر ٣٥/٣٤ يقول الطبري (اختلف أهل التأويل في (الحَزَن) فقال بعضهم. ذلك الحزن الذي كانوا فيه قبل دخولهم الجنة من خوف النار إذ كانوا خائفين أن يدخلوها .. وقيل أبكاهم الخوف من النار.. وخوف دخول النار من الحزن. والجزع من الموت من الحزن والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن ولم يخصص الله إذ اخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحَزَن عنهم ، نوعا دون نوع) [٤].

---

(١) الطبرسي ١٢/٢٥ و ٢١/٦٢ .

(٢) جامع البيان ١٠/١٣٦ وتفسير غريب القران /١٨٦ ومجمع البيان ١٠/٦٤ والجامع لأحكام القران ٨/٩٥ .

(٣) جامع البيان /الطبري ١٦/٦٨ .

(٤) جامع البيان / الطبري ٢٢/١٣٨ .

وفي الآية نفسها قال الطبرسي (وقيل يعنون الحزن) الذي أصابهم قبل دخول الجنة لأنهم كانوا يخافون دخول النار) [١]. وفي الآية نفسها يقول الرازي (أي أذهب عنا ما كنا فيه من الخوف والإشفاق في الدنيا) [٢]. فهذا كله في معنى الخوف الذي تسبب في إثارة الحزن في النفس يقول الزمخشري في قوله تعالى " فلا يحزنك الذين يسارعون في الكفر " آل عمران ٣/ ١٧٦. معناه ولا يحزنك الخوف أن يضروك ويعينوا عليك[٣]. وفي قوله تعالى " فرجعناك إلى أمّك كي تَقرّ عينُها ولا تحزن " طه ٤٠/٢٠ يقول الطبري (وكَيلا تحزن عليك من الخوف من فرعون عليك أن يقتلك) [٤] .وفي الآية نفسها يقول الطبرسي (ولا تحزن) من خوف قتله أوغرقه وذلك أنها حملته إلى بيتها آمنة مطمئنة[٥]. وفي قوله تعالى " لا يحزنهم الفزع الأكبر " الأنبياء ١٠٣/٢١ يقول الطبري (وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر وأمِن منه فهو مما بعده أحرى أن لا يفزع) [٦].

ويجيء الحزن بمعنى الأسى . ففي قوله تعالى " ولا تَهِنوا ولا تَحزنوا " آل عمران ١٣٩/٣ يقول الطبري (ولا تحزنوا: ولا تأسوا فتجزعوا على ما أصابكم)[٧].

ويجيء الحزن بمعنى الألم ففي قوله تعالى " وأعينهم تفيض من الدمع حَزَناً " التوبة ٩٢/٩ يقول الطبري (والحزن : ألم في القلب بفوتِ أمرٍ . . أي يبكون للحزن أي رجعوا عنك وأعينهم تسيل بالدمع لحزنهم) [٨]. ويجيء بمعنى البكاء ففي قوله تعالى

---

(١) مجمع البيان ٢٤٥/٢٢ .

(٢) التفسير الكبير ٢٩/٣ .

(٣) الكشاف ٤٨٢/١ .

(٤) جامع البيان ١٦٢/١٦ .

(٥) مجمع البيان ١٦٢/١٦

(٦) جامع البيان ٩٨/١٧ .

(٧) جامع البيان ١٠٢/٤ .

(٨) نفسه ١١٨/١٠ .

" وابيضّتْ عيناه من الحزن " يوسف ١٢/ ٨٤ يقول الطبرسي (والبكاء ولما كان البكاء من أجل الحزن أضاف بياض البصر إليه) [١] .ودلالة الحزن على الخوف تفترق عنه بالزمن . جاء في كتاب التعريفات (الحزن عبارة عما يحصل لوقوع مكروه أو فوات محبوب في الماضي[٢]. وقد فرق المفسرون بهذه الدلالة الزمنية بين الخوف والحزن . ففي قوله تعالى " ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " البقرة ٢/ ٢٦٢ يقول الطبري (لا خوف عليهم عند مقدمهم على الله وفراقهم الدنيا ولا في أهوال القيامة . ولا هم يحزنون على ما خلّفوا وراءهم في الدنيا) [٣]. فقوله عند (مقدمهم) دلالة على الاستقبال وقوله (وراءهم) دلالة على الماضي . وفي قوله تعالى " لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم " آل عمران ٣/ ١٥٣. دليل على ارتباط دلالة المضي بالحزن . يقول الطبري (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم فلم تدركوه)[٤]، ويؤكد الطبرسي هذا الارتباط في قوله تعالى " ألا تخافوا ولا تحزنوا " فصلت ٤١/ ٣٠(وقيل إن الخوف يتناول المستقبل والحزن يتناول الماضي وكان المعنى لا تخافوا فيما يستقبل من الأوقات ولا تحزنوا على ما مضى) [٥].

(راب)

تتوزع دلالة الريب بحسب السياق الذي يرد فيه أولاً وبحسب صيغته من حيث كونه مصدرا أو فعلا أو وصفا . جاء في الكشاف (الرِيبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين)[٦]. وجاء في الجامع لأحكام القرآن (وفي الريب ثلاثة معان

---

(١) مجمع البيان ١٣/١٠٦ .

(٢) الشريف الجرجاني /٧٦ .

(٣) جامع البيان ١/٣٢٠ و ٣/٦٢ .

(٤) نفسه ٤/١٣٨ .

(٥) مجمع البيان ٢٣/٢٠٠ .

(٦) الزمخشري ٢/٢٧٨ .

أحدهما: الشك وثانيهما: التهمة وثالثهما: الحاجة) [١]. وجاء في البحر المحيط (وحقيقة الريب قلق النفس .. فان الشك رِيبة وان الصدق طمأنينة) [٢]. فدلالة الريب القلق وعدم الطمأنينة وهذا كله من معاني الخوف وليس هو بمعنى الشك تماما إنما هو شعور نفسي فيه خوف وقلق وشك .

والسياق هو الذي يغلّب صفة على صفة إذ نجده عند المفسرين مرة بمعنى الشك ففي قوله تعالى " ليوم لا ريب فيه " عند أبي عبيدة لا شك فيه وكذلك عند ابن قتيبة والزجاج وعند الطبرسي وعند القرطبي[٣]. وفي قوله تعالى " لا يزال بنيانُهم الذي بَنوا رِيبةً في قلوبِهم " يقول الزجاج (قال بعضهم لا يزال كفراً) [٤] وعند الطبرسي (حسرة في قلوبهم) وعند القرطبي (شكاً في قلوبهم ونفاقاً. وقال الكلبي: حسرةً وندامةً . . وقال السدي وحبيب والمبرد: (رِيبة) أي حزازةً وغيظاً)[٥]. وتأتى دلالة (مُريب) بمعنى (شاكّ) أو (مُتّهم). ففي قوله تعالى " معتدٍ مريب " ق ٥/٢٥ ذكر الطبرسي (مريب أي شاكّ في الله وقيل مُتّهم يفعل ما يرتاب بفعله) [٦]. وتأتى دلالة (ارتابتْ قلوبهُم) و (إن ارتبتم) (ثم لم يرتابوا) فعند الزجاج (ارتبتم) غلبتم الشك على اليقين[٧]. وعند الزمخشري (إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن) [٨].

---

(١) القرطبي ١/١١٢ .

(٢) أبو حيان ١/٣٣ .

(٣) مجاز القران ١/٢٩ وتفسير غريب القران /٣٩ ومعاني القران وإعرابه ٢/٤٧٠ ومجمع البيان ١١/٥٠ والجامع لأحكام القران ٦/٢٥٥ .

(٤) معاني القران ٢/٤٧٠ .

(٥) مجمع البيان ١٠/١٤٥ والجامع لأحكام القران ٨/١٦٩ .

(٦) مجمع البيان ٢٦/١١ .

(٧) معاني القران ٥/١٢٥ .

(٨) الكشاف ٤/ ١٢١ .

وعند الطبرسي (إن ارتبتم) (شككتم وخَشِيتم) [١]. وعند القرطبي (ثم لم يرتابوا) (أي صدقوا ولم يشكوا) وتقول رابني هذا الأمر إذا أدخل عليك شكاً وخوفاً[٢]. وقد عدّه القرطبي من الأضداد فقد ذكر في قوله تعالى " إن ارتبتم " الطلاق /٤ (أي شككتم وقيل تيقنتم وهو من الأضداد يكون شكاً ويقيناً كالظن) [٣]. ويلاحظ أن الاستعمال القرآني لم يستعمل مادة (قَلِقَ) وتصريفاته إذ لم يرد في الاستعمال القرآني. ومثله الفعل (شَكّ) فلم يرد في الاستعمال القرآني أيضا. ويبدو أن المصدر(رَيْب) ناب عن المصدر(قلق) وان الفعل (ارتاب) ناب عن الفعل (شكّ) ولذلك فسّر(الريب) بأنه قلقٌ وشكٌ وخوفٌ. جاء في تهذيب اللغة (ورابني أمرُه يريبني. أي أدخلَ علَيّ شكاً وخوفاً)[٤]. وجاء في اللسان (قال الأصمعي اخبرني عيسى بن عمر انه سمع هذيلا تقول أرابني أمرُه . وأراب الأمر صار ذا ريب . . . وأمر ريابٌ مفزع ورابني أمره أي أدخل عليّ شراً أو خوفاً) [٥].وفي كتاب الأفعال (رابني الشيء ريباً وارابني خوّفني وشكّكني) [٦].

(يرجو)

يعد الرجاء في الاستعمال القرآني من ألفاظ الخوف ولذلك جاء في استعماله محدودا إذ لم يرد منه سوى الفعل المضارع والأمر. وأغلب المواضع التي ورد فيها كان بمعنى الخوف. فعند الفراء لا يكون الرجاء بمعنى الخوف إلا إذا كان مسبوقاً بالنفي (ولم نجد معنى الخوف يكون رجاء إلاّ ومعه جحدٌ فإذا كان كذلك كان الخوف على

---

(١) مجمع البيان ٢٥٦/٧ .

(٢) مجمع البيان ١١٢/١ و ٢٢٦/١٦ .

(٣) الجامع لأحكام القران ١٣٣/١ و ٣٣٨/١٦ .

(٤) الأزهري ٢٥٣/١٥ (راب) .

(٥) اللسان ٤٢٧/١ مادة (راب) .

(٦) الأفعال /ابن القطاع ٥٩/٢ .

جهة الرجاء والخوف. وكان الرجاء كذلك)[١]. فلا يجوز: رجوتك وأنت تريد: خفتكَ ولا خفتكَ وأنت تريد رجوتك[٢]. وعند أبي عبيدة يكون الرجاء بمعنى الخوف مطلقاً إذ لا يشترط معه جحدا. فقد فسّر الرجاء بمعنى الخوف في قوله تعالى العنكبوت ٢٩/٥ " من كان يرجو لقاء الله " ولم يسبق بنفي. وكذلك قوله تعالى " وارجوا اليوم الآخر " العنكبوت ٢٩/ ٣٦. وهو فعل أمر وكذلك قوله تعالى " الذين لا يرجون لقاءنا " يونس١٠/٧ وهو منفي[٣]. ومثله عند ابن قتيبة إذ فسّر الرجاء بمعنى الخوف مطلقاً دون شرط الجحد وعند الطبري يكون الرجاء بمعنى الخوف سواء أسبق بنفي أم لم يسبق . ففي قوله تعالى " فمن كان يرجو لقاءَ ربه " الكهف ١٨/١١٠ . يقول الطبري (فمن خاف ربه يوم القيامة) ولم يسبق الفعل (يرجو) بنفي ، ومثله في الآية /٢١ من سورة الفرقان والآية/٣٦ من سورة العنكبوت إلا أنه ينبه على أن صرف الرجاء إلى معنى الخوف غير معروف في كلام العرب إلاّ مع جحد سابق له[٤]. ولكنه يصرفه إلى معنى الخوف دون شرط الجحد كما انه يصرح بأنها لغة لأهل الحجاز .

وعند الزمخشري يكون الرجاء بمعنى الخوف على أحد معنيين يذكرهما معاً ولا يرجح أحدهما. وهذه طريقته في تفسير الرجاء أينما ورد في القرآن الكريم، ففي سورة يونس١٠/٧ " إنّ الذين لا يرجون لقاءنا " يقول الزمخشري (لا يتوقعون أصلا.. أو لا يأملون حسن لقاءنا .. أو لا يخافون) ومثله في سورة الاسراء١٧/٥٧

---

(١) معاني القران ٢٨٦/١ .

(٢) نفسه ٢٨٦/١ .

(٣) مجاز القران ٢٧٥/١ و٧٣/٢، ١١٣، ١١٥، ٢١٠، ٢٧١، ٢٧٥.

(٤) جامع البيان ٢٦٤/٥ و٨٧/١١ و ٣٩/١٦ و١/١٩ و١٤٩/٢٠ .

والكهف ١١٠/١٨ والفرقان ٤٠/٢٥ والعنكبوت ٥/٢٩ و٣٦ والأحـزاب ٢١/٣٣ ونوح ١٣/٧١[١].

وعند الطبرسي يأتي الرجاء بمعنى الخوف على الاحتمال إذ يقول في تفسير قولـه تعالى " وترجون من الله ما لا يرجون " (والرجاء قد يستعمل بمعنـى الخـوف ... وإنما استعمل على معنى الخوف لان الرجاء أمل وقد يخاف ألا يتم) . وفي سورة يونس الآية /٧ " إنَّ الذين لا يرجون لقاءنا " يقول الطبرسي (ويحتمل أن يكـون المعنى لا يخافون عقابنا) ومثل ذلك قوله في الآية/١١٠ من سورة الكهف والآيتين ٤٠،٢١ من سورة الفرقان . والآيتين ٥، ٣٦ من سورة العنكبوت والأحزاب/٢١ والجاثية /١٤ والممتحنة/٦ ونوح/١٣ والنبأ/ ٢٧ [٢].

وعند القرطبي يأتي الرجاء بمعنى الخوف بعد أن يذكر معنى الطمـع أو الأمـل . ويأتي به مسبوقاً بقوله (وقيل ...) أو (وقد يكون ...) إلاّ أنه في مواضـع كثيـرة يذكره وحده ففي قوله تعالى (قال الذين لا يرجون لقاءنا) يـونس ١٥/١٠. يقـول (يعني لا يخافون يوم البعث) كما انه لا يلتزم شرط الجحد الذي يقول بـه الفـراء . فينقل لنا (لا يبعد ذكر الخوف من غير أن يكون في الكلام نفي) [٣].

ويبقى الزجاج والرازي على شكّ في مجيء الرجاء بمعنى الخوف . أمـا الزجـاج فمرة يفسر (لا يرجون) بـ(لا يؤمنون) [٤] . ومرة يذكره بمعنى الخوف مسـبوقاً بكلمة (قيل) أو بعد (قال بعضهم) ففي سورة الكهف ١١٠/١٨ " فمن كـان يرجـو لقاء ربه " يقول : قال بعضهم معناه فمن كان يخاف لقاء ربه . وفي سـورة نـوح

---

(١) الكشاف ٤٥٤/٢ و ٥٠١ و ٩٣/٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٥٦، و١٦٣/٤ .

(٢) مجمع البيان ١٠٤/٥ و ١٦/١١ و٢١٧/١٥ و٩٨/١٩ - ١٠٧ و٣٣٧/٢٠ ، ٣٦٠، و١٢٢/٢١ و ١٤٣/٢٣ ، ١٣٠/٢٤، و٤٨/٢٨ و٦٥/٢٩ و٣٠/١٠ .

(٣) الجامع لأحكام القران ٢٠٣/٨ و ٣٤/١٣ ، ٣٢٧، ٣٤٣ .

(٤) معاني القران وإعرابه ١٠/٣ و٢٧٤/٥ .

١٣/٧١ " مالكم لا ترجون لله وقارا يقول (قيل : مالكم لا تخافون لله عظمـــة)[١]. ويظهر تردده في ذلك صراحة في تفسيره الآية / ٤٠ من سورة الفرقـــان إذ يقـــول (قيل لا يخافون ما وعدوا به من العذاب . . . والذي عند أهل اللغة أن الرجاء ليس على معنى الخوف ، هذا مذهب من يرفع الأضداد وهو عندي الحق). وفي موضع آخر يقول (فالخوف ضد الرجاء وليس في الكلام ضد)[٢]. وسنعرض لمناقشة هــذا الرأي عند التطرق إلى رأي اللغويين في معنى الرجاء . أما الرازي فعنـــده يكـــون الرجاء بمعنى الخوف على ضعف ، إلا أنه لا يثبت على هذا الرأي إذ نـــراه فـــي موضع آخر يقول (وتفسير الرجاء بالخوف جائز) ويقول في موضع آخر (ووضـــع الرجاء موضع الخوف لغة تهامية) وفي موضع آخر يسوغ حمل الرجاء على معنى الخوف ويقول (ومعلوم أن من لا يرجو ذلك لا يخاف العقاب أيضا) فالخوف تـــابع لهذا الرجاء) لكنه يقول في تفسير الآية/٧ من سورة يونس " إنّ الـــذين لا يرجـــون لقاءنا " واعلم أن حمل الرجاء على الخوف بعيد لان تفسير الضد بالضد غير جائز – ولا مانع هنا من حمل الرجاء على ظاهره البتة[٣]. ويبدو من خلال هذا العرض أن اغلب المفسرين لا ينكرون حمل الرجاء على معنى الخـــوف فـــي الاســـتعمال القرآني وهذا يسنده الاستعمال اللغوي كما سيتبين لنا عند عـــرض آراء اللغـــويين. فالرجاء يعد من ألفاظ الخوف إذ إن الخوف باب كبير تدخل فيه ألفاظ كثيرة ، يبـــدو معنى الخوف في بعضها واضحاً ويبدو في بعضها الآخر مشوباً بمعان كثيرة تختلط بمعنى الخوف فالرجاء مثلا فيه معنى التوقع والطمع والأمل والخـــوف ، والخشـــية فيها معنى التعظيم المحاط بالخوف ، والفزع والرعب والروع والوجل كلها يتضمن معنى الخوف ولكن بدرجات تبرز واضحة عند دخولها في التركيب والسياق وهـــذا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/١٦٠ و٥/٢٢٩ .

(٢) معاني القران وإعرابه / الزجاج ٤/٦٩ و١٦٠ .

(٣) التفسير الكبير /الرازي ١٧/٤٠ و ٢٤/٦٧ و ٢٥/٣٢ .

ما أكدته الدراسات اللغوية الحديثة في مبحث الدلالة ضمن مباحث الحقول الدلالية .

أما عند اللغويين . فيفهم من كلام الخليل أن الرجاء بمعنى الخوف إذ يقول " مالكم لا ترجون لله وقارا " نوح /١٣ أي لا تخافون ولا تبالون وقال أبو ذؤيب :

إذا لسعتهُ النحلُ لم يرجُ لسعَها   وخالفها في بيتِ نوبٍ عواملِ

أي لم يكترث[١]. وعند الأزهري (إنما يستعمل الرجاء في موضع الخوف إذا كان معه حرف نفي ويذكر الآية وبيتاً انشده الفراء :

لا ترتجي حين تلاقي الذائدا   أسبعةً لاقت معاً أم واحدا

وهو يعتمد في ذلك كله على قول الفراء الذي ورد في كتاب معاني القرآن في الجزء الأول الصفحة(٢٨٦). يقول الفراء (وهي لغة حجازية) . وعند أبي الطيب اللغوي (الرجاء بمعنى الخوف في القرآن كثير) ويورد الآيات التي ورد فيها الفعل (يرجو) الكهف ١٨/١١٠ ، ويونس ١٠/١٥ ، العنكبوت ٢٩/٣٦ كما يورد بيت أبي ذؤيب : إذا لسعته النحلُ ... وبيتاً للنابغة الذبياني : فما يرجون غيرَ العواقبِ . أي يخافون . ولا يشترط النفي إذ يقول (وقد وجدنا الرجاء بمعنى الخوف بغير حرف النفي إذ يقول " وارجوا اليوم الآخر " العنكبوت ٢٩/٣٦ .أي اخشوه واحذروه [٢]. أما عند محمد بن القاسم الأنباري فالرجاء عنده لا يخرج أبدا من معنى الشك إذ يقول في حمل الرجاء على الخوف عند المفسرين في قوله تعالى " فمن كان يرجو لقاء ربه "وهذا عندنا غلط لان العرب لا تذهب بالرجاء مذهب الخوف إلا مع حروف الجحد ، وهو بذلك يناقض ما ذكره أولا فهو عندما يذكر بيت النابغة الذبياني . (فما يرجون غيرَ العواقبِ) يقول (قيل معناه فما يخافون غيرها) [٣]. ويفهم من كلامه انه لا ينكر حمل الرجاء على معنى الخوف إذا كان مسبوقاً بنفي ، ولكن الاستعمال اللغوي والقرآن يؤكد أن هذا الشرط لا يطرد أبدا .

---

(١) العين ٦/١٧٦ .

(٢) الأضداد في كلام العرب ١/٢٩٠ – ٢٩٨ .

(٣) الأضداد /محمد بن القاسم الأنباري /١٦ تحقيق محمد أبي الفضل ، الكويت /١٩٦٠ .

أما عند الراغب الأصفهاني فيعلل حمل الرجاء على معنى الخوف بقوله (ووجه ذلك أن الرجاء والخوف يتلازمان) [١]. أما عند ابن القطاع فالرجاء بمعنى الخوف يقول (ورجوته رجوا ورجاء خفته قال تعالى " فمن كان يرجو لقاءَ ربِهِ " أي يخافه فهو لا يشترط النفي أيضاً) [٢].

أما عند ابن منظور (وقد يكون الرجو بمعنى الخوف . ابن سيده: والرجاء الخوف)[٣]. وهو يذكر قول الفراء وشرط الجحد ويذكر الآيات التي ورد فيها الرجاء بمعنى الخوف .

وملاك الأمر أن الرجاء جاء بمعنى الخوف في الاستعمال القرآني والاستعمال اللغوي سواء أسبق بجحد أم لم يسبق ولا يتحقق ذلك خارج التركيب أو السياق، ففي قوله تعالى " والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا " النور٢٤/٦٠ لا يمكن حمل الرجاء على الخوف إذ السياق والتركيب يأبيان ذلك. ولذلك فهو بمعنى الطمع جاء في الكشاف (اللاتي لا يرجون نكاحا) لا يطمعن فيه[٤]. وكذلك عند الطبرسي (اللاتي لا يطمعن في النكاح) [٥].

(حَذِرَ)

ورد الفعل (يحذر) في الاستعمال القرآني للدلالة على الخوف والخشية والتيقظ والتحرز ففي قوله تعالى " يحذّركم الله نفسه " آل عمران ٣/ ٢٨. ذكر الطبري (أن تسخطوها عليكم) وعند الزمخشري (فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه) [٦].

(١) مفردات ألفاظ القران /٣٤٦ .

(٢) كتاب الأفعال /ابن القطاع ٢/٦٦ .

(٣) لسان العرب ١٩/٢٣ مادة (رجا).

(٤) الزمخشري ٣/٧٦ .

(٥) مجمع البيان ١٨/٧٤ .

(٦) جامع البيان ٣/٢٣١ والكشاف ١/٤٢٢ .

وفي قوله تعالى "حِذوا حذركم " النساء ٧١/٤ ، ١٠٢ جاء في الكشاف (يقال اخذ حذره : إذا تيقظ واحترز من الخوف .. والمعنى : احذروا واحترزوا من العدو .. جعل الحذر والتحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي) [١]. وعند القرطبي (كونوا متيقظين) [٢]. والذي عليه الاستعمال القرآني أن الفعل (يحذر) وتصريفاته يعد من الألفاظ التي استخدمها القرآن الكريم للتعبير عن معنى الخوف فقد استعمله في المواضع التي تتطلب الأهبة والاستعداد والتيقظ وعدم الغفلة لان الحذر يجمع هذه المعاني كلها – جاء في المحكم (الحِذْر والحَذَر : الخيفة وحاذر متأهب مُعِد كأنه يحذر أن يفاجأ) [٣]. وجاء في كتاب الأفعال (وحَذِر: حذراً خاف ، وأيضا تحرز وتأهب)[٤].وجاء في اللسان (الحِذْر والحَذَر الخيفة ورجل حَذِر وحاذورة وحِذْريان متيقظ شديد الحذرِ والفزع متحرز وحاذر متأهب) [٥]

(خَشَعَ)

ترد مادة (خشع) وتصريفاتها في الاستعمال القرآني دالة على معان ودلالات أهمها بمعنى : الذل والذليل والمتذلل ففي قوله تعالى خاشعين لله " آل عمران ١٩٩/٣ يقول الطبري (يعني خاضعين لله بالطاعة مستكينين له بها متذللين . . والخاشع : المتذلل لله الخائف) وكذلك عند الزجاج في قوله تعالى " وجوه يومئذ خاشعة الغاشية ٢/٨٨ (ومعنى خاشعة ذليلة) وكذلك عند الطبرسي (الخشوع هو التذلل خلاف التصعب) وكذلك عند الرازي (وأما الخشوع فهو التذلل والخضوع) [٦].

---

(١) الزمخشري ٥٤١/١ و٥٦٠ .

(٢) الجامع لأحكام القران ٢٣٩/٥ .

(٣) المحكم والمحيط الأعظم / ابن سيدة ٢١٣/٣ .

(٤) ابن القطاع ٢٣٣/١ .

(٥) اللسان ٢٤٩/٥. مادة (حذر) .

(٦) جامع البيان ٢٢٠/٤ ومعاني القران ٣١٦/٥ ومجمع البيان ٣١٠/٤ والتفسير الكبير ٥٣/٣

والخشوع بمعنى : الخضوع والتواضع عند الزجاج وكذلك عند الطبرسي في قوله تعالى " ويزيدهم خشوعا " الإسراء ١٠٩/١٧ (أي تواضعا لله تعالى) وكذلك في قوله تعالى " والخاشعين والخاشعات " الأحزاب ٣٣/ ٣٥ (أي المتواضعين الخاضعين). وكذلك عند أبي حيان والقرطبي في قوله تعالى "وكانوا لنا خاشعين " الأنبياء ٩٠/٢١ (أي متواضعين خاضعين) [١]. والخشوع بمعنى الخوف . ففي قوله تعالى " وإنها لكبيرة إلاّ على الخاشعين " البقرة ٤٥/٢ يقول الطبري (الخائفين سطوته) . وعند الجرجاني في تعريفاته (وقيل هو الخوف الدائم في القلب). وعند الطبرسي (وقيل الخشوع (المخافة) [٢] وكذا . . (المخافة) الثابتة في القلب . وعند القرطبي (وهو الخوف وغض البصر في الصلاة) وفي قوله تعالى "والخاشعين والخاشعات " الأحزاب ٣٥/٣٣ (والخاشع الخائف) [٣]. وفي كتب اللغة يكون الخشوع بمعنى الخضوع والتواضع ويفرقون بين الخشوع والخضوع فيرون أن الخضوع في البدن والإقرار بالاستخذاء والخشوع في البدن والصوت والبصر) [٤]. وكتب اللغة تصف هيئة الخاشع وهو إذا (رمى ببصره نحو الأرض وغضّه وخفض صوته) وهذه المعاني يجمعها كلها معنى الخوف فالمتذلل والخاضع والمتواضع وخفض الصوت والنظر إلى الأرض وطأطأة الرأس كلها علامات تدل على الخوف والخشية والرهبة ولذلك يتدرج الخشوع في الحقل الدلالي للخوف .

---

(١) معاني القران ١٢٥/١ و٦/٤ ومجمع البيان ١١/١٥ و ١٤٠/١٢١ و ٢٥/٢٤ وتحفة الأريب /٩٣ والجامع لأحكام القران ٢٢٣/١١ .

(٢) والصحيح (المخافة) .

(٣) جامع البيان ٢٦١/١ . والتعريفات /٨٨ ومجمع البيان ٥٥/١٧ والجامع لأحكام القران ٢٥٤/١ و ١٢٠/١٤ .

(٤) تهذيب اللغة / الأزهري ١٥١/١ و ٤٢٣/٩ وكتاب الأفعال / ابن القطاع ٢٩٢/١ .

(ضعف)

ورد الفعل (ضعف) وتصريفاته في الاستعمال القرآني بدلالات متنوعة منها بمعنى العجز . أو خلاف القوة أو الجبن والفشل ومنها عدم القدرة أو بمعنى مهين وقيل بمعنى وحيد . وقيل نقصان القوة ففي قوله تعالى " ضَعُفَ الطالب والمطلوب " الحج ٢٢/ ٧٣ يقول الطبري (معناه عجز الطالب وهو الآلهة) وفي قوله تعالى "وما ضعفوا وما استكانوا " آل عمران ٣/١٤٦ يقول الزجاج (وما ضعفوا . وما جبنوا عن قتال عدوهم) وفي قوله تعالى " إنا لنراك فينا ضعيفاً " هود ١١/٩١ قال الزمخشري (فينا ضعيفاً) لا قوة ولا عز فيما بيننا.وعن الحسن ضعيفا : مهينا وقيل ضعيفا : أعمى، وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا . وقيل ضعيف البدن، وقيل وحيدا ليس لك جند . وفي قوله تعالى " وعلم أنْ فيكم ضعفاً " الأنفال ٨/٦٦ (أراد ضعف البصيرة والعزيمة ولم يرد ضعف البدن)[1]. إن هذه الدلالات تتنوع بحسب السياق الذي ترد فيه وبحسب التركيب اللغوي للآية. إذ إننا نجد أن الاستعمال القرآني يجمع في تركيب واحد ألفاظا تبدو متقاربة الدلالة فقد جمع بين الوهن والضعف والاستكانة ولكن السياق يبرز في كل لفظة معنى خاصاً (فالوهن انكسار الجد بالخوف) و(الضعف خلاف القوة) و(الاستكانة : الذلة والخضوع)[2]. فالوهن يكون اقرب إلى خور العزيمة ودبيب اليأس في النفوس والفكر، وأما الضعف فيكون اقرب إلى الاستسلام والفشل في المقاومة وأما الاستكانة فهي الخضوع والمذلة للعدو)[3]. أما وروده على معنى (أعمى) في قوله

---

(١) جامع البيان / الطبري ٢٠٢/١٧ ، معاني القران وإعرابه ٤٧٦/١ والكشاف ٤٦٨/١ ومجمع البيان ٢٠٦/١٢٠ والجامع لأحكام القران ١٨٤/٤ .

(٢) الجامع لأحكام القران ١٤٨/٤ ومفردات ألفاظ القران /٥٠٦ .

(٣) ألفاظ الحرب /سهام عبود /١٥٩ رسالة ماجستير .

تعالى " وإنا لنراك فينا ضيفاً " هود ١١/٩١ فقد قال فيه الزمخشري بعدم سـداده . جاء في الكشاف (وليس بسديد لان (فينا) يأباه. ألا ترى انه لو قيل إنا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاما لان الأعمى فيهم وفي غيرهم) [1].

(أشفق)

ورد الفعل (أشفق) في الاستعمال القرآني للدلالة على الخوف والوجل والضعف والحذر ورقة القلب والبخل والمشقة. ففي قوله تعالى " فترى المجرمين مشفقين " الكهف ١٨/٤٩ تكون دلالة (مشفقين) خائفين وجلين عند الطبري وابن قتيبة والقرطبي[2]. وكذلك في سورة الأنبياء ٢١/ ٢٨ والمؤمنون ٢٣/ ٥٧ وفي قوله تعالى وترى الظالمين مشفقين مما كسبوا " الشورى٢٤/٢٢ فدلالة (مشفقين) وجلين خائفين عند الطبري وابن قتيبة والزمخشري والطبرسي والقرطبي) [3]. وكذلك في سورة الطور ٥٢/ ٢٦والمجادلة ٥٨/ ١٣ والمعارج ٧٠/ ٢٧. وفي قوله تعالى " وهم من خشيته مشفقون " الأنبياء ٢١/ ٢٨ فدلالته عند الطبري (حذرون أن يعصوه ويخالفوا أمره ونهيه)[4]. وعند الزمخشري (كائنون على حذر ورقبة يأمنون مكر الله)[5]. وفي قوله تعالى " قالوا إنا كنا قبلُ في أهلنا مشفقين " الطور ٥٢/ ٦٢ فدلالته عند الزمخشري (أرقاء القلب من خشية الله)[6] .وكذلك عند

(١) الزمخشري ٢/٢٨٩ .

(٢) جامع البيان ١٥/ ٢٥٨ وتفسير غريب القران /٢٥٨ الجامع لأحكام القران ١١/١٨٧ و ١١/٩٥ و١٢/٨٨ .

(٣) جامع البيان ٢٥/٢٠ و٢٢ وتفسير غريب القران /٣٩٢ والكشاف ٣/٤٦٦ ومجمع البيان ٢٤/٤٦ والجامع لأحكام القران ١٦/١٢ و١٥ .

(٤) جامع البيان ١٧/١٦ .

(٥) الكشاف ٢/٥٧٠ .

(٦) نفسه ٤/١٦ .

الطبرسي (خائفين رقيقي القلب فان الإشفاق رقة القلب عما يكون من الخوف على الشيء والشفقة نقيض الغلظة)[١]. وفي قوله تعالى " أأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات " المجادلة ٥٨/ ١٣، فدلالته عند الطبرسي (أخفتم الفاقة يا أهل الميسرة وبخلتم بالصدقة)[٢]. وعند القرطبي (أي خفتم وبخلتم بالصدقة وشق عليكم) والذي عليه الاستعمال القرآني هو استعمال الفعل المزيد (أشفق) ولم يرد فيه استعمال المجرد (شفق) ولا تصريفاته ، فلم يرد مثلا اسم فاعل منه (شافق) فإذا أرادوا اسم الفاعل قالوا (مشفق) يصوغونه من المزيد جاء في تهذيب اللغة (والشَفق) الخوف ، تقول إنا مشفق عليك أي (خائف)[٣]. ولم يقل (شافق) أما في اللسان فالشَفَق والشفقة يعدهما اسماً من الاشفقان (الشَفَقُ والشَفقةُ الاسم من الإشفاق)[٤]. ومن اللافت للنظر أن المصدر (شفق) من المجرد لم يرد في الجداول الإحصائية الخاصة بأبنية المصدر في الشعر الجاهلي بخلاف المصدر (إشفاق) فقد ورد استعماله في الشعر الجاهلي عند الأعشى[٥]. وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن اللغة العربية الموحدة التي كانت فاشية قبل نزول القرآن تلتقي في هذا الاستعمال اللغوي مع لغة التنزيل العزيز وهذا يدحض ما قيل ويقال من التشكيك فيما وصل إلينا من هذه اللغة الأدبية ولا سيما الشعر الجاهلي .

(وهن)

ورد الفعل (وهن) بدلالات متنوعة فقد ورد بمعنى فتَر وضعُف وتوانَى وجَبُن وذلَّ ففي قوله تعالى " فما وهنوا لما أصابهم في سبيل " آل عمران ٣/١٤٦ فمعنى (فما

---

(١) مجمع البيان ٢٧/ ٣١.

(٢) نفسه ٢٨/ ١٦ .

(٣) تهذيب اللغة ٨/٣٣٢ (شفق) .

(٤) اللسان ١٢/٤٦ (شفق) .

(٥) أبنية المصدر في الشعر الجاهلي /٥٤٥ ، الجدول الخاص بصيغة (افعال).

وهنوا) (فما فَتروا) عند الزجاج وفي قوله تعالى " ولا تهنوا في ابتغاء القوم " النساء ١٠٤/٤ يكون المعنى (ولا تهنوا) ولا تضعفوا وهي الدلالة الفاشية عند المفسرين وقيل لا تتوانوا وقيل لا تذلوا للعدو . والوهن الضعف من حيث الخَلق أو الخُلق) [١]. وجاء في تهذيب اللغة (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله) أي فما فتروا وما جبنوا عن قتال عدوهم[٢]. وجاء في اللسان (ورجل واهن ضعيف لا بطش عنده) [٣] .

(رهب)

دلالة الرهب بشكل عام هي الخوف ولذلك يعد من الألفاظ إلى عبر بها القران عن الخوف . لكن الرهب : مخافة مع تحرز واضطراب[٤]. والإرهاب إزعاج النفس بالخوف[٥]. وعند الطبري في قوله تعالى " وإياي فارهبونِ " البقرة ٤٠/٢ (وإياي فاخشوا واتقوا)[٦]. وفى قوله تعالى " واضمم إليك جناحك من الرَّهْب" القصص٣٢/٢٨ . فالرهب عند أبي عبيدة (الرهْب مثل الرهبة ومعناهما الخوف والفَرَق)[٧]. وفسره بعضهم بالكُمّ جاه في تهذيب اللغة (وهال مقاتل(من الرهب)

---

(١) مجاز القران ١٠٤/١ ومعاني القران ٤٧٦/١ و ١٠٠/٢ و ١٦/٥ وتفسير غريب القران ١١٢/و١١٣ و ٤١٠ والكشاف ٤٦٤/١ و٤٦٨ و ٥٦١ و٥٣٩/٣ ومفردات ألفاظ القران ٨٨٧/ .

(٢) الأزهري ٤٤٤/٦ (وهن) .

(٣) اللسان ١٧/ ٣٤٥ (وهن) .

(٤) مفردات ألفاظ القران / ٣٦٦ .

(٥) مجمع البيان / الطبرسي ١٦٨/٩ .

(٦) جامع البيان ٢٥٠/١ .

(٧) مجاز القران ٢/ ١٠٤ .

الرهب كُمّ مدرعته)[١]. وقد أنكره أغلب المفسرين، جاء في الكشاف (ومن بدع التفسير أن الرهب الكم في لغة حمير . . وليت شعري كيف صحته في اللغة. وهل سمع من الإثبات الثقات الذين ترضى عربيتهم)[٢]. وينقل الأزهري في التهذيب قول ابن الأعرابي (ارهبَ الرجل إذا أطال رَهبَه أي كُمَّهُ . قال وأرهبَ إذا ركب رَهباً وهو الجمل العالي: قلت وأكثر الناس ذهبوا في تفسير قوله " واضمم إليك جناحك من الرهب " انه بمعنى الرهبة ولو وجدت إماما من السلف يجعل الرهَب كُمّاً لذهبت إليه لأنه صحيح في إعرابه وهو أشبه بسياق الكلام والتفسير والله اعلم ، بما أراد)[٣]. ويبدو أن الضمير في (قلت) يعود على (الأزهري) ولو كان (الرهب) بمعنى (الكُم) لجاء حرف الجر (في) بدلاً من (مِنْ) فيكون الكلام واضمم إليك جناحك في الرهب بدليل ما جاء في مفردات ألفاظ القران على لسان مقاتل (قال مقاتل خرجتُ التمس تفسير الرهب فلقيت أعرابية وأنا آكل فقالت: يا عبد الله تصدق عليّ فملأتُ كفّي لأدفع إليها فقالت ههنا في رَهبي : أي كُمّي) [٤] فجاءت بحرف الجر (في) ولم تقل (من رهبي) والله اعلم .

(ضَرَعَ)

ورد الفعل (ضرع) بمعنى تواضع وخضع وتذلل وتخشع. ففي قوله تعالى " لعلهم يتضرعون " ولعلهم يضّرعون " أي يخضعون ويتذللون ويتخشعون لربهم وفي قوله

---

(١) الأزهري ٢٩٠/٦ (رهب) .

(٢) الزمخشري ١٧٥/٣ و مفردات ألفاظ القران /٣٦٦ والجامع لأحكام القران ١٨٨/١٣ .

(٣) تهذيب اللغة ٢٩٠/٦ (رهب) .

(٤) الراغب الأصفهاني /٣٦٦

تعالى " ادعوا ربكم تضرعاً وخُفية " من الضراعة وهو الذل : أي تـذللا وتملقـاً . والتضرع التذلل وهو إظهار الذل الذي في النفس ومثله التخشـع .. ومـن قـولهم ضرع الرجل إذا مال ... يمينا وشمالا ذلاً وخوفاً) [١]. وفي قوله تعالى " فلـولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا " فمعناه تخشعوا وتذللوا وخضعوا .. والضَرَع الرجل الجبان المتهالك من الحاجة للغني[٢]. وضرعَ الرجلُ : ضعف وذل فهو ضـارع أي ذليـل ساقط . وفلان وَرَع ضَرَعَ أي ضعيف غُمْر[٣]. ويلاحظ أن المصدر (تضرُّع) لـم يرد في الجدول الإحصائي الخاص بصيغة (تفعّل) بأبنيـة المصـدر فـي الشـعر الجاهلي[٤] .

(حَصِـر)

وردت مادة (حصر) وتصريفاتها بدلالات ومعان بحسب السياق والتركيب.فقد جـاء بمعنى (الضيق) وبرزت هذه الدلالة في تفسير الآية /٩٠ مـن سـورة النسـاء "أو جاؤكم حصرت صدورهم " أي ضاقت صدورهم بالبخل والجبن. أما فـي آيتـي البقرة / ١٩٦ "فإنْ أُحصرتم " والآية / ٢٧٣ " للفقراء الذين أُحصروا " فهو بمعنى المنع بسبب الخوف أو المـرض . ودلالتـه فـي آيـة التوبـة ٥/٩ " وخـذوهم واحْصُروهم " المنع أيضا أي وامنعوهم. وعن أبي عبـاس (رض) : حَصـرُهم أن يحال بينهم وبين المسجد الحرام . وقيل (احبسوهم) وقيل استرقوهم[٥].

---

(١) معاني القران واعرابه / الزجاج ٣٥٩/٢ والكشاف ١٨/٢ و ٨٣ و٩٧ ومجمع البيان ٧٦/٨

(٢) تهذيب اللغة ٤٦٩/١ (ضرع) .

(٣) مفردات ألفاظ القران /٥٠٦ واساس البلاغة ٤٨/٢ .

(٤) أبنية المصدر في الشعر الجاهلي /٥٥٣ .

(٥) معاني القران / الزجاج ٨٩/٢ ومفردات ألفاظ القران /٢٣٨ وتفسير غريب القران /١٣٤ والكشاف ١٧٥/٢ ومجمع البيان ١٤/١٠ .

(فَـزِع)

ترتبط دلالة (فزع) بالخوف الذي يتعدى به ، وقد ورد في الاستعمال القرآني مُعدّى بحرفين الأول (من) في قوله تعالى إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف " ص ٢٢/٣٨ والآخر (عن) في قوله تعالى حتى إذا فزع عن قلوبهم " سبأ ٢٣/٢٤ إذ جاء الأول مجردا. والثاني مزيدا ، فقد اختلفت الدلالة باختلاف حرف الجر فمع (من) تكون دلالته خاف. ومع (عن) تكون دلالته (أَمِنَ). جاء في تفسير الطبري (حتى إذا فُزّع عن قلوبهم) : حتى إذا جلي عن قلوبهم وكشف عنها الفزع وذهب[١] . وينقل الزركشي قول ابن سيده (عدّاه بـ(عن) لأنه في معنى كشف الفزع)[٢].وفي تهذيب اللغة (اتفق أهل التفسير وأهل اللغة أن معنى (فُزّع عن قلوبهم) : كشَفَ الفزعَ عن قلوبهم)[٣]. أما مع (من) فيكون بمعنى (خاف) جاء في اللسان (الفزع الفَرَق من الشيء وهو في الأصل مصدر فَزِعَ منه)[٤]. ولم يرد في الاستعمال القرآني معدى بحرف الجر (إلى) . جاء في كتاب الأفعال (وفزعتُ إليك وفزعتُ منك وأفزعت القوم أخفتُهم وأيضا أغثتُهم ، من الأضداد)[٥]. وبذلك تكون دلالة الفعل مع حرف الجر على النحو الآتي :

فَزِع منه : خاف وهو الذي ورد في الاستعمال القرآني .

وفزع عنه : كشف عنه- وقد ورد أيضا في الاستعمال القرآني .

وفزع إليه : استغاثه ولجأ إليه . ولم يرد في الاستعمال القرآني . فالفعل (فزع) ورد في الاستعمال القرآني على انه من الألفاظ التي عبر بها عن معنى الخوف .

---

(١) جامع البيان /الطبري ٨٩/٢٢ .

(٢) البرهان ٣٤١/٣ .

(٣) الأزهري ١٤٥/٢ (فزع) .

(٤) اللسان ١٢٢/١٠ (فزع) .

(٥) الافعال / ابن القطاع ٤٦٢/٢ .

وقد ورد المصدر (فَعَل) في الجدول الإحصائي لصيغة (فَعَل) الخاص بأبنية المصدر في الشعر الجاهلي[١].

(وَجِل)

ورد الفعل (وجل) وتصريفاته بمعنى خاف وفَرِق وحَذِر وأشفقَ وبمعنى الخوف مع شدة الحزن. ففي قوله تعالى " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم " الأنفال ٢/٨ أي خافت وفَزِعت عند أبي عبيدة والزجاج والزمحشري . وبمعنى (فَرِقَت) عند الطبري وبمعنى الخوف مع شدة الحزن عند الطبرسي وبمعنى خافت وحذرت عند القرطبي[٢]. وفي قوله تعالى " إنا منكم وجلون " الحجر ٥٢/١٥ بمعنى خائفون عند أبي عبيدة والزجاج والطبري[٣]. وبمعنى فزعون خائفون عند القرطبي[٤]. وفي قوله تعالى " وقلوبهم وجلة " المؤمنون ٦٠/٣٣ بمعنى خائفة عند الزجاج والطبرسي والقرطبي[٥].

والوجل في اللغة من ألفاظ الخوف . جاء في مفردات ألفاظ القرآن (الوَجَل استشعار الخوف)[٦].وجاء في البرهان (الوجل صفة القلب)[٧].وفرّق أبو هلال العسكري ببن الخوف والوجل (أن الخوف خلاف الطمأنينة...، وَجِل الرجل يوجل إذا قلق ولم

(١) أبنية المصدر في الشعر الجاهلي /٤٦٤ .

(٢) مجاز القران ٢٤٠/١ ومعاني القران واعرابه٢/٤٠٠ والكشاف ١٤٢/٢ وجامع البيان ١٧٨/٩ ومجمع البيان ٥١٨/٩ والجامع لأحكام القران ٤٠/١٢ .

(٣) مجاز القران ٣٥١/١ ومعاني القران ١٨٠/٣ وجامع البيان ٣٨/١٤ .

(٤) الجامع لأحكام القران ٢٥/١٠ .

(٥) معاني القران ١٦/٤ ومجمع البيان ١٦٠/١٨ والجامع لأحكام القران ٨٩/١٢ .

(٦) مفردات ألفاظ القران /٨٥٥ .

(٧) الزركشي ٢٦٩/٢ .

يطمئن) [١]. فهو عنده بمعنى القلق والاضطراب وعدم الاطمئنان، ولا يرى أن الوجل من ألفاظ الخوف ، إذ يقول (فليس الوجل من الخوف في شيء) [٢]. والذي عليه الاستعمال اللغوي أن الوجل من ألفاظ الخوف . جاء في تهذيب اللغة (الوجل الخوف .. وانشد لمعن بن أوس[٣].

لَعمرُك ما أدري وإني لأوْجل　　　على أيّنا تعدو المنيةُ أوّلُ

وتوقع المنية شيء يخيف المرء إذ إن كل تميمة لا تنفع ، وجاء في اللسان (الوجل الفزع والخوف)[٤]. والذي عليه الاستعمال القرآني أن الوجل من الألفاظ التي عبر بها القرآن الكريم عن معنى من معاني الخوف. جاء في الكشاف في قوله تعالى " والذين يُؤتُون ما آتَوا وقلونهم وجلة إنهم إلى ربهم يرجعون " المؤمنون ٦٠/٢٣ وعن عائشة (أنها قالت : قلت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله ! قال لا يا ابنةَ الصديق ولكن الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه)[٥]. فالنبي (ص) فسّرَ (قلوبهم وجلة) أي خائفة فالذي عليه الاستعمال القرآني لا يسند قول أبي هلال العسكري (فليس الوجل من الخوف في شيء). إلا أن الخوف والوجل لا يتطابقان تماما ، فالخوف اشمل واعم والوجل اخص إذ هو استشعار الخوف ، وهو من صفة القلب ولذلك ورد مسندا إلى لفظة (القلوب) في الاستعمال القرآني كما مر بنا في أول الكلام .

---

(١) الفروق اللغوية /٢٠٢ .

(٢) نفسه /٢٠٢ .

(٣) تهذيب اللغة / الأزهري ١٩٠/١١ (وجل)

(٤) اللسان ٢٤٨/١٤ (وجل)

(٥) الكشاف / الزمخشري ٣٥/٣ .

(رَعَب)

يعد (الرعب) من الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم للتعبير عن الخوف فدلالته في الاستعمال القرآني تدل على الخوف والجزع والهلع وانزعاج النفس بتوقع مكروه .. وهو الفزع أيضاً[١]. إلاّ أن الرعب يختلف عن الخوف في (انه يرعب الصدر : أي يملؤه)[٢].وفيه معنى (التقطيع) (فالرعب تقطعُ حال السرور بضده من انزعاج النفس بتوقع المكروه) [٣]. فالقرآن الكريم باستعماله لفظة (الرعب) فكأنما أراد أن يجمع ثلاثة معان (الخوف + الامتلاء + التقطع) إذ الغالب في استعماله مصاحبته لفظ (القلوب) جاء في تفسير الطبري قوله تعالى " سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب " الأنفال ١٢/٨ (سأرعب قلوب الذين كفروا ... واملؤها فَرَقاً حتى ينهزموا عنكم) [٤]. وجاء في مفردات ألفاظ القرآن (الرعب : الانقطاع من امتلاء الخوف) [٥].

(فشل)

ترد لفظة (فشل) بمعنى الجبن والضعف والخَور وذهاب القوة والتأخر والتهيب والفزع . ففي قوله تعالى " ولا تنازعوا فتفشلوا " الأنفال ٤٦/٨ يقول الطبري (فتضعُفوا وتجبُنوا) وكذلك عند الزجاج[٦]. وفي قوله تعالى اذ همت طائفتان منكم آل عمران ١٢٢/٣ . أي تجبُنا وتخورا عند الزجاج وكذلك عند الزمخشري[٧]. وعند الأزهري بمعنى الضعف وذهاب القوة (إذا ضَعف وذهبت

---

(١) جامع البيان ١٢٤/٤ و٢١٤/١٥و مجمع البيان ١٢٢/٩ والجامع لأحكام القران ٢٤٢/١٠ .

(٢) الكشاف الزمخشري ٨٠/٤ .

(٣) مجمع البيان ١١٢/٩ .

(٤) جامع البيان ١٩٨/٩ .

(٥) الراغب الأصفهاني /٣٥٦ .

(٦) جامع البيان ١٥/١٠ ومعاني القران واعرابه ٤٦٥/١ ومجمع البيان ٤٨/١٠ .

(٧) معاني القران ٤٦٥/١ والكشاف ٤٦١/١ .

قواه). وكذلك عند الزمخشري (جَبُن وذهبت قوتُه)[١]. وفى قوله تعالى " ولو أراكهم كثيرا لفشلتم " الأنفال ٨/٤٣ فمعناه عند الزجاج (أي لتأخرتم عن حربهم وكِعْتُم (جبنتم) يقال فَشِل فَشَلاً إذا جبُن وهاب)[٢]. وفى اللسان. (الفَشَل: الفزع والجبن والضعف)[٣]. ويلاحظ من خلال المعاني والدلالات أن معنى (الفشل) مرتبط بمواطن الحرب والشدة ولم يرد في الاستعمال القرآني في غير هذه المواطن ويبدو أن لفظة الفشل نابت مناب لفظة (الجبن) إذ إن لفظة (الجبن) لم ترد في الاستعمال القرآني أبداً. ويُفرّقُ الراغب الأصفهاني بين الفشل والجبن (فالجبن ضعف القلب عما يحق أن يقوى عليه، والفشل : ضعف مع جبن)[٤]. فالفشل فيه ضعف مضاعف (ضعف الجبن وضعف الفشل) والجبن يمكن أن يقع في الحرب وفي غيرها فمواطن الجبن أعم وأشمل من مواطن الفشل، إذ إن المرء يصيبه الجبن في مواقف كثيرة بل إن الجبن يكاد يعرض له في كل يوم وأحيانا في كل لحظة. أما الفشل فمن الناس من لا يعرف معنى الفشل ، كما يقولون. ومما يؤكد كون الفشل خاصاً بمواطن الحرب أو الشدة مما يروى عن خالد بن الوليد فقد كان يدور على الناس في الصفوف ويقول (يا أهل الإسلام : إن الصبر عزّ والفشل عجز). وأوصى أكثم بن صيفي (واعلموا أن كثرةَ الصياح من الفشل) وما يروى عن عائشة (رض) أنها سمعتهم يكبّرون فقالت (لا تكبروا ههنا، فان كثرة التكبير عند القتال من الفشل)[٥]. فهذا كله في مواطن القتال والمنازلة. ومن اللافت للنظر أن المصدر (جبن) لم يرد في الجداول الإحصائية التي جاءت في كتاب أبنية المصدر في الشعر الجاهلي بخلاف المصدر (فَشَلٌ) فانه ورد في الجدول الإحصائي الخاص

---

(١) تهذيب اللغة ٣٦٨/١١ واساس البلاغة ٢٠٠/٢ .

(٢) معاني القران ٤١٩/٢ .

(٣) اللسان ٣٤/١٤ (فشل).

(٤) مفردات ألفاظ القران ١٨٦ و٦٧٣

(٥) الجمان في تشبيهات القران / ابن نافيا /٣٦٦ .

بصيغة (فَعَل) وبذلك يلتقي الاستعمال اللغوي في الشعر الجاهلي مع الاستعمال القرآني إذ إن لفظة (الجبن) لم ترد في الاستعمالين الجاهلي والقرآني .

(أخبت)

ورد الفعل (اخبتوا) بمعان متنوعة . منها معنى: أنابوا وتضرعوا وخضعوا وتواضعوا ومعنى خافوا واطمأنوا وخشعوا . وقيل أطاعوا وأخلصوا . ففي قوله تعالى " واخبتوا إلى ربهم " هود ١١/٢٣ فدلالة (اخبتوا) عند أبي عبيدة (أنابوا إلى ربهم وتضرعوا إليه وخضعوا وتواضعوا له). وعند الطبري (أنابوا إلى ربهم وخافوا ، واطمأنوا وخشعوا). وعند الزمخشري (اطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع).وعند الطبرسي (أي أنابوا وتضرعوا إليه وقيل معناه اطمأنوا إلى ذكره وقيل خضعوا له وخشعوا إليه).وعند القرطبي (اخبتوا أنابوا . . وأطاعوا خشعوا وخضعوا . . اخلصوا) [١]. وفي قوله تعالى " فله أسلموا وبشّر المخبتين " الحج ٢٢/٣٤ فالمخبتون : المتواضعون الخاشعون. وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا . ذكره الزمخشري . وعند الطبرسي (المخبتين: المتواضعين المطمئنين إلى الله وقيل الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لا ينتصرون) [٢]. وفي قوله تعالى فتخبت له قلوبهم " الحج ٢٢/ ٥٤ فعند ابن قتيبة (أي تخضعُ وتذل) وعند الطبرسي (أي تخشع وتتواضع لقوة إيمانهم) . وعند القرطبي (أي تخشع وتسكن . وقيل تخلص)[٣] . والإخبات في اللغة الخشوع والخضوع أو الطمأنينة وأصله من الخبت وهو المكان المطمئن وقيل المنخفض[٤]. فالإخبات لفظ

---

(١) مجاز القران ٢٨٦/١ وجامع البيان /الطبري ٢٤/١١ والكشاف ٢٦٤/٢ و١٤/٣ ومجمع البيان ١٣٤/١٢ و١٢٢/١٧ والجامع لأحكام القران ٥٨/١٢ .

(٢) الكشاف ١٤/٣ ومجمع البيان ١٠٣/١٧ .

(٣) تفسير غريب القران /٢٩٤ ومجمع البيان ١٢٢/١٧ والجامع لأحكام القران ٥٨/١٢ .

(٤) تهذيب اللغة ٣١٠/٧ ومجمع البيان ١٠٣/١٧ .

يجمع كل هذه المعاني وهو خوف ممدوح يختص بالمتقين والمؤمنين إذ انه (الخشوع للمخافة الثابتة في القلب)[١] . جاء في كتاب الفروق اللغوية (إن المخبت هو المطمئن بالإيمان وقيل هو المجتهد بالعبادة وقيل الملازم للطاعة والسكون وهو من أسماء الممدوح . . . فالإخبات على ما يوجبه الإشفاق هو الخضوع المستمر على استواء)[٢].

(جَأر)

يلاحظ في الاستعمال القرآني أن الفعل (جأر) ورد في ثلاثة مواضع ويأتي استعماله فيها عقب وقوع العذاب أو العقاب، وان الفعل نسب إلى المخاطبين بعد ما أصابهم الضرُّ أو العذابُ فيرفعون أصواتهم خوفاً أو ألماً أو طلباً للدعاء والاستغاثة . ويلاحظ أن الفعل في ثلاثة مواضع جاء مقيداً بالجار والمجرور المتقدم عليه (فإليه) في موضع واحد وجاء مطلقاً في الموضعين الآخرين . وتقييده بالجار والمجرور يجعل دلالته تتمحض للدعاء والتضرع والاستغاثة لصرف ما أصابهم وفي المساعدة على كشفه وبذلك جاء التفسير في قوله تعالى " فإليه تجأرون " النحل ١٦/٥٣ . والفرق بين الجؤار والتضرع والدعاء أن الجؤار شرطُه رفع الصوت جاء في مجاز القرآن " فإليه تجأرون " أي ترفعون أصواتكم[٣]. وفي معاني القرآن (الجؤار : الصوت الشديد)[٤]. وفي تفسير الطبري (يقول فإلى الله تصرخون بالدعاء وتستغيثون به ليكشف ذلك عنكم)[٥]. وفي اللسان (الجؤار جَيَشان النفس)[٦].

---

(١) الجامع لأحكام القران ١٧/٩ .

(٢) الفروق اللغوية / أبو هلال العسكري /٢٠٨

(٣) أبو عبيدة ٣٦١/١ ومعاني القران /الزجاج ٢٠٤/٣ .

(٤) الفراء ١٠٥/٢ .

(٥) جامع البيان ١٢١/١٤ وتفسير غريب القران /ابن قتيبة /٢٤٣ .

(٦) اللسان ١٨٢/١٥ (جأر) .

ويلاحظ أن الألفاظ التي تدل على الصوت المرتفع مثل (ضجَّ وصَرخ وصاح) لم ترد في القرآن الكريم بكثرة فالفعل (ضجَّ وتصريفاته) لم يرد في الاستعمال القرآني قط . أما الفعل (صرخ) فلم يرد بصيغته المجردة (فَعَل) وإنما ورد على صيغة استفعل مرة واحدة في قوله تعالى " فإذا الذي استنصرهُ بالأمس يستصرخُه " القصص ١٢/٢٨ . كما ورد على صيغة (افتعلَ) مرة واحدة في قوله تعالى وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا " فاطر ٣٧/٣٥ كما وَرَدَ على صيغة المصدر (فعيل) في موضع واحد وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون " يس ٣٩/ ٤٣. وجاء على صيغة اسم الفاعل من غير الثلاثي (مُصرخ) في موضعين على لسان الشيطان " فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمُصرخكم وما انتم بمصرخيّ " إبراهيم٢٢/١٤. وهذه المواضع كلها مكية. أما الفعل (صاحَ) فلم يرد منه في الاستعمال القرآني سوى المصدر على وزن (فَعلة) (صيحة) في ثلاثة عشر موضعاً كلها مكية إلا موضعاً واحدا مدنيا وهي في كل هذه المواضع تصور وقوع العذاب والاستئصال في الحياة الدنيا إلا الموضع المدني فقد جاء في سياق تصوير خوف المشركين والمنافقين وجبنهم " يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذروهم " المنافقين ٤/٦٣ . فالاستصراخ والاصطراخ والإصراخ كلها تدل على رفع الصوت مع طلب الإغاثة . ويلاحظ في الاستعمال القرآني أن لفظة (تجأرون) جعلها الاستعمال القرآني مقرونة بالحرف (إلى) المقترن بلفظ الجلالة الله سبحانه.أما ألفاظ الاستصراخ والاصطراخ والصريخ والمصرخ فقد جاء استعمالها مع غير لفظ الجلالة .

(أهْطَع)

دلالته الفاشية عند المفسرين واللغويين هو الإسراع، فهي تذكر أولاً ثم تذكر الدلالات الأخرى . فعند الخليل المُهطع : المقبل ببصره على الشيء لا يرفعه

عنه)[١]. والإهطاع عند أبي عبيدة هو الإسراع ولا يذكر غيرها فمهطعين في الآيات الثلاث عنده بمعنى مسرعين[٢]. وعند غيره بحسب السياق، فهي بمعنى مسرعين في آية إبراهيم عند الزجاج ولكنها بمعنى المُقبل ببصره على شيء لا يزيله في آية المعارج[٣]. والطبري يذكر أكثر من معنى فيقول (فان أهل التأويل اختلفوا في معناه فقال بعضهم : مسرعين . وقيل . منطلقين عامدين إلى الداعي . وقال آخرون مديمي النظر . وقيل الإهطاع النظر من غير أن يطرف وقيل التحميج[٤] الدائم الذي لا يطرف)[٥]. فكل هذه المعاني وردت عند المفسرين ويبدو أن (أهطع) حَدَثٌ تصاحبه حركات الإسراع والنظر ومدّ العنق وهذه الحركات سببها الخوف والذل والخشوع فإذا ما دخلت اللفظة في تركيب معين وفي سياق خاص برز أحد هذه المعاني الذي يطلبه التركيب ويقبله السياق . ويبدو أن هذا يفسر السبب في أن هذه اللفظة لم ترد في الاستعمال القرآني إلا في حاله نصب على الحال .

وربما اقتضى السياق هذه المعاني مجتمعةً وربما اقتضى معنيين أو معنى واحدا. ومن اللافت للنظر أن المصدر (إهطاع) لم يرد في الجدول الإحصائي لصيغة أفعال لأبنية المصدر في الشعر الجاهلي[٦].

---

(١) العين ١/١٠١ .

(٢) مجاز القران ١/٣٤٢ و٢/٢٤٠ و٢٧٠ .

(٣) معاني الفران ٣/١٦٤ و٥/٢٢٣ .

(٤) التحميج : إدامة النظر مع فتح العينين / تهذيب اللغة ١/١٣٤ .

(٥) جامع البيان ١٣/٢٣٨ .

(٦) أبنية المصدر في الشعر الجاهلي ٥٤٧ .

الفصل الرابع

السياقات

القسم الأول

سياقات الخوف الدنيوي

- السياقات -

كان الفصل الأول من الدراسة قد نهض بدراسة وصفية للألفاظ التي عبر بها القرآن الكريم عن معنى الخوف، أما الفصل الثاني فكان دراسة لغوية لتلك الألفاظ من حيث التركيب والوظيفة ويعد الفصل الثالث تكملة للفصلين الأول والثاني إذ تناول دلالة تلك الألفاظ في الاستعمال القرآني ثم عرض للقراءات التي وردت فيها وبذلك تكون دراسة الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم في التعبير عن معنى الخوف قد تمت وصفا وتركيبا ووظيفة ودلالة وقراءات . ويأتي الفصل الرابع لينهض بدراسة السياقات التي عبر بها الاستعمال القرآني عن معنى الخوف. وهذه السياقات كثيرة ومتنوعة بحسب ما يقتضيه المقام فهناك سياقات خاصة بالحياة الدنيا وأخرى خاصة بالحياة الآخرة ولاسيما الأحداث التي تسبق يوم القيامة مما يحدث للإنسان والحياة على الأرض من تغيرات مذهلة لا يستوعبها العقل البشري إذ (تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) فيتعطل النظام الكوني فيكون هناك نظام شمسي إذ تشرق الشمس من المغرب ويبدأ عالم جديد بنظام جديد وتدخل الأشياء التي نعرفها والتي لا نعرفها في علاقات غريبة مذهلة . وقد صور القرآن الكريم كل ذلك بدقة وعناية تثير في نفس من يقرؤها شعورا يحمله على التأمل والخشوع الذي يصل إلى حدّ البكاء. ودراسة هذه السياقات تعتمد على طبيعة التراكيب التي تتألف منها والعلاقات التي تدخل فيها، فهناك سياقات الحذف وسياقات التشبيه وسياقات الصيحة والرجفة، وسياقات الاستفهام و(إذا) والنفخ .

إن استقراء هذه التراكيب والغوص في أعماق العلاقات التي تربط بين وحداتها اللغوية والكشف عن أسرار تلك العلاقات هو ما تطمح إليه الدراسة في هذا الفصل، إن شاء الله .

وطبيعة هذه الدراسة تحتم أن يكون الفصل على قسمين : الأول ما يخص سياقات الخوف في الحياة الدنيا. والآخر ما يخص سياقات الخوف في الحياة الآخرة . كما يضم كل قسم مجموعة مباحث بحسب طبيعة السياقات وتركيبها .

المبحث الأول

سياقات التشبيه

- **قال تعالى** مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلمّا أضاءتْ ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون . صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون . أو كصيّبٍ من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعقِ حَذَر الموت والله محيطٌ بالكافرين. يكاد البرقُ يخطفُ أبصارهم كلّما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارِهم **البقرة ٢/ من الآية ١٧ إلى الآية ٢٠. والآيات في معرض الإخبار عن حال المنافقين وان مثلهم في الحيرة والخوف مثل الذي استوقد نارا .. أو مثل الصيب المتراكمة ظلماته .**

ويلاحظ في السياق ما يأتي:

أ- الجمع بين كاف التشبيه ولفظة (مثل)

ب- تردد ألفاظ (استوقد - نارا - أضاءَ - بنورهم - ظلمات - رعد برق -أظلم)

ج- التنكير في (ناراً) (ظلماتٍ) (صيّب) (رعدٌ ، برقٌ)

د- جواب (لمّا)

هـ- جاء الكلام بالأصابع ولم يأت بالأنامل .

و- التركيب مع (كلمّا) . والتركيب مع (إذا)

ز- دلالة (يكاد)

أما الجمع بين كاف التشبيه ولفظة (مَثَل) فالذي عليه الاستعمال القرآني أن المواضع التي تجمع بين الكاف و(مَثَل) { كمَثَل } كانت أثنى عشر موضعا، منها خمسة مواضع ترددت في سورة البقرة وحدها ، وهذا الجمع يكون عادة مسبوقا بكلمة (مَثَل) فيكون التركيب (مَثَلهم كمَثَل ، مَثَله كمَثَل) في حين أن هناك ستة مواضع وردت بالكاف فقط منه قوله تعالى " ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة " **إبراهيم ١٤/٢٦ ومنه أيضا قوله تعالى** " مثل نوره كمشكاة فيها مصباح " **النور ٢٤/٣٥. أي أن هناك مواضع في القرآن الكريم جاءت بالجمع بين الكاف ومَثَل . وهناك مواضع جاءت بالكاف فقط . والسؤال هو : أ يكون المعنى واحدا ! أي إننا**

إذا قلنا: مَثَل حاله كحال الأسد . ومثل حاله كمثل حال الأسد. فهل يكــون المعنــى واحدا في التركيبين ؟.إذا عدنا إلى المواضع التي ورد فيها الجمع بــين الكــاف و (مَثَل) وجدنا إن هناك أنواعا من التراكيب تدخل في علاقة بين المشبه والمشبه بــه ولتوضيح ذلك نعرض المخطط الآتي :

التركيب مع المشبه	التركيب مع المشبه به	نوع المضاف إليه
١ـ مثلهم	كمثل الذي استوقد نارا	(اسم موصول) البقرة١٢/١٧ـ٢٠
٢ـ مثل الين كفروا	كمثل الذي ينعق	اسم موصول) البقرة١٢/١٧٨
٣ـ مثــل الــذين ينفقــون أموالهم	كمثل حبة	(نكرة) البقرة ٢/٢٦١
٤ـ مثــل الــذين ينفقــون أموالهم	كمثل جنة	(نكرة) البقرة ٢/٢٦٥
٥ـ مثــل مــا ينفقــون في هــذه الحياة	كمثل ريح	(نكرة) ال عمران ٣/١١٧
٦ـ مثــل الــذين اتخــذوا مــن دون الله أولياء	كمثل العنكبوت	معرف ب(ال)العنكبوت ٢٩/٤١
٧ـ مثل الذين حملوا التوراة	كمثل الحمار	معرف بـ(ال) الجمعة ٦٢/٥
٨ـ مثله (في الإنفاق)	كمثل صفوان	(نكرة) البقرة ٢/٢٦٤
٩ـ فمثله	كمثل الكلب	معرف بـ(ال) الأعراف ٧/١٧٥
١٠ـ مثل عيسى عند الله	كمثل آدم	(علم) آل عمران ٣/٥٩

ويلاحظ أن التركيب مع المشبه يأتي غالبا اسم موصول (الذين) أو (ما) إذ ورد في ستة مواضع من أصل عشره . أما التركيب مع المشبه به فالأمر مختلف إذ يكــون في الغالب نكره . ويلاحظ أيضًا أن هذا التركيب يأتي غالبا في موضوع الإنفــاق .

فضلا عن أن التركيب مع المشبه به يتألف من سلسلة من الجمل المتصلة التي يصعب حلّ عقدها ففي قوله تعالى " مَثَلهم كَمَثَلِ الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلماتٍ لا يبصرون صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون " فهذه سلسلة من الجمل المتصلة التي لا يمكن حذف إحداها أو إسقاطها.
يقول عبد القاهر الجرجاني في الآية الكريمة إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعامُ حتى إذا أخذت الأرضُ زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرُنا ليلاً أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس يونس ١٠/٢٤ (ألا ترى . . كيف كثرتِ الجمل فيه حتى أنك ترى في هذه الآية عشر جُمَل إذا فصلت ... ثم أن الشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض وإفراد شطر من شطر حتى إنك لو حذفت منها جملة واحدة من أي موضع كان أخلّ ذلك بالمغزى من التشبيه)[1] . ثم يذكر بعد ذلك أن الجملة مع المشبه به لا تخلو من ثلاثة أوجه[2] .أحدها أن يكون المشبه به معبرا عنه بلفظ موصول وتكون الجملة صلة . . كقوله تعالى " مَثَلهم كَمَثَل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله " الآية أو كقوله تعالى " ذلك مَثَلهم في التوراة ومَثَلهم في الإنجيل كزرعٍ أخرج شطأَهُ . . الفتح ٤٨/٢٩ والثاني أن يكون المشبه به نكرة تقع الجملة صفه له، قول النبي (ص) (الناس كإبل مئة لا تجد فيها راحلة) .

الثالث : أن تجيء الجملة مبتدأ وذلك إذا كان المشبه به معرفة ولم يكن هناك (الذي) كقوله تعالى " كَمَثَل العنكبوت اتخذت بيتاً " العنكبوت ٢٩/٤١ فهنا (يكون المشبه به تركيباً معقد الطول معدد الأجزاء . . تكون جمل المشبه به الأولى رأس النواة التي تتفرع عنها مجموعة من المكونات اللغوية المختلفة تساهم جميعها في

---

(١) أسرار البلاغة /٧٩ .

(٢) نفسه /٨٣ .

صناعه الواقع الدلالي[١]. إلا أن الاستعمال القرآني يفرق بن نوعين من التركيب ، الأول يقوم على الجمع بن الكاف ومَثَل (كَمَثَل) وقد مرّ الكلام عليه . والآخر يقوم على الكاف فقط ويبقى المشبه مقيدا بكلمة (مَثَل) وقد ورد في مواضع منها قوله تعالى " مَثَل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع " هود ٢٤/١١ وقوله تعالى " ومَثَل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار إبراهيم ٢٦/١٤. وقوله تعالى " واضرب لهم مَثَل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فأختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح " الكهف ١٨/ ٤٥. ومنه قوله تعالى " اللهُ نورُ السماوات والأرضِ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح النور ٣٥/٢٤ . وقوله تعالى " ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره " الفتح ٢٩/٤٨ . فالمشبه يتركب من كلمة (مَثَل) المضافة إلى كلمةٍ غالباً ما تكون معرفة أو نكرة مخصصة بصفة . أما المشبه به فهو اسم مجرور بكاف التشبيه، غالباً ما تكون نكرة تعقبها سلسلة من الجمل المتصلة التي تشترك جميعها في تشكيل المعنى . ولتلمس الفرق الدلالي بن هذين المركبين لابد من الوقوف على دلالة ثلاثة ألفاظ هي : الكاف ومَثَل بالتحريك ومِثْل بالتسكين.أما الكاف فهي للتشبيه جاء في الفروق اللغوية (والتشبيه بالكاف يفيد تشبيه الصفات بعضها ببعض)[٢]. أما الفرق بين مَثَل ومِثْل فالمَثَل بالتحريك (قال على وجهين: أحدهما بمعنى المِثْل بالسكون نحو شَبَه وشِبْه .. والثاني : عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أي معنى كان، وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة)[٣] .

(١) التوافق التركيبي الدلالي لإجراء التشبيه / د. بشرى محمد طه البشير / مجلة كلية المعلمين الجامعة المستنصرية /ع ٧/ ١٩٩٨.

(٢) أبو هلال العسكري/١٢٨ .

(٣) مفردات ألفاظ القران / الراغب الأصفهاني /٧٥٩ .

أما المِثْل بالسكون فيفيد تشبيه الذوات بعضها ببعض[١]. وبذلك نستطع أن نتبين الفرق بين قوله تعالى " فَمَثَلهم كَمَثَل الذي استوقد ناراً .. " بالجمع بين (الكاف و ومَثَل) وقوله تعالى " مَثَل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع " بالكاف فقط. فجاء التشبيه في الأول بالحال أي حالهم كحال الذي استوقد نارا . فجمع بن التشبيه والمماثلة . وجاء في الثانية بالكاف فقط للدلالة على تشبيههم بصفة من الصفات دون الحال . ويأتي الجمع بن (الكاف والمَثَل) إذا كان الحال لها شأن وغرابة، كأنه قيل (حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا)[٢]. ويربط المفسرون واللغويون بين هذه الآية وآية أخرى ورد فيها الجمع بن الكاف ومِثْل بالسكون جاء في إعراب القرآن " ليس كمثله شيء " الشورى ٤٢/١١ أي لا يقدر أحد على هذا غيره . والكاف في (كمِثْله) زائدة للتوكيد لا موضع لها من الإعراب لأنها حرف ولكن موضع (كمِثْله) موضع نصب . والتقدير ليس مثْله شيء[٣]. وجاء في مجمع البيان (مَثَلهم مبتدأ و(كَمَثَل الذي) خبرُه والكاف زائدة تقديره مَثَلهم مَثَل الذي استوقد نارا) ، ونحو قوله تعالى (ليس كَمِثْلهِ) أي (ليس مثَله شيء)[٤]. وجاء في المغنى (والخامس: التوكيد وهي الزائدة نحو (ليس كمِثْله شيء) قاله الأكثرون : التقدير ليس شيء مثلَه . إذ لو لم تقدر زائدة صار المعنى ليس شيءٌ مثلَ مثلهِ فيلزم المحال . وهو إثبات المِثْل[٥]. ولم يفرق المفسرون واللغويون بين لفظتي (مثل) في الآيتين ، فآية البقرة جاءت بالتحريك (مَثَل) وآية الشورى جاءت بالكسر ثم سكون (مِثْل) . والمَثَل غير المِثْل جاء في الفروق اللغوية

---

(١) الفروق اللغوية /١٢٨

(٢) الكشاف / الزمخشري ١٩٤/١ .

(٣) أبو جعفر النحاس ٥٢/٣ .

(٤) الطبرسي ١١٧/١ .

(٥) ابن هشام ١٤٩/١ .

(الفرق بين المَثَل والمِثْل أن المِثْلين ما تكافأ في الذات . والمَثَل بالتحريك الصفة)[1]. والاستعمال القرآني يفرق بين اللفظين قال تعالى " إن يمسكم قرحٌ فقد مَسَّ القومَ قرحٌ مِثْله " آل عمران ٣/١٤٠. ولذلك فالقول بزيادتها في آية البقرة لا يرجحه الاستعمال القرآني فهناك فرق بين قوله تعالى "فمَثَلهم كمَثَل الذي استوقد ناراً " وبين قولنا في غير القرآن . فمَثَلهم مَثَل الذي مثل استوقد نارا . إذ إن في الجمع بن الكاف والمَثَل إرادة المعنيين معاً التشبيه والمماثلة. ولو جاء بالكاف وحدها لأراد التشبيه فقط كقوله تعالى " مَثَل نوره كمشكاةٍ فيها مصباح " النور ٢٤/٣٥ فجاء بالكاف وحدها بقصد التشبيه وليس المماثلة . والله أعلم . أما ما يلاحظ من تردد ألفاظ (ناراً – أضاء – بنورهم – ظلمات – برق أظلم) فلفظة (ناراً) وردت مرة واحدة . بخلاف لفظة ظلمات فقد وردت مرتين . أما لفظة (نور) فقد وردت مرة واحدة وكذلك (أضاء) و (أظلم) ، بخلاف (البرق) فقد تردد مرتين، فحركه الألفاظ في السياق قائمة على ثنائية الاكتساب والفقدان فحركة: (استوقد ناراً)، (أضاءت ما حوله) فهذا اكتساب للضوء وفقدان للظلمة . وحركة (ذهب الله بنورهم) (وتركهم في ظلمات) فيها فقدان للضوء واكتساب للظلمة . وكذلك حركة (صمّ بكم عمي لا يرجعون) فيها فقدان للسمع والنطق والبصر . ومثله أيضا (أضاء) و (أظلم) وكذلك (مشوا فيه) و(أظلم عليهم) فحركة هذه الألفاظ وتراكيبها قائمة على ثنائية الاكتساب والفقدان إذ إن هذه الثنائية تعد من الركائز التي تؤسس عليها جدلية حياة الإنسان ، فالإيمان اكتساب والكفر فقدان والحق اكتساب والباطل فقدان والتوحيد اكتساب والشرك فقدان والحياة اكتساب والموت فقدان .

أما وظيفة التنكير في (ناراً) و (في ظلماتٍ) و (كصيّب) جاء في الكشاف (وتنكير النار للتعظيم .. وتنكير (صيّب) لأنه أراد نوع من المطر الشديد كما نكرت (النار) في التمثيل الأول .. والمعنى : انه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء .. وإنما جاءت

---

(1) الفروق اللغوية /١٢٨

هذه الأشياء منكرات (ظلمات – رعد – برق) لان المراد أنواع منها كأنه قيل فيه : ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف)[١].

أما جواب (لما) فقيل فيه وجهان : أحدهما أن الجواب يكون (ذَهَبَ اللهُ بنورِهم) ومن القائلين به أبو حيان إذ انه أنكر الحذف بقوله (ولا ينبغي أن يفسر كلام الله بغير ما يحتمله ولا أن يزاد فيه بل يكون الشرح على طبق المشروح من غير زيادة عليه ولا نقص منه)[٢]. أما الوجه الثاني فهو على حذف الجواب جاء في الكشاف (وإنما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الإلباس للدلالة عليه، وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التي يحصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى كأنه قيل فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في إحياء النور)[٣].

وجاء في مجمع البيان (وحذف جواب لما إيجازاً واختصاراً لدلالة الكلام عليه)[٤]. وهذا الحذف حكمه الجواز . جاء في مجمع البيان (وكان يجب في حق النظم أن يكون اللفظ فلمّا أضاءت ما حوله أطفأ الله نورَه . ليتماثل جواب لمّا معنى هذه القضية . ولكن لما كان إطفاء هذه النار مثلاً لإذهاب نورهم أقيم إذهاب النور مقام (الإخفاء) هكذا (والصحيح مقام الإطفاء)[٥]. وفي حالة الحذف تكون جملة (ذهب الله بنورهم) إما كلاماً مستأنفاً .. أو يكون بدلاً من جملة التمثيل على سبيل البيان.

---

(١) الزمخشري ١/١٩٤ .

(٢) تفسير النهر الماد ١/٣٥ .

(٣) الزمخشري ١/١٩٤ .

(٤) الطبرسي ١/١١٨ .

(٥) نفسه ١/١١٨ .

هذا ما ذكر الزمخشري[١]. وقد اعترض أبو حيان بقوله (ولا يظهر لي صحته ... لان البدل لا يكون في الجمل إلا إذا كانت الجملة فعلية تبدل من جملة فعلية .. وأما أن تبدل جملة فعلية من جملة اسمية فلا أعلم أحداً أجاز ذلك)[٢]. واعتراض أبي حيان فيه حجة ودليل، إذ لم يصرح أحد بإبدال الجملة الفعلية من الاسمية إلا الزمخشري[٣]. والذي يبدو لي أن يكون (ذهب الله بنورهم) بدلاً من جواب (لمّا) المحذوف لأنهم يقدرونه (خَمَدت) أو (أطفأ اللهُ نورَه) ويمكن عدّهُ من باب البدل على المعنى لدلالة الحال عليه ، والله أعلم .

أما قوله تعالى " يجعلون أصابعهم في آذانهم " فجاءت لفظة (الأصابع) بدل لفظة (الأنامل) فقد ذكر الزمخشري أن (هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها .. وأيضاً ففي ذكر الأصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل)[٤]. والسياق هو سياق خوف إذ هناك صوت الرعد ومعه البرق ثم الصواعق فهم في خوف وهلع (حتى أنهم لو تمكنوا من جعل الأصابع كلها جعلوها)[٥]. أما قوله تعالى " يكاد البرقُ يَخطفُ أبصارَهم " فدلالة (يكاد) هي المقاربة جاء في البيان في غريب إعراب القرآن (فعلٌ من أفعال المقاربة ينفي في الإيجاب ويوجب في النفي نقول : كاد يفعل كذا ، إذا قارب الفعل ولم يفعل وما كاد يفعل كذا إذا فعله بعد إبطاء)[٦]. وجاء في شرح المفصل (كاد زيد يفعل . فالمراد قربَ وقوعه في الحال إلا انه لم يقع بعدُ لأنك لا تقوله إلا لمن هو على حدّ الفعل

---

(١) الكشاف ١/١٩٤ .

(٢) تفسير النهر الماد ١/٣٥ .

(٣) للمزيد يراجع كتاب البدل في الجملة العربية / حسين محمد محمد حسن /٨٣و٣٩٩.

(٤) الكشاف ١/١٩٤ .

(٥) المعاني الثانية د. فتحي أحمد عامر /١٨٣ .

(٦) ابن الأنباري ١/٦١ .

كالداخل فيه لازمان بينه وبين دخوله)[١]. فهم على حد الخطف كالداخلين فيه لازمان بينهم وبين دخوله . أما في قوله تعالى " كلما أضاءت لهم مشوا فيه " فقد صُدِرَ الكلام (كلما) وفي قوله تعالى " وإذا أظلم عليهم قاموا " فقد صدر الكلام بـ(إذا) . جاء في الكشاف (إذا صادفوا من البرق خفقةً من خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فخطوا خطوات يسيرة، فإذا خَفِيَ وفَتَرَ لمعانُه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة)[٢]. وكلما: منصوبة على الظرفية وهي تفيد التكرار، جاء في تفسير النهر الماد (ولا فرق هنا بين كلما وإذا لأنه متى فهم التكرار من (كلما) لزم منه التكرار في (إذا)، لان الأمر دائر بين إضاءة البرق والإظلام)[٣]. وفي كلام أبي حيان نظر إذ لابد من وجود فرق بين دلالة (كلما) ودلاله (إذا) . فكلما ظرف يفيد تكرار الحدث . أما (إذا) فتجيء في المتوقع الذي كثر حدوثه لان بعد الإضاءة لابد من إظلام ولذلك جاء فعل الشرط ماضياً على افتراض حصول الحدث مرة واحدة. جاء في معاني القرآن (فشبه الظلمات بكفرهم، والبرق إذا أضاء لهم مشوا فيه بإيمانهم، والرعد ما أتى في القرآن من التخويف . وقد قيل فيه وجهٌ آخر، قيل : إن الرعد إنما يذكر مثلاً لخوفهم من القتال إذا دعوا إليه، ألا ترى انه قد قال في موضع آخر " يحسبون كل صيحةٍ عليهم " المنافقون ٤/٦٣ أي يظنون أنهم مغلوبون) [٤].

---

(١) ابن يعيش ٧/ ١١٩ والرضي على الكافية ٢/ ٣٠٨ .

(٢) الزمخشري ١٤٩/١ .

(٣) أبو حيان /٣٨ .

(٤) معاني القران /الفراء ١٧/١ .

وجاء في المثل السائر (إن مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد ناراً في ليلةٍ مظلمةٍ بمفازةٍ فاستضاء بها ما حوله، فاتقى ما يخاف وأمِنَ فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره فبقي مظلماً خائفاً)[١].

٢- قال تعالى " يجادلونك في الحق بعدَ ما تبيّنَ كأنّما يُساقونَ إلى الموتِ وهم ينظرون . وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتَوَدّونَ أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد اللهُ أنْ يحقَّ الحقَّ بكلمات ويقطعَ دابر الكافرين " الأنفال ٨/ ٦ -٧ والآيتان وردتا في سياق ملاقاة العِير أو ملاقاة النفير، فاستشار النبي (ص) أصحابَه فوافقوه على قتال النفير وكره بعضُهم ذلك وقالوا . هلاّ ذكرت لنا القتال حتى نتأهّب له، إنا خرجنا للعِير فعليك بالعِير ودع العدوّ . فالسياق جاء في موطن الخوف الذي أبداه بعضُهم وقد شبّه القرآن الكريم حالهم بحال الذي يساق إلى الموت مكرهاً وهو يشاهد أسبابه .

والسياق يتضمن جملة نقاط هي :

١- غَلَبَة الفعل المضارع (يجادلون ، يساقون ، ينظرون ، يعدكم ، تودون ، تكون ، يريد الله ، يحق الحق ، يقطع) .

٢- أداة التشبيه (كأن) .

٣- طيّ ذكر الفاعل في (يُسامون) .

٤- دلالة الجملة الحالية (وهم ينظرون).

٥- دلالة (غيرَ ذات الشوكة) .

أما غلبة الفعل المضارع فذلك للدلالة على التجدد وتكرار حدوث الفعل فهم في الجدال والسوق والنظر والود، جاء في دلائل الإعجاز (وأما الفعل فموضوعه على انه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء)[٢]. وجاء في مجمع البيان

---

(١) ابن الأثير ٢/١٤٥ .

(٢) دلائل الإعجاز / عبد القاهر الجرجاني /١٩٣ .

(وكانوا يجادلون فيه لشدته عليهم يطلبون بذلك رخصة لهم في التخلّف عنه أو في تأخير الخروج إلى وقت آخر)[١].

أما ورود الكلام بـ(كأنما) فالغرض منه الاهتمام بالحالة المشبه بها دون الاهتمام بالمشبه . ولم يأت الكلام على (كأنهم يُساقون)، إذ فرق النحويون بين دلالة (كأن) عندما يكون خبرها جامداً نحو (كأن زيداً أسدٌ) فهي هنا للتشبيه، ودلالتها عندما يكون خبرها صفة مشتقة أو فعلاً أو ظرفاً أو جاراً ومجروراً فهي للظن أو الشك.

جاء في شرح الرضي على الكافية (فلهذا تقول : كأني أمشي وكأنك تمشي والأصل كأني رجل يمشي وكأنك رجل تمشي)[٢]. وحجتهم في ذلك أن الشيء لا يشبه بنفسه. ورأي الكوفيين كما ينقله السيوطي في الهمع (أن الشيء يشبه في حالةٍ ما به في حالةٍ أخرى)[٣]. ويرى الدكتور فاضل السامرائي (أن هذا أرجح مما ذهب إليه الرضي لعدم التقدير والتغيير فعندما نقول . كأنك تمشي فأنت شبهت المخاطب في حالةٍ غير المشي به في حالة المشي، أي شبهت زيداً به في حالةٍ أخرى)[٤]. إذ ليس المراد تشبيههم وهم غير مسوقين بهم مسوقين . ولذلك قالت بلقيس (كأنه هو) ولم تقل (كأنما هو) على معنى الشك والافتراض والظن .

أما طيّ ذكر الفاعل في الفعل (يُساقون) فهو لغرض الاهتمام بالحدث وصرف العناية إليه دون المحدث، إذ فيه تركيز الاهتمام على الحَدَث بصرف النظر عن

(١) مجمع البيان / الطبرسي ١٠٦/٩ .

(٢) شرح الرضي على الكافية ٣٤٧/٢ .

(٣) همع الهوامع / السيوطي ١٥٣/٣ .

(٤) معاني النحو ٣٣٩/١ .

محدثه[١]. فحالهم وهم يساقون إلى الموت هي التي جرى التركيز عليها لإبراز خوفهم وترددهم في الخروج إلى العدو وملاقاته .

أما دلالة الجمل الحالية (وهم ينظرون) فعلى استئناف إثبات للنظر. جاء في دلائل الإعجاز (وكل جملة جاءت حالاً ثم اقتضت الواو فذاك لأنك مستأنف بها خبراً وغير قاصد إلى أن تضمنها إلى الفعل الأول في الإثبات)[٢]. أي أنهم يساقون إلى الموت وهم على (مثل ذلك) من الحال . جاء في تفسير النهر الماد (شبّه حالهم في فرط فزعهم وهم يُسار فيهم إلى الظفر والغنيمة بحال من يُساق على الصغار إلى الموت وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لا يشك فيها)[٣].

ويلاحظ أن الفعل (ينظرون) لم يقيد بحرف الجر بل جاء مطلقاً لأنه معلوم دل عليه الكلام فلا حاجةَ لذكره .

أما قوله تعالى " وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم " فالسياق سياق خوف إذ إنهم لا يودون ملاقاة ذات الشوكة . جاء في مجمع البيان (كنى بالشوكة عن الحرب لما في الحرب من الشدة ... وقيل ذات الشوكة ذات السلاح) [٤].

ولم ترد لفظة الشوكة في الاستعمال القرآني إلا في هذا الموضع، جاء في مفردات ألفاظ القرآن (ويعبر بالشوك والشّكَةِ عن السلاح والشدة قال تعالى " غير ذات الشوكة ") [٥].

٣ – قال تعالى " وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزلٍ يا بُنيّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين " **هود ٤٢/١١ والآية في سياق قصة**

---

(١) الإعجاز البياني للقرآن د. عائشة عبد الرحمن /٢٤٢ ، ٢٤٣ وينظر أسلوب الحذف في القران الكريم / أحلام موسى /٣٧ رسالة دكتوراه ، المستنصرية، كلية الآداب ١٩٩٩ .

(٢) عبد القاهر الجرجاني /٢٢٤ .

(٣) أبو حيان ٩١١/١ .

(٤) الطبرسي ١٠٦/٩ .

(٥) الراغب الأصفهاني / ٤٧٠ .

سيدنا نوح (ع) مع قومه بعد حدوث الطوفان، وسياق الخوف متأتٍ من سياق تشبيه الموج بالجبال في تراكمه وارتفاعه، وما يكون من حال السفينة وهي تتقاذفها أمواج كالجبال . وهنا لابد من ملاحظة ما يأتي :

١- حركة الأفعال (وهي تجري) و (نادى نوح) (كان في معزل) و (اركب معنا) و (لا تكن مع الكافرين)

٢- التنكير في (موج)

٣- النداء في (يا بني)

٤- التشبيه بالكاف .

أما حركة الأفعال فقوله تعالى (وهي تجري) جاء الإخبار بالمضارع عن الحدث الماضي وذلك استحضاراً لصورته في الذهن كأنه مشاهدٌ حالَ الإخبار. فصورة السفينة وهي تجري بين أمواج عظيمة لا قِبل للمرء على تصورها ولكن التعبير بالفعل المضارع (تجري) جعل حركتها هائلة أمام عين السامع فيشعر بهول ذلك الموقف . جاء في الجمان في تشبيهات القرآن (الجري : مرّ سريع كمرّ الماء على وجه الأرض .. والموج جمع موجة وهي القطعة العظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير .. فدلّ التشبيه على عظم شأن الأمر من حال الماء وتطبيقه الأرض ومن ملابسة الرياح له ... تجري السفينة في هذه الأهوال، وناب لفظه مع اختصاره عن شرح كثير)[١].

ومادة (موج) وردت في الاستعمال القرآني سبع مرات اقترنت بلفظ الجبال في هذا الموضع فقط - موضوع البحث - كما ورد منها الفعل المضارع (يموج) في موضع واحد فقط، ولم ترد في الاستعمال القرآني إلا في مواضع الخوف والشدة. وجاءت نكرة للدلالة على التفخيم والتعظيم أي في موجٍ عظيم غير معهود.

---

(١) ابن ناقيا /١٢١ .

أما قوله تعالى " ونادى نوحٌ ابنَه وكان في معزل يا بني اركب معنا " فقد جاء الفعل (نادى) على صيغة الماضي بعد الفعل (وهي تجري) المضارع للدلالة على أن نداءه كان قبل جري السفينة، جاء في تفسير النهر الماد (الواو لا ترتب، وهذا النداء كان قبل جري السفينة)[1]. والانتقال من صيغة إلى صيغة وهو ما يسمى عند البلاغيين بالالتفات[2]. ونداء نوح (ع) لابنه ودعوته للركوب تأتي في سياق الخوف الذي كان عليه حال نوح (ع) وهو يرى ابنه في معزل وليس في نفسه رغبة في الركوب معهم . فقوله (معنا) يبعث على الأمان والاطمئنان والنجاة. ولذلك لم يقل (اركب معي) فقد نسبه إليه بصيغة النداء (يا بني) التي فيها ما فيها من التحنن والإشفاق . بخلاف مناداة أبي إبراهيم لإبراهيم (ع) إذ ناداه باسمه " قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم " مريم ٤٦/١٩ فتلك أخلاق نبيّ، وهذه أخلاق عاصٍ ضال .

أما التشبيه بالكاف فيلاحظ أن ما تدخل عليه لا يكون إلا معرفة أو نكرة وقد جاء هنا معرفة وهو (الجبال)، وقد ورد تشبيه الموج بـ(الظُلَل) في قوله تعالى " وإذا غشيهم موجٌ كالظُّلَلِ " لقمان ٣٢/٣١ إلا أن الفرق بين (الموجين) انه في آية هود موج الطوفان وفي آية لقمان موج البحر .

٤- قال تعالى " أو كظلماتٍ في بحرٍ لجّيّ يغشاه موجٌ من فوقهِ موج من فوقه سحاب، ظلماتٌ بعضُها فوقَ بعض إذا أخرجَ يدَه لم يَكَد يراها ومن لم يجعل ألله له نوراً فماله من نور " النور ٢٤ /٤٠ والآية جاءت في معرض تشبيه أعمال الذين كفروا،فسياق الخوف هو سياق التشبيه الذي ترددت فيه ألفاظ الظلمة والغشيان والموج وعدم الرؤية في (لم يكد يراها) فجو السياق يشيع فيه الظلام وينعدم فيه النور . ومن خلال التراكيب التي يتألف منها السياق يمكن ملاحظة ما يأتي :

١- غلبة التنكير في عموم السياق (ظلماتٍ ، بحرٍ ، لجّي ، موجٌ)

---

[1] أبو حيان ٦٩/٢ .

[2] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها / احمد مطلوب ٢٩٤/١ .

٢- غلبة الفصل بين جمله وألفاظه .

٣ - التكرار في (موج) و (من فوقه) .

٤ - دلالة (لم يكد يراها) وسنعرض لهذه الملاحظات بالتفصيل .

أما وظيفة التنكير التي غلبت على جو السياق فالغرض منها التعظيم والتهويل . قال احد الدارسين (وهل هناك أشد رهبة وظلمة من أمواج بحر لجّي بعضها فوق بعض يكتنفها سحاب مظلم .. وهذا الانسجام في التنسيق بين الكلمات : ظلمات، في بحر لجّي، يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض، ينتقل بك إلى خضم لا تكاد تدرك فيه نفسك فتغمرك الخشية من كل جانب)[1]. ولم ترد لفظة (لجّي) إلا في هذا الموضع فقط .

أما غلبة الفصل فذلك لاتحاد جمله وتقارب معانيها تقارباً تاماً كأنما أفرغت في قالب واحد فجملة (من فوقه موج) تنزل من جملة (يغشاه موج) التي تسبقها منزلة نفسها، وكذلك الأمر في جملة (من فوقه سحاب) وجملة (ظلمات بعضها من بعض) فقد امتزجت امتزاجاً معنوياً فلا حاجة لها بحرف العطف، جاء في دلائل الإعجاز (وكذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها)[2].

أما التكرار في كلمة (موج) وفي الظرف (من فوقه) فالغرض منه إشاعة جو الرهبة والخوف بما توحيه لفظة (موج) من خطر مباغت يظهر بقوة يعجزُ المرءُ عن ردّهِ، ثم يأتي التكرار في (من فوقه) ليؤكد التسلط من علٍ إذ إن الموج لا يأتي إلا من فوق، وهذا التكرار متين الارتباط بالسياق.أما دلالة (لم يكد يراها) فقد ذكر الفراء (لا يراها وهو المعنى . لان أقل من الظلمات التي وصفها الله لا يرى فيها الناظر كفّه، وقال بعضُهم إنما هو مَثَل ضربه الله فهو يراها ولكنه لا يراها إلا

---

(1) فكرة النظم بين وجوه الإعجاز د. فتحي أحمد عامر /٢٤٢ .

(2) عبد القاهر الجرجاني /٢٣٤ .

بطيئاً كما تقول : ما كدت أبلغ إليك وأنت قد بلغت)[١]. وعند الزجاج (معناه لم يرَها ولم يكَد)[٢]. وعند ابن يعيش (أن المعنى انه يراها بعد اجتهاد ويأس من رؤيتها .. وعلة ذلك أنها دخلت لإفادة معنى المقاربة في الخبر .. فإذا دخل النفي على كاد قبلها كان أو بعدها لم يكن إلا لنفي الخبر، كأنك قلت: إذا أخرج مده يكاد لا يرها، فكاد هذه إذا استعملت بلفظ الإيجاب كان الفعل غير واقع وإذا اقترن بها حرف النفي كان الفعل الذي بعدها قد وقع)[٣].ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن رأي ابن يعيش أرجح . إلا انه عاد فقال (ويمكن الجمع بن الرأيين في هذه الآية وفي قوله تعالى " يتجرعُه ولا يكاد يُسيعه " إبراهيم١٤/١٧ فإن هاتين الآيتين يمكن حملهما على الوجه الأول وكما يمكن حملهما على الوجه الذي رجحناه، وليس دلاله الجملة الواحدة على معنيين متغايرين أمراً غريباً في اللغة)[٤].والذي عليه الاستعمال القرآني أن الفعل (كاد) ورد ثلاثاً وعشرين مرة بصيغة الماضي والمضارع . وقد ورد منفياً في ستة مواضع فقط . إذ جاء مثبتاً لكنه يدل على النفي ففي قوله تعالى " إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني " الأعراف ٧/١٥٠ إذ لم يقتلوه . وقوله تعالى " تكاد السماوات يتفطرْن منه وتنشقَ الأرض " مريم ١٩/٩٠ ولم تتفطر السماوات ولم تنشق الأرض . فقد دل على النفي وان جاء مثبتاً . وفي مواضع أخرى تبقى دلالته على الإثبات، ففي قوله تعالى وان كادوا ليَستفزونَك من الأرض ليُخرجوك منها " الإسراء ١٧/٧٦ وقد استفزوه وأخرجوه صلى الله عليه وسلم . وفي قوله تعالى " وانه لمَا قام عبدُ الله يدعوه كادوا يكونون عليه لِبَدا " الجن ٧٢/١٩ وقد كانوا عليه لِبَدا، وقوله تعالى " تكاد تميز من الغيظ " الملك ٦٧/٨ فهي في حالة تميز . فدلالة (كاد) في النفي أو الإثبات ترتبط بطبيعة

(١) معاني القران /الفراء ٢/٢٥٥ .
(٢) معاني القران وإعرابه /الزجاج ٤/٤٨ .
(٣) شرح المفصل ٧/١٢٤ وينظر معاني النحو ١/٣٠٠ .
(٤) معاني النحو ١/٣٠١ .

السياق فهو الذي يوجه دلالتها ومعناها . فتكون دلالتها في الآية – موضوع البحث – النفي أي لم يرها، جاء في الكشاف (لم يكد يراها : مبالغة في (لم يرهـا) : أي لم يقرب أن يراها فضلاً عن أن يراها)[١]. وجاء في ظلال القرآن (ويتمثل الهـول في ظلمات البحر اللجّي، موج من فوقه موج من فوقه سحاب وتتـراكم الظلمـات بعضها فوق بعض حتى يخرج يده أمام بصره فلا يراها لشدة الرعب والظلام)[٢].

٥- قال تعالى " وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلمـا نجـاهم إلى البر فمنهم مقتصد ، وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور " لقمان ٣١/٣٢ .

والآية إخبار عن حال الإنسان عندما يتعرض لحالة مـن الخـوف الشـديد فيلجـأ بفطرته إلى الله سبحانه . فالسياق تتصدره (إذا) الشرطية الظرفية. وجملة الشـرط (غشيهم موج كالظلل) بما توحيه بالضغط المتسلط عليهم كالظلل من جبل أو سحاب أو غيرهما فيشيع في نفوسهم الخوف والفزع من أمر لا يسـتطيعون رده ، ولا راد له إلا الله سبحانه . ويلاحظ أن صيغة الماضي هي الغالبـة (غشـيهم – دعـوا – نجاهم) والغالب في فعل الشرط مع (إذا) أن يكون ماضيا للدلالة على كثرة وقوعـه وقد مر بنا في أكثر من موضع . ومصاحبة الغشيان للموج جاء فـي موضـعين ، الأول في سورة النور وقد مر بحثه، والآخر في هذه الآية – موضـوع البحـث – واجتماع ألفاظ (الغَشيان والموج والظلَل) دخولها في علاقة إسنادية إذ أُسند الغشيان إلى الموج ثم دخول (كالظلل) في علاقة إتباع مع (موج) كل ذلـك جسـد معنـى الخوف بدلالة قوله تعالى " دعوا الله مخلصين له الدين " وقد طوي ذكـر الـدعاء لدلالة الحال عليه بقوله تعالى " فلمّا نجّاهم إلى البَرّ " جاء في مجمع البيان (دعـوا الله مخلصين له الدين) أي خافوا الغرق والهلاك)[٣]. وجاء فـي الجـامع لأحكـام

---

(١) الزمخشري ٣/٦٩ .

(٢) سيد قطب ١٨/ ٢٥٢١ .

(٣) الطبرسي ٢١/ ٦٨ .

القران (إذا غَشِيهم موجٌ كالظَلَل) قال مقاتل: كالجبال. وقال الكلبـــي: كالســحاب .. جمع ظلة شبه الموج بها لكبرها وارتفاعها .. لان الموج يأتي شــيئا بعــد شـــيء ويركب بعضه بعضا كالظلل[1]. وجاء في ظلال القران (يذكرهم بـــالهول الأكبـــر الذي يبدو هول البحر في ظله هزيلاً)[2].

---

(1) القرطبي ١٤/٥٤ .

(2) سيد قطب ٢١/ ٢٧٩٧ .



المبحث الثاني

سياق الصيحة

١- **قال تعالى** " وأخذَ الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا في ديارِهم جاثمين " **هود ٦٧/١١** .

٢- **قال تعالى** " ولمّا جاءَ أمرُنا نجّينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منّا وأخذتْ الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين " **هود ٩٤/١١** .

٣- **قال تعالى** " فأخذتهم الصيحةُ مشرقين ، فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجّيل " **الحجر ١٥/ ٧٣- ٧٤** .

٤- **قال تعالى** " فأخذتهم الصيحةُ بالحقّ فجعلناهم غُثاء فبُعدا للقوم الظالمين " **المؤمنون ٤١/٢٣** .

٥- **قال تعالى** " إن كانت إلا صيحة واحدَة فإذا هم خامدون " **يس ٢٩/٣٦** .

٦- **قال تعالى** " ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخُذهم وهم يخصِّمون " **يس ٤٩/٣٦**

٧- **قال تعالى** " يحسبون كلَّ صيحة عليهم " **المنافقون ٤/٦٣** .

وهذه الآيات نزلت في الأقوام الذين كذبوا رسلهم وكفروا بما جاءوا به وهم قوم صالح وقوم شعيب وقوم لوط . إلا أن آية (المنافقون) قد جاءت في وصف حالة الخوف والجبن التي كانوا عليها . ويلاحظ أن الغالب في سياق الصيحة ما يأتي:

١- إسناد الفعل (أخذ) إلى الصيحة .

٢- إن جملة الصيحة تعقبها جملة معطوفة عليها بالفاء . وغالباً ما تكون الجملة المعطوفة هي (فأصبحوا) أو (فجعلنا) .

٣- يتقدم المفعول به (الذين ظلموا) على الفاعل (الصيحة) . ويلاحظ أن النظم في آيتي هود متفق إلا في الفعل (أخذ) فقد جاء بحذف التاء وإسقاطها في الآية /٦٧ " وأخذ الذين ظلموا الصيحة " . والنحويون يدخلون هذا الاختلاف تحت باب تأنيث الفعل وتذكيره ويضعونه تحت حكم جواز التأنيث، وقد ورد في الاستعمال القرآني التذكير والتأنيث مع ألفاظ معينة منها لفظة (الموعظة - والبينات والشفاعة -

والضلالة - والعاقبة - والرسل - والصيحة).أما ما يخص (الصيحة) - موضوع البحث - فالذي عليه الاستعمال القرآني أنها وردت مع الفعل (أخذَ) في ثمانية مواضع أُنّث الفعل في سبعة منها وذُكّر في موضع واحد . أي إن التأنيث هو الغالب لأن الفاعل مؤنث. وقد حاول اللغويون والنحويون تعليل تذكير الفعل مع الفاعل المؤنث ولاسيما في الاستعمال القرآني.فينقل الزركشي في البرهان رأي السهيلي فيقول (إنما حذفت منه لان (الصيحة) فيها معنى العذاب والخزي إذ كانت منتظمة بقوله " ومِن خِزْيِ يومئذ " هود /٦٦ فقوي التذكير . بخلاف قصة شعيب فإنه لم يُذكّر فيها ذلك . وأجاب غيره : إن الصيحة يراد بها المصدر بمعنى الصياح، فيجيء فيها التذكير، فيطلق ويراد بها الوحدة من المصدر فيكون التأنيث أحسن)[١]. ويرى الدكتور فاضل السامرائي (أن المعنى هو الحاكم في كل ذلك فمرة يكون التأنيث أجود ومرة يكون التذكير أجود بحسب القصد والسياق .. فقد تقصد باللفظ المؤنث معنى مذكر فتذكّر الفعل له . وقد تقصد باللفظ المذكر معنى مؤنث فتستعمله استعمال المؤنث)[٢]. ويرى الدكتور إبراهيم السامرائي (أن التأنيث في العربية حتى عصر القرآن لم يكن على شيء من الاستقراء)[٣]. (كذا) والصحيح الاستقرار . والاستعمال القرآني يفرق بين نوعين من الفاعل الذي يؤنث معه الفعل أو يُذكّر، فهناك المصدر المختوم بالتاء مثل (صيحة - شفاعة - ضلالة - موعظة - عاقبة - بيّنة) وهناك الفاعل الذي يكون على صيغة جمع التكسير (رُسُل - الأعراب - النسوة). والذي عليه مدار البحث هو تذكير الفعل وتأنيثه إذ يكون فاعله مصدرا مختوما بالتاء، فهو عند المفسرين واللغويين يكون على أحد التوجيهات الآتية : أما أن يحمل على المعنى فيُتصيّد له لفظ مذكر، وأكثر ما يكون

---

(١) البرهان / الزركشي ٣/٣٦٨ .

(٢) معاني النحو ٢/٤٨٢ .

(٣) الفعل زمانه وأبنيته /٢١٧

كلمة (العذاب) كما مر في توجيه السهيلي فتكون الصيحة بمعنى العذاب . فيكون هذا من باب الحمل على المعنى، وقد حمل الدكتور فاضل السامرائي كثيرا من هذه المواضع على هذا التوجيه[١].

أما التوجيه الثاني فيكون على أن الصيحة والضلالة والموعظة يراد بها المصدر أي الصياح . والضلال والوعظ . جاء في بدائع الفوائد (إن الصيحة يراد بها المصدر بمعنى الصياح فيحسن فيها التذكير، ويراد بها الواحدة من المصدر فيكون التأنيث أحسن)[٢]. وأما التوجيه الثالث فعلى تقدير حذف مضاف . جاء في معاني النحو " ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل " البقرة ٢/ ٤٨ فمعنى الشفاعة هو(الشفيع) أو على معنى (ولا يقبل منها طلب الشفاعة . . أو ذو الشفاعة)[٣].وسياق الصيحة هو الذي عبّر به القرآن الكريم عن الخوف الذي يأتي فجاءت عقب تلك الصيحة التي تثير الهلعَ والرعب في نفوس سامعيها .

جاء في الكشاف " وما ينظرون إلا صيحة واحدة " يس ٣٦/ ٤٩ (والمعنى أنها تبغتهم وهم في أمنهم وغفلتهم عنها لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم)[٤].وفي قوله تعالى " يحسبون كل صيحة عليهم " المنافقون ٦٣/ ٤.

جاء في الكشاف (لجنبهم وهَلَعِهم وما في قلوبهم من الرعب)[٥]. وجاء في البرهان في الآية نفسها (وهذا اشد ما يكون من الخوف)[٦].

---

(١) لمزيد من الاطلاع يراجع معاني النحو ٢/٤٨٤ .

(٢) ابن قيم الجوزية ١/١٢٦ .

(٣) د. فاضل السامرائي ٢/٤٨٤ .

(٤) الزمخشري ٣/٣٢٥ .

(٥) نفسه ٤/١٠٩ .

(٦) الزركشي ٣/٢٣٠ .

المبحث الثالث

سياق الرجفة

١- **قال تعالى** " فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين " **يعني قوم صالح.**

٢- **قال تعالى في قوم شعيب** " فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين

٣- **قال تعالى** " واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال ربّ لو شئت أهلكتهم من قبلُ وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا " **الأعراف ٧/ الآيات ٧٨ ، ٩١ ، ١٥٥ .**

٤- **قال تعالى** " والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبُدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين. فكذّبوهُ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين **العنكبوت ٢٩/٣٦ – ٣٧ .**

ويلاحظ أن آيتي الأعراف ٧٨/٩١ وآية العنكبوت متفقات في النظم بخلاف الآية /١٥٥ " فلمّا أخذتهم الرجفة ... " فهي متفقة في إسناد الأخذ إلى الرجفة فقط. ويلاحظ أيضا أن التركيب (فأصبحوا في دارهم جاثمين) قد تكرّر هنا في سياق الرجفة وكذلك في سياق الصيحة إلا في لفظة (الدار) فقد جاءت مفردةً هنا (دارهم) وجاءت جمعاً مع الصيحة (ديارهم).والذي عليه الاستعمال القرآني أن لفظة (دار) تأتي معرفة بـ(أل) فتكون في الغالب مصاحبة للفظة (الآخرة) التي تكون نعتاً للدار. وتأتي مضافاً إليها في الغالب ألفاظ (عاقبة – عقبى – سوء) وتأتي مضافة إلى الضمير في الغالب (داركم – دارهم – داره) . أما إذا جاءت جمعاً (ديار) فالغالب أن تكون مضافاً إلى الضمير (دياركم – ديارنا – ديارهم) ومن اللافت للنظر أنها عندما تكون مضافة إلى الضمير لا تأتي إلا مجرورة بحرف الجر (في- من – الباء)،إلا في آية واحدة جاءت منصوبة في قوله تعالى " وأورثكم أرضهم وديارهم " **الأحزاب ٣٣/٢٧ . وهي في حالة الجر تأتي مصاحبة الفعل (أخرج) . فسياق الصيحة يستدعي أن تأتي لفظة (دار) على الجمع (ديارهم) لان الصيحة أعمّ وأشمل . وسياق الرجفة يستدعي أن تأتي على المفرد (دارهم) لان الرجفة أخص وألصق بالإنسان وبما حوله إذ جاءت لفظة (دار) مفرده في ستة مواضع في سورة هود ١١/٦٥ . فعقروها فقال تَمتّعوا في دارِكم ثلاثة أيام " وفي سورة القصص ٢٨/**

٨١ في خبر قارون " فخَسَفنا به وبداره الأرض " وفي آيتي الأعراف – موضـــوع البحث – وفي سورة الرعد ٣١/١٣ " أو تحُلّ قريباً من دارهم " وفي آية العنكبوت – موضوع البحث – فهذه ستة مواضع ورد فيها لفـــظ (دار) مفـــرداً . جـــاء فـــي مفردات ألفاظ القرآن (الدار: المنزل اعتباراً بدورانها الذي لها بالحـــائط . . . ثـــم تسمى البلدة داراً والصقع داراً)[١]. أو على أن المعنى (في ديارهم) فاكتفى بالواحـــد . جاء في الكشاف (الرجفة: الزلزلة الشديدة . . لان القلوب رجفـــت لهـــا. (فـــي دارهم) في بلدهم وأرضهم أو في ديارهم فاكتفى بالواحد لأنه لا يلبس)[٢]. وجاء في مجمع البيان (في دارهم) أي في بلدهم ولذلك وحّد . وقيل يريد في دورهـــم وإنمـــا وحّد لأنه أراد الجنس)[٣]. ومن اللافت للنظر أن لفظة (دور) بالجمع لم تـــرد فـــي الاستعمال القرآني . ويلاحظ أن الخوف في سياق الصيحة والرجفـــة يـــأتي فجـــأة مباغتاً فيكون معه الهلاك لا محالة . إلا في آية الأعراف /١٥٥ في قوله تعـــالى " واختار موسى قومَه سبعين رجلاً لميقاتنا فلمّا أخذتهم الرجفة قـــال ربّ لـــو شـــئت أهلكتهم من قبل وإياي ". جاء في مجمع البيان (فأخذتهم الرجفـــة) وهـــي الرعـــدة والحركة الشديدة حتى كادت أن تبين مفاصلهم وخاف موسى عليهم الموت)[٤]. فهذه الرجفة لم يكن معها الهلاك . بدليل قوله تعالى على لسان موســـى (ع) " رب لـــو شئت أهلكتهم من قبل وإياي " .

---

(١) الراغب الاصفهاني ٣٢١ .

(٢) الزمخشري ٢٠٥/٣ .

(٣) الطبرسي ١٠٢/٨ .

(٤) نفسه ٣٤/٩ .

المبحث الرابع

سياق الضيق

١- **قال تعالى** " لقد نصرَكم اللهُ في مواطن كثيرة ويومَ حُنَين إذ أعجبكم كثرتكم فلم تغنِ عنكم شياً وضاقتْ عليكم الأرضُ بما رَحُبتْ ثم وليتم مدبرين " **التوبة ٢٥/٩** .

٢- **قال تعالى** " وعلى الثلاثةِ الذين خُلّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسُهم وظنّوا أنْ لا ملجأ من الله إلا إليهِ ثُمّ تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم " **التوبة ١١٨/٩**.

٣- **قال تعالى** " فلعلّك تاركٌ بعض ما يوحى إليك وضائقٌ به صدرُك أن يقولوا لولا أُنزل عليه كنزٌ أو جاء معه ملَكٌ إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل " **هود** ١٢/١١ .

٤- **قال تعالى** " ولمّا جاءتْ رُسُلنا لوطاً سِيءَ بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يومٌ عصيب " **هود ٧٧/١١** .

٥- **قال تعالى** " ولقد نعلمُ أنك يضيقُ صدرُك بما يقولون " **الحجر ٩٧/١٥** .

٦- **قال تعالى** " واصبرْ وما صبرك إلا بالله ولا تَحزنْ عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون " **النحل ١٢٧/١٦** .

٧- **قال تعالى** " ويضيقُ صدري ولا ينطلق لساني فأرسِل إلى هارون " **الشعراء** ١٣/٢٦ .

٨- **قال تعالى** " ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون " **النمل ٧٠/٢٧**.

٩- **قال تعالى** " ولما أن جاءت رسُلنا لوطاً سِيءَ بهم وضاق بهم ذرعاً وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا مُنجّوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين " **العنكبوت** ٣٣/٢٩ . **ويلاحظ أن الخوف الذي يعبّر عنه بسياق الضيق تختلف شدّته وتتفاوت درجاته باختلاف الضيق نفسهِ ، إذ إن الضيق الذي ورد في الاستعمال القرآني على ثلاثة أنواع : ضيق يختص بالأرض ، وضيق يختص بالصدر وضيق يختص بالذَرْع، فضيق الأرض يعبر به عن أعلى درجات الخوف والفزع فكأن الأرض بطولها وعرضها تضيق بالخائف فيصاب بالعجز والتخاذل . أما ضيق الصدر**

فيكون الخوف فيه بدرجة القلق والحيرة . وأما ضيق الذرع فالخوف فيه عن قرب . ويلاحظ أن الفعل (ضاق) ومصدره وما يشتق منه يُعدّى مرة بحرف الجر (على) في آيتي التوبة " ضاقت عليكم الأرض " و " ضاقت عليهم الأرض " ، ويُعدى مرة أخرى بحرف الجر (الباء) في قوله تعالى " وضائق به صدرك " و " ضاق بهم ذَرْعاً " و " يضيق صدرُك بما يقولون ". وثالثة يتعدى بحرف الجر (من) في قوله تعالى " ولا تكُ في ضيقٍ مما يمكرون " ورابعة يأتي مطلقاً بدون تقييد في قوله تعالى " ويضيق صدري ولا ينطلق لساني " أي أن الفعل يتصرف مع حرف الجر على النحو الآتي :

ضاق عليه – وضاق منه – وضاق به . فدلالة الفعل تختلف باختلاف حرف الجر ، فمع (على) يكون المعنى على الاستعلاء . ومع (مِن) يكون المعنى على الابتداء، ومع (الباء) يكون المعنى على الإلصاق والمصاحبة جاء في الكشاف (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) (بما رحبت) ما مصدرية والباء بمعنى مع أي مع رحبها والمعنى : لا تجدون موضعاً تستصلحونه لهربكم إليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت عليكم)[1]. وفي قوله تعالى " فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك " هود ١٢/١١ . ذكر الفراء (يضيق صدرك بما توحيه إليك فلا تلقيه إليهم مخافة أن يقولوا : لولا أُنزل عليك كنز)[2]. وفي قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطاً سِيءَ بهم وضاق بهم ذرعاً " ٧٧/١١ ذكر الزجاج (سِيءَ بهم معناه ساءه مجيئهم لأنهم استضافوه فخاف عليهم قومه . (وضاق بهم ذَرْعاً) ضاق زيدٌ بأمره ذرعاً: إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر مخلّصاً)[3].. وذكر الزمخشري في الآية نفسها (كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لأنه حسب أنهم إنس فخاف عليهم

---

(1) الزمخشري ١٨٢/٢ .

(2) معاني القران ٥/٢ .

(3) معاني القران وإعرابه ٦٦/٣ .

خبث قومه وأن يعجزَ عن مقاومتهم ومدافعتهم)[١]. وذكر القرطبي (وضاق بهم ذرعاً: أي ضاق صدره بمجيئهم وكَرِهَه . وأصله أن يَذرع البعير بيديه في سيره ذرعاً على قدر سعة خطوةٍ)[٢]. وذكر الطبري في قوله تعالى " وضاق بهم ذرعاً " العنكبوت ٣٣/٢٩ (بالضيافة، مخافة عليهم مما يعلم من شرّ قومه)[٣]. ويلاحظ في الاستعمال القرآني أنه استعمل لفظة (حَرَج) في سياق النهي عن الخوف في قوله تعالى " فلا يكن في صدرك حَرَجٌ منه " الأعراف ٢/٧ وهي عند الزجاج بمعنى (الضيق) . . أي لا يضيق صدرك بالإبلاغ ولا تخافن[٤]. ويذكر الطبرسي في معناه ثلاثة أقوال : احدهما إن معنى الحرج الضيق فمعناه ولا يضيقَنّ صدرُك لتشعب الكفر خوفاً من أن لا تقوم بتبليغ ما أنزل إليك حق القيام، وثانيهما : أن معنى الحرج الشك فمعناه فلا يكن في صدرك شك فيما يلزمك من القيام بحقه، وثالثهما: أن معناه فلا يضيقن صدرك من قومك أن يكذبوك ويجابهوك بالسوء فيما أنزل إليك)[٥] .

ويلاحظ أن هذه الأقوال متقاربة في توضيح معنى الخوف، لأنه يروى عن النبي (ص) أنه قال : رعبّ إني أخاف أن يثلغوا رأسي فيجعلوه كالخبزة[٦]، فأعلم الله عز وجل أنه في أمان منهم " والله يعصمك من الناس " المائدة/ ٦٧. أي فلا يضيقن صدرك من تأدية ما أرسلت به[٧].

---

(١) الكشاف ٢٨٢/٢ .

(٢) الجامع لأحكام القران ٥٠/٩ .

(٣) جامع البيان ٢٠/ ١٤٨ .

(٤) معاني القران وإعرابه ٣١٥/٢ .

(٥) مجمع البيان ٩/٨ .

(٦) ثلغ رأسه يثلغه ثلغا إذا شرخه . والخبزة هي الطُلْمَةُ التي تدفن في الملّة / تهذيب اللغة /الأزهري ١٣٥/٧- ١٦ .

(٧) معاني القران وإعرابه ٣١٥/٢ ومجمع البيان ٩/٨ والجامع لأحكام القران ١٠٥/٧ .

المبحث الخامس

سياق الإتيان والمجيء

١ - **قال تعالى** " أم حَسِبتم أنْ تدخلوا الجنةَ ولمّا يأتيكم مَثَلُ الذل خلوا مــن قــبلكم مستهم السرّاء والضرّاء وزلزلوا حتى يقول الرسولُ والذين آمنوا معه متى نصــر اللهِ ألا إنّ نصرَ اللهِ قريب " **البقرة ٢/٢١٤** .

٢- **قال تعالى** " هو الذي يسيّركم في البرّ والبحرِ حتى إذا كنتم في الفُلكِ وجَــريْنَ بهم بريح طيّبةٍ وفرحوا بها جاءتها ريحٌ عاصفة وجاءهُم الموجُ من كلّ مكان وظنوا أنهم أُحيطَ بهم، دعوا الله مخلصين له الدين لئِنْ أنجيتنــا مــن هــذه لَنكــونَنَّ مــن الشاكرين " **يونس ١٠/٢٢** .

٣- **قال تعالى** " حتى إذا أخذتِ الأرضْ زْخرفَها وازّيَنَتْ وظنّ أهلُها أنهم قــادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأنْ لــم تغــنَ بــالأمس " **يــونس ١٠/٢٤** .

٤- **قال تعالى** " فلمّا جاء أمرْنا جعلنا عاليَها سافلها وأمطرنا عليهــا حجــارةً مــن سجيّل منضود " **هود ١١/٨٢** .

٥- **قال تعالى** " قد مكر الذين من قبلِهم فأتى الله بنيانَهم من القواعد فخــرّ علــيهم السقفُ من فوقهم وأتاهم العذابُ من حيث لا يشعرون " **النحل ١٦/٢٦** .

٦- **قال تعالى** " فإذا جاء وعدُ أولاهما بعثنا عليهم عباداً لنا أولي بأسٍ شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا " **الإسراء ١٧/ ٥**.

٧- **قال تعالى** " إذ جاؤوكم من فوقِكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الإبصارُ وبلغــتِ القلوبُ الحناجر وتظنون بالله الظنونا، هنالك أبتليَ المؤمنون وزُلزِلُوا زلزالاً شديداً " **الأحزاب ٣٣/١٠-١١** .

وقد وردت مادة (أتى) و(جاء) في الاستعمال القرآني بكثــرة ومــن اللافــت للنظر أن مادة (أتى) ورد منها الماضي والمضارع والأمر والوصف . أمــا مــادة (جاء) فلم يرد منها إلا الماضي . ولذلك يرى الدكتور فاضل السامرائي (أن القرآن

الكريم يستعمل المجيء لِما فيه صعوبة ومشقة أو لِما هو أصعب وأشقّ مما تستعمل له (أتى) .. ولعل من أسباب ذلك أن الفعل (جاء) أثقل من (أتى) في اللفظ بدليل أنه لم يرد في القرآن فعل مضارع لـــ(جاء)، ولا أمر ولا اسم فاعل ولا اســـم مفعـــول ولم يرد إلا الماضي وحده. بخلاف (أتى) الذي وردت كل تصريفاته)[١]. ويبدو من خلال الاستعمال القرآني أن الفعل (أتى) يستعمل في المواضع التـــي يكـــون فيهـــا الحدث متطاولاً ويحتاج إلى زمن يطول أو يقصر بحسب السياق . أما الفعل (جاء) فيستعمل في المواضع التي يكون فيها الحدث سريعاً مفاجئاً ففـــي قولـــه تعـــالى " ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدى اسمه أحمد " الصف ٦١/١ ولم يقل يجيء من بعدى . وفي قوله تعالى " وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجـــع " يوســـف ٥٠/١٢ فمع الإتيان يكون تطاول ومع المجيء تكون سرعة . ولذلك أيضاً يستعمل الفعل جاء مسندا إلى الموت في قوله تعالى " حتى إذا جاء أحدكَم الموتُ " الأنعـــام ٦١/٦ . وفي قوله تعالى " حتى إذا جـــاء احـــدهَم المـــوتُ قـــال ربّ ارجعـــونِ " المؤمنون ٢٣/٩٩ . وفي قوله تعالى وجاءت سكرةُ المـــوت بـــالحق " ق ١٩/٥٠ .أما مع (أتى) فقد ورد في موضع واحد في قوله تعالى " وأنفقوا مما رزقناكم مـــن قبل أنْ يأتي أحدكَم الموتُ " المنافقون ٦٣/ ١٠. فمـــع (جـــاء) تكـــون مفاجـــأة وسرعة، إلا أن الاستعمال القرآني استعمل الفعل (حضر) مع الموت فـــي أمـــاكن كثيرة، جاء في كتاب التطور الدلالي (جاء الموت يعني الموت المفـــاجئ الـــذي لا يملك الإنسانُ معه شيئاً). أما تعبير (حضر الموت) فهو الموت البطيء الذي يملـــك الإنسان معه نفسه)[٢]. ففي آية البقرة يبرز معنى الخوف في لفظة(زلزلوا) ولذلك دلالتها عند اللغويين والمفسرين (خُوفوا)[٣] أو بمعنى (أزعجوا إزعاجاً شديداً شبيهاً

---

(١) لمسات بيانية ٧٤ ، ٧٩ .

(٢) التطور الدلالي / عودة خليل أبو عودة /٣٤٦ .

(٣) مجاز القران /أبو عبيدة ٤٧٢/١ ومعاني القران / الزجاج ٢٨٥/١ والجامع لأحكام القران / القرطبي ٢٥/٣ وتحفة الأريب / أبو حيان / ٢١٦ .

بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال والإفزاع)[١].وبمعنى الخوف في آيتي يونس (٢٢،٢٤) بحالة الأمن والاستقرار التي هم عليها " حتى إذا كنتم في الفلك وجرينَ بهم بريح طيبةٍ وفرحوا بها " . وقوله تعالى " حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازيّنت وظنّ أهلها أنهم قادرون عليها " فهاتان الحالتان فيهما أمن ودعه واستقرار وكأنه الصمت الذي يسبق العاصفة وبينا هم على هذه الحال. (جاءتها ريحٌ عاصفٌ وجاءهم الموج) ويلاحظ تكرار الفعل (جاء) الذي يرد في مواطن السرعة والمفاجأة أو (أتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً) فاستعمل الفعل (أتى) الذي فيه فسحة من الوقت. جاء في الكشاف (أتاها أمرنا) وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم)[٢]. ومما يدل على أن الفعل (أتى) يستعمل في المهلة والتطاول قوله تعالى في الآية نفسها " كأن لم تغنَ بالأمس " أي إن الأثر فيه مدة من الزمن وإن كانت قصيرة بخلاف قوله تعالى " وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم " جاء في الكشاف (من كل مكان) من جميع أمكنة الموج . (أُحيط بهم) أي أُهلكوا[٣]. والخوف في آيتي الأحزاب يمثله ويجسده سياق المجيء إذ يتصدر الفعل (جاء) المصاحب للظرف (إذ) أول جملة فيه ويبرز الظرف المجرور (من فوقِكم ومن أسفلَ منكم) بمعنى الإحاطة جاء في الكشاف (من فوقِكم) من أعلى الوادي من قِبل المشرق بنو غطفان . (ومن أسفلَ منكم) من أسفل الوادي من المغرب قريش[٤]. ثم يتكرر الظرف (إذ) فيتصدر الجملة الثانية في السياق (وإذ زاغت الأبصار) والفعل (زاغ) ورد في القران الكريم في تسعة مواضع وقد أُسند فيها إما إلى الأبصار وإما إلى القلوب في الغالب وزيغ الأبصار يبرز معنى الخوف الذي

---

(١) الكشاف ٣٥٦/١ .

(٢) الزمخشري ٢٣٣/٢ .

(٣) نفسه ٢٣١/٢ .

(٤) نفسه ٢٥٣/٣ .

انتابهم من كثرة عدوهم وإحاطته بهم من كل مكان . ثم تأتي الجملة الثالثة موصولة بحرف العطف (وبلغتِ القلوب الحناجر) لتدل على شدة الفزع والرعب إذ إن الفزع يجعل القلب يسرع في دقاته وضرباته حتى أنها لَتُسمع فيعلو الصدرُ وينخفض. و(البلوغ والبلاغ الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى مكاناً كان أو زماناً أو أمراً إلى أقصى المقصد والمنتهى مكاناً كان أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدرة وربما يعبر به عن المشارفة عليه وان لم ينتهِ إليه)[١].

ولذلك قدره بعضهم على معنى (كادت تبلغ)[٢]. وتأتي الجملة الرابعة موصولة أيضاً بحرف العطف " وتظنون بالله الظنونا " وقد صدرت بالفعل المضارع (تظنون) (وذلك لان الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة)[٣]. وجاءت كلمة (الظنونا) مطلقة غير مقيدة إذ كل يظن بحسب قوة إيمانه وثباته . جاء في كتاب بلاغة الكلمة (فمد (الظنونا) وأطلقها وذلك لأنهم ظنوا ظنوناً كثيرة مختلفة فأطلقها في الصوت مناسبة لتعددها وإطلاقها ولو قال (الظنون) لوقف على الساكن والساكن مقيد فناسب إطلاق الألف إطلاق الظنون)[٤]. وتأتي الجملة الأخيرة مصدرة باسم الإشارة ألظرفي (هنالك) لجمع الإشارة إلى الزمان والمكان بدلالة الفعلين المبنيين للمفعول (أُبتلي) و (زُلزلوا) . جاء في كتاب من أسرار التعبير القرآني (ولعلك تدرك هذا التوافق الواضح بن الجرس الصوتي للجملة " وتظنون بالله الظنونا " وما تشير إليه من همسات الخواطر ووسوسات الضمير، وقوله تعالى " هنالك ابتلي المؤمنون وزُلزلوا زلزالاً شديداً " نلحظ في صياغته خصوصيات وأحوالا منها فصل هذه الجملة عن الكلام السابق عليها . ومنها تقديم الظرف على عامله وبناء الفعل للمجهول ووصل الجملة الثانية بالأولى وبناء فعلها

---

(١) مفردات ألفاظ القران /١٤٤ .

(٢) تأويل مشكل القران / ابن قتيبة / ١٣٠ والبرهان / الزركشي ٥٢/٢ .

(٣) المثل السائر ١٩٤/٢ .

(٤) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني / د.فاضل السامرائي /٣٠ .

للمجهول وتأكيده بالمصدر والوصف . أما فصل هذه الجملة عن الكلام السابق فذلك لأنها توكيد له وتقرير .. وهذا الذي يسميه البلاغيون كمال الاتصال . وأما تقديم الظرف .. فلأهميته في الجملة .. والاختصاص أيضاً .. أما بناء الفعل للمجهول فللإشارة إلى القصد إلى وقوع الفعل بهم لأبيان الفاعل)[١].

---

(١) من أسرار التعبير القرآني / محمد أبو موسى / ٤٧ ، ٥٢ .

المبحث السادس

سياق الاستفهام

١- **قال تعالى** " أفأمِنَ أهلُ القرى أنْ يأتيَهم بأسُنا بياتاً وهم نائمون أو أمِنَ أهلُ القرى أنْ يأتيَهم بأسُنا ضحى وهم يلعبون. أفأمنوا مكرَ الله فلا يأمنُ مكرَ الله إلا القومُ الخاسرون " **الأعراف ٧/ ٩٧ – ٩٨ – ٩٩** .

٢- **قال تعالى** " أفأمنوا أنْ تأتيَهم غاشيةٌ من عذابِ الله أو تأتيَهم الساعةُ بغتةً وهم لا يشعرون " **يوسف ١٠٧/١٢** .

٣- **قال تعالى** " أفأمِنَ الذين مكروا السيئات أنْ يخسفَ اللهُ بهم الأرضَ أو يأتيهم عذابٌ من حيث لا يشعرون . أو يأخذهم في تقلّبِهم فما هم بمُعجزين . أو يأخذهم على تخوّف فإنّ ربكم لرؤوف رحيم " **النحل ٤٥/١٦ – ٤٦ – ٤٧** .

٤- **قال تعالى** " أفَأَمنتم أنْ يَخسِف بكم جانبَ البرِ أو يُرسِل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلا . أم أمنتم أنْ يُعيدَكم فيه تارة أخرى فيُرسل عليكم قاصفاً من الريح فيُغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا " **الإسراء ٦٨/١٧ – ٦٩** .

٥- **قال تعالى** " أأمنتم منْ في السماء أنْ يخسِف بكم الأرض فإذا هي تمورُ أم أمنتم منْ في السماء أنْ يُرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير " **الملك ١٦/٦٧ –١٧**.

ويلاحظ في تركيب سياق الاستفهام ما يأتي .

١- إن الاستفهام جاء بالهمزة فقط .

٢- إن المستفهم عنه هو الفعل (أَمِن) المقترن بحرف العطف (الفاء) في الغالب.

٣- إن المصدر المؤول (أن يأتيهم) و (أن يخسفَ بهم) يأتي غالباً مفعولا به للفعل (أَمِن) .

٤- يشيع في هذا السياق ورود جملة الحال الاسمية المصدرة بالواو والضمير (وهم نائمون) و (هم يلعبون) و (هم لا يشعرون) .

٥- ورد العطف بـ (أو) في مواضع وبـ(أم) المنقطعة في مواضع أخرى .

٦- المواضع التي ورد فيها كلها مكية .

أما الاستفهام بالهمزة فلمعنى الإنكار التوبيخي الذي يقتضي أن المخاطب فعل فِعل يستلزم توبيخه عليه وتقريعه . جاء في تفسير النهر الماد (الهمزة دخلت على أَمِنَ للاستفهام على جهة التوقيف والتوبيخ والإنكار والوعيد للكافرين)(١). ويبرز معنى الخوف في سياق الاستفهام هنا لان نفي الأمن عن طريق الاستفهام الإنكاري معناه إثبات للخوف الذي لا يمكن أن يأمنوا من وقوعه . جاء في مجمع البيان في قوله تعالى " أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البرّ " الإسراء ٦٧/١٧ (معناه إن فعلكم هذا فعل من يتوهم أنه إذا صار إلى البر أَمِنَ المكاره حتى أعرضتم عن شكر الله وطاعته . وقيل أنهم كانوا على ساحل البحر، وساحله جانب البر وكانوا فيه آمنين من أهوال البحر فحذرهم ما أمنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر)(٢). أما العطف بالفاء مع الهمزة فله ثلاثة توجيهات: الأول رأي الجمهور.وهو أن الهمزة تقدمت على حرف العطف تنبيهاً على أصالتها في التصدير، فالجملة بعد حرف العطف معطوفة على الجملة التي قبلها وقبل الهمزة .

والثاني رأي الزمخشري أن الجملة بعد العطف معطوفة على جملة محذوفة بين الهمزة وحرف العطف . جاء في الكشاف(أفأمنتم) الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض)(٣). والرأي الثالث ما ذكره الأستاذ عباس حسن إذ قال (وعندنا ما هو أوضح وأيسر وأبعد من التأويل وذلك باعتبار الهمزة للاستفهام وبعدها (الواو) و (الفاء) و (ثم) حرف استئناف داخل على جملة مستأنفة . ولن يترتب على هذا الرأي إخلال بمعنى أو تعارض مع ضابط لغوي)(٤). ويبدو أن هذه التأويلات والتقديرات تغفل طبيعة الاستعمال اللغوي فهي من صنع النحويين في إيجاد تفسير وعلة لكل استعمال لغوي ، ويبدو أن

---

(١) أبو حيان ٨٣٩/١ . للكافرين المعاصرين لرسول الله (ص) .

(٢) الطبرسي ١٥/ ٧٣ .

(٣) الكشاف ٤٥٨/٢ ومغني اللبيب ١٦/١ .

(٤) النحو الوافي ٤٢٣/٣ .

للعامل الصوتي أثرا كبيرا في خصوصية هذا الاستعمال فالهمزة تستعمل للاستفهام أيضا فتقول: أمحمد قادم ؟ وتستعمل للنداء فتقول . أمحمد أقبل. فمع الاستفهام تتقدم الهمزة على حرف العطف (الفاء والواو وثم) فتقول . أفمحمد قادم ؟. ولو حاولنا ذلك مع النداء فنقول . يا علي أسرع و أمحمد أقبل. فلم تتقدم الهمزة وبقيت في مكانها.ومن اللافت للنظر أن الهمزة التي تفيد النداء لم ترد في الاستعمال القرآني، فسلوك الهمزة مع حروف العطف الثلاثة يختلف باختلاف دلالتها فمع الاستفهام تتقدم على حرف العطف ومع النداء تبقى في مكانها لان مع النداء يكون مد في الصوت بخلاف الاستفهام . وفي سياق الاستفهام يبرز معنى الخوف في حركة الأفعال المضارعة التي دخلت في علاقة تركيب مع الحرف المصدري (أن) فكانت حركات (إتيان البأس) و (خسف الأرض) و (إرسال الحاصب والقاصف) ثم اقتران هذه الحركات بأوقات معينة جعل الأحداث تبدو أكثر رعباً وفزعاً، وقد تمثل ذلك بتقييد هذه الأحداث بالأوقات التي تعقبها الجمل الحالية " أنْ يأتيَهم بأسنُا بياتاً وهم نائمون " " أنْ يأتيَهم بأسنُا ضحىً وهم يلعبون " " أو تأتيَهم الساعة بغتةً وهم لا يشعرون " هذا كله مع حركة الإتيان . أما حركة الخسف فلا تقترن بالأوقات . وإنما بحركات مكانية تجسدها الأفعال المضارعة المعطوفة على الفعل المضارع (يخسف) كما في قوله تعالى " أو يأتيَهم العذابُ من حيث لا يشعرون " فحيث من ظروف المكان . أو في قوله تعالى " أنْ يخسفَ بكم جانبَ البرِ أو يُرسلَ عليكم حاصبا " وقوله تعالى " أن يعيدَكم فيه تارةً أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريحِ فيغرقكم " . أو بقوله تعالى " أنْ يخسفَ بكم الأرض فإذا هي تمور " فمع الإتيان يكون اقتران بأوقات عينة، ومع الخسف اقتران بحركات مكانية، جاء في تفسير النهر الماد (ويقيد كل ظرف بما يناسبه من الحال فيقيد البيات بالنوم وتقيدت

الضحى باللعب . وجاء (نائمون) باسم الفاعل لأنها حالة ثبوت واستقرار للبائتين.وجاء يلعبون لأنهم مشتغلون بأفعال متجددة شيئاً فشيئًا في ذلك الوقت)[١].

(١) أبو حيان ١/ ٨٣٩ .



المبحث السابع

سياق النظر

١- **قال تعالى** " وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقةُ وأنتم تنظرون " **البقرة ٢/٥٥** .

٢- **قال تعالى** " ولقد كنتم تَمنّون الموت من قبل أن تلْقوه، فقد رأيتموه وأنتم تنظرون " **آل عمران ٣/١٤٣** .

٣- **قال** تعالى " ويقول الذين آمنوا لولا نُزّلت سورةٌ فإذا أُنزلتْ سورة محكمة وذُكر فيها القتالُ رأيتَ الذين في قلوبهم مرضٌ ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم " **محمد ٤٧/٢٠** .

٤- **قال تعالى** " فلولا إذا بلغت الحْلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون " **الواقعة ٥٦/٨٣ – ٨٥** .

يبرز الخوف في سياق النظر بوساطة الجملة الحالية (وانتم تنظرون) ويلاحظ أن هذه الجملة تأتي غالبا بعد فعل الرؤية (حتى نرى اللهَ جهرةً) و (فقد رأيتموه) و (رأيت الذين في قلوبهم مرض) والنظر غير الرؤية جاء في كتاب الفروق اللغوية(أن النظر تقليب العين حيال مكان المرئي لرؤيته، والرؤية هي إدراك المرئي)[1]. وجاء في مفردات ألفاظ القرآن (والرؤية إدراك المرئي بالحاسة ... بالوهم ... بالتفكر ... بالعقل ... والنظر : تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء، ورؤيته)[2]. وبذلك تظهر وظيفة الجملة الحالية (وأنم تنظرون) في رسم صورة هؤلاء القوم وهم على حال من الفزع والخوف شاخصة أبصارهم لا تطرف ، جاء في الكشاف في قوله تعالى " فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون " والصاعقة: ما صعقهم أي أماتهم، وقيل أرسل الله جنودا ... والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون إليه لقوله تعالى " وأنتم تنظرون "[3] وفي قوله تعالى " رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت " يقول الطبرسي (يشخصون نحوك

---

(1) أبو هلال العسكري /٥٨ .

(2) الراغب الأصفهاني / ٣٧٤ ، ٨١٢ .

(3) الزمخشري ١/ ٢٨٢ .

بأبصارهم وينظرون إليك نظرا شديد كما ينظر الشاخص ببصره عند الموت لثقل ذلك عليهم وعِظَمه في نفوسهم)[١]. ويلاحظ أن الفعل في (وأنتم تنظرون) جاء مطلقا لم يقيد بجار ومجرور ه لان الكلام يدل عليه. جاء في ظلال القرآن في قوله تعالى " رأيت الذين في قلوبهم مرضٌ ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت " (وهو تعبير لا يمكن محاكاته ولا ترجمته إلى أي عبارة أخرى ويرسم الخوف إلى حد الهلع، والضعف إلى حدّ الرعشة، والتخاذل إلى حدّ الغشية)[٢].

---

(١) مجمع البيان ٣٩/٢٦ .

(٢) سيد قطب ٢٦/ ٣٢٩٦ .

المبحث الثامن

سياقات متنوعة

١- **قال تعالى** " وقال يا بَنيّ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أُغني عنكم من الله من شيء إنْ الحكم إلا لله " **يوسف ٦٧/١٢** .

٢- **قال تعالى** " ويَخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا " **الإسراء ١٠٩/١٧** .

٣- **قال تعالى** " قالت يا ليتني مِتُّ قبل هذا وكنت نسياً منسيّاً " **مريم ٢٣/١٩** .

٤- **قال تعالى** " وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إنْ كادت لَتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين" **القصص ١٠/٢٨** .

٥- **قال تعالى** " فَغَشّاها ما غَشّى " **النجم ٥٤/٥٣** .

٦- **قال تعالى** " سَنفرُغُ لكم أيها الثقلان " " فبأي آلاء ربكما تكذبان " **الرحمن ٥٥/ ٣١-٣٢** .

ففي آية يوسف جاء القول على لسان يعقوب (ع) لبنيه (يقال خاف عليهم العين إذا دخلوا جملة)[1].ومعنى الخوف جاء بأسلوب النهي المسبوق بمناداتهم بلفظة (بَنِيّ) المنسوبة إلى يعقوب (ع) للدلالة على مبلغ حرصه على سلامتهم جميعا . جاء في الكشاف (وإنما نهاهم أن يدخلوا من باب واحد لأنهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة .. فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة أمرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوؤهم)[2]. والذي عليه الاستعمال القرآني أن الفعل (دخل) يأتي متعديا بنفسه ويأتي متعديا بحرف الجر (على) غالبا . وبحرفي الجر (في والباء) قليلا وبحرف الجر (من) نادرا إذ لم يرد متعديا بحرف الجر (من) إلا في هذا الموضع .

وفي آية الإسراء " ويَخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا " يبرز معنى الخوف في الفعل (يخرون للأذقان) ويتجسد هذا الخوف في سورة بكاء وخشوع . جاء في مجمع البيان (أي يسجدون باكين إشفاقا من التقصير في العبادة وشوقا إلى الثواب

---

(١) تفسير غريب القران / ابن قتيبة / ٢١٩ .

(٢) الزمخشري ٢/ ٣٣٢ .

وخوفا من العقاب)[١]. ولفظة (يَخرّون) تدل على معنيين (السقوط ، وحصول الصوت منهم)[٢]. وجاء التركيب بالفعل (يَخرّون) للدلالة على تجديد الحدث وتكراره . وفي آية مريم " يا ليتني مِتّ قبل هذا " يبرز معنى الخوف في أسلوب التمني، جاء في تفسير النهر الماد (وتمنت مريم الموت من جهة الدين إذ خافت أن يظن بها السوء في دينها). والذي عليه الاستعمال القرآني أن التركيب(يا ليت) هو الشائع ولم ترد (ليت) مفردة إلا في موضع واحد في سورة الفرقان " يا وليتَى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً " ٢٨/٢٥ .

وشيوع هذا التركيب (يا ليت) في الاستعمال القرآني يكون في المواطن التي يقف فيها الإنسان عاجزا عن دفع أمر ما أو تحقيقه ولذلك هو تعبير انفعالي يعتمد على الجانب الصوتي في استطالته ومدّه .

أما في القصص " وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين " ١٠/٢٨، فيكون معنى الخوف متجسدا في التركيب (أصبح فارغاً).(إنْ كادت لتبدي به).(ربطنا على قلبها).ووصف الفؤاد بالفراغ دلالة على الخوف الشديد، إذ إن الموقف الذي كانت عليه أم موسى بعد إلقائه (ع) في اليمّ والتقاط آل فرعون له كل ذلك وهي تسمع وترى ما يحل بوليدها وهو بين يدي فرعون الذي كان يقتل كل مولود في بني إسرائيل، فهذا موقف غاية في الصعوبة والشدة إذ لا تقوى على تحمله أي أمّ. ولذلك جاء قوله تعالى " إنْ كادت لتبدي به " للدلالة على قسوة ما تعانيه أم موسى. جاء في مجمع البيان (إنها كادت تصيح على ابنها شفقة عليه من الغرق)[٣]. وجاء في تفسير النهر الماد (وأصبح أي صار فارغا من الصبر، وذلك حين بلغها انه وقع في يد فرعون.قد همها الأمر

---

(١) الطبرسي ١١٠/١٥ .

(٢) تفسير النهر الماد / أبو حيان ٣٨٢/٢ .

(٣) الطبْرسي ٢٠/ ٢٦٩ .

فطاشَ لبُّها وغلب عليها ما يغلب على البشر عند مفاجأة الخطب العظيم)[١]. وجـاء في ظلال القرآن (والتعبير ألقرآني يصور لنا فـؤاد الأم المسـكينة صـورة حيـة (فارغاً)، لا عقلَ فيه ولا وعيَ ولا قدرة على نظر أو تصريف)[٢]. والـذي عليـه الاستعمال القرآني أن لفظة (فارغاً) لم ترد إلا في هذا الموضع فقط . إلا انه جـاء في وصف الأفئدة بالهواء في سورة إبراهيم ١٤/٤٣ " وأفئدتهم هواء " ، (العـرب تقول للخائف والجبان: فؤاده هواء)[٣]. ويلاحظ في تركيب الآية أن النظم لم يكـن واحداً إذ جاء في أول الآية بـ(فؤاد أم موسى) وفي آخرها " لولا أن ربطنا علـى قلبها " ولم يقل لولا أن ربطنا على فؤادها، ليكون الكلام واحداً . ويبدو أن القـران الكريم يفرق بين (الفؤاد) و (القلب) إذ إن استعمال (الفؤاد) أقل وروداً من القلـب . إذ لم يرد (الربط) إلا مع القلب . أما التثبيت فقد ورد مع الفؤاد . والربط معناه الشدّ . والتثبيت معناه التقوية[٤]. والقلب في الاستعمال القرآني يتحرك ويترك مكانَه فـي مواقف الفزع والرعب كما في قوله تعالى " وإذا زاغت الأبصار وبلغـتِ القلـوب الحناجر " الأحزاب ٣٣/١٠ . ولم يرد(إذا بلغتِ الأفئدة الحناجر) ولـذلك وصـف القلوب بالربط لان معناه الشد ومنع الحركة فاستعمل لكلٍ لفظه الخاص بـه وهـذه سمة من سمات التعبير القرآني .

أما في آية النجم " فغشّاها ما غشّى " فبرز معنى الخوف في الإبهام الذي دلّت عليه (ما)، جاء في كتاب المثل السائر " والمؤتفكة أهوى فغشّاها ما غشّى " فأبهم الأمـر الذي غشاها به وجعله عامّاً، وذلك أبلغ لان السامع يذهب وهمه فيه كل مـذهب[٥].

---

(١) أبو حيان ٢/١٠٢٤ .

(٢) في ظلال القران /سيد قطب / ٢٠/٢٦٧٩ .

(٣) تفسير غريب القران / ابن قتيبة / ٢٢٩ .

(٤) مفردات ألفاظ القران / ١٧١ و ٣٣٨ .

(٥) ابن الأثير ٢/ ٢٢٣ .

وجاء في تفسير النهر الماد (فيها تهويل للعذاب الذي حلّ بهم)[١]. ومثل هذه الآية ما ورد في سورة طه ٧٢/٢٠ " فغشيهم من اليم ما غَشِيَهم " فكان لدلالة (ما) على الإبهام أثر في إبراز معنى الخوف والتهويل . جاء في الكشاف (ما غشيهم : من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستعمل مع قلتها بالمعاني الكثيرة : أي غشيهم مالا يعلم كنهَه إلا الله)[٢]. وجاء في البنية والدلالة (أي غمرهم ماء كثير لا يحدّ وصفه فلو قيل غشيهم مقدار كذا من الماء لزال الإيحاء بثراء الدلالة واتساعها)[٣]. كما أن استعمال (ما) أغنت عن قول القائل . فغشيهم من أليم دوار أو صداع أو امتناع عن الطعام والمنام .. وكل هذه التعابير لا تفيد ما أفادته (ما) من التفخيم والتهويل[٤].

أما آية الرحمن " سنفرغ لكم أيها الثقلان " فقد عدت أخوف آية وردت في القرآن. (ولهذا قال بعضهم : لو سمعتُ هذه الكلمة من خفير الحارة لم أنَمْ)[٥]. ويبرز معنى الخوف هنا بدلالة (السين لم مع الفعل المضارع (سنفرغ) جاء في تفسير النهر الماد (أي ننظر في أموركم يوم القيامة.لا لأنه تعالى كان له شغل فهو يفرغ منه، وجرى هذا على كلام العرب في أن المعنى سنقصد لحسابكم فهو استعارة من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك.أي سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه)[٦]. وجاء في ظلال القرآن (يا للهول المرعب المزلزل الذي لا يثبت له إنس ولا جان ولا تقف له الجبال الرواسي ولا النجوم والأفلاك، الله سبحانه – يفرغ

---

(١) أبو حيان ١٠٢٤/٢ .
(٢) الزمخشري ٥٤٧/٢ والبرهان / الزركشي ١٠٦/٣ .
(٣) سعد أبو الرضا / ١٦٥ .
(٤) المعاني في ضوء أساليب القران / عبد الفتاح لاشين / ٢٤١ .
(٥) معترك الأقران / السيوطي / ٢٦٣.
(٦) أبو حيان ١٠٤٢/٢ .

لحساب هذين الخلقين الضعيفين إنه أمرٌ انه هول، انه فوق كل تصور واحتمال)[١].

وقد مر بنا الفرق بين (كأن) و (كأنما) . ففي قوله تعالى " كأنما أُغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما " يونس ١٠/٢٧ . جاء التشبيه بـ(كأنما) وقد وليها الفعل (أغشيت) للدلالة على أن الغرض من التشبيه هو الاهتمام بذكر الحالة المشبه به دون الاهتمام بالمشبه، لأنه لا يتعلق بذكره غرض . جاء في مجمع البيان (أي كأنما أُلبستْ وجوههم ظلمة الليل . والمراد وصف وجوههم بالسواد)[٢]. وجاء في كتاب الجمان في تشبيهات القرآن (يعني لِما دَهِمَهم من الرعب والجزع قد سدرت أعينهم فما يرون إلا ظلمة)[٣]. ويلاحظ أن الفاعل طُوي ذكرُه مع الفعل (أغشيت).في حين لم يُطوَ ذكر الفاعل في قوله تعالى " فأغشيناهم فهم لا يبصرون " يس ٣٦/٩ . لان السياقين مختلفان، ففي آية يونس لا يتعلق غرض بذكر الفاعل، أو لأنه معلوم، لان الموقف موقف حساب في يوم القيامة، أما في آية يس فلذكر الفاعل أهمية كبيرة. إذ إن في ذكره تعزيزاً لموقف النبي (ص).جاء في مجمع البيان (أي أغشينا أبصارهم فهم لا يبصرون النبي (ص) فقد روي أن أبا جهل هم بقتله (ص)[٤]. ويبرز معنى الخوف في تلك الصورة التي رسمتها (كأنما) بربط الألفاظ التي جاءت بعدها بعلاقات الإسناد والمفعولية والحالية. وحالة الظلام التي تسود في جو السياق كله.بدلالة (أغشيت) (من الليل) (مظلماً) ثم تخصيص الوجوه بالإغشاء في وقت الليل في حال كونه مظلماً، كل ذلك جسّد معنى الخوف الذي ملأ قلوبهم .

---

(١) سيد قطب ٢٧/ ٣٤٥٤ .

(٢) الطبرسي ١١/٣٨ .

(٣) ابن ناقيا /١١٨ .

(٤) الطبرسي ٢٣/ ١٠ .

وفي آية المعا رج " يوم يخرجون من الأجداث سِراعاً كأنهم إلى نُصُب يُوفِضُون " ٤٣/٧ . يبرز معنى الخوف في هذه الحركة حين يخرجون من الأجداث كحال من يسرع إلى شيء معين . والسياق كله مبني على الحركة التي تجسدها الألفاظ (يخرجون) (سِراعاً) (إلى نُصُب يوفضون) . ويلاحظ أن السياق يتضمن ألفاظاً خاصة فلفظة (الأجداث) لا تستعمل إلا في المواطن التي تخص الحياة الآخرة. أما

القسم الثاني

سياقات الخوف الأخروي

كان القسم الأول من هذا الفصل قد عرض لسياقات الخوف الدنيوي. إذ ضم مباحث تخص سياقات متنوعة عبر من خلالها القرآن الكريم عن معنى الخوف، وكانت هذه المباحث تشمل سياقات التشبيه والصيحة والرجفة والضيق والإتيان والمجيء والاستفهام وغيرها. وفي القسم الثاني من هذا الفصل يكون عرض سياقات الخوف الأخروي على وفق التقسيم الذي اتبع في القسم الأول . وذلك لغرض عمل موازنة بين السياقات المتشابهة. للوقوف على نقاط الاتفاق، والاختلاف. والتفرد من حيث التركيب والعلاقات التي تربط بين الألفاظ، ومن ثم النسيج اللغوي الذي يتألف منه السياق.وطبيعة اللغة التي تسود في السياقات الأخروية . إذ لوحظ من خلال البحث أن هناك خطين لغويين متوازيين في لغة التعبير القرآني. الأول الخط اللغوي الخاص بالحياة الدنيا، إذ حرص فيه القرآن الكريم على مخاطبتنا على وفق الأنظمة والقواعد اللغوية التي تقوم عليها اللغة العربية منذ عصر ما قبل الإسلام إلى ألان وقد تمثل ذلك بالجملة القرآنية التي ضمت كل موضوعات الصرف، والنحو، والبلاغة التي يعرفها الإنسان العربي دون الخروج عليها، بل نهضت بها وطورتها ونفخت فيها من روح الإعجاز القرآني ففيها التشبيه والاستعارة والكناية التي تستوعبها عقولنا ومداركنا التي حبانا بها الله سبحانه . والآخر خط لغوي خاص بالحياة الآخرة بعدما تتغير القوانين والأنظمة الأرضية وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات وتدخل الأشياء التي كنا نعرفها أو الأشياء التي لم نعرفها في علاقات جديدة لا تستوعبها عقولنا، ولا تتفق مع مداركنا، فلا نظام شمسي ولا جاذبية أرضية، ويدخل الإنسان في علاقات جديدة مع الأشياء التي تحيط به، ومع أخيه الإنسان. بل مع أعضاء جسدهِ يدهِ ورجلهِ وعينهِ وأصابعهِ وصوتهِ . فهنا عالم جديد. فلا بد له من لغة تنسجم معه لتصور الحال التي يكون الإنسان عليها، وتكون عليها الطبيعة من أنهار، وجبال وأشجار وحيوانات . فالجبال تمر مرّ السحاب والأرضِ تخرج إثقالها والشمس تُكوّر والسماء تنشق، ولذلك فاللغة التي ستعمل في الحياة الآخرة لغة حقيقية ليس فها مجاز " فإذا السماء انشقت " فنسبة الانشقاق إلى

السماء نسبة حقيقية فهي ليست السماء التي نعرفها التي يحكمها نظامنا الكوني إنما هي سماء يحكمها نظام آخر، نظام يسمح لها بأن تنشق بنفسها. " وأخرجت الأرض أثقالها " فنسبة الإخراج إلى الأرض حقيقية. إذ النظام الجديد يسمح لها بالإخراج . فالأرض غير الأرض وبذلك تختلف لغة الحياة الآخرة عن لغة الحياة الدنيا . وقد حرص القرآن الكريم في مواطن كثيرة على الإشارة إلى هذا الاختلاف بين الحياتين بوصفهما نظامين مختلفين للعلاقات التي تربط الإنسان بهذا الكون الجديد، وللعلاقات التي تربط الأشياء بعضها ببعض، فضلاً عن الإنسان والطبيعة.

المبحث الأول

سياقات التشبيه

مرّ في القسم الأول الخاص بسياقات الخوف الدنيوي مبحث خاص بسياقات التشبيه. وكان من أبرز سمات هذا السياق هو استعمال لفظة (مَثَل) مفردة أو مع الكاف (كمَثَل) وبذلك يختلف عن سياقات التشبيه الأخروي إذ لم يرد استعمال لفظة (مثل) بل اقتصر على الكاف مفردة في ربط طرفي التشبيه أو مركبة مع (كأن).

وسنعرض لهذا وغيره فيما يأتي :

١- قال تعالى " كأنما أُغشِيَت وجوهُهَم قطعاً من الليل مظلماً " يونس ١٠/٢٧ . ٢- قال تعالى " يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نُصْبٍ يُوفِضُون " المعارج ٧٠/٤٣ .

٣- قال تعالى " يوم تكون السماءُ كالمهل وتكون الجبال كالعِهن ولا يسأل حميمٌ حميماً " ٧٠/ ٨-٩ .

٤- قال تعالى " إنها ترمي بشررٍ كالقصر " " كأنه جمالة صُفر " المرسلات ٧٧/ ٣١-٣٢ .

٥- قال تعالى " يوم يكون الناس كالفَراش المبثوثِ وتكون الجبال كالعِهن المنفوش "القارعة ١٠١/١-٥.

ويلاحظ أن أداة التشبيه (الكاف) أكثر تردداً، بخلاف (كأن) و (كأنما) كما أن المواضع التي وردت فيها كلها مكية، ويبرز معنى الخوف بما توحيه أداة التشبيه وما دخلت عليه ، فالكاف تدخل هنا على مفرد وليس على سلسلة من الجمل كالتي مرت بنا في سياقات الخوف الدنيوي إذ إنها تدخل هناك على سلسله متصلة من الجمل كما مر بنا في موضعه أما هنا فهي تدخل على مفرد كما في قوله تعالى (كطيّ السجلّ) و (كالمهل) و (كالعهن) و (كالقصر) و (كالفَراش المبثوث) و (كالعهن المنفوش). وقد مر بنا الفرق بين (كأن) و (كأنما) . ففي قوله تعالى " كأنما أُغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً " يونس ١٠/٢٧ . جاء التشبيه بـ(كأنما) وقد وليها الفعل (أغشيت) للدلالة على أن الغرض من التشبيه هو

الاهتمام بذكر الحالة المشبه به دون الاهتمام بالمشبه، لأنه لا يتعلق بذكره غرض . جاء في مجمع البيان (أي كأنما أُلبستْ وجوههم ظلمة الليل . والمراد وصف وجوههم بالسواد)[١]. وجاء في كتاب الجمان في تشبيهات القرآن (يعني لِما دَهِمَهم من الرعب والجزع قد سدرت أعينهم فما يرون إلا ظلمة)[٢]. ويلاحظ أن الفاعل طُوي ذكرُه مع الفعل (أغشيت).في حين لم يُطوَ ذكر الفاعل في قوله تعالى " فأغشيناهم فهم لا يبصرون " يس ٩/٣٦ . لان السياقين مختلفان، ففي آية يونس لا يتعلق غرض بذكر الفاعل، أو لأنه معلوم، لان الموقف موقف حساب في يوم القيامة، أما في آية يس فلذكر الفاعل أهمية كبيرة. إذ إن في ذكره تعزيزاً لموقف النبي (ص).جاء في مجمع البيان (أي أغشينا أبصارهم فهم لا يبصرون النبي (ص) فقد روي أن أبا جهل هم بقتله (ص))[٣]. ويبرز معنى الخوف في تلك الصورة التي رسمتها (كأنما) بربط الألفاظ التي جاءت بعدها بعلاقات الإسناد والمفعولية والحالية. وحالة الظلام التي تسود في جو السياق كله.بدلالة (أغشيت) (من الليل) (مظلماً) ثم تخصيص الوجوه بالإغشاه في وقت الليل في حال كونه مظلماً، كل ذلك جسّد معنى الخوف الذي ملأ قلوبهم .

وفي آية المعا رج " يوم يخرجون من الأجداث سِراعاً كأنهم إلى نُصُب يوفضون " ٤٣/٧ . يبرز معنى الخوف في هذه الحركة حين يخرجون من الأجداث كحال من يسرع إلى شيء معين . والسياق كله مبني على الحركة التي تجسدها الألفاظ (يخرجون) (سِراعاً) (إلى نُصُب يوفضون) . ويلاحظ أن السياق يتضمن ألفاظاً خاصة فلفظة (الأجداث) لا تستعمل إلا في المواطن التي تخص الحياة الآخرة. أما المواطن التي تخص الحياة الدنيا فتستعمل لفظة (القبور) . كما أن الفعل (يوفضون) لم يرد إلا في هذا الموضع . ويوفضون ليس بمعنى (يسرعون) تماماً. جاء في

---

(١) الطبرسي ٣٨/١١ .

(٢) ابن ناقيا /١١٨ .

(٣) الطبرسي ١٠/٢٣ .

مفردات ألفاظ القرآن (الإيفاض: الإسراع وأصله أن يعدو من عليه الوفضة وهي الكنانة تَتَخَشْخَش عليه)[١]. وبهذا المعنى يكون (يوفضون) غير (يسرعون) ولذلك جاء التشبيه ليبرز الحالة التي يكون عليها الناس .

جاء في ظلال القرآن (وفي هذا الخطاب من تهوين شأنهم ومن التهديد لهم ما يثير الخوف والترقب، وفي مشهدهم وهيئتهم وحركتهم في ذلك اليوم ما يثير الفزع والخوف)[٢]. وترد لفظة (الأجداث) في سياق خوف آخر في قوله تعالى " يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر " القمر ٦/٥ . إذ إن الخروج من الأجداث تصاحبه في الغالب الحركة السريعة التي سببها الخوف والفزع جاء في مجمع البيان (إنهم يخرجون فزعين يدخل بعضهم في بعض ويختلط بعضهم ببعض لا جهةَ لأحدٍ منهم فيقصدها كما أن الجراد لا جهةَ لها فتكون أبداً متفرقة في كل جهة) [٣].

ولم يرد تشبيههم بالجراد إلا في هذا الموضع فقط . ويفرق جماعة من النحويين بين دلالة (كأن) إذا كان خبرها اسما جامدا، ودلالتها إذا كان اسما مشتقا أو فعلا أو ظرفا . جاء في المغني (وزعم جماعة منهم ابن السيد البطليوسي انه لا يكون (التشبيه) إلا إذا كان خبرها اسما جامدا (كأن زيداً أسدٌ)،بخلاف (كأن زيداً قائمٌ أو في الدار أو عندك أو يقوم) فإنها في ذلك كله للظن[٤]. وقد مر البحث في هذه المسألة في سياق التشبيه الدنيوي . ومنه قوله تعالى " كأنهم حُمُر مستنفرة " " فرّتْ من قسورة " المدثر ٧٤/٥٠ – ٥١ . ومعنى الخوف يبرز في دلالة التشبيه التي أفادتها (كأن) وألفاظ (مستنفرة) (فرت من قسورة) وتكرار حرف الراء في كل لفظة من ألفاظ التركيب جاء متسقا مع الحالة التي عليها الآية – موضوع

---

(١) الراغب الأصفهاني ٨٧٧ .

(٢) سيد قطب ٣٧٠٣/٢٩ .

(٣) الطبرسي ٦٧/٢٧ .

(٤) ابن هشام ١٩٢/١ .

البحث- فالراء المكررة تكون ذات تردد عال . وهو من الأصوات المجهورة التي تتطلب جهدا ووقتا أقل في إنتاجها[١]. وهذا يتناسب مع حالة الخوف والتوتر في الآية الكريمة وكذلك تكرار حرفي التاء والفاء في (مستنفرة) و (فرّت) . ويلاحظ أن الجملة المصدرة بـ(كأن) في الآيات الثلاث وقعت حالا غير مقترنة بالواو، وفي ذلك نكتة لغوية دقيقة، جاء في دلائل الإعجاز (ومما ينبغي أن يرعى في هذا الباب انك ترى الجملة قد جاءت حالا بغير واو ويحسن ذلك، ثم تنظر فترى ذلك إنما حَسُنَ من أجل حرف دخل عليها، مثله قول الفرزدق :

فقلت عسى أن تبصريني كأنما		بنيَّ حواليّ الأسود الحوارد

قوله (كأنما بني) إلى آخره في موضع الحال . . ولو انك تركت (كأن) ... رأيته لا يحسن حسنه الأول[٢]. ومما يلفت النظر أن آيات سياق التشبيه تشيع فيها جمل الحال . ففي آية القمر تكون جملة (يخرجون) في موضع نصب على الحال ، و(كأنهم جراد منتشر) في موضح نصب على الحال أيضا . وفي آية المعارج (يخرجون) في موضع نصب على الحال وكذلك (سِراعاً) . وفي آية المدثر " كأنهم حُمرٌ مستنفرة " حال (معرضين) قبلها.جاء في مجمع البيان (كأنهم حمر مستنفرة) جملة في موضع الحال من (معرضين) قبلها)[٣] .إلا آية الصافات فقد خلت من الحال وجاءت جملة (كأن) في موقع الخبر.قال تعالى " إنها شجرة تخرج من أصل الجحيم، طلعها كأنه رؤوس الشياطين " الصافات ٣٧/٦٤ . (وليس إن الناس رأوا شيطانا قط على صورة ولكن لما كان الله تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباح صور الشياطين واستسماجه وكراهته وأجرى على السنة جميعهم ضرب المثل في ذلك، رجع بالإيحاش والتنفير وبالإخافة والتفزيع إلى ما قد جعله الله في

---

(١) شعر يعمر بن لقيط الايادي ، دراسة صوتية /١٨، ٣٠ .

(٢) عبد القاهر الجرجاني / ٢٢٣ .

(٣) الطبرسي ٢٩/١١٦ .

طباع الأولين والآخرين وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم)[١]. وجاء في كتاب الجمان (ويجوز أيضا حمل ذلك على مذهب العرب في تسميتهم كل ما يستعظمونه شيطانا وتشبيههم بالشياطين على سبيل التهويل وهو وجه حسن مأثور)[٢]. إذ إن معنى الخوف يبرز في سياق التشبيه الذي دلت عليه (كأن) وما توحيه لفظة (رؤوس الشياطين) في النفس من فزع ورعب، جاء في ظلال القران(ومجرد تصورها يثير الفزع والرعب)[٣].

أما سياق التشبيه بالكاف فيلاحظ أن الآيات التي جاءت بالكاف كانت مصدّرة بلفظة (يوم) غالبا. والمقصود به يوم القيامة. إذ (تُبَدّلُ الأرضُ غير الأرضِ والسماوات) فلا يبقى نظام شمسي ولا جاذبية أرضية. فتكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ويكون الناس كالفَراش المبثوث . جاء في معاني القرآن (يومَ: منصوب على الظرف، المعنى: يكون يومَ يكون الناس كالفراش المبثوث)[٤]. فالسياق مشحون بالخوف والرعب الذي يبرزه سياق التشبيه بالكاف . والدلالة الموحية في الفعل (تكون) الذي يعقب لفظة (يوم)، إذ فيها معنى الصيرورة والتحول من حال إلى حال. والاستعمال القرآني يكثر من استعمال (كان) في هذه المواطن . ويلاحظ أن القرآن الكريم يستعمل في هذه المواطن ألفاظا قليلة الورود. فمثلا لفظة (الأجداث) تعد من الألفاظ التي لم ترد بكثرة في الاستعمال القرآني إذا ما قيست بلفظة (القبور) . وكذلك الفعل (يوفضون) ورد مرةً واحدةً ومثله (قسورة) و (المنفوش) و (العهن) و (جِمالات) أو (جِمالة) و (جَراد) و (فَراش). وفي هذا الاستعمال إشارة إلى غرابة ما يحدث في ذلك اليوم . جاء في معاني القرآن (يوم

---

(١) الحيوان / الجاحظ ٤/٤٠ .

(٢) ابن ناقيا /٢٣٦ .

(٣) سيد قطب ٢٣/ ٢٩٨٩ .

(٤) معاني القران وإعرابه / الزجاج ٥/٣٥٥ .

يكون الناس كالفَراش المبثوث) يريد كغوغاء الجراد يركب بعضُه بعضاً، كذلك الناس يومئذٍ يجول بعضُهم في بعض)[١]. وجاء في الكشاف(شبههم بالفَراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلّة والتطاير إلى الداعي من كل جانب)[٢]. كما إن في استعمال هذه الألفاظ نكتة لغوية لطيفة. إذ إن كل لفظة من هذه الألفاظ تحتمل أكثر من معنى فلفظة (الوَردة) في قوله تعالى " فكانت وردة كالدهان " الرحمن ٣٧/٥٥ . تحتمل معنى النبات (الورد) وتحتمل معنى (الفَرَس / الكميت) يتلوّن فيكون لونُه في الشتاء خلاف لونه في الصيف)[٣]. ولفظة (قسورة) تحتمل معنى (الرماة) الذين يتصيدونها،وتحتمل معنى الأسد . وتحتمل معنى رِكْز الناس وأصواتهم وتحتمل معنى : ظلمة الليل[٤]. ولفظة (المهل) تحتمل معنى: درديّ الزيت وتحتمل معنى : الفضة المذابة)[٥]. وتحتمل لفظة (كالقَصر) معنى : كالقصر من القصور في عِظمها . وتحتمل معنى : الغليظ من الشجر ، الواحدة قَصْرة نحو جَمْرة و جَمْر . وفي قراءة (كالقَصَر) – بفتح الصاد– جمع قَصَرة، وهي أعناق الإبل أو أعناق النخل نحو شَجَرة وشَجَر[٦]. وهذه المعاني تحتملها السياقات التي وردت فيها كل لفظة . والله أعلم .

---

(١) الفراء ٢٨٣/٣ .

(٢) الزمخشري ٢٧٩/٤ .

(٣) معاني القران / الزجاج ١٠١/٥ والجمان في تشبيهات القران / ابن ناقيا /١٦ .

(٤) معاني القران / الفراء ٢٠٦/٣ ومعاني القران /الزجاج ٢٤٩/٥ والكشاف ١٨٧/٤ .

(٥) الكشاف ١٥٧/٤ .

(٦) معاني القران / الزجاج ٢٦٨/٥ والكشاف ٢٠٤/٤ .

المبحث الثاني

سياقات النفخ

ترد سياقات النفخ التي يبرز فيها معنى الخوف في السور المكية غالبا، إذ جاء على بناء الفعل الماضي في الآيات الآتية:

١- **قال تعالى** " ونُفِخَ في الصور فجمعناهم جمعاً " **الكهف** ١٨/ ٩٩.

٢- **قال تعالى** " فإذا نُفِخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ "**المؤمنون ٢٣/١٠١**.

٣- **قال تعالى** " ونُفِخ في الصورِ فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون " **يس** ٣٦/٥١ .

٤- **قال تعالى** " ونُفِخ في الصور فَصَعِق منْ في السماوات ومنْ في الأرض إلا منْ شاءَ اللهُ " " ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون " **الزمر** ٣٩/ ٦٨ .

٥- **قال تعالى** " ونُفِخ في الصور ذلك يوم الوعيد " **ق ٥٠/٢٠** .

٦- **قال تعالى** " فإذا نفخ في الصور نفخةٌ واحدةٌ " **الحاقة ٦٩/١٣** .

وجاءت على بناء المضارع في الآيات الآتية :

١- **قال تعالى** " وله الملك يومَ يُنفخ في الصور عالمُ الغيب والشهادة " **الأنعام** ٦/٧٣ .

٢- **قال تعالى** " يوم يُنفخ في الصور ونحشرُ المجرمين يومئذ زرقا " **طه ٢٠/١٠٢**

٤- **قال تعالى** " يوم يُنفخ في الصور فَفَزِع منْ في السماوات ومنْ في الأرض **النمل** ٢٧/ ٨٧ .

٥- **قال تعالى** " يوم يُنفخ في الصور فتأتون أفواجا " **النبأ** ٧٨/ ١٨ .

وهنا جملة أمور لابد من التعرض لها :

١- الفرق بين بناء الماضي والمضارع، إذ ورد في مواضع (نُفِخ) وفي مواضع (يُنْفَخ)

٢- طي ذكر الفاعل في المواضع كلها .

- ورد في المكي ولم يرد في المدني .

أما بناء الماضي فقد ورد في سبعة مواضع، فيحين ورد بناء المضارع في أربعة مواضع وبذلك يكون بناء الماضي هو الغالب . وإذا أردنا الموازنة بين السياقين فيمكن إجمالها بالاتي :

بناء الماضي	**بناء المضارع**
١ـ يغلب وروده	**١ـ أقل ورودا.**
٢ـ يصدر بأحد حروف العطف بالواو وهو الغالب وبالفاء وثم قليل (ونفخ في الصور) .	**٢ـ يصدر بلفظة (يوم) في جميع مواضعه (يوم ينفخ) .**
٣ـ ما يترتب على النفخ يأتي معطوفا بالفاء غالبا (فجمعناهم) (فلا انساب) (فإذا هم من الأجداث).	**٣ ـ ما يترتب على النفخ لا يأتي (غالبا بالفاء بل يأتي بالواو ونحشر المجرمين) .**
٤ـ جاء التعبير بالماضي للدلالة على أن الحدث محقق لا محالة .	**٤ـ جاء التعبير بالمضارع لاستحضار تلك الصور حتى كأن السامع يشاهدها.**

أما بناء فعل النفخ للمفعول وطي ذكر الفاعل، ففيه تركيز الاهتمام على الحدث بصرف النظر عن مُحدثه[١]، جاء في كتاب لغة القرآن (وكأن هذه الأشياء ليست في حاجة إلى إسناد لأنها تفعل ذلك من داخلها دون افتقار إلى فعل فاعل خارج عنها .. (بني الفاعل للمجهول لعدم تعلق الغرض بمعرفة الفاعل (النافخ) وإنما الغرض بمعرفة هذا الحدث العظيم)[٢]. ومعنى الخوف يبرز في سياق النفخ وما يتبع النفخ من أحداث عجيبة تثير الهول والفزع في النفوس . ومن اللافت للنظر

---

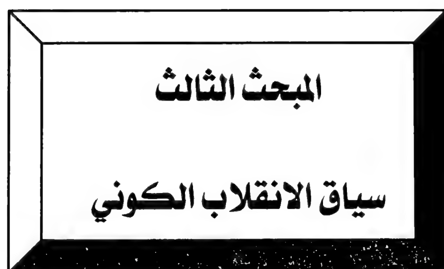
(١) الإعجاز البياني للقران / عائشة عبد الرحمن / ٢٤٢وينظر أسلوب الحذف في القرآن الكريم / أحلام موسى رسالة دكتوراه / ٣٧.

(٢) لغة القرآن / محمود نحلة /٣٩ ينقل عن كتاب التحرير والتنوير /محمد الطاهر بن عاشور .

في هذه السياقات أن الحدثَ الذي يتبع النفخ لا يتكرر مرتين. فلا يعاد ذكــره فــي موضع آخر، في آية أخرى، آي إن هذه الأحداث تحدث مرة واحــدة مثلمــا الــنفخ يحدث مرة فلا يتكرر، إذ فيه يحدث الانقلاب الكوني (الذي تختــل فيــه الأفــلاك وتضطرب دونها)[1]. أما وروده في المكّي فيعود إلى طبيعة السور المكيــة التــي يكثر فيها الترغيب والترهيب وبيان الثواب والعقاب والدعوة إلى الإيمان بالله وحده ونبذ الشرك به سبحانه وذكر الجنة والنار، والإخبار عن الحياة الآخرة وقيام الساعة ، فكان وروده في السور المكية متسقاً مع طبيعة هذه السور .

---

(1) في ظلال القران / سيد قطب ٢٦٦٧/٢ .


المبحث الثالث
سياق الانقلاب الكوني

يبرز معنى الخوف في هذا السياق بسبب ما يحدث من تغيير مذهل لنظام هذا الكون الدنيوي. إذ تُصبح الأرض غير الأرض والسماوات غير السماوات والجبال غير الجبال والشمس غير الشمس والقمر غير القمر والنجوم غير النجوم. ويتبع ذلك تغيير هائل في العلاقات بين الإنسان والطبيعة أرضها وسمائها وجبالها وشمسها وقمرها وبحارها . وتُخلق علاقات جديدة بين الإنسان وأخيه الإنسان بل بين الإنسان وأعضاء جسده . وكذلك تظهر علاقات جديدة غريبة بين الإنسان والطبيعة، وبين عناصر الطبيعة نفسها . كل شيء يتغير بأمره سبحانه لتبدأ حياة جديدة وعالم جديد مختلف تماماً عن هذا العالم الذي نعيش فيه . إن الخوفَ والفزعَ يرافق هذا التغيير المذهل الذي يقف أمامه الإنسان عاجزا، فيدرك عندئذ أن وعدَ الله حق وان الحياة الآخرة هي الحياة الحقيقية. فيقول (يا ليتني قدّمتُ لحياتي) فالخوف هنا يتجسد في هذا التعبير الكوني الذي وصفه القران الكريم في مواضع كثيرة منها:

أ- سياق الظرف (يوم)

١- **قال تعالى** " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماواتُ وبرزوا لله الواحد القهّار" **إبراهيم ١٤/٤٨** .

٢- **قال تعالى** " ويوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً " **الكهف ١٨/ ٤٦** .

٣- **قال تعالى** " يومَ نطوى السماء كطيّ السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده **الأنبياء ٢١/١٠٤** .

٤- **قال تعالى** " وترى الجبال تحسَبُها جامدة وهي تمرُّ مرّ السحاب صُنْع الله الذي أتقنَ كل شيءٍ " **النمل ٢٧/ ٨٨** .

٥- **قال تعالى** " يوم تَشَقّق الأرضُ عنهم سِراعاً ذلك حشرٌ علينا يسير " **ق ٥٠/٤٤**

٦- **قال تعالى** " يومَ تمور السماوات موراً وتسيرُ الجبالُ سيراً " **الطور ٥٢/ ١٠٩**

٧- **قال تعالى** " يوم ترجُفُ الأرضُ والجبالُ وكانت الجبال كثيباً مهيلاً " **المزمل** ٧٣/ ١٤ .

٨- **قال تعالى** إنّ يوم الفصل كان ميقاتاً، يومَ يُنفَخُ في الصورِ فتأتون أفواجاً وفُتحت السماءُ فكانت أبوابا.وسُيّرت الجبالُ فكانت سرابا " **النبأ ٧٨/ ١٧ – ٢٠ .**

ويلاحظ في هذه المواضع أن الفعل هو الشائع في تراكيبها ولاسيما بناء المضارع (يوم تبدل الأرض) يوم نطوي السماء) (وهي تمرّ مَرّ السحاب) (يوم تشقق الأرض)(يوم تمور السماء) (وتسير الجبال) (يوم ترجف الأرض) بخلاف سياق (إذا) الظرفية التي يغلب ورود الماضي معها . كما يلاحظ أن بناء المضارع جاء معه ذكر الفاعل في اغلب المواضع، في حين طُوي ذكر الفاعل معه في موضعين. ففي آية إبراهيم " تُبدّل الأرضُ غير الأرض .. " إذ جاء الفعل (تبدل) مبنياً للمفعول للدلالة على سرعة وقوع الحدث فضلاً عن العناية الكبيرة به، كما أن مجيئه على بناء المضارع لغرض استحضاره في النفوس . كأنه مشاهد فيكون بذلك أبلغ في تجسيد معنى الخوف والخشية، جاء في مجمع البيان (والمعنى تبدل صورة الأرض وهيئتها ... وتبدل السماوات فيذهب بشمسها وقمرها ونجومها)[١]. وزيادة في تجسيد معنى الخوف والفزع يأتي قوله تعالى " وبرزوا لله الواحد القهّار " إذ جاء البروز على بناء الماضي؛ جاء في المثل السائر (وفائدته أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده ... وإنما يفعل ذلك إذا كارن الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها)[٢]. وفي اختلاف صيغ الفعل يمكن أن نلاحظه في آية الكهف في قوله تعالى " يوم نسيّرُ الجبالَ وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً " فقد جاءت الآية مصدرة بالفعل المضارع (نسيّر) ثم جاء العطف بالفعل الماضي

---

(١) الطبرسي ١٣/٢٧٣ .

(٢) ابن الاثير ٢/١٩٨ / الزركشي ٣ /٢٧٢ .

(وحشرناهم). جاء في الكشاف (فان قلت : لِمَ جيء بـ(حشرناهم) بعد نُسيّر وترى ؟ قلت : للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال العظائم)[١]. ويلاحظ أن الفاعل لم يُطوَ ذكرُه في آية الكهف في قوله. تعالى (نسيّر). بخلاف آية إبراهيم فقد طوي ذكر الفاعل في قوله (تبدل الأرض) . وذكر الفاعل في آية الكهف ملائم لجو السورة وسياقها إذ يشيع فيها ذكر الفاعل، ونسبة الفعل إلى الله سبحانه في أغلب الأحداث التي وردت في السورة ابتداء من الآية الأولى " الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا " إلى آخر السورة. باستثناء قصة موسى (ع) مع العبد الصالح (ع) . وكذلك الأمر في آية سورة الأنبياء (يوم نطوي السماء)، إذ لم يطو ذكر الفاعل فيها فجاء ذكره متسقا مع سياق السورة كلها.إذ يشيع فيها ذكر الفاعل ولاسيما الأحداث التي تنسب إلى الله سبحانه . أما في آية النمل وآية ق وآية الطور وآية المزمل فقد نسب الفعل إلى الجبال وإلى الأرض والى السماء، ففي آية النمل كان الفاعل هو الضمير العائد على الجبال (وهي تمرّ مَرّ السحاب) وفي آية ق نسب الفعل إلى الأرض في قوله تعالى " يوم تشقق الأرض ". وفي آية الطور نسب الفعل إلى السماء " يوم تمور السماء مورا " ونسب إلى الجبال " وتسير الجبال سيرا " وفي آية المزمل نسب الفعل إلى الأرض " يوم ترجف الأرض " والفاعل في كل هذه المواطن هي المناصر الكونية العملاقة الأرض والجبال والسماء، وهذه الأحداث (مور الجبال ، وتشقق الأرض، ومور السماء، وسير الجبال ورجف الأرض). لا تحدث في الحياة الدنيا وإنما تحد ث عند النفخ وبعث الأموات.إذ تبدأ حياة جديدة غير الحياة الدنيا. فكل شيء يتبدل وبتغير ، وأولها العلاقات التي تربط بين العناصر، ثم العلاقات التي تربط الإنسان بأخيه الإنسان.ثم العلاقات التي تربط الإنسان بأعضاء جسده، فهذه حياة جديدة غريبة يقف الإنسان أمامها مرعوبا فزعا لا يملك القدرة على

---

(١) الكشاف / الزمخشري ٢/٤٧٨ .

تفسيرها.وبيان أسبابها مثلما كان يفعل في الحياة الدنيا، ولذلك الفاعل هنا حقيقي وليس في الأمر مجاز. إذ إن نسبة التشقق إلى الأرض والسير إلى الجبال، تكون سمة حقيقية ، لان هذا يناسب ما يكون عليه الكون في ذلك اليوم " يومَ تشهدُ عليهم ألسنتُهم وأيديهم وأرجلُهم بما كانوا يعملون " النور ٢٤/٢٤ و " اليوم نَختِمُ على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلُهم بما كانوا يكسبون " يس ٣٦/٦٥. لان الله سبحانه وتعالى (انطق كل شيء) قال تعالى " وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء " فصلت ٤١/٢١ . فنسبة النطق أو الشهادة للأيدي والألسن والأرجل تكون نسبة حقيقية بحسب الأنظمة والعلاقات التي يختص بها يوم القيامة . ولا يكون هناك مجاز، وهذا خط واضح في التعبير القرآني وقد أكّده في عشرات الآيات التي تخص يوم القيامة والحياة الأخرى، وقد حرص القرآن الكريم على تهيئة أذهاننا لتقبل هذا الأمر واستيعابه فنسب بعض الأفعال إلى الجمادات في الحياة الدنيا إذ مرّ بنا البحث في قوله تعالى " وإنّ منها لمَا يهبط من خشية الله " البقرة ٢/٧٤ . فنسب الهبوط للحجارة . وفي قوله تعالى " فوجدا فيها جداراً يريد أنْ ينقضَّ " الكهف ١٨/٧٧ . فنسب الإرادة إلى الجدار وكذلك الانقضاض .

ب- سياق الظرف (إذا) : يأتي الظرف (إذا) مصدرا كثيرا من الآيات القرآنية التي تصور ما يحدث من تغييرات كونية قبل القيامة. وفي أثناء القيامة، وهذا السياق يتفق مع سياق الظرف (يوم) في انه يرد في السور المكية ويفترق عنه في أمور سنعرض لها إن شاء الله . أما المواضع التي ورد فها فمنها :

١- قال تعالى " فإذا برقَ البصرُ، وخَسَفَ القمرُ، وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذٍ أين المفر " القيامة ٧٥/ ٧-١٠ .

٢- قال تعالى " إذا الشمس كُوّرت وإذا النجومُ انكدرت وإذا الجبال سُيّرت . وإذا العشار عُطّلت وإذا الوحوش حُشرت وإذا البحار سُجّرت وإذا النفوس زُوّجت وإذا

الموؤودة سُئلت بأي ذنب قتلت وإذا الصحف نشــرت وإذا الســماء كُشــطت وإذا الجحيم سُعّرت وإذا الجنّةُ أُزلفت عَلِمتْ نفسٌ ما أحضرت " **التكوير ٨١/ ١-١٢** .

٣- **قال تعالى** " إذا السماءُ انفطرت . وإذا الكواكب انتثرت . وإذا البحــار فجــرت وإذا القبور بُعْثِرتْ " **الانفطار ٨٢/ ١-٤** .

٤- **قال تعالى** " إذا السماءُ انشقّت وأذنتْ لربّها وحقّتْ وإذا الأرض مُدّت وألقتْ ما فيها وتخلّتْ " **الانشقاق ٨٤/ ١-٤** .

٥- **قال تعالى** " إذا زُلزِلتِ الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنســان مالها " **الزلزلة ٩٩/ ١-٣** .

وسياق (إذا) يكون فيه معنى الخوف أشد وأعنف من سياق الظرف (يوم)،وفي هذا السياق لابد من البحث في المسائل الآتية :

١- شيوع بناء الفعل الماضي وغلبته في تراكيبه.

٢- غلبة بنائهِ للمفعول.

٣- تقديمه وتأخيره .

٤- ذكر جواب (إذا) وحذفه.

أما شيوع بناء الماضي فقد جاء الإخبار عن هذه الأحداث بالفعل الماضي، جاء في الإيضاح (وغلب لفظ الماضي مع (إذا) لكونه أقرب إلى القطع بالوقوع، نظــراً إلى اللفظ)[1]. وللدلالة على أن الحدث واقع لا محالة، ولهذا عبّر القرآن الكريم عن الأحداث التي لابد من وقوعها ببناء الماضي، جاء في شرح الكافية (وينصرف إليه أيضاً بالإخبار عن الأمور المستقبلية مع قصد القطع بوقوعها كقوله تعالى " ونــادى أصحابُ الجنةِ أصحابَ النار " وسيق الذين " والعلة في الموضعين انه مــن حيــث إرادة المتكلم لوقوع الفعل قطعاً كأنه وقع ومضى)[2]. بخلاف سياق الظرف (يــوم) فانه لا يغلب في تراكيبه بناء الماضي بل يأتي المضارع أيضاً . أمــا بنــاء الفعــل

---

(1) الإيضاح في علوم البلاغة / الخطيب القزويني ٨٨/١ .

(2) الرضي الاستراباذي ٢٢٥/٢ .

للمفعول فهو الفاشي في ذكر هذه الأحداث والإخبار عنها . وقد مرَّ في مبحث سياق الظرف (يوم) إن بناء الفعل لم يرد إلا على المفعول بطيّ ذكر الفاعل في جميع مواضعه . وفي سياق (إذا) يمكن تقسيم بناء الفعل على :

أ- البناء للمعلوم وفيه يذكر الفاعل " فإذا بَرِقَ البصرُ وخَسَفَ القمر " .

ب- بناء المطاوعة على صيغة (انفعل) " إذا السماءُ انفطرت " " وإذا النجوم انكدرت " " إذا السماء انشقت "

ج- البناء للمفعول وفيه يطوى ذكر الفاعل " إذا الشمسُ كُوّرَت " " وإذا البحارُ فُجِّرَت " و " إذا القبور بُعثِرَت " " إذا زُلزِلَت الأرضُ زلزالها " .ودلالة صيغة (فُعِلَ) غير دلالة صيغة (انفَعَل) . بخلاف ما ذكره الدكتور إبراهيم السامرائي، جاء في كتاب الفعل زمانه وأبنيته (ومن هنا نستطيع أن نخلص إلى أن ما أسموه بالمجهول (فاعله) كما في (كُسِرَ الزجاجُ) مسند إلى مرفوعه إسناد (انكسر الزجاجُ) وان (انكسر) ليس مطاوعا لـ(كسرَ) .. وان المعنى المتحصل من كلا التعبيرين واحد . وان اتصاف المرفوع بكل منهما على نحو واحد)(١).وقد أكدَّ الدكتور مصطفى جواد في مباحثه اللغوية أن هناك فرقاً في المعنى بين صيغة (انفَعَل) وصيغة (فُعل) إذ يقول (لو كانت الأفعال الإرادية التي سميت غلطاً أفعال المطاوعة تؤدي معنى الفعل المبني للمجهول أو كان الفعل المجهول يؤدي معنى هذه الأفعال. ما احتاج الواضع إلا إلى إحدى الطريقتين منهما للتعبير ولم يأت بهما معاً)(٢). ويرى الدكتور مصطفى جواد في موضع أخر أن صيغة (انفَعَل) تستعمل للدلالة على رغبة (الفاعل في الفعل أو ميله الطبيعي أو شبه ميله إليه من غير تأثير من الخارج)(٣).ويميل الدكتور فاضل السامرائي إلى هذا الرأي ويؤكده بقوله (ففي

---

(١) الفعل زمانه وأبنيته / د. إبراهيم السامرائي /١٠٤ .

(٢) المباحث اللغوية في العراق /١٨ .

(٣) نفسه /١٧ .

(فُعل) دافع خارجي بخلاف(انفَعَل) الذي يبدو فيه الفعل كأنه حصل ذاتياً)[١].والذي عليه الاستعمال القرآني أن صيغة (فُعل) بالبناء للمفعول هي الفاشية .ولاسيما في الإخبار عن أحداث يوم القيامة، أما صيغة (انفَعَل) فهي قليلة وجاءت في مواضع معدودات . ولم يرد في الاستعمال القرآني (فطرَ اللهُ السماءَ فانفطرت) ولا (شقَ الله السماءَ فانشقّت) .

ويلاحظ في سياق الظرف (إذا) أن الفعل معها مرة يتقدم على الاسم المرفوع فيكون التركيب (فإذا بَرِقَ البصرُ) (إذا زُلزلت الأرضُ). ومرة يتأخر عنه وهو الغالب **هنا** " إذا السماءُ كُوّرت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سُيّرت وإذا العشار عُطّلت " **التكوير ٨١/ ١- ١٢** .**وفي قوله تعالى** " إذا السماءُ انفطرت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فُجّرت وإذا القبور بُعثرت " **الانفطار ٨٢/١٠٤** .

والثابت عند الجمهور أن (إذا) وغيرها من أدوات الشرط لا يليها إلا الفعل فان وليها اسم فهو على الإضمار،(وجاء بالفعل الظاهر تفسيرَ ما اضمر .. لان الجزاء لا يكون إلا بالفعل)[٢].وعند الكوفيين (فإنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل .. وحكي عن الأخفش انه يرتفع بالابتداء)[٣].ويرى الدكتور فاضل السامرائي أن تقدير الجمهور بعيد عن المعنى مفسد لصحة الكلام مؤدٍ إلى ركّةٍ بالغةٍ فيه[٤]. إذ لابد من وجود فرق في المعنى في تقديم الاسم..أو تقديم الفعل، ولابد من وجود غرض معين يسعى إليه المتكلم، جاء في معاني النحو (إن تقدم الاسم على فعل الشرط إنما هو العناية والاهتمام الذي هو الغرض من التقديم عموما ،وتختلف أوجه العناية هذه .. وقد يكون التقديم للتهويل وذلك نحو قوله تعالى " إذا السماء انشقت " وقوله " إذا السماء انفطرت، وإذا الكواكب انتثرت، وإذا

---

(١) معاني النحو ٢/٥٠٤ .

(٢) المقتضب ٢/٧٤ .

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف / الانباري /م ٨٥ .

(٤) معاني النحو ٤/ ٤٨٠ .

البحار فُجرت ، وإذا القبور بعثرت " .. وذلك أن انفطار السماء وانتثـار الكواكـب وتفجير البحار وبعثرة القبور كل ذلك مما يؤدي إلى الهول الكبير والرعب فقـدمها لهذا الغرض)[١]. فهذه الأحداث تقع مرةً واحدةً ولا تتكرر لذلك تقدم الاسم، ويبـدو أيضا أن في تقديم الاسم معنى المفاجأة. يقوي ذلك أن هذه الآيات جاءت رداً علـى إلحاحهم في السؤال عن يوم القيامة بخلاف تقديم الفعل في قوله تعالى " إذا زُلزلـت الأرضُ زلزالها " (فلم يقدم الاسم وذلك لان مشهد الزلازل واقـع متكـرر علـى الأعوام والأيام وان كانت هذه الزلزلة أعظم منها جميع)[٢]. جاء في مجمع البيـان (إنما أضافها إلى الأرض لأنها تعم جميع الأرض بخلاف الزلازل المعهـودة التـي تختص ببعض الأرض)[٣]. أما ذكر جواب (إذا) وحذفه، فقد ذكر جوابها في بعض المواضع وحذف في مواضع ، ففي آية المرسلات " وإذا السماء فرجت وإذا الجبال نسفت " فالجواب محذوف يدل عليه قوله " إنّ ما توعدون لواقع " والتقـدير : فـإذا طُمِست النجوم وفرجت السماء ونسفت الجبال واقتت الرسـل وقعـت القيامـة)[٤]. وذكر الجواب في آية التكوير " إذا السماء كورت " جاء في مجمع البيان (وجـواب (إذا) " عَلِمَت نفسٌ ما أحضرت ")[٥] وقد حذف في آية الانشقاق " إذا السماء انشـقت " جاء في الكشاف (حذف جواب (إذا) ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاءً بما علـم في مثلها من سورتي التكوير والانفطار، وقيل جوابه مـا دلّ عليـه فملاقيـه) [٦]. ويحذف الجواب للدلالة على التفخيم والتهويل والتعظيم لان في الحذف عدم التقييـد

---

(١) نفسه ٤/٤٨١ .

(٢) معاني النحو ٤/٤٨٢ .

(٣) الطبرسي ١٦٢/٣٠ والبرهان / الزركشي ٣٩٦/٢ .

(٤) مجمع البيان / الطبرسي ٢٩/ ١٥٧ .

(٥) نفسه ٣٨/٣٠ .

(٦) الزمخشري ٢٣٤/٤ أي في الآية /٦ " يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك فملاقيه "

بشيء معين. وهذا يحمل السامع على أن يذهب في تقديره كل مذهب، جاء في الإيضاح (أن يحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفسُ السامع كل مذهب ممكن)[١].

ج- سياق صيغة (فاعلة) : ترد في الاستعمال القرآني صيغة (فاعلة) في الإخبار عن أحداث يوم القيامة، وتصوير الانقلاب الكوني الذي يصاحب ذلك اليوم وما يثيره في النفوس من هلع وفزع بسبب الأهوال العظيمة والأحداث المرهوبة .

ومن المواضع التي ورد فيها :

١- **قال تعالى** " إذا وقعت الواقعة، ليس لوقعتها كاذبة خافضةٌ رافعةٌ. إذا رُجّت الأرضُ رجاً، وبُسّت الجبالُ بسّا فكانت هباء منبثا " ٥٦/ ١-٦ .

٢- **قال تعالى** " الحاقّةُ ما الحاقّةُ . وما أدراك ما الحاقّة " ٦٩/ ١-٣ .

٣- **قال تعالى** " فإذا جاءت الطامّةُ الكبرى، يوم يتذكّر الإنسان ما سعى. وبُرّزت الجحيم لمن يرى " **النازعات ٧٩/ ٣٤ -٣٦ .**

٤- **قال** تعالى " فإذا جاءت الصاخّةُ . يوم يفرّ المرءُ منْ أخيه وأمّه وأبيه وصاحبته وبنيه " **عبس ٨٠/ ٣٣- ٣٦ .**

٥- **قال تعالى** " هل أتاك حديثُ الغاشية، وجوه يومئذ خاشعة . عاملةٌ ناصبةٌ **الغاشية ٨٨/ ١ -٥ .**

٦- **قال تعالى** " القارعةُ ما القارعةُ. وما أدراك ما القارعةُ "**القارعة ١٠١/ - ٢ .**

إن ألفاظ (الواقعة، والحاقة، والطامة، والصاخة، والغاشية، والقارعة) يتجسد فيها معنى الفزع والخوف بما توحيه حروفها وصيغتها.فالواقعة (لا تقال إلا في الشدة والمكروه . وأكثر ما جاء في القرآن من لفظ (وَقَع) جاء في العذاب والشدائد)[٢]. وجاء في الكشاف (وصفت بالوقوع لأنها تقع لا محالة على معنى أنها

(١) الإيضاح / الخطيب القزويني ١ ١٨٧ .

(٢) مفردات ألفاظ القران /٨٨٠ .

وقعة لا تطاق شدّةً وفظاعةً)[١]. وأما الحاقةُ فَسُمّيت بذلك (لأنها تحـق كـل شـيء يعمله إنسان من خير أو شرّ)[٢]. وجاء في الكشاف (الحاقة: الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء)[٣].

أما الطامّةُ فهي من الطمّ . والطمُّ: البحر المطموم ، يقال الطمُّ والرمُّ وطمَّ علـى كذا. وسميت القيامة طامّة لذلك)[٤]. ولم ترد لفظة الطامّةُ فى الاستعمال القرآني إلا في هذا الموضع، ولم يرد الفعل (طمَّ) في القرآن الكريم البتة . وعن ابـن عبـاس (سُمِيَت بذلك لأنها تطمُّ على شيء فتعم ما سواها لعظم هولهـا)[٥]. أمـا الصـاخّة فيبرز فيها الأثر الصوتي واضحا بسبب اجتماع حرفي الصاد والحـاء المضـعفة . جاء في مفردات ألفاظ القرآن ((الصاخّة : شدة صوت ذي النطق. يقال صخَّ يَصِخُّ صخّاً فهو صاخ)[٦]. وقيل سُميت بذلك (لأنها تصخُّ الأذان أي تبالغ فـي إسـماعها حتى تكاد تسخها وقيل لأنها يصخ لها الخلق أي يستمع)[٧]. ولم ترد لفظة الصـاخّة في الاستعمال القرآني إلا في هذا الموضع ، كما ان الفعل (صخَّ) وتصـْريفاته لـم ترد في القرآن الكريم البتة.

أما الغاشية، فهي الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها)[٨]. وقـد ورد الفعل (غشي) وتصريفاته في القرآن الكريم في مواضع كثيرة .

---

(١) الزمخشري ٤/٥١ .

(٢) معاني القران وإعرابه / الزجاج ٥/٢١٣ .

(٣) الزمخشري ٤/١٤٩ .

(٤) مفردات ألفاظ القران /٥٢٣ .

(٥) الجامع لأحكام القران / القرطبي ١٩/ ١٣٤ .

(٦) الراغب الاصفهاني /٤٧٦ .

(٧) مجمع البيان / الطبرسي ٣٠/ ٣٤ .

(٨) الكشاف / الزمخشري ٤/ ٢٤٦ .

أما القارعة فدلالتها على الصوت واضحة في حروف (القاف والراء والعين) إذ إن القرع (ضرب شيء على شيء)[١]. جاء في مجمع البيان (القارعة البلية التي تقرع القلب بشدة المخافة والقرع الضرب بشدة)[٢]. وقد وردت لفظة القارعة في القرآن الكريم في خمسة مواضع، أربعة مكية وموضع مدني واحد .

نخلص من ذلك إلى أن هذه الألفاظ تجسد معنى الخوف والفزع بحروفها وصيغتها، فإذا أضيف إليها انتظامها في تراكيب معينة وسياقات خاصة، تبين للسامع مدى شدّة الأهوال والإفزاع التي يلاقيها الإنسان في ذلك اليوم المرهوب.وفي سياق صيغة (الفاعلة) لابد من البحث في المحاور الآتية :

١- سياق (إذا)

٢- سياق التكرار

٣- سياق الاستفهام

أما سياق (إذا) فقد ورد في قوله تعالى " إذا وقعت الواقعة " وفي قوله تعالى " فإذا جاءت الطامّةُ الكبرى " وفي قوله تعالى " فإذا جاءت الصاخّةُ " ويلاحظ في هذه المواضع أن التركيب جاء على النحو الآتي (إذا + الفعل + الاسم المرفوع)، لان العناية والاهتمام منصبان على الحدث . ففي آية الواقعة جاء الاسم المرفوع من مادة الفعل نفسه " إذا وقعت الواقعة " إذ يكون ذلك (كقولك كانت الكائنة، وحدثت الحادثة) [٣].

ففي تكرار أصوات الواو والقاف والعين والتاء وما لهذا التكرار من أثر في نفس السامع إذ يشيع فيها إحساسا بان أمراً عظيماً سيقع . جاء في معاني القرآن (يقال لكل آتٍ كان بتوقع قد وقع)[٤].

---

(١) مفردات ألفاظ القران /٦٦٦ .

(٢) الطبرسي ٣/ ١٧٧

(٣) الكشاف ٤/٥١ .

(٤) معاني القران وإعرابه ٥/١٠٧ .

أما آية النازعات فقد وليت بالفعل (جاء).وقد مر بنا أن هذا الفعل يرد في الاستعمال القرآني في المواضع الشديدة الصعبة، وهذا يصدق على الآية موضع البحث – إذ إنها في معرض الإخبار عن أشدّ أهوال يوم القيامة، يدلّ على ذلك وصفها بـ(الكبرى). جاء في "صفاء الكلمة" (ذلك لان اسم (الطامة) أرهب وأنبأ بأهوال يوم القيامة .. خصَّ بها أبلغ الصورتين في التخويف والإنذار)[1]. وهذا اللفظ يتسق مع سياق السورة كلها، إذ إنها بنيت على التخويف والترهيب . وهذا ينطبق على آية عَبَس. فالتعبير بلفظ (جاء) الذي ولي الظرف (إذا) وأُسند إلى (الصاخّة) يتلاءم مع عظم الهول والفزع في ذلك الوقت، جاء في ظلال القرآن (والصاخّة لفظ ذو جرس عنيف نافذ يكاد يخرق صماخ الأذن وهو يمهد بهذا الجرس العنيف للمشهد الذي يليه: مشهد المرء يفر وينسلخ من ألصق الناس به)[2].

أما سياق التكرار فقد ورد في موضعين (الحاقّةُ ما الحاقّةُ) وفي قوله تعالى (القارعة ما القارعة). وهذا التركيب يستعمله القرآن الكريم في مواضع التفخيم والتعظيم . فالتكرار هنا للتفخيم والتعظيم كذلك ما يوحيه الاستفهام بـ(ما) من تعظيم شأنها وتهويل أمرها . جاء في الكشاف (ما الحاقةُ) والأصل الحاقة ما هي؟ أي أيٌّ شيءٍ هي . تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لأنه أهول لها[3]. وجاء في التبيان في أقسام القرآن (من عادة القرآن الكريم في استعماله (ما أدراك) في الأمور الغائبة العظيمة)[4].

---

(1) صفاء الكلمة / عبد الفتاح لاشين / ١٥٨ .

(2) سيد قطب ٣٠ / ٣٨٣٤ .

(3) الزمخشري ٤/١٤٩ .

(4) ابن القيم /٢٨ .

فالحاقة مبتدأ.و(ما الحاقة) مبتدأ وخبر وهما خبر عن الحاقة، والتقدير الحاقة ما هي، إلا أن إعادة الاسم أفخم.وكذا (ما أدراك ما الحاقة)[١].وجاء في كتاب لغة القرآن (الإظهار في موضع الإضمار : وذلك حين يراد الاهتمام بالأمر اهتماما خاصا فيعاد الاسم مرة ثانية دون ضميره لإعادة تصوره وتأكيده وإقراره في النفس سواء أطال الكلام أم قصر. ومنه قوله تعالى (القارعة ما القارعة) [٢] .

أما سياق (هل) في قوله تعالى " هل أتاك حديث الغاشية" ، والاستفهام هنا لغرض التهويل والتعظيم ، ودخولها على الفعل (أتى) يتسق مع الاستعمال القرآني الذي خص الفعل (أتى) بالمواضع التي تكون فيها الشدة والصعوبة أقل، جاء في ظلال القرآن (هذه السورة واحدة من الإيقاعات العميقة الهادئة الباعثة إلى التأمل والتدبر والى الرجاء والتطلع وإلى المخافة والتوجس)[٣]. بخلاف آيتي النازعات وعَبَس.إذ كان الإخبار بالفعل (جاء) لان السياق فيهما أشد وأصعب (فإذا جاءت الطامة الكبرى) و (فإذا جاءت الصاخة).ويبدو من كلام الطبرسي أن (هل) بمعنى (قد) إذ قال (خطاب للنبي (ص) يريد . قد أتاك حديث يوم القيامة)[٤]. والنحويون والمفسرون والبلاغيون عندما يحملون (هل) على معنى (قد) يذكرون الآية " هل أتى على الإنسان حين من الدهر " الإنسان ١/٧٦ . وقد اختلفوا في دلالتها فقيل على معنى التقرير والتقريب.وقيل على ممنى التحقيق، وقيل على معنى التوقع . وأنكر آخرون أن تكون بمعنى (قد) ومال إلى ذلك ابن هشام وأيّده إذ قال:(وهذا هو الصواب عندي)[٥]. ويرى الدكتور فاضل السامرائي (أنها ليست بمعنى (قد) تماما

---

(١) إعراب القران / النحاس ٣/ ٤٩٥ .

(٢) محمود نحلة /٤٠٥ .

(٣) سيد قطب ٣٠ / ٣٨٩٥ .

(٤) مجمع البيان ٣٠/ ٩٥ .

(٥) المغني ٢/٣٥٢ .

بل هي لا تزال استفهامية فلا يصح أن نبدلها بـ(قد) وان نبدل (قد) بها)[١]. ويرى أيضا (أن المقصود من أمثال هذا التعبير إشراك المخاطب في الأمور ليقرر ويجيب بنفسه، في حين لو ذكره بصورة الخبر لكان إخباراً)[٢]. وجاء في تفسير النهر الماد (وهذا الاستفهام رقيق فائدته تحريك نفس السامع إلى تلقي الخبر)[٣].

---

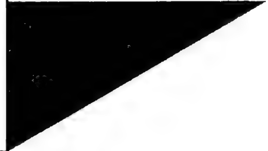
(١) معاني النحو ٤/ ٦١٩ .

(٢) نفسه ٤/٦١٩ .

(٣) أبو حيان ٢/ ١٢٥٦ .

المبحث الرابع

سياق حذف جواب (لو)



١- **قال تعالى** " ولو ترى إذ وُقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نُردُّ ولا نكذِّب بآيات ربنا " **الأنعام ٢٧/٦** .

٢- **قال** تعالى " ولو ترى إذ وقفوا على ربهم " **الأنعام ٣٠/٦** .

٣- **قال تعالى** " ولو ترى إذ الظالمون في غَمَرات الموت " **الأنعام ٩٣/٦** .

٤- **قال تعالى** " ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم " **السجدة ١٢/٣**.

٥- **قال تعالى** ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجِعُ بعضُهم إلى بعض القول **سبأ ٣١/٣٤** .

٦- **قال تعالى** ولو ترى إذ فزِعوا فلا فوت وأُخذوا من مكان قريب " **سبأ ٥١/٣٤**.

يبرز معنى الخوف في هذه المواضع بسبب الحالة التي يثيرها حذف جواب (لو) في نفس السامع ومخيلته إذ (يذهب منه الذهن كل مذهب، ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به فلا يكون له ذلك الواقع)[1]. ويلاحظ أن التركيب في هذه المواضع جاء على قالب واحد يتألف من:

لو + ترى + إذ +
- فعل ماض (في الغالب) جملة فعلية .
- اسم مرفوع مبتدأ ، جملة اسمية .

ونعرض لطبيعة هذا التركيب وعناصره :

١- لو: هنا شرطية وهي تفيد ثلاثة أمور، ذكرها ابن هشام[2]. الأول الشرطية، أي عقد السببية والمسببية بن الجملتين بعدها . والثاني تفيد الشرطية بالزمن الماضي، ولذلك يُحمَل (ترى) في هذه المواضع على المضي .والثالث: الامتناع.

---

(١) البرهان / الزركشي ١٨٣/٣ .

(٢) المغني ٢٥٥/١ .

٢- أما (إذ) فهي لا تقع إلا ظرفا أو مضافا إليها[١]. وهي ظرف للمضي تدخل على الجمل الفعلية والاسمية. جاء في المقتضب (أما (إذ) فتنبئ عن زمان ماضي،. . و (إذا) إنما تضاف إلى فعل وفاعل أو ابتداء وخبر فإذا أُضيفت إلى الفعل قدم وإذا أُضيفت إلى الابتداء مدم ولم يكن الخبر إلا اسما أو فعلا مما يضارع الأسماء)[٢]. وإذا عدنا إلى الآيات - موضوع البحث - وجدنا أنها أضيفت إلى الفعل الماضي (وقفوا) في موضعين والى الفعل (فزعوا) في موضع واحد، والى الجملة الاسمية في ثلاثة مواضع (الظالمون موقوفون) (المجرمون ناكسو رؤوسهم) (إذ الظالمون في غمرات الموت) ويلاحظ أن الفعل (وقفوا) في الموضعين عُدّي بحرف الجر (على) (ولو ترى إذ وقفوا على النار) (ولو ترى إذ وقفوا على ربهم) . ففي قوله تعالى (وقفوا على النار) تكون دلالة (وقفوا) إما بمعنى (أروها حتى يعاينوها)، وإما بمعنى (اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم أو ادخلوها فعَرِفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا إذا أفهمته وعرفته)[٣]. وفي قوله تعالى (وقفوا على ربهم) تكون دلالته

إما على المجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاقبه . وإما على تقدير مضاف محذوف أي : وقفوا على جزاء ربهم . وإما على معنى عرفوه حق العرفان)[٤]. وعند الطبرسي لا يصح إلا وجه واحد من الوجوه التي ذكرت في قوله تعالى (إذ وقفوا على النار) (وهو أن المعنى عرفوا ربهم ضرورة كما قال: وقفته على كلام فلان أي عرفتهإياه)[٥]. كما أنها أضيفت إلى الجملة الاسمية في ثلاثة مواضع " الظالمون في غمرات الموت " و" إذ المجرمون

---

(١) المقتضب ١/٨٠ .

(٢) المقتضب / المبرد ٢/٥٤ و ٤ /٣٤٨ .

(٣) الكشاف ٢/١٣ ومجمع البيان ٧/ ٣٩ .

(٤) الكشاف ٢/١٣ .

(٥) مجمع البيان ٧/٤٣ .

ناكسو، رؤوسِهم " " إذ الظالمون موقوفون " . ولا يخفى ان دلالة الجملة الفعلية غير دلالة الجملة الاسمية.إذ إن الأولى تدل على الحدوث والتجدد، أما الأخرى فتدل على الثبوت، فالفرق بين قوله تعالى " ولو ترى إذ وقفوا على النار " وبين قوله تعالى " ولو ترى إذ الظالمون موقوفون " فمع الفعل حدوث وتجدد ومع الاسم ثبوت . وجواب (لو) في كل ذلك محذوف يكون تقديره : لرأيت أمرا فظيعا وعذابا اليما . ويكثر حذف جوابها في هذه المواضع، جاء في البرهان (والسر في حذفه في هذه المواضع انها لما ربطت إحدى الجملتين بالأخرى حتى صارا جملة واحدة أوجب ذلك لها فضلاً وطولاً فخفف بالحذف)[١]. ومن مزايا حذف جواب (لو) انه يكون في مقامات الشدائد والمحن. لهذا استخدمه القرآن الكريم في وصف أهل النار، ومشاهد القيامة لأنها من التعجب والتهويل بحيث تفوق كل وصف[٢]. والفعل (ترى) في كل ذلك ليس مقصودا به مخاطبا معينا وإنما المقصود ان كل من تمكن من الرؤية يشمله هذا الخطاب)[٣]. فالسياق في كل هذه المواضع مبني على الخوف والفزع ولذلك ترد فيه ألفاظ (النار والموت، والفزع والأخذ، والوقوف)،(وكله مما يضفي عليه المشهد ظلالا مفزعة تأخذ بالخناق من الهول والكآبة والضيق)[٤].

---

(١) الزركشي ٣/١٨٣ .

(٢) أسلوب الحذف في القران الكريم / أحلام موسى ٢٩ /رسالة دكتوراه /١٩٩٩ .

(٣) في البنية والدلالة / سعد أبو الرضا /١٦٠ .

(٤) في ظلال القران ٧/ ١١٤٩ .

المبحث الخامس

سياق (كيف)

يبرز معنى الخوف في سياق (كيف) في الإخبار عن أحوال يوم القيامة. فخرج الاستفهام إلى معنى التفخيم والتعظيم والتهويل . لان فيه طلب مشاركة المخاطب في الأمر . وقد ورد في مواضع منها:

١- قال تعالى " فكيف إذا جمعناهم ليومٍ لا ريب فيه ووُفّيَتْ كل نفسٍ ما كَسَبت وهم لا يظلمون " آل عمران ٣/٢٥ .

٢- قال تعالى " فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيدٍ وجئنا بك على هؤلاء شهيدا " النساء ٤/٤١ .

٣- قال تعالى " فكيف إذا توفّتهم الملائكة يضربون وجوهَهم وأدبارهم " محمد ٤٧/٢٧ .

٤- قال تعالى " فكيف تتّقون إنْ كفرتم يوما يجعل الولدان شيباً " المزمل ٧٣/١٧.

ولابد هنا من البحث في المائل الآتية :

أ- موقع (كيف) في كل تركيب .

ب- مصاحبتها (إذا) .

ج- دلالة الاستفهام .

أما (كيف) فمحلها إما الرفع على انها خبر لمبتدأ محذوف تقديره: كيف حالهم. وإما النصب بفعل محذوف تقديره كيف تصنعون. أو فكيف يكون حالهم . وقد حملها ابن هشام على المفعول المطلق في قوله تعالى " فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد " أي فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد يصنعون[1]. جاء في مجمع البيان (فكيف إذا جمعناهم) كيف موضوعة للسؤال عن الحال ومعناها هنا للتنبيه بصيغة السؤال على حال من يساق إلى النار، وفيه بلاغة واختصار شديد لان تقديره أي حال يكون حال

---

(١) المغني ١/٢٠٦ .

من اغتر بالدعوى الباطلة)[١]. وجاء في تفسير النهر الماد (فكيف يجوز أن يكون في موضع نصب التقدير : فكيف يصنعون . وفي موضع رفع خبر المبتدأ المحذوف التقدير : فكيف حالهم)[٢]. ويبدو ان هذا التركيب (فكيف إذا) من الاستعمالات اللغوية الشائعة في كلام العرب . جاء في معاني القرآن (وهذا الحرف مستعمل في الكلام تقول أنا أكرمك وأنت لم تزرني فكيف إذا زرتني)[٣]. ويبدو أيضا انه لا يستعمل إلا في المواضع التي تدل على تعظيم الأمر وتفخيمه جاء في مجمع البيان (وهذا كما تقول العرب للرجل في الأمر الهائل يتوقعه : كيف بك إذا كان كذا . يريد بذلك تعظيم الأمر وتهويله وتحذيره، وتحذير الرجل منه وإنذاره به وحثه على الاستعداد له)[٤]. فإذا كان الأمر كذلك فلا حاجة إلى تقدير محذوف يكون هو العامل في (كيف) وفي (إذا) .

وجواب (إذا) محذوف لدلالة ما تقدم عليه، فحذفه واجب لان جواب الشرط يحذف وجوبا إنْ تقدم ما يدل عليه أو اكتنفه ما يدل عليه)[٥]. وعند الكوفيين ان المتقدم هو الجواب ، ويبدو أن رأي الكوفيين هو الأرجح في الآيات – موضوع البحث – إذ إن (كيف) وردت مقترنة بالفاء في كل هذه المواضع، وهذا يرجح رأيهم. لأن البصريين قالوا في ردّهم على مقالة الكوفيين ان هذا المتقدم لو كان هو الجواب للزمته الفاء إذا كان جملة اسمية. فقد جاءت الآيات – موضوع البحث – كلها بالفاء . فإذا كان الأمر كذلك فالاستعمال القرآني يسند رأي الكوفيين في هذه المسألة . ويكون الأمر من باب التقديم والتأخير (فقدم للاهتمام والعناية . ومعني ذلك ان

---

(١) الطبرسي ٣/٤٧ .
(٢) أبو حيان ١/٣١١ .
(٣) معاني القران وإعرابه / الزجاج ١/ ٣٩٢ .
(٤) الطبرسي ٥/١٠٦ .
(٥) المغني ٢/ ٦٤٧ .

حدوثه آكد وأقوى)[١].كما ان في تقديمه دلالة على ان الكلام بُنيَ علـــى الاســـتفهام أولا وليس على الشرط .

(١) معاني النحو ٤/ ٤٩٩ .

المبحث السادس

سياقات متنوعة

ويقصد بها كل سياق تردد في مواضع معنية وبرز فيه معنى الخوف على تركيب معين، ومن هذه السياقات ما يأتي :

١- **قال تعالى** " وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً " **طه ١٠٨/٢٠** .

٢-**قال تعالى** " وعَنَت الوجوهُ للحيِّ القَيّوم وقد خاب من حمل ظلماً " **طه ١١/٢٠**.

٣- **قال تعالى** " يا أيها الناس اتقوا ربَّكم إنّ زلزلةَ الساعةِ شيءٌ عظيم . يوم تَرَوْنَها تذْهَل كلَّ مرضعة عمّا أرضَعتْ وتَضَع كلُّ ذات حَمْلٍ حَمْلَها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنَّ عذابَ الله شديد " **الحج ١/٢٢ – ٢** .

٤- **قال تعالى** " وجاءت سكرةُ الموت بالحقّ ذلك ما كنت منه تحيد " **ق ١٩/٥٠** .

٥- **قال تعالى** " يوم يُكشف عن ساقٍ ويُدعَون إلى السجود فلا يستطيعون " **القلم ٦٨/ ٤٢** .

٦- **قال تعالى** " كلا إذا بلغتِ التراقي وقيل مَنْ راقٍ وظنَّ أنّهُ الفراق والتفتِ الساق بالساق **القيامة ٧٥ /٢٦ ٢٩** .

٧- **قال تعالى** " كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون . كلا لو تعلمون علم اليقين، لترونّ الجحيم. ثم لترَوُنّها عين اليقين " **التكاثر ١٠٢ / ٣-٧** .

ففي آيتي طه يبرز معنى الخوف في سياق خشوع الأصوات. وعنو الوجوه. فقد أسند الفعل إلى الأصوات والوجوه.إذ جاء على صيغة الماضي للدلالة على ان الحدث واقع لا محالة كما ان الإسناد هنا يتلاءم مع تلك القوانين التي تحكم ذلك اليوم. فالأصوات هي التي تخشع لان النظام الذي عليه الكون في ذلك الوقت يسمح بذلك. فلا مجاز في الإسناد ولا يحمل على تقدير مضاف ، أي أصحاب الأصوات، وكذلك الأمر في إسناد الفعل (عنا) إلى الوجوه فهو إسناد حقيقي وليس على تقدير أصحاب الوجوه . لان نظام العلاقات بين الأشياء في ذلك اليوم يسمح بعلاقة الإسناد هذه . ومن اللافت للنظر ان الفعل (عنا – يعنو) لم يرد في الاستعمال

القرآني إلا في هذا الموضع . ويلاحظ ان مع (خَشَعت الأصوات) قال (للرحمن) ومع (عنتِ الوجوه) قال (للحي القيّوم) وهذا من التناسق العجيب، فخشوع الأصوات يأتي أولا فيَشيع الصمت.إذ ان الموقف موقف فزع ورعب والناس في ذلك سواء (المؤمنون والكافرون) يمتلكهم هذا الفزع الذي يشيعه الموقف، فجاءت لفظة (الرحمن) لتبعث الأمل والطمأنينة في النفوس بأنهم بين يدي حاكم عادل رحمن رحيم . جاء في التفسير القيم (وصفات الإحسان والجود والبر والحنان والمنة والرأفة واللطف أخص باسم (الرحمن) . فالرحمن : الذي الرحمة وصفُهُ)[١]. أما مع الوجوه فقال (الحي القيّوم)، فلفظة القيَوم لم ترد في الاستعمال القرآني إلا مصاحبة لفظة (الحي) المتقدمة عليها . وقد وردت في ثلاثة مواضع فقط . والآية – موضوع البحث – أحدها، فهنا موقف خاص يشمل الكافرين المعاندين والعصاة والظالمين، جاء في الكشاف (والمراد بالوجوه وجوه العصاة)[٢]. و (قيل المراد بالوجوه الرؤساء والقادة والملوك)[٣]. فجاءت لفظة (القيّوم) متسقة مع الموقف الذي كانوا عليه في الحياة الدنيا من عناد وجبروت وظلم. فالقيّوم معناه : القائم الحافظ لكل شيء والمعطى له ما به قوامه)[٤]. وقيل معناه (القائم بتدبير خلقه من إنشائهم ابتداءً وإيصال أرزاقهم إليهم)[٥].فناسب (خشوع الأصوات) لفظ (الرحمن)، وناسب (عنو الوجوه) لفظ الحي القيوم . فجاءت كل لفظة في مكانها المناسب، والله أعلم .

أما آية القلم فيبرز معنى الخوف في (يُكشَف عن ساق). ولفظة (الساق) وردت في سورتي القلم والقيامة.واختصت في هاتين الآيتين في مواضع شدة الأمر وصعوبة الخطب والخوف والفزع . ويلاحظ ان التركيب في آية القلم " يوم يُكشَف عن ساق

---

(١) ابن قيم الجوزية /٣٣ .

(٢) الزمخشري ٢/٥٥٤ .

(٣) مجمع البيان ١٦/ ١٤٦ .

(٤) مفردات ألفاظ القران /٦٩١ .

(٥) مجمع البيان ٢/ ٣٠٢ .

" جاء الفعل فيها مبنيا للمفعول .إذ طوي ذكر الفاعل .لان الغرض يتعلق بالحدث وليسر بالفاعل، كما ان لفظة (ساق) جاءت نكرة وذلك (للدلالة على انه أمر مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف)[١]. أما في آية القيامة (والتفت الساقُ بالساقِ) فيلاحظ ان الفعل (التفت) جاء مبنيا للمعلوم مسندا إلى (الساق) المعرفة بالألف واللام للدلالة على ساق معلومة فهي ساق المحتضر (أتاه أول شدة أمر الآخرة وأشدّ آخر أمر الدنيا)[٢]. ويلاحظ في آية القيامة تكرار صوت القاف في (التراقي – من واقٍ – الساق بالساق – المساق). وهو الصوت الوحيد الذي يخرج من اللهاة كما انه من أصوات القلقلة وقد سبق بصوت العلة (الألف) الذي يمثل أعلى درجات الإسماع في الأصوات الإنسانية)[٣] .

وقد تردد صوت (القاف) ستا وعشرين مرة في سورة القيامة وهذا يتسق مع جو السورة العام . جاء في ظلال القرآن (وهذه السورة الصغيرة تحشد على القلب البشري من الحقائق والمؤثرات والصور والمشاهد والإيقاعات واللمسات مالا قبل له بمواجهته)[٤].

أما في سورة التكاثر " كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون، كلا لو تعلمون علم اليقين لَتَروُنَّ الجحيم ثم لتَروُنَّها عين اليقين ثم لتسألُنّ يومئذٍ عن النعيم " ٣-٨ ويلاحظ ان الخوف هنا متصل بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة فهو يبدأ في خط متصاعد من خلال تكرار التركيب (كلا سوف تعلمون) وقد صدر بكلمة الردع (كلا) التي ترددت ثلاث مرات، ثم بلام القسم التي تكررت ثلاث مرات أيضا في

---

(١) الكشاف ١٤٧/٤ .

(٢) تفسير غريب القران /٥٠١ .

(٣) في البحث الصوتي عند العرب /٢٠/ د. خليل العطية وشعر لقيط بن يعمر الأيادي ، دراسة صوتية ، قاسم مهدي راضي البريسم /١٨ .

(٤) سيد قطب ٢٩ /٣٧٦٦ .

(لترون الجحيم) (لترونها عين اليقين) (لتسألن يومئذ عن النعيم). وكـذلك تكـرار حرف العطف (ثم) .

إن شيوع التكرار في سياق السورة كلها جسد معنى الخوف والفـزع .جـاء فـي الكشاف (كلا: ردع وتنبيه .. (سوف تعلمون) إنذار ليخافوا والتكرير تأكيد للـردع وإنذار عليهم . و(ثم) دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد ... (لتـرون الجحيم) كرره معطوفا بـ(ثم) تغليظا في التهديد وزيادة في التهويـل)[١]. ويبـرز حذف جواب (لو) في الصورة " كلا لو تعلمون علم اليقين " معنى الخوف والرعب. جاء في التبيان في أقسام القرآن (ومثل هذا حذفه من أحسن الكلام .. فلـيس فـي ذكر الجواب زيادة على ما دلَّ عليه الشرط)[٢].

ومن مواضع الخوف التي وردت فيها (كلا) قوله تعالى كلا إذا دكت الأرض دكّاً دكّاً، وجاء ربّك والملك صفّاً صفّاً، وجيء يومئذ بجهنم . يومئذ يتـذكر الإنسـان، وأنّى له الذكرى، يقول يا ليتني قدمت لحياتي " **الفجر** ٨٩/ ٢١-٢٤ . ويلاحظ هنـا تتابع الحركة في رسم صورة الخوف (دكّاً دكّاً) (صفّاً صفَاً)، جاء في مجمع البيـان (أي كسر كل شيء على ظهرها من جبلٍ أو بناءٍ أو شجرٍ حتى زلزلت فلـم يبـق عليها شيء، يفعل مرة بعد مرة)[٣].

ومن المواضع التي جاء فيها الخوف متصل بين الحياة الدنيا والحياة الأخرى قولـه تعالى في أول سورة الحج " يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلةَ الساعة شيء عظيم. يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملهـا، وتـرى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد " ١-٢ . والانتقال من الخوف الدنيوي المتجسد في ذهول المرضعة ووضع الحمل، إلى الخوف الأخروي المتجسد في كون الناس سكارى وما هم بسكارى . يكون هـذا الانتقـال بوسـاطة الفعلـين

---

(١) الزمخشري ٤/ ٢٨١ .

(٢) ابن قيم الجوزية /٤ .

(٣) الطبرسي ٣٠/ ١١١ .

(ترونها) و (ترى)، إذ جاء أولاً (ترونها) الذي يخص الخوف الدنيوي، ثم جاء (ترى) في الخوف الأخروي، جاء في الكشاف (لان الرؤية أولاً علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعاً رائين لها . وهي معلقة أخيرا بكون الناس على السكر فلابد أن يجعل كل واحد منهم رائياً لسائرهم)[١]. فاختلاف صيغة الفعل جسد هذا الانتقال . والسياق كله مبني على الحركة السريعة المفاجئة التي تتمثل في الألفاظ (زلزلة الساعة ، تذهل ، تضع ، سكارى وما هم بسكارى) جاء في كتاب فكرة النظم (يرسم القرآن الكريم صورة تقرؤها مزدحمة بذلك الحشد المتماوج الذي لا يقاس بالحجم ولا بالضخامة ولكن بوقعه في النفوس البشرية ... لان الموقف عصيب تتزلزل فيه الحياة زلزالها فتذهل المرضعات عما أرضعن ويغيب وعي الناس فتدو حركاتهم ولفتاتهم مجنونة خارجة عن حد العقل)[٢].

---

(١) الكشاف الزمخشري ٤/٣ .

(٢) فتحي أحمد /١٥٥

الخاتمة والنتائج

البحث للألفاظ والسياقات التي عبر بها القرآن الكريم عن معنى الخوف في دراسة لغوية شاملة من غير فصل بين مستويات الدرس اللغوي إذ إن هذه النظرة الشاملة للنص القرآني بوصفه نصا واحدا شاملاً جعلت البحث يقف على كثير من الأمور التي لها علاقة بالكشف عن جمال التعبير القرآني، ودقته، ولطفه في استعمال هذا اللفظ في موطن معين، وفي سياق خاص، وفي شيوعه في موضع معين دون موضع . كما ان هذه النظرة أبعدت البحث عن الوقوع في أسر المعالجة الضيقة التي تعتمد على دراسة هذه الألفاظ والسياقات في تركيب معين وفي موضع معين، وقد تبين من خلال البحث ما يأتي:

١- إن الألفاظ التي يضمها حقل الخوف لم ترد جميعها في الاستعمال القرآني. منها ألفاظ (الهول والذعر والجبن والقلق والهيبة) . فهذه الألفاظ لم ترد في القرآن الكريم ، على الرغم من أن بعضها ورد في الاستعمال الجاهلي ولاسيما عند الشعراء .

٢- إن الاستعمال القرآني عبر عن معنى الخوف بألفاظ هي من خارج حقل الخوف منها (قَعَد - اثاقل - ثبّط - أهَمَّ) . وذلك من خلال السياق الذي وردت فيه .

٣- إن الاستعمال القرآني خص بعض الألفاظ والتراكيب بمواطن معينة. منها ما يغلب في مواطن الحرب وملاقاة الأعداء منها (فَشِل - ضَعُف - وَهَن - قَعَد)، ومنها ما يغلب في وصف المؤمنين منها (خَشِي - أخبَتَ - وَجِل)، وأخرى تغلب في وصف الكفار من المشركين وأهل الكتاب منها (أهطع - نكَصَ - أذعن)،ومنها ما كثر تردده في مواطن الخوف في الحياة الدنيا .. ومنها ما شاع تردده في الحياة الآخرة .

٤- وتبين أيضا ان هناك ألفاظ وتراكيب خصت بمصاحبات واقترانات معينة منها مثلاً قوله تعالى " لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون " فقد ورد بالرفع في كل القرآن و (لا ريبَ فيه) أو (لاريبَ فيها) فقد وردت بالبناء على الفتح في كل القرآن.

٥- كما خص الاستعمال القرآني بعض الألفاظ بصيغ معينة منها شيوع صيغة المضارع في مادة (خاف) و (حزن) و (خشي). بخلاف صيغة الأمر، إذ وردت مره واحدة مع (خاف) ولم ترد مع (حزن) . ومنه الفعل (أنذَرَ) على صيغة (أفعَل) المزيد ولم يرد منه المجرد (نذَرَ) على صيغة (فَعَل) للتعبير عن معنى الخوف. وكذلك الفعل (راب) لم يرد منه المجرد و (أشفق) أيضا ومنه ان الوصف من (خشى) لم يرد البتة وكذلك (حزن).

٦- بعض الألفاظ ورد منها المصدر على أكثر من صيغة منها (خَوْف - خِيفة - تخويف - تخوّف) ومنها (حَزَن وحُزْن) ومنها (حَذَر- حِذْر) ومنها الرَهَب والرُهْب .

٧- كما خصَّ الاستعمال القرآني بعض الألفاظ بدلالات معينة غير الدلالة المعجمية منها دلالة(خاف) على الظن والعلم واليقين، ومنها دلالة الرجاء على الخوف ومنها دلالة الخشية على الكراهة والاستحياء .

٨- كما خصَّ الاستعمال بعض الألفاظ بحالات إعرابية معينة.منها ان (الخوف) جاء مرفوعا في قوله تعالى " لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون " إذ لم يرد (لا خوفَ)، ومنها ان (الرعب) ورد منصوبا في كل القرآن وكذلك الوصف (مهطعين).

٩- كما تبيّن من خلال البحث شيوع الفعل المبنى للمفعول في سياقات الخوف، ولاسيما سياقات الخوف الأخروي في الإخبار عن تبدل الأرض والسماوات، وما يصاحبها من أحداث غريبة عجيبة .

١٠- وقد خص الاستعمال القرآني سياقات الخوف الأخروي بألفاظ معينة.منها مثلا لفظة (الأجداث) إذ اقتصر ورودها على سياقات الخوف الأخروي، بخلاف لفظة (القبور) التي اختصت بالحياة الدنيا ومنها أيضا (قسورة ، يوفضون ، جِمالات ، كالقصر، جراد منتشر، فراش مبثوث).

١١- كما اعتمد الاستعمال القرآني على أسلوب الحذف في إبراز معنى الخوف ولاسيما حذف جواب (لو) . و(إذا) .

١٢- وتبين من خلال البحث أن هناك خطين لغويين متوازيين في لغة التنزيل العزيز، الأول خاص بالحياة الدنيا يتلاءم معها في الألفاظ والتراكيب من مجاز واستعارة وكناية وتشبيه. وغيرها من الاستعمالات والقوانين التي تشيع في الحياة الدنيا . والخط الآخر خاص بالحياة الآخرة إذ تتبدل الأرض والسماوات، فتبدأ حياة جديدة بعلاقات جديدة، لا عهد للإنسان بها فالجمادات تتكلم، وأعضاء جسم الإنسان تشهد عليه. الأرجل والأعين والأيدي، والأصوات تخشع والوجوه تعنو، وقد صور القرآن الكريم هذا التبدل بلغة تختلف عن لغة الحياة الدنيا .

١٣- يشيع معنى الخوف ألفاظا وتراكيبَ وسياقات في السور المكية ويكثر تردده فيها، إذ يرجع ذلك إلى طبيعة هذه السور .

١٤- وتبين من خلال البحث أن الاستعمال القرآني استغنى عن بعض الألفاظ بدلالة ألفاظ أخرى، منها أن الفعل (شَكَّ)لم يرد في القرآن الكريم، استغناءً عنه بالفعل (ارتاب).

١٥- وتبين من خلال الجدول الإحصائي أن اللفظ (خاف) وتصريفاته هو الشائع في السور المكية إذ ورد خمسا وسبعين مرة بخلاف السور المدنية إذ ورد فيها سبعا وأربعين مرة . وكذلك اللفظ (أنذر) وتصريفاته هو الشائع في السور المكية إذ ورد ثمانيا وسبعين مرة، مقابل سبع مرات فقط في السور المدنية .

والحمد لله عليه توكلت وإليه أنيب .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أبنية المصدر في الشعر الجاهلي / د. وسمية عبد المحسن المنصور /ط ١ / الكويت / ١٩٨٤.
- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر / الشيخ أحمد بن محمد البنا (ت ١١١٧هـ) د. شعبان محمد إسماعيل /ط ١/بيروت / ١٩٨٧.
- الإتقان في علوم القرآن/ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) /ط ٣/ ١٩٥١ البابي الحلبي /مصر
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين /د. قيس إسماعيل الأوسي /بغداد /١٩٨٨ .
- أسرار البلاغة في علم البيان/ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤هـ) تصحيح . وتعليق السيد محمد رشيد رضا /ط ٦/ مصر / ١٩٥٩ .
- الأضداد في اللغة/ محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٨هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الكويت / ١٩٦٠ .
- الأضداد في كلام العرب/ أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت ٣٥١هـ) تحقيق /د. عزة حسن / دمشق / ١٩٦٣.
- الإعجاز البياني للقران ومسائل ابن الأزرق/ د. عائشة عبد الرحمن / دار المعارف / مصر / ١٩٧١.
- الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية/ محمود السيد حسن مصطفى /ط١ الإسكندرية/ ١٩٨١.
- إعراب القرآن/ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨ هـ) تحقيق د. زهير غازي زاهد / مطبعة العاني / بغداد / (د.ت) .
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم/ ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) دار التربية / بغداد / (د.ت) .

- أمالي الزجاجي/ أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي (ت٣٣٧هـ) تحقيق عبد السلام هارون /ط٢ / دار الجيل / بيروت ١٩٨٧ .
- الأمالي/ أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت٣٥٦هـ) بيروت .
- أمالي المرتضى/ غرر الفوائد و درر القلائد / الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم /دار إحياء الكتب العربية / ط ١/ ١٩٥٤.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين / أبو البركات الانباري (ت٥٧٧هـ) /ط٤/ مصر/ ١٩٦١.
- أوزان الفعل ومعانيها / هاشم طه شلاش / النجف / ١٩٧١.
- الإيضاح في علوم البلاغة/ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القرويني (ت٧٣٩هـ)تحقيق لجنة / طبعة اوفسيت مكتبة المثنى بغداد .
- البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة الرياض (د.ت) .
- بدائع الفوائد/ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) دار الكتاب العربي بيروت (د.ت) .
- البدل في الجمل العربية – القرآن الكريم / د. حسين محمد محمد حسن /ط١ / الإسكندرية / ١٩٨٩.
- بديع القرآن/ ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) تحقيق حقي محمد شرف/ مصر .
- البرهان في علوم القرآن / بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٣٥هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/ ط١ / دار إحياء الكتب العربية/ ١٩٥٧.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني/ د. فاضل السامرائي /ط١/ بغداد /٢٠٠٠ .

- البيان في غريب إعراب القرآن / أبو البركات بن الانباري (ت٥٧٧هـ) تحقيق د. طه عبد الحميد طه مراجعة مصطفى السقا / دار الكتاب العربي / القاهرة / ١٩٦٩ .
- تأويل مشكل القرآن / أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)شرح وتحقيق السيد أحمد صقر / دار إحياء الكتب العربية / (د.ت)
- التبيان في أقسام القرآن / محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية / صححه طه يوسف شاهين / دار الطباعة المحمدية / القاهرة / ١٩٦٨.
- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن (ت٦٥١هـ) ابن الزملكاني /تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي / مطبعة العاني / بغداد / ١٩٦٤.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن / ابن أبي الإصبع المصري/ تحقيق د. حفني شرف / القاهرة / ١٩٦٣.
- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب / أبو حيان الأندلسي / تحقيق د. أحمد مطلوب وخديجة الحديثي / بغداد/ ١٩٧٧.
- التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري / د. وليد قصاب / الدوحة / ١٩٨٥.
- التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن / عودة خليل أبو عودة /ط ١ الزرقاء / الأردن / ١٩٨٥.
- التعبير القرآني / د. فاضل صالح السامرائي / بغداد / ١٩٨٧.
- التعريفات / أبو الحسن الحسيني الجرجاني (ت٨١٦هـ) البابي الحلبي وأولاده / ١٩٣٨ .
- تفسير غريب القرآن / أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) تحقيق السيد أحمد صقر / دار إحياء الكتب العربية / ١٩٥٨.

- التفسير القيم / ابن قيم الجوزية / تحقيق محمد حامد الفقي / دار الفكر / بيروت / ١٩٨٨ .
- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (تفسير الفخر الرازي) (ت٦٠٦هـ) فخر الدين الرازي / دار الفكر /ط٣ / بيروت / ١٩٨٥.
- تفسير النهر الماد / أبو حيان الأندلسي / تقديم وضبط بوران الضناوي وهديان الضناوي / ط١ / دار الجنان / بيروت / ١٩٨٧ .
- تهذيب اللغة / أبو منصور بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) تحقيق لجنة من المحققين / دار الكتاب العربي / القاهرة / ١٩٦٧.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم / تحقيق/ محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام/ ط١/ القاهرة .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) /ط٢ / البابي الحلبي / مصر / ١٩٥٤.
- الجامع لأحكام القرآن / أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) صححه أحمد عبد العليم البردوني / ط٣ / دار الكتب المصرية /١٩٦٧ .
- الجمان في تشبيهات القرآن / ابن ناقبا البغدادي (ت٤٨٥هـ) تحقيق د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي / بغداد / ١٩٦٨.
- الجملة العربية دراسة لغوية نحوية / د. محمد إبراهيم عبادة / الإسكندرية /١٩٨٨ .
- الحيوان / عمرو بن بحر الجاحظ / (ت ٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون / ط٢ / ١٩٦٦ .
- دراسات في الأدوات النحوية / د. مصطفى النحاس /ط١ / الكويت/ ١٩٧٩.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم / محمد عبد الخالق عضيمة / القاهرة مطبعة السعادة / (د.ت)

- دلائل الإعجاز / عبد القاهر الجرجاني / تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجي /ط ١/ مكتبة القاهرة / ١٩٦٩.
- الدلالة الزمنية في الجملة العربية / د. علي جابر المنصوري/ ط١ / بغداد / ١٩٨٤ .
- ديوان الأدب / اسحق بن إبراهيم الفارابي / (٣٥٠هـ) تحقيق د. أحمد مختار عمر و د. إبراهيم أنيس / القاهرة / ١٩٧٥.
- الرسالة القشيرية / أبو القاسم القشيري النيسابوري الشافعي (ت٤٦٥هـ) /ط١/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده / مصر / ١٩٤٠ .
- شرح مفصل الزمخشري / موفق الدين ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) / عالم الكتب /بيروت .
- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب / رضي الدين محمد بن الحسن الاسترباذي (ت٦٨٦هـ) / دار الكتب العلمية / بيروت / مصورة عن طبعة الاستانة / ١٣١٠ هـ.
- شعر لقيط بن يعمر الايادي دراسة صوتية / د. قاسم راضي مهدي البريسم / بغداد / ١٩٩١.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز / يحيى بن حمزة العلوي / (ت ٧٤٩هـ) / مطبعة المقتطف / مصر / ١٩١٤.
- العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد / هنري فليش / تعريب وتحقيق د. عبد الصبور شاهين /ط ٢/ دار المشرق / بيروت / ١٩٨٣ .
- العين / أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) / تحقيق د. مهدي المخرومي و د. إبراهيم السامرائي / بغداد / ١٩٨٢.

-غرائب القرآن ورغائب الفرقان / نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري (ت ٧٢٨هـ) / تحقيق ومراجعة عطوة عوض / ط١ / مطبعة مصطفى البابي الحلبي / مصر/ ١٩٦٢ .
- الفروق اللغوية / أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) / تحقيق حسام الدين القدسي / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٩٨١.
- الفروق بين الحروف الخمسة / ابن سيده البطليوسي (ت ٥٢١هـ) / تحقيق د. علي زوين / بغداد / ١٩٨٦.
- الفعل زمانه وأبنيته / د. إبراهيم السامرائي / ط٢ / بيروت ١٩٨٠ .
-الفعل والزمن / د. عصام نور الدين / ط١ / بيروت / ١٩٨٤.
- فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم / د. فتحي أحمد عامر / الإسكندرية / ١٩٨٨.
- في البحث الصوتي عند العرب / د. خليل إبراهيم العطية / بغداد /١٩٨٣ .
- في البنية والدلالة / د. سعد أبو الرضا / الإسكندرية / د.ت
- في ظلال القرآن / سيد قطب / ط٢ / دار الشروق / القاهرة / ١٩٨٠ .
- في المجالات الدلالية في القرآن الكريم (صيغة افتعل) / د. زين كامل الخويسكي / ط ١١ /دار المعرفة الجامعية / الإسكندرية / ١٩٨٩.
- في النحو العربي نقد وتوجيه / د. مهدي المخزومي /ط١ / بيروت / ١٩٦٤ .
- الكامل في اللغة والأدب / أبو العباس محمد بن يزيد المبرد / ط١ وط٢ / دار الكتب العامة / بيروت / ١٩٨٧/ ١٩٨٩.
- الكتاب / سيبويه / (ت١٨٠هـ) /ط١ / بولاق / مصر/ ١٣١٧ هـ وط٦ /تحقيق محمد عبد السلام هارون / عالم الكتب / بيروت .
- كتاب الأفعال / أبو القاسم علي بن جعفر المعروف بابن القطاع (ت ٥١٩هـ) / ط١ / حيدر آباد / ١٣٦٠ هـ .

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ) / دار الفكر/ ١٩٧٩.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها / أبو محمد مكي بن ابي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) / تحقيق د. محي الدين رمضان / دمشق / ١٩٧٤
- كليات / أبو البقاء الحسيني الكفوي / (ت١٠٩٤هـ) / ط٢ / طبعة بولاق .
- لسان العرب / أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت٧١١هـ)مصورة عن طبعة بولاق / الدار المصرية للتأليف والترجمة (د.ت).
- لغة القرآن الكريم في جزء عم / محمود أحمد نحلة / دار النهضة للطباعة والنشر / بيروت / ١٩٨١.
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل/د. فاضل صالح السامرائي / بغداد /١٩٩٩ .
- المباحث اللغوية في العراق / د. مصطفى جواد/ط٣ / بغداد /١٩٦٥ .
- متخير الألفاظ / أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) / تحقيق هلال ناجي / ط١/ بغداد / ١٩٧٠ .

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر / ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ) تحقيق أحمد الحرفي وبدوي طبانة / دار الرفاعي / الرياض / ط ٢/ ١٩٨٣.
- مجاز القرآن / أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠هـ) تعليق د. محمد فؤاد سزكين ط٢ / مكتبة الخانجي / دار الفكر / ١٩٧٠ .
- مجاز القرآن وخصائصه الفنية وبلاغته العربية / د. محمد حسين على الصغير / بغداد / ١٩٩٤.

- مجمع البيان في تفسير القرآن / أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٩٤٨هـ) / دار الفكر/ ودار الكتاب اللبناني / ط١ / بيروت / ١٩٥٧.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها / أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) / تحقيق علي النجدي ناصف والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي / القاهرة / ١٩٦٩.
- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة / علي بن إسماعيل بن سيده الاندلسي (ت ٤٥٨هـ)/ تحقيق د. عائشة عبد الرحمن / ط ١ / مصر/ ١٩٥٨ .
- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع / ابن خالويه /عني بنشره ج/ برجشتراسر/ دار الهجرة .
- المخصص / علي بن إسماعيل الأندلسي (ت ٤٥٨هـ) / دار الفكر .
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي / د. رمضان عبد التواب ط٢ / مكتبة الخانجي / القاهرة / ١٩٨٥.
- المرتجل / أبو محمد عبد الله بن احمد بن الخشاب البغدادي (ت ٥٦٧هـ) تحقيق علي حيدر / دمشق / ١٩٧٢.
- مشاهد القيامة في القران / سيد قطب / القاهرة / دار المعارف /١٩٦١ .
- مشكل إعراب القرآن / أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي / دواسة وتحقيق / حاتم صالح الضامن / بغداد / ١٩٧٥.
- معاني القرآن وإعرابه / أبو اسحق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ) شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي / عالم الكتب / ط١ / بيروت /١٩٨٨
- معاني القرآن / أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ)/ تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي / ط٢ / الدار المصرية للتأليف والترجمة / ١٩٨٠ / المعارف / القاهرة /١٩٨٧ .
- المعاني الثانية في الأسلوب القرآني / د. فتحي احمد عامر / الإسكندرية / ١٩٧٦ .

- معاني النحو / د. فاضل السامرائي / بغداد / ١٩٨٩ .
- معترك الأقران في إعجاز القرآن / أبو الفضل جلال الدين السيوطي ضبطه وصححه أحمد شمس الدين /ط ١/ دار الكتب العامة / بيروت / ١٩٨٨.
- معجم المصطلحات البلاغية /د. أحمد مطلوب / مطبعة المجمع العلمي العراقي / بغداد / ١٩٨٣.
-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي / مكتبة وهبة ودار الكتب الحديثة / القاهرة / ١٣٧٨.
- معجم مقاييس اللغة / أحمد بن فارس / تحقيق عبد السلام محمد هارون / دار الفكر (د.ت).
- غني اللبيب عن كتب الأعاريب / ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد / دار الكتاب العربي / بيروت / (د.ت) .
- مفتاح العلوم / أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ط١ / مطبعة مصطفى البابي الحلبي / مصر / ١٩٣٧ .
- المفصل في علم العربية / جار الله الزمخشري / دار الجيل / لبنان (د.ت)
- مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ) تحقيق صفوان عدنان داوودي / ط١ / دار القلم / دمشق / والدار الشامية / بيروت / ١٩٩٧ .
- المقتضب / أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ه) / تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة / عالم الكتب / بيروت / (د.ت) .
- منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم / الإمام ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) / تحقيق ودراسة محمد السيد طنطاوي ود. فؤاد عبد المنعم أحمد / الإسكندرية / ١٩٧٩.
- من أسرار التعبير القرآني (صفاء الكلمة) / د. عبد الفتاح لاشين /الرياض /١٩٨٣ .

- من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب / د. محمد أبو موسى / دار الفكر العربي / ١٩٧٢ .
- من أسرار العربية في البيان القرآني / د. عائشة عبد الرحمن / بيروت /١٩٧٢
- المنصف / أبو عثمان بن جني / تحقيق د. إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين / دار إحياء التراث القديم / ط١ / القاهرة ١٩٥٤ .
- من علوم القرآن وتحليل نصوصه / د. عبد القادر حسين / دار قطري بن الفجاءة / الدوحة / ١٩٨٧ .
- مواهب الجليل من تفسير البيضاوي / الشيخ محمد أحمد كنعان / دار العلم للملايين / ط١ / بيروت / ١٩٨٤.
- موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين / محمد جمال الدين القاسي الدمشقي / دار المعرفة / بيروت .
- نحو القراء الكوفيين / خديجة أحمد مفتي / ط١ / مكة المكرمة / ١٩٨٥ .
- النحو الوافي / عباس حسن / دار المعارف / مصر / ١٩٦١ .
- النكت في تفسير كتاب سيبويه / أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) تحقيق زهير عبد المحسن سلطان /ط١ / الكويت / ١٩٨٧
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز / فخر الدين الرازي / تحقيق د. إبراهيم السامرائي و د. محمد بركات حمدي أبو علي / عمان / ١٩٨٥ .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع / جلال الدين السيوطي / تحقيق عبد العال سالم مكرم / الكويت / ١٩٧٩ .

الرسائل والمجلات

- أسلوب الحذف في القرآن الكريم / أحلام موسى حيدر الزهاوي / دكتوراه كلية الآداب / المستنصرية / ١٩٩٩ .
- ألفاظ الحرب في القرآن الكريم دراسة دلالية / سهام عبود وهيب الزبيدي / ماجستير / كلية التربية للبنات /جامعة بغداد / ١٩٩٨.
- ألفاظ العقاب الأخروي في القرآن الكريم / دراسة دلالية / أحمد عاشور جعاز /ماجستير / كلية التربية / المستنصرية / ١٩٩٨ .
- (لا) في اللغة العربية / رحيم جمعة علي / ماجستير / كلية الآداب / بغداد / ١٩٨٨ .
- المصدر في القرآن الكريم دراسة صرفية / ماجستير / عامر عيدان اللامي / الآداب / المستنصرية / ١٩٩٣.
- مجلة كلية المعلمين /ع٧ / ١٩٩٨/(التوافق التركيبي الدلالي لإجراء التشبيه) د. بشرى محمد طه البشير .

المحتويات

المحتويات

المحتويات

المحتويات

المحتويات

المحتويات